

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٠٣٢)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

البرنامج المسائي

مناسبات أبواب وأدلة كتاب التوحيد

للإمام محمد بن عبدالوهاب (ت:١٢٠٦هـ)رَحِمَهُ ٱللَّهُ

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

عبدالعزيز بن عيد بن رابح الرشيدي

المشرف

أ. د. **عبدالعزيز بن جليدان الظفيري**

العام الجامعي

١٤٣٩-١٤٤٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلّم –،

أما بعد:

فإن خير العلوم ما قرب العبد من ربه، وأجل المعارف هي التي تُبَصِّرُ الخلق بصفات كمال خالقهم، وتبين لهم ضعفهم وحاجتهم إلى عفو ربهم، ورجاء مغفرته وكرمه.

ولا يشك عاقل أن علم العقيدة هو لب العلوم، فبه تحصل دلالة العبد إلى سبيل الرشاد، وبه يجتنب العبد طريق الردى، لذلك وجب على العبد معرفة العقيدة الصحيحة من منابعها الأصيلة، ولا يوجد عند المسلمين لمعرفة الحق من الباطل إلا كتاب الله وما صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، وغيرها في مهب الريح، فلا عقل بلغ مراده، ولا روح وصلت لطمأنينتها.

ولا شك أن الله يسر لهذا الدين علماء ربانيين نشروا وبينوا دين الله واضحاً نقياً كما جاء في كتاب الله، ونطق به الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلّم –، وتبعه على ذلك صحابته الكرام، فما زال العلماء في كل عصر وفي كل زمان يقومون بواجبهم لتنقية المعتقدات من الشبهات والشوائب.

وكان واحد من هؤلاء العلماء الذي شابه المتقدم في حسن الصياغة، وسهولة إبلاغ المراد، وأحيى الله به السنة، وأمات به البدعة، فرفع الله ذكره في البلدان، وأقام به دولة تسير على منهجه؛ لأنه لم يأمر إلا بما أمر الله به في كتابه، وما نهى إلا عما نهى الله عنه في كتابه، أقصد مجدد الدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتابه (كتاب التوحيد).

لذلك جعلت أطروحتي الماجستير في هذا الكتاب المبارك، وأسميتها (**مناسبات أبواب وأدلة كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب** –رحمه الله–).

أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهمية بالغة وذلك لأمور منها:

١- شهرة هذا الكتاب تغني عن كتابة أهمية هذا الموضوع، لا سيما مع كثرة شروح أهل العلم من العلماء الربانيين المعاصرين،

٢- أن العلماء ما زالوا يكررونه، ويعيدون قراءة ما فيه من الكنوز والدرر.

٣- أن أي عمل يقدم لخدمة هذا الكتاب يعد من أجل الأمور في عصرنا المعاصر الذي كثرت فيه الفتن، وأصبح طريق الانحراف سهلاً وقريباً على أبناء هذا الجيل.

٤- العمل على هذا الكتاب بذكر مناسباته وطريقة ربط الإمام في كتابه بين أبواب الكتاب تعد من الأمور التي ما زال شارحو الكتاب يستنبطون منها العبر والدروس ويقفون على براعة الإمام في صياغة الكتاب.

٥- أن جمعها في موضوع واحد ودراستها تفتح للقارئ باب التأمل في الكتاب والمطالعة.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع لأمور من أهمها ما يلي:

١- أهمية كتاب التوحيد لدى العامة والخاصة.

٢- معرفة المناسبات من الأهمية بمكان إذ إنها تدل على مقصود الباب وعلاقته بما قبله، مما يسهل معه فهم المقصود.

٣- التعرف على منهج الشيخ في إيراده لتلك التراجم.

٤- أن هذا الموضوع منثور في كتب أهل العلم ممن شرحوا الكتاب لذلك جمعه في رسالة واحدة مع دراستها لا شك أنه فائدة كبرى تقدم للكتاب.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وتسعة فصول وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره وخطة البحث والمنهج الذي سرت عليه.

التمهيد: ذكرت فيه ترجمة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وتعريف بكتابه التوحيد:

الفصل الأول: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببيان التوحيد وتفسيره والدعوة إليه: وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة استفتاح المؤلف لكتاب التوحيد. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة استفتاح المؤلف لكتاب التوحيد للباب الذي يليه.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب لكتاب التوحيد قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الرابع: باب الخوف من الشرك. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب الخوف من الشرك للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الخامس: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث السادس: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل الثاني: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببيان أنواع من الشرك الأكبر والأصغر، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب ماجاء في الرقى والتمائم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ماجاء في الرقى والتمائم للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الرابع: باب ما جاء في الذبح لغير الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الذبح لغير الله للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الخامس: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث السادس: باب من الشرك النذر لغير الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك النذر لغير الله للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث السابع: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثامن: باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل الثالث: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بأحوال بعض من عُبد من دون الله تعالى وعدم استحقاقهم للعبادة:

المبحث الأول: باب قول الله تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب الشفاعة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب الشفاعة للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الرابع: باب قول الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل الرابع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بأسباب الشرك وقطعها والرد على من منع وقوع الشرك في هذه الأمة:

المبحث الأول: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين للباب السابق

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسـبة باب ما جاء أن الغلو في قبور الصـالحين يصـيرها أوثانا تعبد من دون الله، للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الرابع: باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الخامس: باب أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل الخامس: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببعض أنواع الشرك

المبحث الأول: باب ما جاء في السحر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في السحر للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب بيان شيء من أنواع السحر. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب بيان شيء من أنواع السحر للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب ما جاء في الكهان ونحوهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الكهان ونحوهم للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الرابع: باب ما جاء في النشرة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في النشرة للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الخامس: باب ما جاء في التطير. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في التطير للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث السادس: باب ما جاء في التنجيم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في التنجيم للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث السابع: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل السادس: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببعض العبادات القلبية

المبحث الأول: باب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب قول الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناســـبة باب قول الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الرابع: باب قول الله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسـبة باب قول الله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الخامس: باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل السابع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بالشرك الخفي

المبحث الأول: باب ما جاء في الرياء. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الريا للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل الثامن: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بتحكيم الشرع:

المبحث الأول: باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله، للباب السابق.

المطلب الثاني: ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

الفصل التاسع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بالأدب مع الله تعالى وتعظيمه جل وعلا والنهي عن كل ما ينافي ذلك:

المبحث الأول: باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات، للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾، للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المبحث الثالث: باب قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾. وفيه مطلبان:

المبحث الثاني والعشرون: باب ما جاء في المصورين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في المصورين للباب السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

فهرسة الأحاديث النبوية

فهرسة الأعلام

فهرسة المصادر والمراجع

فهرسة الموضوعات العامة

الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

منهج البحث:

سرت في البحث على النحو الآتي:

١- البحث في الكلام عن المناسبة بين الباب والباب السابق له، وكذا مناسبة الباب لكتاب التوحيد، وأيضا مناسبة ما أورده الشيخ من الآيات والأحاديث والآثار للباب أو لكتاب التوحيد.

٢- ذكرت أحيانا المناسبة بين الباب والباب الذي يليه عند الحاجة.

٣- رجعت إلى شروح كتاب التوحيد للعلماء.

٤- عزوت الآيات القرآنية الكريمة بذكر اسم السورة ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني.

٥- خرجت الأحاديث النبوية فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني اكتفيت به، وإلا خرجته من بقية مصادر السنة مع ذكر حكم أهل العلم عليه.

٦- عملت فهارس علمية، للآيات والأحاديث والآثار، وكذلك الأعلام والمصادر والمراجع، وكذلك فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

في نهاية هذا العمل، أحمد الله -جل وعلا- أولا على توفيقه وأشكره على تيسيره ولطفه ورحمته بعبده الضعيف، المعترف بتقصيره، وإنعام ربه عليه على ما فيه من تقصير وخلل، فاللهم لك الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، لك الحمد ربي حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى، فلا حول لي ولا قوة إلا بك، وأسأله سبحانه أن يرزقني العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعل ما كتبته وتعلمته حجة لي يوم ألقاه، وخيرا لي وللمسلمين، ثم أشكر والديّ الكريمين على ما وفروه لي من سبل الراحة والسعادة في تحصيل ما أنشده من هذه الدرجة، أسألك ربي أن تجزيهم عني خير الجزاء، وأن ترزقني برهم، ورضاهم، فهو أعلم بما أحمله تجاههم من وافر المحبة والاحترام والتقدير، ثم أشكر زوجتي الكريمة على صبرك وتحملك في سبيل تحقيق هذه الدرجة، أسأل الله ألا يضيع أجرك ولا يحرمك سعادتك في الدارين وأن يجزيك عني خير الجزاء، وأشكر بلدي على هذه التسهيلات وتوفير كل الإمكانيات في سبيل أن يتفرغ الطالب ويسهم في بناء هذه البلاد، أسأل الله أن يزيدها أمنا ورخاء واطمئنانا، وسائر بلاد المسلمين، ثم أشكر جامعتي الجامعة الإسلامية على ما بذلته من جهود مباركة في سبيل توفير كافة السبل والإمكانيات لأجل أن يحقق الطالب ما ينشدونه منه من العلم والمعرفة، وحراسة العقيدة ونشرها والتحذير من البدع والشركيات، أشكرك أستاذي وشيخي الفاضل فضيلة الشيخ أ. د عبد العزيز الظفيري، الذي قام بالإشراف على رسالتي لنيل درجة العالمية الماجستير، وقد قام بكل ما في وسعه لمساعدتي ومساندتي وتوجيهي وبذل الوقت والجهد في سبيل تسهيل كل ما يشكل عليّ وتقويم ما يحتاج إلى تقويم، فلا أوفيك شكرك شيخي وأسأل الله أن يرفع قدرك ويعلي شأنك ومنزلتك في الدنيا والآخرة، ثم أشكركم إخواني وأخواتي وأقاربي ومن أعرف ومن لا أعرف ممن حمل همي ودعا لي بظهر الغيب في سبيل تحقيق ما أتمناه، أسألك ربي ألا تضيع أجرهم، ولا أنسى أن أشكر قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين وعلى رأسهم رئيس القسم فضيلة الشيخ الدكتور سامي الظفيري وجميع من يعملون معه في القسم، فوالله ما وجدت من هذه القسم الجميل إلا كل علامات الحرص والبذل في سبيل تهيئة الطالب لما ينشده، وتوفير

كل ما يحتاجه في سبيل أن يجد الطالب مكانا يحتويه ويشد من أزره لإتمام مبتغاه، أسأل الله أن يجزيكم عني خير الجزاء، وأن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل، آمين.

كما أشكر المناقشين الكريمين على ما تفضلوا به عليّ من قبول مناقشة رسالتي فهو شرف كبير لي أن أنهل مما يبدونه لي من ملاحظات قيمة والتي أسأل الله -جل وعلا- أن يجعل ما يقولونه في ميزان حسناتهم، ويجزيهم عني خير الجزاء.

والحمد لله أولا وآخرا، من قبل ومن بعد، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - والتعريف بكتابه التوحيد

أولا: التعريف بالشيخ رحمه الله

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف الوهيبي التميمي(١)، ولد الشيخ رحمه الله سنة ١١١٥هـ، في العيينة، فترعرع الشيخ - رحمه الله - في أسرة دين وعلم، وأمه هي من عشيرته الأدنين، فهي بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي، ومن علماء أسرته: القاضي الشيخ أحمد بن

(١) من الكتب المصنفة في ترجمة الشيخ - رحمه الله - والتعريف به، وبتراثه كثيرة، منها:

١- تاريخ نجد للعلامة حسين بن غنام.

٢- عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر.

٣- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله البسام.

٤- الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، لعبد الله العثيمين.

٥- الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، لأحمد بن حجر أبو طامي.

٦- الإمام محمد بن عبد الوهاب، حياته وآثاره، ودعوته السلفية، لمحمد السكاكر.

٧- آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأحمد الضبيب.

٨- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي، لصالح العبود.

٩- محمد بن عبد الوهاب مصطلح مظلوم ومفترى عليه، لمسعود الندوي.

مشرف[1]، تلميذ الحجاوي [2]، ومنهم عمه الشيخ إبراهيم بن سليمان [3]، فالشيخ رحمه الله نشأ في بيت علم، ومن أسرة علم، مع ما فيه من الذكاء وحدة الفهم، فأنبته الله -جل وعلا- نباتا حسنا، وترعرع في كنف والده، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، فنشأ الشيخ في بيت أبيه الذي كان مأوى طلاب العلم وخواص العلماء فهو ينتمي إلى أسرة علم فيها علماء أفذاذ وقضاة كانت لهم المكانة العلمية البينة، وقرأ على أبيه الفقه فبرز فيه، وكان سريع الحفظ والكتابة، فكان والده رحمه الله يلاحظ عليه سرعة فهمه وإداركه ونباهته، وذكائه، وكان يتعجب من ذلك ويثني عليه عند بعض إخوانه ويذكر ما يراه من شأنه، فزوجه وهو ابن ثنتي عشرة سنة، بعد بلوغه، فتلقى العلم عن أبيه وولي القضاء في العيينة بعد أبيه وانتقل بعدها إلى حريملاء - رحمهم الله - [4].

---

(١) هو الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف، ولد في بلدة أشيقر، طلب العلم ولازم العلماء حتى أصبح المترجم من عيون العلم في نجد، ولي القضاء في أشيقر وبقي فيها حتى توفي سنة ١٠١٢هـ - رحمه الله -، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٥٣٩-٥٤١).

(٢)هو: الإمام موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي الحنبلي، فقيه، أصولي، محدث، أفتى بدمشق وتوفي بها عام ٩٦٨ هجرية، وله مصنفات منها: الإقناع لطالب الانتفاع، وشرح المفردات، وشرح منظومة الآداب لابن مفلح. انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٣٤).

(٣)هو عمه الشيخ إبراهيم بن سليمان، ولد سنة ١٠٧٠هـ، في بلدة العيينة، كان والده قاضيا فيها آن ذاك، وكان فيها العلماء والفقهاء، فأخذ العلم عن أبيه وعن غيره من العلماء فنال حظاً وافراً وخصوصاً في الفقه، وقد ولي قضاء بلدة "أشيقر" وتوفي سنة ١١٤١هـ، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٤) انظر: تاريخ نجد، لحسين بن غنام (ص: ٨١ وما بعدها)، تحقيق: ناصر الدين الأسد، ط٤، دار الشروق، ١٤١٥هـ، عنوان المجد، لعثمان بن بشر (٣٣/١)، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط: الرابعة، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ، علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله البسام (١٢٩/١)، ط٢، ١٤١٩هـ، دار العاصمة، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم

وكان رحمه الله كثير المطالعة للعلوم كالحديث والتوحيد والتفسير، فعرف التوحيد، وتحقيقه وما ينقصه ويذهبه، ورأى ما وقع فيه كثير من الناس من البدع والشركيات كتقديس الأشجار والأحجار، والبناء على القبور وغيرها؛ فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه، ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وقد فشا الشرك إذ ذاك في نجد وغيرها، فكان ينكر ذلك وينهى عنه ويستدل بما عرفه من كلام الله -جل وعلا- وكلام رسوله -ﷺ-، فكانوا يستحسنون ما يقول، لكنهم لم ينتهوا عن ذلك ولم يسمعوا له [1].

فالشيخ -رحمه الله- لم يكتف بأخذ العلم عن أبيه بل سافر طلبا للعلم وأهله، فذهب إلى مكة في موسم الحج، ثم اتجه إلى المدينة، وأخذ عن علمائها المعروفين كالشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف [2]، وأخذ عنه، وعن غيره من العلماء، ثم خرج منها إلى نجد، فقصد بلدة العيينة، وأقام بها قرابة سنة ثم ذهب إلى البصرة فسمع الحديث والفقه والنحو واللغة ومن أشهر من أخذ عنهم الشيخ محمد المجموعي [3]، وكان رحمه الله ينكر في البصرة على ما يرى من

الإسلامي لصالح بن عبد الله العبود (١/ ١٢٠)، ط٢، ١٤٢٤هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(١) انظر: عنوان المجد، لعثمان بن بشر (١/٣٣-٣٤)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٣٠).

(٢) هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سيف الشمري، ولد وتوفي في المدينة، ونشأ نشأة صالحة في بين علم ودين وفضل، وابنه هو الفرضي الكبير والعالم الشهير صاحب كتاب العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ١٣).

(٣) الشيخ محمد المجموعي صاحب البصرة، وهو عالم جليل من علماء البصرة المشهورين أقام الإمام محمد بن عبد الوهاب يقرأ عليه. قال ابن بشر في خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب من نجد إلى البصرة يريد الشام قال: "فلما وصلها – أي: البصرة – جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة – قرية من قرى البصرة – في مدرسة فيها، ذكر لي أن اسمه محمد المجموعي، فأقام مدة يقرأ عليه فيها، وينكر أشياء من الشركيات والبدع، وأعلن الإنكار، واستحسن شيخه قوله، وقرر له التوحيد، وانتفع به" ا. هـ"، انظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن

الشرك والبدع، ويحث الناس على التوحيد، والاستقامة، فكان الشيخ المجموعي يستحسن دعوته ويقبلها، وكان ينتفع منه في ذلك[1]، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأحساء، ثم عاد منها إلى البصرة، وقد أخذ من علماء الأحساء في الحديث وغيره[2].

ثم رجع إلى نجد فوجد أن أباه قد انتقل إلى حريملاء فاستقر بها معه وأكمل تعلمه وقراءاته، ولا زال ينكر – رحمه الله – على ما يرى من الأمور الشركية ويحذر منها، فلما توفي والده، استمر في الدعوة وجهر بها وأخذ ينكر ويزجر من يرتكب شيئا من البدع والشركيات علانية، فصار له أنصار ومعارضون في بلده، وما حولها، وحورب أشد المحاربة في حريملاء وغيرها من البلدان في قصص لا يتسع المجال لذكرها [3]، إلى أن آل بالشيخ رحمه الله أن يتفق مع الإمام محمد بن سعود على إعلان التوحيد والمساندة لبعضهما لنشر التوحيد والعلم فالشيخ ينشره باللسان والإمام محمد بن سعود ينشره بالسنان، –رحمهما الله– [4].

والإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –، له مؤلفات كثيرة في شتى الجوانب ذكر بعضا منها الشيخ ابن غنام – رحمه الله – في تاريخه: كتاب التوحيد، وكتاب الكبائر، وكشف الشبهات، والسيرة المختصره، والسيرة المطولة، ومختصر الهدي النبوي، ومجموع الحديث على

عبدالوهاب، الجزء الأول) (ص: ١٢٨) ط٢، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١) انظر: تاريخ نجد، لابن غنام (ص: ٨٢)، عنوان المجد، لعثمان بن بشر (١/٣٥-٣٦)، علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله البسام (١/١٣٣).

(٢) انظر: عنوان المجد، لعثمان بن بشر (١/٣٦)، علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام (١/ ١٣٠ وما بعدها).

(٣) انظر: عنوان المجد، لعثمان بن بشر (١/٣٧ وما بعدها)، علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام (١/ ١٣٤ وما بعدها).

(٤) انظر: عنوان المجد، لعثمان بن بشر (١/٤١ وما بعدها)، علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام (١/ ١٣٧- ١٣٨).

أبواب الفقه، ومختصر الشرح الكبير ومختصر الإنصاف، وقد بين ابن غنام أنها كثيرة بعضها مطول، وبعضها مختصر(١).

وقد توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله — في يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ١٢٠٦هـ وكان عمره ٩٢ عاما(٢)، يقول ابن بشر - رحمه الله -: "وفي هذا السنة توفي شيخ الإسلام مفيد الأنام قامع المبتدعين ومشيد أعلام الدين ومقرر دلائل البراهن، محيي معالم الدين بعد دروسها، ومظهر آيات البراهين بعد أفول أقمارها وشموسها" (٣)، فهذه ترجمة مختصرة لهذا الإمام الكبير، فرحمه الله وأجزل له الأجر والمثوبة.

ثانيا: التعريف بكتابه التوحيد

عنوان الكتاب

ذكر أحد المحققين لكتاب التوحيد (٤) أنه لم يقف على كلام للمؤلف يذكر فيه اسم كتابه تاما، وإنما يكتفي بالعنوان الأول الآتي، فاختلفت النسخ في تسمية الكتاب، فمن التسميات التي نصت عليها شروح التوحيد، هو: كتاب التوحيد، كما جاء في تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، وغيرها من الشروح، وأما الاسم الثاني فهو: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وذكر أنه بخط الشيخ سليمان بن عبد الله في بعض النسخ، وهو العنوان الذي اشتهر به الكتاب بين العلماء، ومن الأسماء: كتاب التوحيد، فيما يجب من حق الله على العبيد، كما سماه بذلك ابن غنام (٥)، ومن الأسماء: كتاب التوحيد وهو حق الله على العبيد،

---

(١) انظر: تاريخ نجد، لابن غنام (ص: ٨٢)

(٢) انظر: تاريخ نجد، لابن غنام (ص: ٩٠).

(٣) عنوان المجد، (١/١٨٠).

(٤) وهو الشيخ دغش بن شبيب

(٥) انظر: تاريخ نجد، لابن غنام (ص: ٩٠)

كما في بعض النسـخ، ومنها: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العباد، ومنها: كتاب التوحيد الذي خلق لأجله العبيد، وقد رجح المحقق أن العنوان الثاني هو الأقرب؛ لأنه جاء بخط حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله، ولشهرته على غيره، وأما الأول فإنه اختصار للثاني، وأن باقي الأسماء كلها متقاربه والخلاف بينها يسير [1].

مكان وسبب تأليف الكتاب، وشروح الكتاب

لما رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ما وقع في الأمة من الأمور الشركية في بلده وغيرها، خلال رحلته لطلب العلم بين البلدان، كان لزاما عليه أن يدفع هذه الأمور بكتاب الله -جل وعلا- وسنة بيه - صلى الله عليه وسلّم -، ثم ما أشار عليه بعض العلماء من حثه على نشر العلم ومحاربة البدع بالكتب والتأليف، شرع - رحمه الله - في تأليف الكتب مع إنكاره المنثور في كتبه - رحمه الله - وكذلك رسـائله، ومن ذلك هذا الكتاب الذي بين أيدينا، يقول الشيخ عثمان بن بشر - رحمه الله -: "وكان الشرك إذ ذاك [2] قد فشى في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشـجار والأحجار والقبور، والنباء عليها، والتبرك بها والنذر لها، والاستعاذة بالجن، والنذر لهم... والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر... وليس للناس من ينهاهم عن ذلك، فيصـدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... فلما تحقق الشيخ - رحمه الله - معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه، وما وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة، صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهو عما فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المتبدعون، ولما رأى أنه لا يغني القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول، تجهز من بلدة العيينة إلى حج بين الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة... فلما وصلها وجد

---

(١) انظر: كلام المحقق في كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق دغش بن شبيب (ص: ١٦-١٨).

(٢) يقصد - رحمه الله - عندما كان صغيرا، عندما كان في العيينة زمن عبد الله بن محمد بن معمر المشهور الذي قويت العيينة وتزخرفت في زمنه، وما بعده، وقد أشار إلى ذلك قبل حديثه السابق الذي نقلناه، انظر: عنوان المجد، لعثمان بن بشر(١/٣٤).

الشيخ العالم عبد الله بن إبراهيم بن سيف... فأخذ عنه الشيخ، قال الشيخ" كنت عنده يوما فقال لي: أتريد سلاحا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم، فأدخلني منزلا فيه كتب كثيرة، فقال: هذا الذي أعددنا لها... "(١)، ثم إن المصنف قابل غيره من العلماء كما بين ذلك الشيخ عثمان بن بشر في كتابه، وقد أيدوه على دعوته واستحسنوها، كل هذا كان سببا في تأليف الشيخ - رحمه الله - لكتاب التوحيد؛ وقد عم الشرك في وقته - رحمه الله - فكان لزاما عليه أن يبين التوحيد ويحذر من الشرك، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -:" وقد ابتدأ المصنِّف - رحمه الله تعالى - هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونحوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه، وأعطاه القدرة على الدعوة إليه والجهاد لمن حالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد، كما ترى في هذه الأبواب... "(٢).

وقد ألف المصنف - رحمه الله - كتابه في البصرة كما بين ذلك الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه حيث بين سبب تأليف الشيخ للكتاب فقال -حفظه الله-" وهذا الكتاب صنفه إمام الدعوة ابتداء في البصرة لما رحل إليها، وكان الداعي إلى تأليف ما رأى من شيوع الشرك بالله - جل جلاله - ومن ضياع مفهوم التوحيد الحق عند بعض المسلمين، وما رآه عندهم من مظاهر الشرك: الأكبر، والأصغر، والخفي، فابتدأ في البصرة جمع هذا الكتاب، وتحرير الدلائل لمسائله، ذكر ذلك تلميذه، وحفيده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله- في "المقامات" ، ثم إن الشيخ لما قدم نجدا حرر الكتاب، وأكمله، فصار كتابه هذا - بحق- كتاب دعوة إلى التوحيد الحق؛ لأن الشيخ - رحمه الله- بين فيه أصول دلائل التوحيد، وبين فيه معناه وفصله، كما بين فيه ما يضاده، والخوف مما يضاده، وبين - أيضا- أفراد توحيد العبادة، وأفراد

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/٣٣-٣٥).

(٢)قرة عيون الموحدين (ص: ٦٣٢)

توحيد الأسماء والصفات إجمالا، واعتنى ببيان الأكبر والأصغر وصورهما، والذرائع المؤدية إليهما، وبيَّن ما يُحْمى به التوحيد، والوسائل إلى ذلك، وبين أيضا شيئا من أفراد توحيد الربوبية "[١].

وكتاب التوحيد كتاب عظيم يحتوي على تقسيم بديع وترتيب جميل وتناسق وترتيب كصنيع السلف - رضي الله عنهم - كالبخاري وغيره، فقد وفق الله -جل وعلا- هذا الإمام لهذا الكتاب، لهذا فإن الشروح لهذا الكتاب كثيرة غزيرة شارحة لما لهذا الكتاب العظيم، فمن شروح الكتاب ما يلي [٢]:

١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ويعد هذا الشرح أول شرح للكتاب، ومن أجمل الكتب استيعابا وحسن شرح، لكنه - رحمه الله - لم يكمله، فانتهى عند نهاية باب ما جاء في منكري القدر.

٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -، وهو اختصار لتيسير العزيز الحميد، وقد أضاف الشارح فيه الكثير من المسائل والنقول، وأكمل ما لم يكمله صاحب التيسير - رحمهما الله -.

٣- قرة عيون الموحدين لعبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -، وهو اختصار لفتح المجيد وفيه زيادات ليست في الفتح.

٤- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد لحمد بن عتيق - رحمه الله -، وهو تلخيص للتيسير.

٥- حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله -.

٦- حاشية كتاب التوحيد، لإسحاق بن حمد بن عتيق - رحمه الله -.

---

(١)التمهيد لشرح كتاب التوحيد في مقدمة الكتاب (ص: ب-ج)

(٢) انظر: عناية العلماء بكتاب التوحيد (ص: ٥٤ وما بعدها)، لعبد الإله الشايع، الناشر: دار طيبة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، التعليق الرشيد على كتاب التوحيد (ص: ١٧)، لعلي بن حسن الأثري، الناشر: دار الإمام مسلم، الطبعة: الأولى ١٤٣٢هـ.

٧- فتح الحميد شرح كتاب التوحيد، لعثمان بن منصور، وهو أكبر وأوسع شروح كتاب التوحيد.

٨- تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، لعبد الهادي بن محمد العجيلي - رحمه الله -.

٩- فتح الله الحميد المجيد لحامد بن محمد بن حسن - رحمه الله -.

١٠- الدر النضيد شرح كتاب التوحيد لأحمد بن حسن النجدي، ولم أجده.

١١- القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبد الرحمن السعدي - رحمه الله -، وهو كتاب جميل عني بمقاصد الكتاب وأبوابه ويذكر مناسباتها، والمعنى الإجمالي للباب.

١٢- الدر النضيد على أبواب التوحيد، لسليمان بن عبد الرحمن الحمدان - رحمه الله -

١٣- التوضيح المفيد لمسائل كتب التوحيد، لعبد الله بن محمد الدويش - رحمه الله -، وقد عني بشرح مسائل الكتاب وتوضيح مراد المصنف - رحمه الله — منها.

١٤- شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -.

١٥- إعانة المستفيد لشرح كتاب التوحيد، والملخص في شرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-.

١٦- القول المفيد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -.

١٧- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-.

١٨- الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد، لعبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله.

١٩- القصد السديد على كتاب التوحيد، لفيصل بن عبدالعزيز آل مبارك.

٢٠- الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله بن صالح المحسن رحمه الله.

٢١- الشرح الموجز الممهد للشيخ أحمد بن يحيى النجمي - رحمه الله -.

٢٢- الجديد في شرح كتاب التوحيد لمحمد القرعاوي.

٢٣- الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول.

٢٤- المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٢٥- المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد بن عبد العزيز الهويسين.

٢٦- شرح كتاب التوحيد، لعبد الله بن محمد بن حميد.

٢٧- المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله بن صالح القصير.

٢٨- بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، لمنصور بن محمد الصقعوب.

٢٩- منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد، لخالد الدبيخي.

٣٠- التأصيل والتقعيد لتوضيح مقاصد كتاب التوحيد، لخالد المرضي.

هذا ما تيسر نقله من شروح الكتاب، وستمر بك شروح أخرى في ثنايا هذا الكتاب، وإنما ذكرنا هذه الشروح على سبيل المثال لا الحصر، والله أعلم.

موضوع الكتاب

موضوع الكتاب ظاهر من عنوانه، فالشيخ - رحمه الله — أراد ذكر النصوص الشرعية من كتاب الله -جل وعلا- ومن سنة النبي - صلى الله عليه وسلّم -، وأقوال السلف والأئمة في توحيد الله -جل وعلا- إما بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات كما عليه بعض العلماء (١)، أو أنه خاص بتوحيد الألوهية، والذي يترجح للباحث هو أن مقصد الشيخ من تأليف الكتاب هو توحيد الألوهية بالدرجة الأولى، ولم يغفل مع ذلك ما يتعلق بالنوعين الآخرين، وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات (٢)، لكنه ضمن معهما توحيد الألوهية كذلك، ومن أمثلة ذلك فيما يتعلق بتوحيد الربوبية ما جاء في باب قول الله تعالى" يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها "، قال الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -:" المراد بهذه الترجمة التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية، كنسبة النعم إلى غير الله، فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر "(٣)، ومن أمثلة ما يتعلق

---

(١) انظر مثلا: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٧، ٦٣)

(٢)انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ (١/١١٤)، وحاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص: ١١).

(٣)تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٥٢)

بتوحيد الأسماء والصفات، ما جاء في باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات، قال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –:" أي: من أسماء الله وصفاته، والمراد ما حكمه هل هو ناج أو هالك؟ ولما كان تحقيق التوحيد بل التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته، نبه المصنف على وجوب الإيمان بذلك وأيضا فالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة. والأولان وسيلة إلى الثالث، فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر. وكلها متلازمة فناسب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات "(١).

وبعد التتبع لأبواب كتاب التوحيد وترتيبه، يمكن أن يُقسَّم الكتاب إلى أقسام، يظهر بها حسن صنيع الشيخ – رحمه الله – ودقته، وهذه الأقسام هي ما سبق ذكرها في الخطة على هيئة فصول، وهي تسعة فصول، وعلى هذه الأقسام جرى بناء فصول البحث، وسيتضح موضوع الكتاب للقارئ أكثر، عند اطلاعه على مباحث الرسالة ومطالبها.

فالمصنف رحمه الله بين التوحيد أبلغ بيان، وتدرج في التحذير منه، وقعد له ثم بعد ذلك جعل يذكر الأمثلة التي تخدش في التوحيد، فالكتاب هو بيان لتوحيد الألوهية؛ إذ بينه المصنف رحمه الله وقف أبواب متناسقة مرتبطة بعضها ببعض، وفيها يظهر علم الشيخ – رحمه الله – ودقته في ترتيب تلك الأبواب، وحسن تصنيفه مراعيا التدرج ليفهم القارئ مقصود الكتاب، فصدر الكتاب بذكر أول واجب على المكلف وهو التوحيد، وفضله وتكفيره للذنوب ونجاة صاحبه من الخلود في النار بسبب تمسكه به، ثم حذر من ضده، وانتقل بعد ذلك إلى أهمية الدعوة إلى هذا التوحيد العظيم، وفسره، ثم ترجم هذا التفسير بالأبواب التي بعده إلى آخر الكتاب، فاستوفى ما أراد توضيحه وبيانه بذكر أشدها وأخطرها من الشبهات التي ضل بها الناس من حيث لا يشعرون، بل قد يدافعوا عنها.

وقبل الحديث عن علاقة هذه الترجمة للباب الذي يليه، يحسن أن نذكر هنا مناسبة استفتاح المؤلف – رحمه الله – لهه الترجمة لعموم كتاب التوحيد؛ إذ إن هذه الترجمة (كتاب

(١)تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٣٣)

التوحيد) عنوان على موضوع الكتاب، كما قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – [(١)]، وقد بين شراح كتاب التوحيد أن المناسبة بين تلك الترجمة وبقية الكتاب ظاهرة، فالترجمة يريد بها المصنف – رحمه الله – بيان التوحيد، وأهميته وما يناقضه، سواء كان من الأكبر أم الأصغر، قال الشيخ ابن قاسم – رحمه الله – عند شرحه لمعنى قول المصنف: كتاب التوحيد:" أي هذا مكتوب جامع لخصائص التوحيد وحقوقه ومكملاته، وما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر. أو البدع القادحة في التوحيد، أو المعاصي المنقصة للتوحيد، وبيان الوسائل والذرائع الموصلة إلى الشرك والمقربة منه بالبراهين القاطعة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة "[(٢)]، فالشيخ – رحمه الله – تناول كل ما يتعلق بتوحيد الألوهية بذكر كماله ونواقضه ونواقصه، قال الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله –:" هذا الكتاب يُذكَرُ فيه: التوحيد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ويذكر فيه: الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، ويذكر فيه: الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، ويذكر فيه: الذرائع والوسائل المقربة إلى الشرك أو الموصلة إليه، ويذكر فيه: البدع القادحة في التوحيد، ويذكر فيه: المعاصي المنقصة لثواب التوحيد، هذا موضوع الكتاب "[(٣)]، وسيتضح هذا أكثر عند الحديث عن مناسبة استفتاح المؤلف كتاب التوحيد بقوله: كتاب التوحيد –بإذن الله–.

ثم إنه من المعلوم أن أي كلام لا بد أن يبدأ صاحبه فيه بذكر الله – عز وجل – والثناء عليه امتثالاً لفعل النبي –ﷺ– في خطبه ومراسلاته، وقد وقع كلام لأهل العلم في بداية كتاب التوحيد، هل وضع شيخ الاسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – خطبة لكتابه كتاب التوحيد أم لا؟ ويرجع سبب ذلك إلى اختلاف النسخ لهذا الكتاب، وقد اختلف العلماء في هذا على قولين:

---

(١)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١)

(٢)حاشية كتاب التوحيد (ص: ١١)

(٣) شرح كتاب التوحيد، للعلامة: عبد الله بن محمد بن حميد، (ص: ٢٧)، اعتنى به: خالد بن ماجد العمرو، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٨هـ.

القول الأول: منهم من أثبت الخطبة ونسبها إلى الشيخ إما تصريحاً وإما إشارةً؛ وذلك بأن شرح الخطبة.

فممن نص على أنه اطلع على نسخة بخط المؤلف فيها الخطبة: الشيخ عبد الرحمن بن حسن[(١)] -رحمه الله- حيث يقول:" ووقع لي نسخةٌ بخطه رحمه الله تعالى، بدأ فيها بالبسملة، وثنى بالحمد والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وآله... ". [(٢)]

ومن الثاني- أي من أشار إليها دون التصريح- الشيخ عبدالهادي بن محمد العجيلي[(٣)] -رحمه الله- [(٤)]، حيث أنه ذكر الخطبة وقام بشرحها دون الكلام عنها.

---

(١) هو العلامة المشهور، والمجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ولد ١١٩٣هـ في بلدة الدرعية، فنشأ بها وقرأ القرآن حتى حفظه وهو في التاسعة من عمره، ثم لازم دروس العلم وحلق الذكر فقرأ على جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتاب التوحيد وغيره ثم، من مؤلفاته فتح المجيد. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبدالرحمن آل الشيخ(١/ ٥٦)

(٢) فتح المجيد (ص:١٠)، دار بن حزم، ١٤٣٣هـ

(٣) هو عبدالهادي بن محمد بن عبد الهادي العجيلي، أما عن مولده ووفاته فذكر محقق كتاب تحقيق التجريد أن المصادر المخطوطة والمطبوعة التي وقف عليها لم تذكر عنه شيئًا، انظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٤٥)

(٤) انظر تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/٩)، تحقيق د.حسن بن علي العواجي، أضواء السلف ط١، ١٤١٩هـ.

وكذلك صاحب كتاب فتح الحميد الشيخ عثمان بن منصور – رحمه الله –[1]، وقد بين أن النسخة التي اعتمد عليها وجدها عند شيخه الشيخ عبدالعزيز الحصيّن –رَحِمَهُ اللَّهُ–[2] [3]، وغيرهم.

القول الثاني: وهم الذين لم يثبتوا الخطبة في كتبهم:

١- فمنهم من يرى بأنها سقطت من النساخ، ولعل من رأى هذا القول من الشراح، يتكلم عن النسخ التي بين يديه فقط، ويعتمد عليها في شرحه؛ حيث قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –:" لم يذكر في النسخ التي بأيدينا خطبة للكتاب من المؤلف، فإما أن تكون سقطت

---

(١) الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور التميمي ولد في اول القرن الثالث عشر من بلدة الفرعة وقرأ على علماء سدير، ثم سافر الى العراق وقرأ على علمائها، وألف كتبا عديدة منها شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب بجزئين، وسمى شرحه: (فتح الحميد شرح كتاب التوحيد) والشيخ من المناوئين للدعوة والمعادين لها كما ذكر ذلك عن غير واحد من أهل العلم، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن بعض مؤلفات ابن منصور ما نصه: "فإنا قد وجدنا في كتب عثمان بن منصور بخطوطه، أمورا تتضمن الطعن على المسلمين، وتضليل إمامهم شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، فيما دعا إليه من التوحيد، وإظهار ما يعتقده في أهل هذه الدعوة، من أنهم خوارج، تنزل الأحاديث التي وردت في الخوارج عليهم" الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١/ ٥٣٣)، توفي عام ١٢٨٢هـ. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لـ آل الشيخ (١/ ٧٤)

(٢) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصيِّن الناصري التميمي. ولد سنة ١١٥٤هـ في بلدة الوقف وقرأ القرآن حتى ختمه نظرا وعن ظهر قلب، ثم قرأ الفقه في صغره على الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الله، ثم تفقه وقرأ على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومن مؤلفاته رسالة في الدرر السنية ج ٢ وج ٣ طبعة دار الإفتاء في موضوع "معنى العبادة" تبلغ أربعاً وستين صفحة – توفي –رَحِمَهُ اللَّهُ– سنة ١٢٣٧هـ. مشاهير علماء نجد وغيرهم، لـ آل الشيخ (٢/ ٥٢).

(٣) انظر فتح الحميد لعثمان بن منصور (٦/١)، تحقيق د. سعود العريفي ود. حسين السعيدي، دار عالم الفوائد ط٢، ١٤٣٤هـ.

من النساخ... "[1] وإلا فإنه توجد نسخ فيها ذكر الحمدلة كما نقل ذلك بعضهم[2].

٢- ومنهم من لم يتطرق لسبب عدم ذكر الحمدلة والصلاة على النبي -ﷺ- كالشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- في كتابه قرة عيون الموحدين[3] ويمكن القول بأن الشيخ لم يتطرق لذلك لأن كتابه هذا اختصار لفتح المجيد؛ حيث إنه علل في كتابه فتح المجيد بعدة تعليلات وسيأتي ذكرها.

٣- ومنهم من بين أن المؤلف اقتصر في بعض نسخه على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر، ولأن النبي -ﷺ- كان يكتفي بها في بعض مراسلاته-، يتصدرهم الشيخ سليمان بن عبد الله[4]، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ حمد بن عتيق[5]، وابنه الشيخ إسحاق

---

(١) انظر: القول المفيد (٨/١)، دار ابن الجوزي ط٢، ١٤٢٤هـ.

(٢) يقول الشيخ دغش بن شبيب -حفظه الله- عند كلامه عن النساخ في الخطبة في كتابه كتاب التوحيد دراسة وتحقيق (ص١١١)، مكتبة أهل الأثر ط٥، ١٤٣٥هـ:" والذي رأيته في النسخ أنها متفقة على ذكر البسملة، والخلاف فيما بعدها من استفتاحات والتي غالبها من تصرف النساخ".

(٣) انظر (ص ٨٩) وما بعدها، تحقيق عمر بن أحمد آل عباس، دار التوحيد ط١، ١٤٣٤هـ.

(٤) العالم الجليل سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ: فقيه من أهل نجد، مولده بالدرعية عام ١٢٠٠، في أواخر أيام جده الإمام محمد بن عبد الوهاب، فلم يدرك القراءة عليه، كان بارعا في التفسير والحديث والفقه وأصوله، والنحو واللغة والخط، من كتبه: الدلائل في عدم موالاة أهل الشرك، وكتاب رفع الإشكال، مخطوط في مكتبة الرياض بخط سعد بن عيسى القويز، توفي شيهدا بإذن الله عام ١٢٣٤هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام (٣٤٠/٢ وما بعدها).

(٥) هو العلامة الفاضل المحقق الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق، ولد هذا العالم المحقق في بلدة الزلفي من بلدان نجد سنة ١٢٢٧هـ من الهجرة، وقرأ القرآن حتى حفظه، وقرأ على الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وكان حريصا مجتهداً، فمهر في علم الفقه والعقائد وأصول الدين والتوحيد. توفي عام ١٣٠١هـ.انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام، (٨٤/٢ وما بعدها)، مشاهير علماء نجد وغيرهم، لـ آل الشيخ (٢/ ٧١)

بن حمد بن عتيق[1]، والشيخ حامد بن محمد بن حسين بن محسن[2]، والشيخ فيصل آل مبارك [3] - رحمهم الله - [4].

٤- ومنهم من ذكر أنه قد يكون المصنف نطق بالخطبة بنفسه، وممن قال بذلك الشيخ سليمان بن عبد الله، في الاحتمال الآخر الذي التمسه للمصنف، والشيخ حامد بن

---

(١) هو الشيخ إسحاق بن حمد بن عتيق، من علماء نجد، ولد في شهر رجب عام ١٢٨٧هـ، نشأ في حجر والديه، وقرآ القرآن على الشيخ سحمان بن مصلح - رحمه الله - ، ثم أقبل على طلب العلم على والده، ثم على أخه سعد - رحمهم الله -، وكان على جانب عظيم من العبادة والدعوة إلى الله -جل وعلا- والصبر في ذلك، كان يقرض الشعر وله قصائد كثيرة، توفي - رحمه الله - عام ١٣٤٣هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام، (١/٥٥٥-٥٥٦).

(٢) هو العلامة الشيخ حامد بن محمد بن حسن بن محسن، وله مؤلف فتح الله الحميد المجيد شرح كتاب التوحيد» المطبوع سنة ١٣١٧ في أمرتسار من عمل الهند، وهو أول شرح يطبع كاملا لكتاب التوحيد وتاريخ الوفاة بعد ١٣١٧ . وقد ذكر محقق الكتاب أنه لا يعرف عن لمؤلف -رحمه الله تعالى- شيئاً أكثر مما ذكر. انظر كلام المحقق: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٦)

(٣) هو الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن محمد بن المبارك، ولد في حريملاء عام ١٣١٣هـ، حفظ القرآن وهو صغير، برع في عدة علوم منها العقيدة والفقه والحديث النحو والفرائض، وغيرها، وقد كان كريما جوادا، ورعا لين العريكة - رحمه الله — من مؤلفاته، بستان الأخيار مختصر نيل الأوطار، مات سنة ١٣٧٣هـ في سكاكا، انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام، (٥/٣٩٢ وما بعدها).

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد (١/ ١٢٥) وما بعدها، تحقيق أسامة بن عطايا العتيبي، دار العصيمي ط٢، ١٤٢٩هـ، فتح المجيد (ص١٠)، إبطال التنديد (ص٥)، تحقيق عبد الاله الشايع، دار الصميعي ط١، ١٤٣١هـ، حاشية كتاب التوحيد: إسحاق بن حمد بن عتيق (ص٩)، دار القاسم ط١، ١٤٢٩هـ، فتح الله الحميد المجيد (ص٢٤)، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد ط١، ١٤١٧هـ، القصد السديد على كتاب التوحيد (ص٢١)، لفيصل آل مبارك تحقيق عبد الإله الشايع، دار الصميعي ط٢، ١٤٣٥هـ، الدر النضيد على أبواب التوحيد: سليمان الحمدان (ص٣)، دار الصميعي ط٢، ١٤٣٥هـ، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (١/١٩)، مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤٢٣هـ.

محمد بن حسين، صاحب فتح الله الحميد المجيد، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم [(١)]، -رحمهم الله-.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وأيضا فليس في الحديث ما يدل على أنه تتعين كتابتها مع النطق بها، فقد يكون المصنف نطق بذلك في نفسه "[(٢)].

٥- ومنهم من قال بأن قوله: (كتاب التوحيد) والآيات التي ذكرها فيه، يغني عن الخطبة لأنها بينت مقصوده، كالشيخ سليمان بن عبد الله، في رأي آخر له، واحتمال لتوضيح مراد المصنف، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي[(٣)] وغيرهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فإن قلت: هلا أتى المصنف رحمه الله بخطبة تنبئ عن مقصده، كما صنع غيره؟ قيل: كأنه - والله أعلم - اكتفى بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده، فإنه صدره بقوله: (كتاب التوحيد) وبالآيات التي ذكرها وما يتبعها، مما يدل على مقصوده، فكأنه قال: قصدت جمعَ أنواع توحيد الإلهية التي وقع أكثر الناس في الإشراك فيها وهم لا يشعرون، وبيان شيء مما يضاد ذلك

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني نسبا، أبو عبد الله: فقيه حنبلي من أعيانهم في نجد.ولد بقرية (البير) من قرى المحمل قرب الرياض. وأولع في أوليته بالتاريخ والانساب والجغرافية، وصنف (إحكام الاحكام) أربعة مجلدات كبار شرح بها مختصرا له اسمه (أصول الاحكام) في الاحاديث المتعلقة بالاحكام، وله (السيف المسلول على عابد الرسول - ط) وجمع (فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية) في ٣٠ مجلدا، سافر من أجل البحث عنها إلى بلاد كثيرة. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام، (٣/٢٠٢ وما بعدها)، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/١٢٦)، وانظر فتح الله الحميد المجيد لحامد بن محمد بن حسين (ص٢٤)، وحاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ص٩)، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(٣) هو العلامة الورع الزاهد تذكرة السلف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي. ولد سنة ١٣٠٧هـ حفظه القران وهو في الحادية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم، فقرأ على إبراهيم بن حمد بن جاسر في الحديث وقرأ على محمد بن عبد الكريم الشبل في الفقه وغيرهم له مؤلفات كثيرة منها تفسير القرآن الكريم المسمى تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، وحاشية على الفقه استدراكاً على جميع الكتب المتداولة والمؤلفة في المذهب الحنبلي (خ) وغيرها . توفي عام هـ ١٣٧٦هـ . انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لـ آل الشيخ (٣/ ٥٠)

من أنواع الشرك، فاكتفى بالتلويح عن التصريح "[1].

ويفهم من كلام الشيخ -رحمه الله- أنه تأكد عنده عدم ذكر المصنف للخطبة، وصنيع الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله – هنا هو كصنيع الإمام البخاري - رحمه الله – يقول الشيخ عبد الله الغنيمان –حفظه الله- :" والشيخ -رحمه الله- اقتدى بالأئمة الذين يسلكون هذا المسلك، مثل: البخاري -رحمه الله-، فإن من قرأ كتابه، وتأمله، دله على أنه يُعلِّم من يقرأ كتابه ويُفهمه أن يتدرب على الاستنتاج، واستخراج المعاني من النصوص بما يضعه من التراجم، ولهذا تجده مثلا إذا وضع الترجمة لا يأتي بالحديث الصريح الواضح الجلي، دائماً يأتي بحديث يحتاج إلى تفكر وإمعان النظر حتى تستخرج الحكم منه... "[2].

٦- ويذكر الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله- سبب عدم ذكر الخطبة فيقول [3]:" ... والسبب في ذلك، والسر فيه- فيما يظهر لي- أن التوحيد الذي سيبينه الشيخ -رحمه الله - في هذا الكتاب هو توحيد الله -جل جلاله -، وتوحيد الله قد بينه الله - جل وعلا- في القرآن، فكان- لذلك - من الأدب في مقام التوحيد ألا يَجعل فاصلا بين الحق والدال على الحق وكلام الدال عليه، فالحق الذي لله هو التوحيد، والذي دل على هذا الحق هو الله -جل جلاله - والدليل عليه هو كلامه، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم... ".

والذي ترجح للباحث –والله أعلم- هو أن الشيخ -رحمه الله- ذكر الخطبة في مقدمة كتابه في بعض النسخ لكنها لم تصل إلينا، وهذا اعتماداً على اطلاع الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- لها كما تقدم نقله، ومع ذلك فإن هناك نسخاً عديدة لم يبتدئ بها الشيخ

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/١٦٠)، وانظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٨)،طبعة النفائس ط٣. والقول المفيد، لابن عثيمين، (١/٨)، والمحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، لعبد الله الغنيمان، (١/١٥)، دار ابن الجوزي ط١، ١٤٣٣هـ.

(٢) المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، للغنيمان (١/١٥).

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، (ص٤).

بالخطبة، كما هو المفهوم من كلام صاحب التيسير[1]، فكأنه لم يكن معلوما للمؤلف نسخة فيها الخطبة إلا ما وقع في يد الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-؛ لأنه لو كان معلوما وظاهرا أن فيها خطبة، لبادر إلى ذكرها حفيد المصنف الشيخ سليمان -رحمه الله-.

وما ذكره أهل العلم -رحمهم الله- في شروحاتهم لكتاب التوحيد من تعليلات في عدم ذكر المصنف للخطبة إنما هي اجتهادات واستنباطات منهم، مع العلم أنه ليس ذكر خطبة الكتاب واجبا.

ثم إن كثيراً من هذه التعليلات ذكرها الحافظ بن حجر -رحمه الله- في كتابه فتح الباري، حيث إنه اعتذر للبخاري بأغلب تلك التعليلات ومنها: أن الغرض من الخطبة هي الافتتاح بما يدل على المقصود وقد صدر الكتاب بالحديث الدال على مقصوده، وأيضا لعله حمد وتشهد نطقاً، وأيضا المقصود هو ذكر الله وقد حصل بالبسملة، وأيضا زاد الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليلات أخرى منها: أن لفظ الحمدلة والشهادة إنما يحتاج إليه في الخطب دون الرسائل والوثائق، فكأن المصنف لما لم يفتتح كتابه بالخطبة أجراه مجرى الرسائل إلى أهل العلم لينتفعوا بما فيه تعلما وتعليما، وذكر أيضا أن ذلك هو صنيع الأئمة في تصانيفهم كشيوخ البخاري وشيوخ شيوخه وأهل عصره كمالك في الموطأ وعبد الرزاق في المصنف وأحمد في المسند... [2]

فكان هذا التماسا من بعض الشراح للمصنف -رحمه الله- عندما لم يذكر في بعض النسخ الحمدلة متأسياً في ذلك بكتب المتقدمين كالبخاري -رحمه الله- في تأليفه لكتابه، حيث أنه لم يبدأ بالحمدلة، فاستحسن صنيعه وتأسى به، لكبير الفائدة في ذلك، والله أعلم.

ثم إن المصنف - رحمه الله - نوع أيضا في الترجمة للأبواب، فمن الأبواب ما جزم بالحكم فيها، ومنها ما لم يجزم بذلك، فمنها قوله:" باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما "، وقوله:" باب ما جاء في الرقى والتمائم "، وقوله:" باب ما جاء في الذبح لغير الله "، فجزم

---

(١) حيث أنه لم يذكر الحمدلة ولم يشر إليها في شرحه، وإنما اعتذر للشيخ في عدم ذكره لها كما تقدم قريبا.

(٢) انظر:فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١/ ٨-٩)، خرجه وصححه محب الدين الخطيب، دار المعرفة ١٣٧٩هـ.

بالأولى لوضوح الحكم، ولم يجزم بالثانية لوجود تفصيل فيها، ولم يذكر الحكم في الثالثة، وهذه أيضا طريقة من طرق السلف – رحمه الله –، ومنهم البخاري – رحمه الله – في وضعه للتراجم، وهي التنويع فيها بجعلها تارة للتشويق وشحذ العقول، أو لوضوح الحكم فيها، أو لبيان الحكم القطعي فيها، وغيرها.

وعند المقارنة بين صنيع الإمام البخاري والإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله — تجد وجه التشابه بينهما وهو ما يسهل سبب تنويع المصنف رحمه الله في تراجمه وهذا يتضح كثيرا عند قراءة كلام ابن حجر رحمه الله وكلامه عن تبويب البخاري وذكره لمميزات كتابه وطريقة البخاري رحمه الله في الأبواب بكلام جميل، يقول ابن حجر –رحمه الله –:" وكذلك الجهة العظمى الموجبة لتقديمه وهي ما ضمنه أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار... ولنذكر ضابطا يشتمل على بيان أنواع التراجم فيه وهي ظاهرة وخفية، أما الظاهرة فليس ذكرها من غرضنا هنا، وهي أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمنها، وإنما فائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة، كأنه يقول: هذا الباب الذي فيه كيت وكيت، أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني مثلا، وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم له أو بعضه أو بمعناه، وهذا في الغالب قد يأتي من ذلك ما يكون في لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد، فيعين أحد الاحتمالين بما يذكر تحتها من الحديث، وقد يوجد فيه ما هو بالعكس من ذلك؛ بأن يكون الاحتمال في الحديث والتعيين في الترجمة، والترجمة هنا بيان لتأويل ذلك الحديث نائبة مناب قول الفقيه مثلا: المراد بهذا الحديث العام الخصوص، أو بهذا الحديث الخاص العموم؛ إشعارا بالقياس لوجود العلة الجامعة أو أن ذلك الخاص المراد به ما هو أعم مما يدل عليه ظاهره بطريق الأعلى أو الأدنى... وكذا في شرح المشكل وتفسير الغامض وتأويل الظاهر وتفصيل المجمل وهذا الموضع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب، ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخاري في تراجمه..."[1]

---

(١)فتح الباري لابن حجر (١/ ١٣_١٤)

ومما ســـبق يتبين لنا كتاب التوحيد، وما يحتويه من علم عظيم ظل فيه كثير من الناس وضيعوا حقوق ربهم وخدشوا توحيده، وانقصوه، بل إن منهم من أذهبه بالكلية والله المستعان، فأراد المصنف رحمه الله أن يبين ذلك ويوضحه أبلغ توضيح، والله أعلم.

الفصل الأول: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببيان التوحيد وتفسيره والدعوة إليه

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة استفتاح المؤلف لكتاب التوحيد.

المبحث الثاني: (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب).

المبحث الثالث: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

المبحث الرابع: باب الخوف من الشرك.

المبحث الخامس: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

المبحث السادس: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

المبحث الأول: **مناسبة استفتاح المؤلف لكتاب التوحيد**.

تمهيد

هذا المبحث هو الذي نصّ عليه المصنف بقوله:" كتاب التوحيد "[56]، ويحتوي على خمس آيات، وحديث وأثر.

وهو عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة استفتاح المؤلف لكتاب التوحيد للباب الذي يليه.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(٥٦) كتاب التوحيد (ص: ١١١).

المطلب الأول: مناسبة استفتاح المؤلف لكتاب التوحيد للباب الذي يليه.

ابتدأ المصنف -رحمه الله- كتابه بمقدمة للكتاب وهي عبارة عن الأبواب الستة الأولى — كما سبقت الإشارة إليه – وهذا المبحث هو الباب الأول للكتاب، وهو بداية المقدمة، وعند استقراء كتب الشراح في مراد المصنف من هذه الترجمة وبيان العلاقة بين هذه الترجمة والباب الذي يليه، تبين أنه اختلف تفسيرهم في مراد المصنف من هذا الباب، وقبل الحديث عن تلك المناسبة يحسن ذكر مراد المصنف – رحمه الله — من عقد هذه الترجمة وهي قوله: (كتاب التوحيد)، فقد اختلف العلماء في مراده وهم على مسلكين:

المسلك الأول: قالوا بأن المراد من هذه الترجمة هو بيان معنى وموضوع التوحيد الذي يريد أن يتكلم عنه المصنف، وأنه سيتكلم عن توحيد الألوهية، فاستفتح -رحمه الله- كلامه بقوله كتاب التوحيد، ثم ذكر أدلة بعدها فكأنه يريد أن يبين من خلال هذه الأدلة أن الكتاب يتكلم عن توحيد العبادة، وما ينافيه. وممن ذكر هذا المعنى الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- حيث يقول:" فإن قلت: هلا أتى المصنف رحمه الله بخطبة تنبئ عن مقصده، كما صنع غيره؟ قيل [٥٧]: كأنه – والله أعلم – اكتفى بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده، فإنه صدَّره بقوله: (كتاب التوحيد) وبالآيات التي ذكرها وما يتبعها، مما يدل على مقصوده، فكأنه قال: قصدت جمعَ أنواع توحيد الإلهية التي وقع أكثر الناس في الإشراك فيها وهم لا يشعرون، وبيان شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك، فاكتفى بالتلويح عن التصريح[٥٨].

---

(٥٧) قول الشيخ سليمان (قيل)، أخذه عن الحافظ ابن حجر – رحمه الله — في شرحه لصحيح البخاري فتح الباري (١/٨-٩) إذ إن صنيع كلا الإمامين: الإمام البخاري والإمام محمد بن عبد الوهاب واحد، وهو عدم ذكر خطبة للكتاب، وقد تقدم قريبا الإشارة إلى هذا.

(٥٨) تيسير العزيز الحميد (١/١٥٩).

وصـــرّح -رحمه الله- في موضـــع آخر بأن المراد من عقده لهذه الترجمة هو بيان معنى التوحيد، فقال -رحمه الله- عند كلامه عن باب فضل التوحيد: "ولما ذكر معنى التوحيد؛ ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب ترغيبًا فيه وتحذيرًا من الضد" (٥٩).

وذكر الشيخ ابن عثيمين أن هذه الترجمة إنما هي عنوان على موضوع الكتاب(٦٠).

وذكر الشيخ الفوزان أن مراد المصنف هو بيان معنى التوحيد حيث قال: "لاحظوا دِقّة الشيخ - رحمه الله -، قال:" كتاب التّوحيد. وقول الله- تعالى- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٦١)، ليُبَيّن لكم ما هو معنى التّوحيد؟، بأن التّوحيد معناه: إفراد الله بالعبادة، وليس معناه: الإقرار بالربوبية، بل معناه: إفراد الله بالعبادة، بدليل هذه الآية وغيرها. "(٦٢)

وبين في موضع آخر أن المراد هو بيان معنى التوحيد ثم ذكر مناسبة هذا الباب للباب الذي يليه فقال:" والمناسبة بين هذا الباب (٦٣) والذي قبله، مناسبة ظاهرة، فإنه رحمه الله لما بيّن في الباب الذي قبله حقيقة التّوحيد، ومعنى التّوحيد المطلوب، ووضّـــح ذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ناسب أن يذكِّر فضله ليرغب فيه، ويحث عليه، لأن الشيء إذا عُرفت مزاياه فإن النفس تتعلق به وتحرص عليه، وهذا التصـنيف بين البابين في غاية الحكمة، مما يدل على دقة فهمه رحمه الله، لأنه لو ذكر فضـــل التّوحيد قبل أن يبيّن معنى التّوحيد لم يكن ذلك مناسباً، فلابد أن تُبيّن حقيقة الشيء ومعناه، ثم بعد ذلك تبين فضله "(٦٤).

المســـلك الثاني: وهم الذين ذكروا أن المراد من هذا الباب هو بيان وجوب وأهمية كتاب التوحيد وعظمته بذكر الأدلة التي تدل على ذلك من الكتاب والسـنة، إما تصـريحا أو تلميحا، وقد اقتصر الشيخ سعيد الجندول في كتابه الدر النضيد على أن المراد من هذا الباب

---

(٥٩) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٠٠).

(٦٠) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد،، (١/ ١١).

(٦١) سورة الذاريات:٥٦.

(٦٢) إعانة المستفيد، للفوزان، (١/ ٢٤)

(٦٣) يقصد الباب الذي يأتي ، وهو باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

(٦٤) المصدر السابق (١/ ٥٤).

هو بيان حكم التوحيد، حيث يقول:" قصد داعية التوحيد —رحمة الله عليه– من هذا الباب، بيان أن العبادة لا تجوز إلا لله الواحد القهار، خالق هذا الكون ومدبره "(٦٥).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:" هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره... فذكر المصنف في هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم... فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين، وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال "(٦٦) وقال أيضا –رحمه الله– عند ذكر مناسبة الباب الذي يلي هذا الباب لهذا الباب؛ للتأكيد على هذا المعنى:" لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد؛ ذكر هنا فضله... "(٦٧).

ومن الشراح من تكلم في ذلك وأن المراد هو بيان وجوب التوحيد وأهميته، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين – رحمه الله –:" ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى أورد في صدر هذا الكتاب خمس آيات للدلالة على عظمة التوحيد، ووجوبه على العباد، وأهميته وعظمة شأنه... بدأ الشيخ –رحمه الله تعالى– بهذه الترجمة، مع أنها اسم لجميع الكتاب، ليبين موضوع كتابه والمقصود به، وبدأ بذكر خمس آيات من القرآن الكريم، وحديث نبوي صحيح، وكلها تدل على فرض التوحيد ووجوبه، وتدل على أهميته وآكديته، فيمكن أن يقدر قبل الآيات ترجمة دالة على حكم التوحيد، وأنه فريضة على عباده، وأنه أوجب الواجبات، وآكد المأمورات، ويمكن أن يقدر(باب أهمية التوحيد، ووجوب العناية به قبل ومع جميع العبادات "(٦٨).

---

(٦٥) الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول (ص ٢٩) ط٤، ١٣٩٩هـ.

(٦٦) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص ١٨-١٩)، تحقيق المرتضى الزين أحمد، النفائس ط٣.

(٦٧) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٠).

(٦٨) السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، (١/ ٣٧، ٤٩)، دار الوطن ط١، ١٤٢٥هـ، وانظر: مقاصد كتاب التوحيد لعيسى السعدي (ص ١١) دار الأوراق ط١، ١٤٣٥هـ.

ومنهم من ذكر أن المراد من هذا الباب هو بيان موضوع التوحيد بزيادة شرح وتعريف لمراد المصنف، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان –حفظه الله–:" وهذه الكلمة –يقصد كتاب التوحيد– أغنت عن الخطبة ودلت على مراده، ومقصده في هذا الكتاب؛ لأن التوحيد معروف أنه التوحيد الذي جاءت به الرسل، فمع هذا كأنه يقول: هذا كتاب أجمع فيه مسائل التوحيد ومكملاته وواجباته، ومناقضاته، ومنقصاته، مما يجب أن يُبتعد عنه، وهي كافية عن التصريح وبسط العبارة... "(٦٩)، وقال أيضا عند ذكر مناسبة الباب الذي يلي هذا الباب لهذا الباب؛ للتأكيد والتصريح بمراده حيث قال:" لما ذكر –رحمه الله– وجوب التوحيد، وأنه فرض على كل مسلم، وأنه لا بد منه، ولا يعذر أحد بتركه ولا بجهله؛ ناسب أن يذكر مع هذا الوجوب أنه فضيل، وأنه يكفر الذنوب "(٧٠).

والذي يظهر للباحث من خلال النظر في المسائل التي وضعها الشيخ في آخر الباب الجمع بين المسلكين حيث إن المسائل تتكلم عن المقصود بالكتاب إجمالاً وأن المراد هو توحيد الألوهية، كما هو واضح في المسألة الأولى والثانية، والتعظيم والتنبيه على أهمية التوحيد تفصيلاً، فعرَّف المصنف –رحمه الله– القارئ بالمقصود من هذا الكتاب وهو الكلام على توحيد الألوهية، ثم أسهب في هذه الترجمة بذكر أهمية هذا التوحيد وأن العبادة هي التوحيد وعظم شأنه وأنه هو دين الأنبياء حيث إن دينهم واحد، وحكم وكيفية التمسك والامتثال بهذا التوحيد وعقوبة تاركه، وهو كما تقدم يعتبر مقدمة المقدمة، ولو أردنا وضع موضوع لهذا الباب، لناسب أن نقول: باب أهمية التوحيد وفرضيته على العبيد، وبيان أن أصل العبادة هو التوحيد؛ لأن المصنف –رحمه الله– (كما سيأتينا عند ذكر أدلة الباب) نبه على هذين الأمرين، بل إن المصنف –رحمه الله– صرح في بعض مسائل الباب، بعظم العبادة التي فسرها في المسائل الأولى أنها التوحيد كما سيأتينا – بإذن الله – عند دراسة الأدلة ومناسبتها بالباب والاستدلال على ذلك من مسائل الباب، فناسب أن يكون هذا الباب إنما هو ترهيب وتنبيه على وجوب العناية بتوحيد الألوهية؛ حتى يحرص القارئ ويشد انتباهه بأن هذه المسألة

---

(٦٩) المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد (١٥/١).

(٧٠) المصدر السابق:(٦٩/١).

ضرورية للمسلم لحفظ دينه من النقص والخلل، فأجاد -رحمه الله- وأفاد، وناسب بعد الترهيب أن يرغب بالتوحيد وذكر فضـــله في الباب الذي يليه(٧١)، وأما عن معنى التوحيد فقد بينه بشكل أوسع من هذا الباب، في الباب السادس -كما سيأتي-، وأوضح أن الباب السادس هو بيان وتفسير لمعنى التوحيد(٧٢)، والله أعلم.

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

تقدم في المطلب الأول أن الراجح -والله أعلم- هو أن هذه الترجمة تتكلم عن أهمية التوحيد وآكديته وأنه أعظم الأمور وأول ما يجب على المكلف، وقد ذكر المصــنف على هذا الباب أدلة تدل على هذا المعنى وتقرره والأدلة في كتاب المصنف ما يلي:

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقول الله تعالى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ (٧٣) ". (٧٤)

ومناسبة الآية للباب جلية واضحة، وذلك من عدة أمور:

أولا: ابتدأ المؤلف -رحمه الله- بهذه الآية ليشـــد انتباه القارئ ويعلم أهل زمانه الذين انتشر فيهم الشرك بأنواعه، فأراد أن يبين من خلال هذه الآية أن المراد من كتابه هو الوصول إلى الغاية العظمى التي يريدها الله - جل وعلا - وهي عبادة الله التي لا تكون ولا تتم إلا بالتوحيد.

---

(٧١) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله بن محمد الدويش (ص٢٨ وما بعدها) دار العليّان ط١، ١٤١١هـ، والدر النضيد لسليمان الحمدان (ص٧ وما بعدها)، والمسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد لخالد بن عبد العزيز الهويسين (ص٢٤ وما بعدها) دار العاصمة ط١، ١٤٣٧هـ. وسيأتي مزيد تبيين للمسائل -بإذن الله- عند ذكر أدلة الباب.

(٧٢) انظر الباب السادس، وفيه ذكر مراد المصنف من إيراده ومناسبته لما بعده من أبواب الكتاب.

(٧٣) سورة الذاريات:٥٦.

(٧٤) كتاب التوحيد،، (ص: ١١١).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –:" والآية دالة على وجوب اختصاص الخالق تعالى بالعبادة، لأنه سبحانه هو الذي ابتدأك بخلقك والإنعام عليك بقدرته ومشيئته ورحمته من غير سبب منك أصلا، وما فعله بك لا يقدر عليه غيره، ثم إذا احتجت إليه في جلب رزق أو دفع ضر، فهو الذي يأتي بالرزق لا يأتي به غيره، وهو الذي يدفع الضر لا يدفعه غيره... "(٧٥)، وقد ذكر هذا المعنى الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمهم الله–، وغيرهم (٧٦)، فهذا تصريح منه – رحمه الله – بمقصود إيراد الآية في هذه الترجمة التي أورد فيها الشيخ ما يدل على وجوب إفراد الله –جل وعلا– بالعبادة.

ثانيا: أن من الشراح من بين أن الغاية من خلق الإنس والجن هي عبادة الله وتوحيده والكفر بما سواه(٧٧)، وهذا التعليل وإن كان هو المراد، لكنه معلوم من الآية وقصده من تقدم ذكرهم من الشراح، وزادوا عليه ما ذكرناه، من تعليلات؛ كالدلالة على وجوب التوحيد، وعظمته، وغاية التذلل والإخلاص.

وكل ذلك يدل على مقصود المؤلف من هذه الآية ومطابقته للترجمة وهو التأكيد على أهمية التوحيد، ومكانته وعظمته.

يقول صاحب فتح الله الحميد المجيد موضحا سبب تصدير المؤلف لهذه الآية في أول كتابه وبيان مقصوده بأنه يريد التوحيد:" ... فهو –رحمه الله(٧٨)– اختصر لأهل زمانه الذين غفل أكثرهم عن الأصل الذي هو للأديان والملل أساس، وتعلقوا بفروع لم يرفع –مع عدم الأصل– لها رأس، مختصرا مفيدا، مشتملا على دلائل نقلية أمرية، ثابتة بالكتاب والسنة،

---

(٧٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٦٣)

(٧٦) انظر: قرة عيون الموحدين: (ص: ٩١)، القول السديد، للسعدي(ص ١٩)، تكلم عن مناسبة جميع أدلة الترجمة، والملخص في شرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان، (ص: ١٠)، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٥هـ، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ١٣).

(٧٧) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد، للشيخ سليمان الحمدان –رحمه الله–، (ص: ٧)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول:(ص:٢٩)، السبك الفريد، للشيخ عبد الله بن جبرين –رحمه الله–، (١\٤٩)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي، (ص: ١٩)

(٧٨) يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وإجماع أئمة الدين، وأهل الحق والعرف واليقين، وصـــدر تلك الدلائل بآية كافية في البيان، شافية للأمراض الشركية، ووساوس الشيطان، فقال -رحمه الله- وجعل الجنة مثواه-: وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [79] "[80].

ثالثا: أن مسائل الباب تدل على هذا المراد وتقويه، حيث إن المسائل الثلاث الأولى كلها تتكلم عن هذه الآية، وأن مقصود المصنف من العبادة هو التوحيد، وتعظيمه والتهويل من أمره، والتنبيه على أهميته[81].

فالمسألة الأولى: وهي قوله (الحكمة في خلق الجن والأنس) فالآية بينت أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي العبادة، العبادة الصحيحة، إذ إنه ليس كل عبادة صحيحة ومقبوله، فهو المقصود الأول من إيجادهم[82].

والمسألة الثانية: (أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه)، فالمصنف كلامه دقيق؛ لأنه يعرف أن العبادة أعم لكنه عرف العبادة هنا بأهم شيء وهو أخص أفرادها وهو التوحيد لأن المصنف أراد من الآية ما يتعلق بالتوحيد، فقال إن العبادة هي التوحيد، وعلل ذلك (لأن الخصـــومة فيه) والضـــمير في: (فيه) يعود إلى التوحيد والله خلقهم لعبادته بالتوحيد وغيره كالصلاة والزكاة، ولكن اختصموا في التوحيد فدل على أن العبادة هي التوحيد، فــ" االعبادة التي خلقوا لها هي توحيد الألوهية؛ لأن كل رســول يقول لقومه﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[83]، فيردون عليه، وأما توحيد الربوبية فغالب الأمم مقرة به "[84]، يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – عند شرحه للمسألة:" أي: أن العبادة مبنية على التوحيد،

---

(79) سورة الذاريات:56.

(80) حامد بن محمد بن حسين، (ص: 46)

(81) انظر: كتاب التوحيد، (ص: 114).

(82) انظر المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، للشيخ خالد بن عبدالعزيز الهويسين، جمع وترتيب: مروان الضبيطي (ص:24)، دار العاصمة، ط1، 1437هـ.

(83)سورة الأعراف:59

(84) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للشيخ عبد الله بن محمد الدويش -رحمه الله- (28/1)، دار العليان، ط1، 1411هـ.

فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة، لا سيما أن بعض السلف فسروا قوله تعالى: ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليوحدون، وهذا مطابق تماما لما استنبطه المؤلف رحمه الله من أن العبادة هي التوحيد، فكل عبادة لا تبنى على التوحيد فهي باطلة "[٨٥]، وقد فسر بعض المفسرين العبادة بالتوحيد[٨٦].

والمسألة الثالثة: قال:" أن من لم يأت به لم يعبد الله "، ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾[٨٧] وجه الاستدلال؛ بأن من لم يأت بالتوحيد فإنه لم يعبد الله، فالغاية العظمى هي عبادة الله وأعظم العبادة هو توحيده وإفراده بالعبادة، فإذا لم يأت بالتوحيد، لم يعبد الله – عز وجل-، ولو عبد الله في بعض أحيانه، ثم ذكر الآية في سورة الكافرون؛ لأن الله نفى عنهم العبادة، لأنهم لم يوحدوا الله، فجعل التوحيد هو العبادة[٨٨]، وكل هذا يدل على أهمية التوحيد وآكديته وأنه شرط لصحة بقية العبادات كالصلاة والزكاة... يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن:" وأجمع الفقهاء على أن الإسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال... "[٨٩]. ومما سبق يتبين لنا مطابقة الآية للترجمة؛ فالترجمة متعلقة بأهمية التوحيد، ووجوبه، وأنه الغاية من خلق الإنس والجن، والآية المذكورة تدل على ذلك بوضوح.

- **قال المصنف –رحمه الله–:" وقوله:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

---

(٨٥)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٩).

(٨٦) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للإمام البغوي تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة ط٤، ١٤١٧ هـ.

(٨٧)سورة الكافرون:٣

(٨٨) وانظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للشيخ عبد الله بن محمد الدويش –رحمه الله– (٢٨/١-٢٩).

(٨٩) قرة عيون الموحدين، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، (ص: ٩٦).

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [90] **الآية** "[91].

تعتبر هذه الآية شارحة ومبينة للآية السابقة، ففيها تفسير للتوحيد، وبيان لأهميته، فكلمة التوحيد فسر بها هذه الآية الكريمة، وتظهر مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن المصنف أراد من هذه الآية أن ينبه ويذكر أن الحكمة من إرسال الرسل هو التوحيد الذي هو الأمر المشترك في دعوتهم، فكل من أرسل منهم دعا قومه للتوحيد؛ حيث تضافر عليه الأنبياء والرسل الذين قد تختلف تفاصيل شرائعهم لكنهم يتفقون ويجمعون على التوحيد وأنه لابد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده وينفي عبادة ما سواه، وهذا يبين أهمية التوحيد وعظم شأنه، وإقامة الحجة على العباد، وأنه آكد الأمور [92].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله:" ودلت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله، وإن اختلفت شرائعُهم، كما قال تعالى﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [93] "[94]

ثانيا: كأن المصنف -رحمه الله- لما بين في الآية السابقة الحكمة من إيجاد الخلق وهو عبادة الله، أراد أن يوضح بإتباعه هذه الآية أمرين:

---

(٩٠) سورة النحل:٣٦.

(٩١) كتاب التوحيد، تحقيق دغش العجمي، (ص: ١١١).

(٩٢) انظر: فتح المجيد، لعبدالرحمن بن حسن، (ص:١٩)، دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص: ١٤)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول(ص: ٣٠)، القول المفيد، لابن عثيمين (١/ ٢٩-٣٠)، الملخص في شرح كتاب التوحيد للفوزان (ص: ١١)، السبك الفريد، لعبدالله بن جبرين (١/ ٥١)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للشيخ عبد الله الغنيمان(١/٣٦).

(٩٣) سورة المائدة:٤٨.

(٩٤) تيسير العزيز الحميد، (١/ ١٦٦).

الأول: أن الرسل أرسلهم الله –تعالى– لأجل العبادة التي تحقق الغاية من خلق الجن والإنس، وهذا يبين أهمية التوحيد.

الثاني: زيادة تبيين وتوضيح للعبادة، وتأكيد على كلامه في مسائله الآتية قريبا، بأن العبادة هي التوحيد؛ فالله – عزَّ وجلَّ– ابتعث الرسل لعبادة الله واجتناب الطاغوت، فيوضحوا ويقرروا العبادة الصحيحة التي يجب على الناس أن يأتوا بها، وهذا هو معنى التوحيد المشتمل على إثبات ونفي(٩٥).

يقول الشيخ حامد بن محمد بن حسين–رحمه الله–:

قال –رحمه الله –:" ولما استدل الشيخ –رحمه الله– بما فيه أتم بيان لموجب خلق الجن والإنس، بدأ بما فيه أكمل وضوح لموجب إرسال الرسل... وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٩٦)، يخبر تعالى عباده ويوضح لهم أنه تعالى وتقدس ما أرسل رسله إلى عباده إلا ليعبدوه وحده، ولا يشركوا معه غيره، لا في العبادة القولية، ولا الفعلية، ولا الإرادية، والنية، فضلا منه ورحمة لئلا يضلوا فيستوجبوا دخول النار، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٩٧). "(٩٨).

---

(٩٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/ ١٦٦–١٦٧)، قرة عيون الموحدين لعبدالرحمن بن حسن (ص: ٩٣)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، الحمدان (ص: ٧)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، (ص: ١٤)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٢٢).

(٩٦) سورة النحل:٣٦.

(٩٧) سورة النساء:١٦٥.

(٩٨)فتح الله الحميد المجيد (ص: ٦١–٦٢).

ثالثا: مسائل المصنف[٩٩] تدل على المعاني السابقة التي تبين عظم التوحيد وأهميته، ومن المسائل المتعلقة بالآية[١٠٠]:

يقول المصنف:" الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل "، فيوضحوا للناس العبادة التي خلقوا من أجلها وهي التوحيد، فدلت الآية على الحكمة من إرسال الرسل، وفي هذا الأصل دلالة على عدة أمور:

الأول: أن الرسالة عمت كل أمة(وهذه هي المسألة الخامسة)، فقد قامت الحجة على الخلق، وليس لأحد حجة بعد بعثة الرسل –عليهم السلام–.

الثاني: أن أصل دين الأنبياء واحد(وهذه هي المسألة السادسة)، وإن اختلفت الشرائع، فلم يأتِ نبي أحل الشرك أو دعا إليه.

الثالث: أن التوحيد لابد له من نفي وإثبات؛ فلابد مع عبادة الله من الكفر بالطاغوت؛ فمن لم يكفر بالطاغوت فليس عابدا لله حقيقة، ولذلك جعله شرطا للاستمساك بالعروة الوثقى، وهذا مأخوذ من المسألة السابعة حيث قال:" السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴿٢٥٦﴾﴾ [١٠١].

وقد قدم المصنف المسألة بقوله: "المسألة الكبيرة" ، وكأنه قال: مسألة مهمة، أي أصغ لها سمعك وتنبه لها، فإن المصنف –رحمه الله– ينهى عن الأمور التي كانت في وقته واقعة بين الناس، فمن الناس من يعبد الله بزعمه، ويعبد الطاغوت، ويعتقد أنه مسلم، فنبههم–

---

(٩٩) كتاب التوحيد، (ص: ١١٤–١١٥).

(١٠٠) انظر معاني هذه المسائل وشرحها: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، الدويش(ص:٢٩)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، للحمدان(ص:٨)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان، (١/٦٦)، مقاصد كتاب التوحيد، لعيسى السعدي(ص:١٢–١٣)، المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، للهويسين،(ص: ٢٨–٢٩).

(١٠١) سورة البقرة:٢٥٦.

ﷺ- ليبين أهمية التوحيد وعظم شــأنه وأنه يدخل في ذلك الكفر بالطاغوت فهو عظيم الشأن، ومما سبق يتضح لنا مناسبة الآية للباب.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقوله:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ (١٠٢) **الآية"** (١٠٣).

فمناسبة الآية للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: ابتدأ الله جل وعلا الآية بقوله: "وقضــى" أي أوجب وأمر (١٠٤)، فالآية تدل على وجوب التوحيد كالأدلة السابقة واللاحقة، ووجوب إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فالله أمر العباد وفرض عليهم ألا يعبدوا إلا إياه، وهذا دليل واضــح على أن التوحيد هو أوجب الواجبات، وشــرط لقبول العبادات، وأول ما أمر به الله تعالى وكلف عباده به؛ وهذا يدل على أهمية التوحيد وآكدية وجوبه، يقول الشيخ ابن قاسم -رحمه الله-: "واشتملت هذه الآيات على جملة الشرائع، وابتدأت بالتوحيد فدل على أنه أوجب الواجبات؛ إذ لا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم، وختمت بالنهي عن الشرك، فدل على أنه أعظم المحرمات، وفيها معنى لا إله إلا الله، فإن قوله: (ألا تعبدوا) هو معنى لا إله، وقوله: (إلا إياه) هو معنى إلا الله" (١٠٥).

---

(١٠٢) سورة الإسراء:٢٣.

(١٠٣) كتاب التوحيد، (ص: ١١٢).

(١٠٤) قال ابن عباس وقتادة والحســن: وأمر ربك، وقال الربيع بن أنس: وأوجب ربك، انظر: تفســير البغوي (٥/ ٨٥)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن محمد الجزري ابن الأثير،(٤/ ٧٨)، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الاســلامية، تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد الحســيني (٣٩/ ٣١١)، تحقيق: عبد المجيد قطامش وغيره، دار الهداية، ط١، ١٤٢٢هـ..

(١٠٥) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٤)، وانظر: فتح الله الحميد المجيد، لحامد بن محمد بن حسين (ص: ٦٤)، السبك الفريد، لابن جبرين:(٥٢/١-٥٣)، الملخص في شرح كتاب التوحيد، للفوزان(١٢).

ثانيا: أن الآية بينت معنى التوحيد، فهي متضـــمنة لمعنى التوحيد، لقوله: "ألا تعبدوا إلا إياه" ، نفي وإثبات(١٠٦).

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: "وقوله: (ألا تعبدوا إلا إياه)، (أن)، هي المصدرية وهي في محل جر بالباء، والمعنى: أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك ضـــرًا ولا نفعًا، بل هو: إما فقير محتاج إلى رحمة ربه يرجوها كما ترجونها، وإما جماد لا يســـتجيب لمن دعاه" (١٠٧).

ثالثا: وقد ذكرها المصنف -رحمه الله- في المسائل بقوله: "العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (١٠٨).

وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (١٠٩).

ونبهنا الله سبحانه إلى عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ (١١٠) (١١١).

---

(١٠٦) انظر: الدر النضـــيد على أبواب التوحيد، للحمدان (ص: ٨)، القول المفيد، لابن عثيمين، (١/ ٣٥)، الجديد في شـــرح كتاب التوحيد، للقرعاوي، (ص: ٢٤)، إعانة المســتفيد بشـــرح كتاب التوحيد، للفوزان، (١/ ٢٩)، السبك الفريد، لابن جبرين:(٥٣/١)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٥).

(١٠٧) تيسير العزيز الحميد، (١٦٨/١)، وانظر الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول، (ص: ٣٠).

(١٠٨) سورة الإسراء:٢٢.

(١٠٩) سورة الإسراء:٣٩.

(١١٠) سورة الإسراء:٣٩.

(١١١) كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص:١١٥).

فبدأها بالنهي عن الشرك وختمها بالنهي عن الشرك أيضا، حيث توعد عليه باللوم والخذلان في الأولى، ثم بالإلقاء في جهنم في الأخيرة، وأن ما سـواه من الذنوب أخف منه، مع دخولها تحت الوعيد، ثم في الآية الأخيرة كما ذكر المصنف أن الله سبحانه نبهنا إلى عظم شأن المسألة حيث قال﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ ﴾ (١١٢) فهو وحي من الله وليس استنباطا ولا استحسانا، فصار أمرا عظيما من عند الله تعالى وحكما شرعيا، وهذا كله يدل على مزيد تأكيد على عظم شأن التوحيد؛ لأن النهي عن الشرك يستلزم الأمر بالتوحيد، وفي ذلك إشارة إلى أن التوحيد أول الأمر وآخره، فقوله:" ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه؛ فإن من لا قصد له باطل عمله، ومن قصد بفعله أو تركه غير الله ضاع سعيه، وأن التوحيد رأس الحكمة وملاكها، ورتّب عليه أولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا، فقال: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ (١١٣)، وثانيا ما هو نتيجة في العقبى: ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴾ (١١٤).، أي مبعدا من رحمة الله، تلومك نفسك، ويلومك الخلق، حالة كونك مدحورا "(١١٥).

رابعا: أورد المصنف -رحمه الله- هذه الآية، ليبين أنها من الآيات المحكمات التي لا تتغير ولا تتبدل، وذكر في مسائله أنها من الآيات المحكمات، كما تقدم قريبا(١١٦)، وهذا يدل على أهمية التوحيد.

---

(١١٢) سورة الإسراء:٣٩.

(١١٣) سورة الإسراء:٢٢.

(١١٤) سورة الإسراء:٣٩.

(١١٥) فتح الحميد، لابن منصور (٢٢٣/١) وانظر: السبك الفريد، لابن جبرين:(٥٣/١)، مقاصد كتاب التوحيد، لعيسى السعدي، (ص:١٤). المسبوك الثمين، للهويسين، (ص: ٣٠).

(١١٦) انظر: كتاب التوحيد، (ص:١١٥)، قوله في المسائل:" العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء..."

ومما سبق تبين لنا مناسبة الآية للباب.

- **قال المصنف** –رحمه الله–:" **وقوله:** ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ (١١٧) **الآية** "(١١٨).

أورد المصنف – رحمه الله – هذه الآية، ففيها الأمر بعبادة الله –جل وعلا– وحده، ووجوبه، وتحريم ضده وهو الشرك، وتقديم عبادة الله –جل وعلا– على غيرها من الحقوق.

فهذه الآية صريحة في الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، يقول الإمام البغوي –رحمه الله–:" قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه "(١١٩).

ويقول الشيخ حامد بن محمد بن حسين:" ثم استدل الشيخ –رحمه الله تعالى– على التوحيد بأمر الله الذي أمر به عباده فقال –رحمه الله تعالى–: وقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾، واعلم أن الأمر أمران: أمر كوني، وأمر شرعي، وكلا الأمرين ينطقان بالتوحيد... والأمر الثاني الأمر الشرعي فهو الصريح على الألوهية مجملاً ومفصلاً أما المجمل فكقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾(١٢٠).

ومناسبة هذه الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية فيها تأكيد وتصريح بأن عبادة الله التي أمر بها يجب أن لا يشوبها ولا يخالطها شرك، سواء كان قليلا أم كثيرا، فاجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، فلما ذكر عبادة الله أعقبها بالنهي عن الإشراك به، مع أن الأمر بعبادة الله، يدل على نقيضه وهو

---

(١١٧) سورة النساء:٣٦.

(١١٨) كتاب التوحيد، تحقيق دغش العجمي، (ص: ١١٢).

(١١٩) تفسير البغوي، (٢/ ٢١٠).

(١٢٠) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص:٦٥-٧٢).

الشرك؛ وهذا يدل على أهمية التوحيد، وأنه أول واجب على المكلف، وعلى خطر من يتهاون به.

ثانيا: أن هذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة كما قاله المصنف في مسائله(١٢١)؛ وذلك لأنها اشتملت على عشر مسائل، بدأها بالأمر بعبادة الله، وهذا يدل على أنه آكد الحقوق وأولها وأهمها، وبه تستقيم باقي الحقوق، فلا تقبل إذا لم يقبل هذا الحق(١٢٢).

ومما سبق يتبين لنا مناسبة هذه الآية للباب.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقوله تعالى:** ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (١٢٣). **الآيات، قال ابن مسعود رضي الله عنه:" من أراد أن ينظر إلى وصية محمد -صلى الله عليه وسلم- التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى:** ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (١٢٤) **إلى قوله:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ (١٢٥). **الآية** "(١٢٦)" . "(١٢٧).

مناسبة الآية للباب تتضح من عدة أمور:

(١٢١) انظر: كتاب التوحيد، (ص: ١١٦).

(١٢٢) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين:(١/٥٤)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان(١/٤٠).

(١٢٣) سورة الأنعام:١٥١.

(١٢٤) سورة الأنعام:١٥١.

(١٢٥) سورة الأنعام:١٥٣.

(١٢٦) رواه الترمذي في سننه: (٥ / ١٥٥)، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، حديث]٣٠٧٠[وقال: (هذا حديث حسن غريب)، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي،ط١، ١٩٩٦ م.

(١٢٧) كتاب التوحيد، (ص: ١١٢).

أولا: ما سبق ذكره في الآية السابقة: ﴿ واعبُدُوا ٱللَّهَ ﴾[128]، وهو قوله: ﴿شيئا﴾، فهي من النكرات في سياق النهي، فتعم جميع الشرك بجميع صوره وأشكاله، صغيره وكبيره، وهذا يدل على خطر الشرك، وأهمية اجتنابه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:" ابتدأ تعالى هذه الآيات المحكمات بتحريم الشرك والنهي عنه، فحرم علينا أن نشرك به شيئا، فشمل ذلك كل مشرك به، وكل مشرك فيه من أنواع العبادة، فإن ﴿شيئا﴾ من النكرات فيعم جميع الأشياء، وما أباح تعالى لعباده أن يشركوا به شيئا؛ فإن ذلك أظلم الظلم وأقبح القبيح. "[129].

ثانيا: أورد المصنف -رحمه الله- هذه الآية وآيتين بعدها؛ ليبين أنها من الآيات المحكمات التي لم تنسخ، وهذا يدل على أهمية التوحيد، وقد بين في مسائله أنها من الآيات المحكمات حيث قال – رحمه الله –: "التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف"[130]، وهي في جميع الشرائع السابقة، يقول مقاتل بن سليمان -رحمه الله-:" فأما المحكمات فالآيات الثلاث اللاتي في الأنعام: ﴿قُل تَعَالَوۡاْ أَتلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيكُم﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُم تتقون﴾، فهن محكمات ولم ينسخهن شيء من الكتاب، وإنما سمين أم الكتاب لأن تحريم هؤلاء الآيات في كل كتاب أنزله الله-عز وجل "[131].

ثالثا: كما أن التوحيد أول وأعظم الواجبات، وأحق الحقوق؛ فالشرك أيضا أول المحرمات؛ كما في هذه الآية، فإن الله – جل وعلا- ذكر جملة من المحرمات وأولها الشرك للدلالة على أنه أعظم المحرمات وأخطرها، كما أن الآية أيضا تدل على التوحيد بالاقتضاء،

(١٢٨) سورة النساء:٣٦.

(١٢٩) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١/١٧٢)، وانظر: فتح الحميد شرح كتاب التوحيد، لابن منصور(١/ ١٥٧)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٣٠)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، الحمدان (ص: ١٢)

(١٣٠) كتاب التوحيد، (ص:١١٥).

(١٣١) تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى(١/ ٨٧) تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ.

وهذا للتأكيد على عظيم خطر الشــرك، وأهمية اجتنابه، وأن من لازم تحقيق العبودية اجتناب الشرك[١٣٢].

رابعا: ذكر المصـنف أنها عظيمة عند السـلف، وأقوال السـلف كثيرة في الآية[١٣٣]، وفيها ما ذكره، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – فبين أنها وصية، ومما يوضح أهميته أن عبد الله بن مسـعود — رضـي الله عنه — ذكر أنها وصـية رسـول الله –ﷺ–، وأن عليها خاتمه، والرسـول – صـلى الله عليه وسـلّم – لم يوص لهم، وإنما يقصـد أنه لو وصـى لم يوص إلا بما وصـى به الرب جل وعلا[١٣٤]، فإن الله تعالى قد وصـى بما في هذه الآيات، وقد ختم الله كل آية منها بقوله: ﴿ذلكم وصـاكم به﴾، فشـبهها بالوصـية المختومة التي كتبت ثم ختم عليها، فلم تتغير ولم تتبدل، وقوله:" وصـية محمد "، الوصـية بمعنى: العهد، ولا يكون العهد وصية إلا إذا كان في أمر هام [١٣٥].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رَحِمَهُ اللهُ–:" قال بعضهم ما معناه. أي: من أراد أن ينظر إلى الوصـــية التي كأنها كتبت وختم عليها، ثم طويت فلم تغير ولم تبدل، تشـــبيهًا لها بالكتاب الذي كتب ثم ختم عليه فلم يزد فيه ولم ينقص، لأن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـ كتبها وختم عليها وأوصى بها، فإن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يوص إلا بكتاب الله،

---

(١٣٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم، (ص: ١٦)، الملخص في شرح كتاب التوحيد، للفوزان(١٦)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان(٤١/١)، السبك الفريد، لابن جبرين:(٥٧/١)، مقاصد كتاب التوحيد، لعيسى السعدي:(ص: ١٥).

(١٣٣) انظر أقوال السلف عن الآية: المصدر السابق، (١٢/ ٢٢٦) وما بعدها، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/ ٣٥٩)،وما بعدها تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،(٥/ ١٤١٧) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.

(١٣٤) انظر: الملخص في شرح كتاب التوحيد، للفوزان(١٨)، الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد (ص: ١٣).

(١٣٥) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٤)

كما قال فيما رواه مسلم[١٣٦]: "وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله" "[١٣٧].

وقد نستنتج هذا المعنى من قول المصنف -رحمه الله- في مسائله:" الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله -ﷺ- عند موته "، فقد ابتدأ المسألة بقوله:" التنبيه "، وهذا يشير إلى العناية بهذه الوصية؛ لأهميتها، وآكديتها.

خامسا: أن الآيات الثلاث انتهت كلها بقوله: ﴿ ذَٰلِكُم وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾، وهذا يدل على أنها وصية الله إلى خلقه، وتكرار الوصية يدل على أهمية هذا الأمر.

سادسا: أن الشرك بالله يستوجب غضبه وعقابه، يقول الشيخ حامد بن محمد بن حسين عند كلامه عن الآية وأن فيها:" تنبيه وتوبيخ: أما التنبيه: أن الحق اللازم الأولى في حق العبيد أن ينتظروا أمر سيدهم وخالقهم، الذي خلقهم من تراب، وربهم الذي رباهم بنعمته، ولا يستغنوا عنه طرفة عين، فيمتثلوا به، ويتوقعوا نهيه؛ ليجتنبوه... فإذا تستوجبوا غضبه وعذابه، أي: إن أشركتم به شيئا، ومن أعظم ما أمر به أن توحدوا الله تعالى بالعبادة، ولا تشركوا به شيئا فيحبط أعمالكم، وتستوجبوا الخلود في النار... وأما التوبيخ: فيوبخ الله المشركين على أنهم قابلوا شكر نعم ربهم الذي رباهم بنعمه بالشرك به، والكفر، وهذا أمر ينكره العقل، والنقل، والفطرة "[١٣٨]

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: "كنت رديف النبي -ﷺ- على حمار فقال لي:" يامعاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ "قلت: الله ورسوله أعلم، قال:" فإن حق الله على**

---

(١٣٦) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٩٠)، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث: ١٢١٨

ضمن حديث جابر الطويل وفيه: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله".

(١٣٧) تيسير العزيز الحميد (١/١٨٧-١٨٨).

(١٣٨) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٧٧-٧٨)

العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: ألا يعذب من لا يشرك به شيئا ". فقلت: يارسول الله! أفلا أبشر الناس؟ قال:" لا تبشرهم فيتكلوا ". أخرجاه في الصحيحين[١٣٩]" . [١٤٠].

مناسبة الحديث للباب تتجلى من خلال ما يلي:

أولا: الاستفهام الذي يدل على تشويق السائل للمسؤول، يدل على أن هذا الموضوع مهم، الذي هو التوحيد؛ فيكون الكلام أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم، وهذا الأسلوب لكي يؤكد السائل الكلام الذي يريد ذكره[١٤١].

ثانيا: أن النبي -ﷺ- سماه حقا بقوله: "حق الله على العباد" ، والحق أي: الثابت الذي لا يسـوغ إنكاره فهو واجب الإنجاز ثابت بوعده[١٤٢]، فالحديث فيه "بيان عظمة شـأن التوحيد وأهميته، وحتميته على العباد، وأنه حق واجب خالص لازم فرض عين على العباد، وهو أن يعبدوا الله وحده لا شريك له في العبادة..." [١٤٣]

ثالثا: أن من شـرط الإتيان بهذا الحق هو التجرد من الشـرك كله، وإلا فأنه لا يكون أدى حق الله عليه؛ بل يعتبر مشركا[١٤٤]، وذكر الشيخ سليمان بن عبد الله أن هذا الحديث

---

(١٣٩) أخرجه البخاري في صحيحه: (٨/ ٦٠)كتاب: الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك، حديث رقم:]٦٢٦٧ [،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط١، ١٤٢٢هـ، ومسلم في صحيحه: (١/ ٥٨)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث رقم:]٣٠ [، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٢هـ..

(١٤٠) كتاب التوحيد، (ص: ١١٣).

(١٤١) انظر: فتح المجيد، لعبد الرحمن بن حسن(ص: ٢٧).

(١٤٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤١٣)، معجم الفروق اللغوية للحسـن بن عبد الله العسكري (ص: ١٩٣)

تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ.

(١٤٣) انظر: حاشـية كتاب التوحيد، لابن قاسـم: (ص: ١٨)، السـبك الفريد، لابن جبرين:(١/٧٠)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان(١/٥٥)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٨).

(١٤٤) انظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله: (١/ ١٩١).

يدل على معنى قول المصنف في المسألة الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه(١٤٥).

وقال أيضا في الحديث: "حق الله على العباد" فيفهم منه أن التوحيد على جميع العباد، إنسهم وجنهم، في جميع الأمم، وهذا يدل على عظمة وأهمية التوحيد، ووجوبه.

رابعا: في الحديث بشارة للموحدين بالسلامة من العذاب(١٤٦)، وهذا وإن كان داخلا في الباب الآتي، إلا أنه يشد انتباه الموحد، ويحثه على الاهتمام بتوحيده لربه، وعدم الإشراك به،

خامسا: أنها تدل على عنوان الكتاب: "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" فاستدل على عنوان كتابه؛ بذكره أولا الأدلة التي تدل على أن العبادة هي التوحيد الذي هو آكد الأمور وأهمها، ثم بعد ذلك استدل على أن التوحيد الذي تم بيانه في الأدلة السابقة وفي هذا الحديث هو الذي لأجله ألّف الكتاب؛ لأنه حق الله على العباد بدليل حديث معاذ؛ فناسب أن يذكر دليلا على عنوان الكتاب.

ومما سبق تبين لنا مناسبة إيراد المصنف هذا الحديث للباب، فالباب وما أورده الشيخ تحته دل على فوائد عظيمة:

"الفائدة الأولى: بيان تفسير التوحيد، وأنه عبادة الله وحده لا شريك له، هذا هو التوحيد، لأن كل الآيات التي في الباب تأمر بالعبادة وتنهى عن الشرك:... فهذه الآيات تفسر التوحيد بأنه العبادة.

الفائدة الثانية: أن الرسل بعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة، لا بالدعوة إلى توحيد الربوبية، فليس هناك آية واحدة قالت أقروا بالربوبية، أو أقروا أن الله هو الخالق الرازق، لماذا؟، لأن هذا موجود في الناس، فهم مقرون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، فتوحيد الربوبية موجود في غالب البشر؛ لأن الفطر تقتضيه؛ لأن العاقل من الناس يعلم أن هذا الخلق لابد له من خالق... فالآيات ما جاء تطالب الناس بالإقرار بتوحيد الربوبية؛ لأن

---

(١٤٥) انظر: المصدر السابق.

(١٤٦) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين:(٦٩/١) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين: (١/ ٤٨).

هذا موجود، والإقرار به لا يكفي في الدخول في الإسلام، وإنما جاءت كلها على نسق واحد تأمر بالعبادة، وإنما تذكر توحيد الربوبية للاستدلال به على توحيد الألوهية.

الفائدة الثالثة: في قوله:" ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾ "هذه الآية فيها: أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله سبحانه وتعالى، الآية الثانية:" ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ "فيها: أن الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم جاءوا بالأمر بعبادة الله، وترك عبادة ما سواه: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، فدل على أن التوحيد هو الذي بعثت به الرسل، كما أنه هو الذي خلق الخلق من أجله.

الفائدة الرابعة: أن العبادة لا تنفع مع الشرك، فمن أشرك بالله شيئا، فإنه لم يؤذ حق الله سبحانه وتعالى، فالذي لا يعبد الله مطلقا كالملاحدة، وكذلك الذي يعبد الله مع الشرك، كلهم سواء، الملحد والمشرك، إنما الذي يعبد الله حقا هو الذي يعبده ولا يشرك به شيئا، هذا هو الذي يعبد الله حق عبادته وهو الذي تنفعه عبادته" (١٤٧).

---

(١٤٧)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان (١/ ٥٣).

المبحث الثاني: (**باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب**).

تمهيد

هذا المبحث هو الذي نصّ عليه المصـنف بقوله: "باب فضـل التوحيد، وما يكفر من الذنوب" (١٤٨)، ويحتوي على آية واحدة، وأربعة أحاديث.

وهو عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) لكتاب التوحيد قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١٤٨) كتاب التوحيد (ص: ١١٨).

المطلب الأول: مناسبة (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) لكتاب التوحيد قبله.

قال المصنف -رحمه الله-: "باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب" (١٤٩)

الصحيح أن ما هنا مصدرية وليست موصوله، فيكون المعنى (باب فضل التوحيد وتكفيره للذنوب)، فيكفر جميع الذنوب، وأما إن قلنا بأنها موصولة؛ فيكون المعنى: (باب فضل التوحيد وبيان الذنوب الذي يكفرها التوحيد)، فيفهم منه أن هناك ذنوبا لا يكفرها التوحيد، وهذا ليس بمراد، كما رجح ذلك الشيخ سليمان بن عبد الله، والشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمهما الله- يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "و" ما "يجوز أن تكون موصولة، أي: وبيان ما يكفره من الذنوب. ويجوز أن تكون مصدرية، أي: وبيان تكفيره الذنوب، وهذا أرجح، لأن الأول يوهم أن ثم ذنوبًا لا يكفرها التوحيد، وليس بمراد..." (١٥٠).

أما عن مناسبة ذكر المصنف هذا الباب للباب الذي قبله، فمن عدة أمور:

أولا: أن الشراح ذكروا المناسبة، بناءً على تفسيرهم لمراد المصنف من الترجمة السابقة، وقد سبق بيان أقوال الشراح في الترجمة السابقة، وذكر أن الأولى الجمع بين أقوالهم، وأن المراد من الباب السابق هو بيان أهمية ووجوب التوحيد، وأيضا بيان معنى التوحيد إجمالا، فكلامهم لا يخرج عن هذه المعاني في الغالب.

ولهذا فإن الشراح متفقون على نتيجة مناسبة هذا الباب الذي معنا، وهو أن المؤلف أعقبه لما قبله، ترغيبا للتوحيد، وتحذيرا من ضده، فلما ذكر معنى التوحيد، ناسب أن يذكر فضله وتكفيره للذنوب؛ ترغيباً وتحذيراً من ضده، وقد ذكر هذه المناسبة جل شراح كتاب التوحيد، فهي مناسبة ظاهرة بينة، وممن ذكر هذا: الشيخ سليمان بن عبد الله حيث قال - رحمه الله -: "ولما ذكر معنى التوحيد، ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب ترغيبًا فيه وتحذيرًا من الضد" . (١٥١)-رحمه الله-، ووافقه على ذلك مجموعة من الشراح، كعثمان بن

---

(١٤٩) كتاب التوحيد:(ص: ١١٨).

(١٥٠) تيسير العزيز الحميد،(١/ ٢٠٠).

(١٥١) انظر: تيسير العزيز الحميد،(١/ ٢٠٠)

منصور[١٥٢]، وابن قاسم[١٥٣]، وحمد بن عتيق[١٥٤]؛ وابنه إسحاق[١٥٥]، والشيخ سليمان الحمدان[١٥٦] [١٥٧]، وغيرهم؛ يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:"ومن هنا تجدون الشيخ بيّن في الباب الأول حقيقة التّوحيد؛ لئلا يدعي كل واحد أن مذهبه هو التّوحيد، أو ما هو عليه هو التّوحيد، وهذا أمر مهم جدًّا، لأنهم يقولون أدعوا إلى الإسلام وبينوا مزايا الإسلام فقط، ولا تبينوا للناس حقيقة الإسلام، لأن هذا يفرق عنكم الناس"[١٥٨]، وهذا فيه توضيح جميل، وتأكيد للمناسبة.

فبهذا الباب والذي قبله، يتبين حقيقة ومعنى التوحيد الذي رتب الله عليه الفضل، والأجر العظيم، الذي هو سبب في تكفير السيئات، وهو توحيد الألوهية.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-:" ولما ذكر معنى التوحيد، وكانت الأنفس لها تشوق وتشوف إلى معرفة المعاني، ونيل الفضائل وتحصيلها، ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب؛ ترغيبا فيه، وتحذيرا من الشرك "[١٥٩]، وهذا مزيد شرح لكلام الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – السابق ذكره.

ثانيا: أن الطائفة الأخرى من الشراح ذكروا أنه لما ذكر وجوب وأهمية التوحيد؛ ذكر هنا فضله وآثاره الحميدة؛ لأجل الحث عليه والترغيب فيه.

---

(١٥٢) انظر: فتح الحميد: (١/٢٣٣).

(١٥٣) انظر: حاشية كتاب التوحيد، (ص: ٢٣).

(١٥٤) انظر: إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد(ص: ١٩)

(١٥٥) انظر: حاشية كتاب التوحيد،(ص: ١٥).

(١٥٦) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد، (ص: ٢١).

(١٥٧) هو الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان ولد سنة ١٣٢٢هـ وقرأ على علماء المجمعة والرياض والحجاز. وكانت لديه مكتبة ضخمة، ما بين مخطوطات نفيسة أثرية ومطبوعات. من مؤلفاته، البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح وأن نزوله من أشراط الساعة، الدر النضيد على أبواب التوحيد توفي عام ١٣٩٧ هـ.

(١٥٨) إعانة المستفيد (١/٥٤-٥٥).

(١٥٩) حاشية كتاب التوحيد، (ص: ٢٣).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:" لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد، ذكر هنا فضله وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد. فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله "(١٦٠).

ثالثا: أن هذا الصنيع من الشيخ - رحمه الله -، وهو إيراده هذا الباب بعد الباب السابق الذي ذكر فيه المعنى الإجمالي للتوحيد، وما يناقضه، يعتبر في غاية الحسن، وقد امتدح العلماء هذا الصنيع من الشيخ - رحمه الله -، ومن ذلك قول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-، حيث يقول:" وهذا التصنيف بين البابين في غاية الحكمة، مما يدل على دقة فهمه - رحمه الله -؛ لأنه لو ذكر فضل التوحيد قبل أن يبين معنى التوحيد لم يكن ذلك مناسبا، فلابد أن تبين حقيقة الشيء ومعناه، ثم بعد ذلك تبين فضله، أما أن تذكر الفضائل لشيء غير معروف، فهذا لا يجدي شيئا، ومن هنا ندرك خطأ كثير من الدعاة اليوم، أو من المؤلفين المعاصرين، الذي يزعمون أنهم يكتبون عن الإسلام، وعن الدعوة، ويمدحون الإسلام مدحا كثيرا، في محاضراتهم، وفي كتبهم، وهذا حق، لكن ما هو الإسلام أولا؟ لم يبينوا ما هو الإسلام، تقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، أو تستمع إلى المحاضرة- أو الشريط- من أوله إلى آخره، وهو مدح للإسلام وثناء عليه، وبيان لمزاياه، لكن ما هو الإسلام؟؛ لأن كل واحدة من الفرق الضالة والمنحرفة تفسر الإسلام بمذهبها، وينزلون هذا المدح، وهذا الثناء على مذهبهم، فلا يكفي أننا نمدح الإسلام ونثني عليه فقط، لابد أن تبين ما هو الإسلام، ما هي حقيقة الإسلام الذي ينجي من الكفر، ويدخل في التوحيد، وينجي من النار ويدخل في الجنة، وما هي نواقض الإسلام التي تفسد الإسلام، وتخرج منه، وما هي مكملاته، وما هي منقصاته، لابد من هذا، أما مجرد المدح، وذكر الفضائل بدون إنك تبين حقيقة الشيء، فهذا خطأ عظيم، والإسلام هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه صحابته

---

(١٦٠) القول السديد شرح كتاب التوحيد، (ص: ٢٣)، وانظر: القول المفيد لابن عثيمين: (١/ ٦٠)، الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد، لعبدالله الجار الله، (ص: ١٥)، السبك الفريد لابن جبرين (١/٧٦)، الملخص في شرح كتاب التوحيد، للفوزان:(ص: ٢١)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان:(١/٦٩).

الكرام، وكان عليه القرون المفضلة، أما ما خالف ذلك فليس من الإسلام في شيء، وإن كان صاحبه يدعي أنه هو الإسلام، ومن هنا تجدون الشيخ بين في الباب الأول حقيقة التوحيد؛ لئلا يدعي كل واحد أن مذهبه هو التوحيد، أو ما هو عليه هو التوحيد، وهذا أمر مهم جدا، لأنهم يقولون أدعوا إلى الإســـلام وبينوا مزايا الإســـلام فقط، ولا تبينوا للناس حقيقة الإسلام، لأن هذا يفرق عنكم الناس "(١٦١).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقول الله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ (١٦٢) ". (١٦٣)

هذه الآية تتكلم عن التوحيد، فقوله في الآية" بظلم "المراد به: الشـــرك الذي هو نقيض التوحيد، وقد جاء تفسير هذا في الحديث الذي رواه عبد الله رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم ٨٢﴾. شق ذلك على أصحاب النبي صـــلى الله عليه وســـلم، وقالوا: أينا لم يظلم نفســـه؟ فقال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم:" ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ (١٦٤). "(١٦٥).

---

(١٦١)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٥٤-٥٥).

(١٦٢) سورة الأنعام:٨٢.

(١٦٣) كتاب التوحيد:(ص: ١١٨).

(١٦٤) سورة لقمان:١٣.

(١٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين، (٩/ ١٨) حديث رقم:(٦٩٣٧)،ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١/ ١١٤)، حديث رقم: (١٩٧).

يقول ابن كثير -رحمه الله- عند تفسيره للآية:" أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة "(١٦٦).

فيفهم مما سبق أن المقصود هو التوحيد، ولهذا أورد المصنف هذه الآية في كتاب التوحيد.

وأما مناسبة إيراد المصنف الآية في الباب:

أولا: أنه ذكر في الآية الفضل المترتب على التوحيد وترك الشرك، وهو قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾، فلا يحصل هذا الأمن والاهتداء الكامل إلا للموحد الخالص المبتعد عن الشرك صغيره وكبيره.

وقد نقل الشيخ سليمان بن عبد الله كلام شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن تفسير النبي -ﷺ- الظلم بأنه الشرك، ولبيان مطابقة الآية للباب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :" إن أراد به الشرك الأكبر، فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك. وإن كان مراده جنس الشرك؛ فيقال: ظلم العبد نفسه كبخله - لحب المال - ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك. فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار "(١٦٧). فمن مات على التوحيد ولم يلبسه بشرك فله الأمن التام يوم القيامة، وهذه من مزايا التوحيد العظيمة، فتبين بذلك فضلية التوحيد وأنه السبب في النجاة من النار.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- بعد أن نقل كلام شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- السابق ذكره؛ مبينا مطابقة الآية للباب، وأنها دلت على فضل التوحيد:" وبه تظهر مطابقة الآية للترجمة، فدلت على فضل التوحيد وتكفيره للذنوب، لأن من أتى به تامًا فله

---

(١٦٦) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٩٤).

(١٦٧) مجموع الفتاوى (٧/ ٨٢)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤١٦هـ.

الأمن التام والاهتداء التام، ودخل الجنة بلا عذاب، ويقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – :" مناسبة الآية للترجمة أن الله أثبت الأمن لمن لم يشرك، والذي لم يشرك يكون موحدا، فدل على أن من فضائل التوحيد استقرار الأمن "(١٦٨).

فالموحد والسالم من الشرك مآله إلى الجنة، إما ابتداءً؛ وذلك إذا اجتنب الكبائر، وإما مآله إلى الجنة — بإذنه سبحانه- إذا اجتنب الكبائر، كما بين ذلك صاحب التيسير في كلامه السابق، وهذا كله أمن؛ فما دام العبد مؤمنا موحدا مجتنبا للشرك؛ فإن مآله إلى الجنة، وهو آمن.

ثانيا:أن هناك مزية ثانية من مزايا وفضائل التوحيد وهو قوله: ﴿ وَهُم مُّهتَدُونَ ٨٢﴾أي" حصول الهداية للموحّدين المخلصين لله، أنهم في الدنيا يكونون مهتدين في أعمالهم، يعبدون الله على بصيرة، سالمين من الشرك في الأعمال، وسالمين من البدع والخرافات، بخلاف أهل الشرك، فإنهم غير مهتدين في الدنيا، بل هم ضالون، لأنهم يعبدون الله، ويخلطون العبادة بالشرك، ويعبدون غير الله، فهم ضالون لا مهتدون "(١٦٩)، فيهديه الله — عز وجل — في الدنيا إلى سلامة الحجة والاستقامة على دينه الثبات عليه(١٧٠).

- **قال المصنف –رحمه الله–:" عن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" أخرجاه**(١٧١) "(١٧٢).

---

(١٦٨)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٦٣)

(١٦٩) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٥٩).

(١٧٠) انظر: تفسير الطبري:(٩/ ٣٦٨).

(١٧١) رواه البخاري في صحيحه، (٤/ ١٦٥)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله:" يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم"، حديث رقم:٣٤٣٥، ومسلم في صحيحه، (١/ ٥٧) كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا،حديث رقم:٤٦.

(١٧٢) كتاب التوحيد: (١١٨).

ومناسبة الحديث للباب:

أن النبي -ﷺ- رتب الأجر العظيم لمن وحد الله عز وجل، فإن الله يدخله الجنة على ما كان من العمل، واختلف العلماء بالمراد بقوله:" على ما كان من العمل "فمنهم من قال: أي يدخلوا الجنة ولو كانوا مقصرين وعندهم معاصي، ومنهم من قال: أي على حسب أعمالهم فهم في الجنة على درجات. يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" ومعنى قوله: "على ما كان من العمل" أي من صلاح أو فساد لكن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة ويحتمل أن يكون معنى قوله على ما كان من العمل أي يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات "(١٧٣).

وعلى كلٍّ فإن الحديث يدل على الأجر العظيم، والفضيلة الكبيرة للموحد، وهذه الفضيلة هي دخول الجنة، وهذه لا تكون إلا لمن أخلص لله -جل وعلا-.

كذلك المسألة الثامن عشرة(١٧٤): حيث قال:" معنى قوله: "على ما كان من العمل" "فقد بينا هذا المعنى، وأنه الشاهد للباب، ومناسبة إيراده في هذا الباب.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-:" ففيه فضل التوحيد وذلك أن من مات على التوحيد فمصيره إلى الجنة بكل حال "(١٧٥). فالتوحيد يفضي بأهله إلى الجنة حتى مع التقصير في العمل.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن:" قوله: "أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" جواب من الشرطية أي من شهد أن لا إله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة، أي بإخلاصه وصدقه والإيمان برسوله وما أرسل به، وخالف النصارى واليهود في الغلو والجفاء في حق عيسى، وعلم يقينا أنه عبد الله ورسوله، وآمن بالجنة والنار، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة، وإن كان مقصرا وله ذنوب فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات، فتدبر هذا

---

(١٧٣) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧٥).

(١٧٤) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٢).

(١٧٥) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٨)، وانظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي: (ص: ٣٨)

الحديث فإنه عظيم والله أعلم "[١٧٦]. وفي هذا ضمان بدخول الجنة لمن مات على التوحيد، حتى لو مات وهو يمارس المعاصي، فإن الله إما أن يتجاوز عنه وهو أهل للعفو والغفران، وإما أن يعذبه على قدر معصيته ثم يدخله الجنة، وهذه مزية كبيرة لمن مات موحدا لله في عبادته.

وقد حث المصنف في مسائله بأن نتأمل هذه الأمور الخمسة المذكورة في هذا الحديث، فقال:" تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة "[١٧٧]، وهو يشير إلى أنه لا يحصل هذا الأجر إلا لمن اعتقد بها وعمل بمضمونها، وأن من شهد بهذه الخمس المذكورة في الحديث عن علم ويقين تكفر ذنوبه ويدخل الجنة وهذا من فضل التوحيد.

---

(١٧٦) قرة عيون الموحدين (ص: ١٢٠)، وانظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص:٤٣)، الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله، (ص: ١٨).

(١٧٧) كتاب التوحيد، (ص:١٢٠).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" ولهما في حديث عتبان[١٧٨]: "فإن الله حرم على النار من قال: لا إلا الله يبتغي بذلك وجه الله [١٧٩]" "[١٨٠].**

ومناسبة الحديث للباب يتبين من عدة أمور:

أولا: أن في الحديث تحريم النار على أهل التوحيد الكامل، الذين أخلصوا أعمالهم لله -تعالى-، فمن من قال هذه الكلمة معترفا لله بالوحدانية عالما بها وبمدلولها، وعاملا بما تقتضيه مخلصا بذلك ولم يشرك مع الله أحدا في عبادته فإن النار تكون عليه محرمة، فشرط الحصول على هذا الفضل هو كون الموحد يبتغي بذلك وجه الله، ولهذا المصنف -رحمه الله- ذكر في مسائله ما يدل على هذه المناسبة فقال:" السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان "[١٨١]، وهذا ظاهر أتم الظهور في فضل التوحيد وكونه يكفر الذنوب. [١٨٢].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:" وفيه تحريم النار على أهل التوحيد الكامل، وفيه أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لله تعالى "[١٨٣].

---

(١٧٨) عتبان بن مالك ابن عمرو بن العجلان بن الخزرج، شهد عتبان بن مالك بدرا وأحدا والخندق وذهب بصره على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم التخلف عن الصلاة فقال: هل تسمع النداء؟ فقال: نعم. فلم يرخص له، ومات عتبان بن مالك في وسط من خلافة معاوية بن أبي سفيان وليس له عقب، الطبقات الكبرى، لابن سعد (٣/ ٥٥٠).

(١٧٩) رواه البخاري في صحيحه، (١/ ٩٣)، كتاب: الصلاة، باب: المساجد في البيوت، حديث رقم: ٤٢٥، ومسلم في صحيحه، (١/ ٤٥٥)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، حديث رقم: ٢٦٣.

(١٨٠) كتاب التوحيد:(ص:١١٨).

(١٨١) المصدر السابق:(ص: ١٢٠).

(١٨٢) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص: ٤٣)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان:(١/٩٥)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٢٧)، الجديد شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٠).

(١٨٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٣٦).

فكلمة التوحيد، لما ابتغى بها صاحبها وجه الله، وأتى بشروطها وبلوازمها تفضل الله عليه، بأنه حرم عليه النار. وهذا فضل عظيم للتوحيد، وسبب من أسباب تكفير الذنوب.

ثانيا: أن المصـــنف أراد بيان أن التوحيد الذي يكفر الذنوب حقيقة هو التوحيد الخالص لله جل وعلا الذي لا يشوبه ولا يخالطه الشرك، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن- رحمه الله-:" وهذا حديث طويل اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله: "من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" ، وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشـــرك "(١٨٤)، فلا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد، وبالعكس، فمن أراد الحصـــول على هذا الفضـــل فعليه بما تقتضـــيه هذه الكلمة؛ ليحرم الله وجهه على النار.

وقد أشار ابن حجر-رحمه الله- على هذه المناسبة فذكر أنه" لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد وأنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد "(١٨٥).

ومما ســـبق يتبين لنا مناســـبة الحديث للباب، فمن وحد الله توحيدا خالصـــا لله — سبحانه — لا يشوبه شرك، فإن الله —عز وجل — حرم عليه النار، وهذا من فضل التوحيد.

---

(١٨٤) قرة عيون الموحدين (ص: ١٢١).

(١٨٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢٣)

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: "قال موسى: يارب! علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: قل ياموسى لا إله إلا الله. قال: كل عبادك يقولون هذا. قال: ياموسى! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله" . رواه ابن حبان والحاكم وصححه[١٨٦]** "[١٨٧].

وعند التأمل في كلام شراح كتاب التوحيد، يتبين مناسبة الحديث للترجمة من خلال النقاط الآتية:

---

[١٨٦] رواه ابن حبان في صحيحه، (١٤/ ١٠٢)،كتاب التاريخ، باب: بدء الخلق، ذكر سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئا يذكره تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨ هـ، حديث رقم:٦٢١٨، والحاكم في المستدرك، (١/ ٧١٠)،كتاب الدعاء، حديث رقم: ١٩٣٦، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.، والنسائي في السنن الكبرى، (٩/ ٣٠٧)، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: أفضل الذكر وأفضل الدعاء حديث رقم: ١٠٦٠٢، وأبو يعلى في مسنده، (٢/ ٥٢٨)حديث رقم: ١٣٩٣، والطبراني في الدعاء، (ص: ٤٣٥)،باب: فضل قول: لا إله إلا الله، حديث رقم:١٤٨٠ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٢٨)،دار الفكر، ١٤١٦هـ، والبيهقي في الأسماء والصفات، (١/ ٢٥٢)، باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣ه، حديث رقم: ١٨٥، والبغوي في شرح السنة، (٥/ ٥٤)،كتاب: الدعوات، باب:ثواب التهليل، حديث رقم: ١٢٧٣.

والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وابن حجر في فتح الباري:(٢٠٨/١١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال أبو نعيم: غريب من حديث عمرو لم يروه عنه إلا ابن وهب، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (١٠/ ٨٢)تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ: "ورجاله قد وثقوا، وفيهم ضعف".والله أعلم.

[١٨٧] كتاب التوحيد:(ص: ١١٨).

أولا: قوله في الحديث:" مالت بهن لا إله إلا الله "وهذا يدل على فضل كلمة التوحيد على سائر المخلوقات؛ لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أساس الملة، وهي أثقل الأعمال إذا ذكرها صاحبها بصدق وإخلاص، وعمل بما تقتضيه هذه الكلمة، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله -رحمه الله-:" قوله: "مالت بهن لا إله إلا الله" أي رجحت عليهن، وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أفضل الأعمال، وأساس الملة، ورأس الدين، فمن قالها بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها، واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون... والحديث يدل على أن: "لا إله إلا الله" أفضل الذكر. "(١٨٨)، فكلمة التوحيد تدل على فضل التوحيد، فكما رجحت الكلمة بالمخلوقات فإنها ترجح بمن قالها على جميع سيئاته وذنوبه، وقد ذكر المصنف -رحمه الله- هذه المناسبة في مسائله فقال:" التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه "(١٨٩)، فلا يثقل ميزان العبد إلا إذا ألحق القول بمقتضيات الكلمة ولوازمها كما بيناه في هذه المناسبة، يقول الشيخ عبد الله الدويش عند شرح هذه المسألة:" أي لقوله: "مالت بهن لا إله إلا الله" وأما كون كثير مما يقولها يخف ميزانه فلعدم تحققه بها ظاهرا وباطنا، وعدم الإتيان بجميع شروطها وأركانها ولوازمها "(١٩٠)، ويزيده وضوحا قول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله — في شرحه لهذه المسألة:" فالبلاء من القائل لا من القول، لأنه قد يكون اختل شرط من الشروط،

---

(١٨٨) تيسير العزيز الحميد (١/٢٤٠)، وانظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم، (ص: ٣٢)، قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن، (ص: ٢١)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، للحمدان (ص: ٣٢)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول(ص: ٤٤)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي، (ص: ٤٢)، شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص: ٢٣)، الملخص في شرح كتاب التوحيد للفوزان (ص: ٢٨)، الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله، (ص: ٢٠)، السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، لابن جبرين، (١/٩٨-٩٩).

(١٨٩) كتاب التوحيد:(ص: ١٢١).

(١٩٠) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد:(ص: ٣٧).

أو وجد مانع من الموانع، فإنها تخف بحسب ما عنده، أما القول نفسه، فيرجح بجميع المخلوقات "(١٩١).

فكأن المصنف استند على قوله (في المسألة التاسعة) بعدم ثقل الميزان؛ على الأحاديث في الباب، كحديث عبادة وعتبان، وأنس – ﷺ –، فإنه لا يثقل ميزانه إذا لم يعمل بما تقتضيه كلمة التوحيد، فقال في مسائله:" السادسة: أنك إذا جمعت بينه (يقصد حديث عبادة) وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: "لا إله إلا الله" ، وتبين لك خطأ المغرورين "(١٩٢).

أي إذا جمعت حديث عبادة، وفيه وعد على أهل التوحيد بالجنة، وحديث عتبان وفيه أن كلمة التوحيد لابد أن تكون خالصة لله من قلب الإنسان عاملا بمقتضياتها، وحديث أنس الآتي، وفيه أنه لا يشرك بالله شيئا، فإنه بذلك يترجح ويثقل ميزان العبد، على السماوات والأرض، ويأتيه الله بقراب الأرض مغفرة، كما بين ذلك حديث أبي سعيد وحديث أنس (تبين لك خطأ المغرورين) الذين يظنون أن التلفظ بهذه الكلمة كافٍ في التوحيد مع ما هدموه من أركانها وارتكبوه من الشرك المنافي لها. وهذا كله يدل على فضل التوحيد وأنه يكفر الذنوب(١٩٣)، ونظير هذا الحديث حديث السجلات الذي يرويه عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – حيث يقول:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب، ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب، ما هذه

---

(١٩١)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٨٧).

(١٩٢) كتاب التوحيد:(ص: ١٢٠)

(١٩٣) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش (ص:٣٦).

البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة "(١٩٤).

ثانيا: أن الحديث يدل على فضل كلمة التوحيد؛ لأنها ذكر ودعاء، فقول موسى عليه السلام:" أذكرك وأدعوك به "فطلب ذكراً ودعاءً، وهذا يدل على فضل التوحيد،" فهي ذكر لله؛ لأن فيها شهادة بالوحدانية، ودعاء؛ لأن قائلها يرجو ثوابها، وهكذا كل الأذكار من تسبيح وتحميد وحوقلة "(١٩٥)، وفي هذا دلالة على شأن هذه الكلمة؛ إذ إنها ذكر ودعاء.

ثالثا: قول موسى –عليه السلام– (كل عبادك يقولون هذا)، ليس المراد منه أنها كلمة هينة؛" لأن موسى عليه الصلاة والسلام يعلم عظم هذه الكلمة، ولكنه أراد شيئا يختص به، لأن تخصيص الإنسان بالأمر يدل على منقبة له ورفعة؛ فبين الله لموسى أنه مهما أعطي فلن يعطى أفضل من هذه الكلمة، وأن لا إله إلا الله أعظم من السماوات والأرض وما فيهن، لأنها تميل بهن وترجح، فدل ذلك على فضل لا إله إلا الله وعظمها لكن لا بد من الإتيان بشروطها، أما مجرد أن يقولها القائل بلسانه، فكم من إنسان يقولها لكنها عنده كالريشة لا تساوي شيئا، لأنه لم يقلها على الوجه الذي تمت به الشروط وانتفت به الموانع "(١٩٦)، ثم إن فضل التوحيد المذكور في الحديث، وأنه يكفر الذنوب؛ قد يخفى على أهل العلم والفضل، كما خفي على موسى عليه السلام، فإذا كان موسى –عليه السلام– قد خفي عليه فضل التوحيد؛ فغيره من باب أولى، ولهذا كان لزاما على الإنسان أن يعود إلى

---

(١٩٤)أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٤٦١) برقم: (٢٢٥) (كتاب الإيمان ، ذكر البيان بأن الله جل وعلا بتفضله قد يغفر لمن أحب من عباده ذنوبه بشهادته له ولرسوله صلى الله عليه وسلم) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٦) برقم: (٩) (كتاب الإيمان ، فضيلة شهادة لا إله إلا الله وثقلها في الميزان) ، وابن ماجه في "سننه" (٥ / ٣٥٦) برقم: (٤٣٠٠) (أبواب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة) وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٤٧٢) برقم: (٧١١٤) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٦٢).

(١٩٥) شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص: ٢٢)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٧٩).

(١٩٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٧٩).

الحق، ولو كان صاحب مكانة في قومه، وقد أشار المصنف إلى هذه الفائدة في مسائله فقال[197]:" الثامنة: كون الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله ".

- **قال المصنف–رحمه الله–:" : "وللترمذي[198] وحسنه عن أنس –رضي الله عنه–: سمعت رسول الله –ﷺ– يقول:" قال الله تعالى: ياابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة ".** [199]

ومناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن من جاء بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة؛ إن أكمل العبد توحيده وأخلصه لله، وقام بشروطه، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب ولو كانت كقراب الأرض، وفيه سعة كرم الله وجوده، وكثرة ثواب التوحيد وتكفيره الذنوب،

---

(197) كتاب التوحيد:(ص:120).

(198) رواه الترمذي في السنن (5/ 440)، أبواب الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، حديث رقم: 3540، والطبراني في الأوسط (4/ 315)، حديث رقم:4305، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (2/ 231)، وضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة، (4/ 399)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1420هـ، حديث رقم:1571، وحسنه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحسنه الإمام محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 249)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1415-1422هـ، حديث رقم:127.

والحديث له شاهد من حديث أبي ذر – رضي الله عنه- رواه مسلم في صحيحه، (4/ 2068)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، حديث رقم: 2687، وفيه:" ...ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة ".

(199) كتاب التوحيد:(ص: 119).

حيث وعد عباده أن العبد لو أتاه بملء الأرض خطايا وقد مات على التوحيد فإنه يقابله بالمغفرة الواسعة التي تسع ذنوبه. (٢٠٠).

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –:" مناسبة الحديث للترجمة: أن في هذا الحديث فضل التوحيد، وأنه سبب لتكفير الذنوب، فهو مطابق لقوله في الترجمة: "وما يكفر من الذنوب""(٢٠١).

ثانيا: شرط غفران الذنوب كلها أن يأتي الموحد بما تقتضيه كلمة التوحيد وهو عدم الإشراك بالله، سواء كان الشرك صغيرا أم كبيرا، قليلا أم كثيرا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–:" قوله: "ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا" . شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله، وذلك هو القلب السليم. كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ (٢٠٢). "(٢٠٣).

فمن" أسباب المغفرة تجريدَ التوحيد عن الشرك، وهو السبب الأعظم في غفران الذنوب، ومن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد جاء بأعظم أسباب المغفرة... "(٢٠٤)، فمن مات خالصا من الشرك بجميع أنواعه دخل الجنة، ولو كانت ذنوبه ملء الأرض.

---

(٢٠٠) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢٤٧/١)، فتح المجيد (ص: ٤٩)، حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٥)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٤٤)، إعانة المستفيد، للفوزان (٩٩/١)، السبك الفريد، لابن جبرين، (١٠٢/١).

(٢٠١)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٨٥).

(٢٠٢) سورة الشعراء:٨٨-٨٩.

(٢٠٣) تيسير العزيز الحميد (٢٤٧/١)، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٧٣)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٤)

(٢٠٤) فتح الحميد، لعثمان بن منصور: (٢٩٨/١).

ففي كل ما سبق أدلة على عظيم فضل الله -جل وعلا- للموحدين المخلصين له الدين، وأن الله -جل وعلا- حرم عليهم النار، ووعدهم الجنان ومغفرة الذنوب.

ومما سبق يتبين لنا مناسبة إيراد المصنف هذا الحديث في الباب.

المبحث الثالث: **باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب**.

تمهيد

هذا المبحث هو الذي نصّ عليه المصنف بقوله:" باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب "(٢٠٥)، ويحتوي هذا الباب على آيتين، وحديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) لكتاب التوحيد قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(٢٠٥) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٢٣).

المطلب الأول: مناسبة باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب للباب السابق.

عرف الشـــيخ ســـليمان بن عبد الله – رحمه الله – تحقيق التوحيد بقوله:" وتحقيق التوحيد: هو معرفته، والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علمًا وعملاً، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفًا، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصًـــا وإجلالاً وهيبة، وتعظيمًا وعبادة. وبالجملة فلا يكون في قلبه شـــيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله؟ وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود... وذلك هو حقيقة الشـــهادتين، فمن قام بهما على هذا الوجه فهو من الســـبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. "(٢٠٦).

ثم إن الشيخ – رحمه الله – يريد تحقيق كمال التوحيد المندوب لا الواجب فحسب، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –:" فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكماله الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالســـلامة من الشـــرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصـــول آثاره، فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصـــدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله، ولم يجرح ذلك بالإصـــرار على شـــيء من المعاصـــي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حســـاب، ويكون من الســـابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها، ومن أخص ما يدل على تحقيقه: كمال القنوت لله، وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه الله، متبعا فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلّم –، والناس في هذا المقام العظيم درجات: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾، وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلي

---

(٢٠٦) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٥٣)

العاطلة، وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان، وصدقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأكملها والله أعلم. "(٢٠٧)، ثم إن المؤلف - رحمه الله — ذكر الأدلة التي تدل على كمال التوحيد المندوب، كما في حديث سعيد بن جبير الآتي، ولا أدل على ذلك من عنوان الباب الذي معنا، وهو (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب).

إذا تبين هذا فإنه يتضح لنا مناسبة هذا الباب للباب السابق:

فالناس يتفاضلون في التوحيد تفاضلا عظيما ويكونون في على درجات بعضها أعلى من بعض، وهذا الباب يعد من فضائل التوحيد فهو مرتبط بما قبله، لكن المصنف -رحمه الله- أفرده هنا لأنه أخص من الباب قبله، فالباب قبله في فضائل التوحيد عموما، أما هذا الباب فهو لنوع معين ممن كمل توحيدهم، فهي لا تكون إلا لمن حقق التوحيد وأتى به الكامل.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله -:" لما ذكر التوحيد وفضله ناسب أن يذكر تحقيقه، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه، وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد "(٢٠٨)، فتحقيق التوحيد درجة أعلى من التوحيد.

فالمصنف لما شوق إلى التوحيد بذكر فضله في الباب السابق، أعقبه بذكر حقيقة هذا المشوق الذي هو حقيقة التوحيد؛ فيزداد المرء رغبة فيه وشوقاً(٢٠٩).

فهذا الباب أعلى رتبة من الباب الذي قبله، فهو من قبيل عطف الخاص على العام.

ثم إن فضل التوحيد في الباب السابق يشترك فيه أهله، وأهل التوحيد هم أهل الإسلام، وقد تقدم من فضل التوحيد أنه سبب في دخول الجنة، والتحريم على النار، وأنه

---

(٢٠٧) القول السديد (ص: ٢٨-٢٩)

(٢٠٨) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٧)

(٢٠٩) انظر: فتح الحميد لعثمان بن منصور:(٣١٤/١)

يثقل بالأعمال ويرجح بها وأنه يكفر الخطايا، وأنه سبب للأمن التام والاهتداء التام؛ إذا كان توحيدا تاما، فهو مختص بمطلق التوحيد.

أما خاصة هذه الأمة فهم الذين حققوا التوحيد، فإنه يسبب دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهذه الفضيلة لا تتأتى إلا لمن حقق التوحيد تحقيقا كاملا.

ولهذا عطف هذا الباب على الباب الذي قبله لأنه أخص(٢١٠)، فـ" تحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه "(٢١١).

وقد بين المصنف في مسائله بما يدل على درجات التوحيد بقوله:" الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد "(٢١٢)، فكأنه ذكر مناسبة هذا الباب بالباب الذي قبله في هذه المسألة، وأوضح أن الناس في التوحيد على مراتب ومن مراتبه هذه المرتبة في هذا الباب: وهم من حققوا التوحيد والذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله"** وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (٢١٣). "(٢١٤).

أثنى الله – جل وعلا – على إبراهيم بالصفات المذكورة في الآية، وذكر المصنف الآية في هذا الباب؛ لأنها تدل على تحقيق التوحيد، فتدل الآية على تحقيق التوحيد فإن الصفات المذكورة في الآية تدل على فضيلة إبراهيم وتدل على كمال توحيده وإيمانه وأنه بلغ الغاية في

(٢١٠) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢)، السبك الفريد، لابن جبرين:(١٠٨/١).

(٢١١) قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن، (ص: ١٣٣)

(٢١٢) كتاب التوحيد:(ص: ١٢٥).

(٢١٣) سورة النحل: ١٢٠.

(٢١٤) كتاب التوحيد، تحقيق دغش العجمي، (ص: ١٢٣).

تحقيق التوحيد[٢١٥]،يقول الشيخ سليمان بن عبد الله:" مناسبة الآية للترجمة من جهة أن الله تعالى وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بهذه الصفات الجليلة التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد، ترغيبًا في اتباعه في التوحيد، وتحقيق العبودية باتباع الأوامر، وترك النواهي، فمن اتبعه في ذلك، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما يدخلها إبراهيم عليه السلام... وما كان كذلك (أي إماما وقدوة ومعلما للخير) إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين بهما تنال الإمامة في الدين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [٢١٦]. "[٢١٧]. فقوله:" أمة "أي أن إبراهيم – عليه السلام- كان" مُعَلِّم خَيْر، يأتمّ به أهل الهدى "[٢١٨] وهذا تفسير ابن مسعود – رضي الله عنه- حيث قال:" الأمة معلم الخير "[٢١٩]، وقد ذكر الإمام البغوي –رحمه الله- تفسيرا جميلا في معنى أمة فقال:" وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة "[٢٢٠]، فكان هو لوحده كالأمة التي اجتمعت فيها الخصال الحميدة، فإنه أمة على الحق وحده ولم ينقص من صفات الخير شيئا، وإمام لجميع الحنفاء، يقتدون به في ذلك، والإمام هو أول وأولى الناس في تحقيق التوحيد، فالله قد جعله إماما" ولا يجعل الله للناس إماما من لم يحقق التوحيد أبدا "[٢٢١]، وليعلم أن من أثنى الله –جل وعلا- عليه فإنه يقصد به أمران:

---

[٢١٥] انظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٥٤)، فتح المجيد (ص:٥٢)، إبطال التنديد، لحمد بن عتيق(ص: ٢٨)، حاشية كتاب التوحيد لإسحاق بن عتيق (ص: ١٩)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص: ٤٧)

(٢١٦) سورة السجدة:٢٤.

(٢١٧) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٥٤) وانظر: فتح المجيد (ص:٥٢).

(٢١٨) تفسير الطبري (١٧/ ٣١٦)

(٢١٩) تفسير البغوي (٣/ ١٠١)

(٢٢٠) تفسير البغوي (٣/ ١٠١)

(٢٢١) القول المفيد، لابن عثيمين، (١/ ٩٢)

الأول: محبة هذا الذي أثنى الله عليه خيرا، والثاني: أن نقتدي به في هذا الصفات التي أثنى الله بها عليه [٢٢٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين، قال الله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [٢٢٣]. فبين أن عهده بالإمامة لا يتناول الظالم، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم إماما، وأعظم الظلم الشرك... وفي ذلك تحقيق توحيد الله، وأن لا يعبدوا إلا إياه، ورد على أشباه المشركين "[٢٢٤]. فالظالم لا ينال من الله الإمامة، ولن يكون محققا للتوحيد.

وأما القانت فهو الخاشع المطيع الدائم على العبادة، ويتكلم الشيخ السعدي -رحمه الله- عن صفة القنوت وأنها تدل على تحقيق التوحيد فيقول:" ومن أخص ما يدل على تحقيقه: كمال القنوت لله، وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه الله، متبعا فيها رسول الله "[٢٢٥].

---

[٢٢٢] انظر: المصدر السابق (١/ ٩٤)

[٢٢٣] سورة البقرة:١٢٤.

[٢٢٤] الفتاوى الكبرى، (٥/ ١٩٤-١٩٥)،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

[٢٢٥] القول السديد (ص: ٢٨)

والحنيف: المائل إلى الخير والإصلاح والمنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (٢٢٦) أي: هو موحد خالص من شوائب الشرك مطلقًا (٢٢٧)، وبهذه الصفات التي أثنى الله عليه بها كان –عليه السلام- محققا للتوحيد.

فمن اتصف بصفات خليل الله إبراهيم – عليه السلام - فهو محقق للتوحيد، يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهذا ترغيب من الله – لعباده؛ لأجل اتباعه في التوحيد.

ومن أعظم تلك الصفات نفي الشرك عن ابراهيم وهي من الصفات التي أثنى الله بها على إبراهيم. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (٢٢٨).

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله –رحمه الله-: "فنفى عنه الشرك ـــ على أبلغ وجوه النفي، بحيث لا ينسب إليه شرك وإن قل ـــ، تكذيبًا لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام" (٢٢٩).

وقد ذكرها المصنف في مسائله، فقال: "الثالثة: ثناؤه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين" (٢٣٠).

ففارق إبراهيم قومه "بالقلب واللسان والبدن، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك، وما ذاك إلا من أجل تحقيقه التوحيد، بل ضم إلى ذلك البراءة من المشركين، وعاب ما كانوا عليه وكفرهم، كما قال الله عنه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٢٣١)، فتبرأ من العابد قبل المعبود، وضم إلى ذلك أن اعتزلهم، فلم يكن منهم بأي اعتبار كان.

---

(٢٢٦) سورة النحل:١٢٠.

(٢٢٧) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية (٣/ ٤٣٠)، تفسير ابن كثير،(٤/ ٦١١)، تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله، (١/ ٢٥٦)

(٢٢٨) سورة النحل:١٢٠.

(٢٢٩) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٥٦)

(٢٣٠) كتاب التوحيد:(ص:١٢٥).

(٢٣١) سورة الزخرف:٢٦.

قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (٢٣٢)، إلى قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ (٢٣٣)، فهذا هو تحقيق التوحيد، وبه تظهر مناسبة الآية للترجمة، حيث وصف خليله بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد، وقد أمرنا بالتأسي والاقتداء به" (٢٣٤).

فإن الله -جل وعلا- وصف إبراهيم بتلك الصفات التي تحقق التوحيد مما يدل على أن تحقيق التوحيد من أرفع المقامات وأجل الحسنات(٢٣٥).

وقد فسر المصنف هذه الآية في موضع آخر فقال -رحمه الله-: "﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (٢٣٦) لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين، ﴿قانتا لله﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين، ﴿حنيفا﴾ لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء المفتونين، ﴿ولم يكن من المشركين﴾ خلافا لمن كَثُرَ سوادهم وزعم أنه من المسلمين... ثم ختم هذا الثناء العظيم بالأمر الكبير والعصمة والقاعدة الكلية فقال: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾(٢٣٧)، تبيينا للناجين من الهالكين، وفرقانا بين المحقين والمبطلين، وبيانا للموحدين من المشركين" (٢٣٨).

---

(٢٣٢) سورة مريم:٤٨.

(٢٣٣) سورة مريم:٤٩.

(٢٣٤) حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٣٧)

(٢٣٥) انظر: تحقيق التجريد،لعبد الهادي بن محمد، (١/ ٦٥).

(٢٣٦) سورة النحل:١٢٠.

(٢٣٧) النحل:١٢٣.

(٢٣٨) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) (ص: ٢٣٧).

فمناسبة الآية للباب الإشارة إلى تحقيق التوحيد، فإنه لم يكن سائرا على ما سار عليه المشركون من عبادة الأصنام والكواكب، وإنما كان موحدا لله مؤمنا به مخلصا له في عبادته فلا يكون تحقيق التوحيد إلا بانتفاء الشرك كله[٢٣٩].

- **قال المصنف رحمه الله** "وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [٢٤٠]."[٢٤١]

ومناسبة الآية للباب تتضح من عدة أمور:

أولا: سياق الآية التي أوردها الشيخ – رحمه الله –، فإنها ذكرت في معرض ذكر أوصاف من حقق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [٢٤٢].

فأول الصفات الخشية وهي أعمال القلب، وهي الوجل من الله عز وجل، والخوف من عقابه، خشية منه سبحانه وتعالى أن يعاقب العاصي والمذنب على معصيته، ومن أعظم أنواع العبادة، الخوف والخشية والرغبة والرهبة والرجاء، وكل هذه من أعمال القلب، وأما الصفة الثانية فهم الذين يؤمنون بآيات الله أي يصدقون بها، ويعملون بها، وآيات الله: القرآن، ويؤمنون به بمعنى: أنهم يصدقون أنه كلام الله سبحانه وتعالى، تكلم الله به وحيا، ونزل به جبريل إلى النبي – صلى الله عليه وسلّم –، وحفظه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل، وبلغه للناس، فيؤمن هؤلاء المؤمنون بأن هذا القرآن هو خطاب ربهم لهم أمرا ونهيا، وتعريفا به سبحانه وبصفاته، وإخبارا لهم عن الغيوث الماضية والغيوب المستقبلة، فمعنى هذه الصفة أي:

---

(٢٣٩) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٤٧)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٩٢)

(٢٤٠) سورة المؤمنون:٥٩.

(٢٤١) كتاب التوحيد، (ص: ١٢٣).

(٢٤٢) سورة المؤمنون:٥٧-٦٠.

يصـــدقون بهذا القرآن ويتدبرونه، ويشـــتغلون به، ويعتنون به، ويعملون بما فيه، ما أمرهم به فعلوه، وما نهاهم عنه تركوه، وما أخبرهم به صدقوه وآمنوا به، وما اشتبه عليهم ردوا علمه إلى الله سبحانه وتعالى، وأما الصفة الثالثة، وهي التي استشهد بها المصنف، فإن هذا هو تحقيق التوحيد، لا يشركون أبدا، شركا أصغر ولا شركا أكبر، يعني: لا يقع منهم شرك أبدا، هؤلاء الذين حققوا التوحيد، وسلموا من الشرك الأكبر والأصغر والخفي والجلي، وكل أنواع الشرك والبدع والمخالفات، ثم الصــفة الرابعة في قوله تعالى: ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ من الطاعات، ﴿وقلوبهم وجلة﴾ يعني: خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ نفى عنهم الإعجاب بأعمالهم، فهم يعملون الأعمال الجليلة، ويخافون من الله أن يردها عليهم. فهم يخافون أن ترد عليهم أعمالهم بخلل وقع فيها، لأن الإنسان ليس معصوما، فهم جمعوا بين الطاعة والخوف، أما أهل التفريط فجمعوا بين الكســـل والأمن من مكر الله عز وجل، فهؤلاء يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، لأن أعمالهم أقل بكثير مما يجب عليهم، ثم - أيضـــا- لا يضمنون أنها تكون متقبلة، قد تكون مردودة بسبب من الأسباب، لكن الإنسان يعمل ولا ييأس ولا يقنط، ويحسن الظن بالله عز وجل، إنما لا يستكثر عمله، أو يتمنن على الله(٢٤٣).

ثانيا: النص إلى تحقيق التوحيد، وأنه لا يكون إلا باجتناب الشرك، فهم مبتعدون كل البعد عن الشـــرك بالله جل وعلا، وهذه من أعظم الصـــفات التي تدل وتقود إلى تحقيق التوحيد، الذي يدخل بسببه المرء الجنة بغير حساب ولا عذاب(٢٤٤)، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- في مناسبة ذكر هذه الآية في الباب: "مناسبة الآية للترجمة من جهة أن الله تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفات، أعظمها الثناء عليهم بأنهم ﴿بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ (٢٤٥)، أي: شـيئا من الشـرك في وقت من الأوقات فإن الإيمان النافع مطلقًا لا يوجد إلا بترك الشـــرك مطلقًا. ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح في إيمانه من

---

(٢٤٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان (١/ ٧٩-٨١)

(٢٤٤) انظر:القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٩٢)

(٢٤٥) سورة المؤمنون:٥٩.

شــرك جلي أو خفي، نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية، وفاز بأعظم التجارة، ودخل الجنة بلا حساب ولا عذاب" (٢٤٦).

وذكر الإمام الطبري -رحمه الله- أن المراد هو الشرك الأكبر والأصغر فقال: "﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ يقول: والذين يخلصــون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن، ولا لصنم، ولا يراؤون بها أحدا من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه" (٢٤٧).

ثالثا: أن من تحقيق التوحيد اجتناب المعاصــي التي هي من معاني الشــرك، فالمؤمنون بربهم لا يشــركون، والشــرك من معانيه معصــية الله -جل وعلا- وهذا ما ذهب إليه بعض الشراح حيث يقول: "فالمعاصي بالمعنى الأعم شرك، لأنها صادرة عن هوى مخالف للشرع، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ٢٣﴾ (٢٤٨). وقوله:" لا يشركون ": يراد به الشــرك بالمعنى الأعم، إذ تحقيق التوحيد لا يكون إلا باجتناب الشــرك بالمعنى الأعم، ولكن ليس معنى هذا ألا تقع منهم المعاصي، لأن كل ابن آدم خطاء، وليس بمعصوم، ولكن إذا عصــوا، فإنهم يتوبون ولا يســتمرون عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ

---

(٢٤٦) تيســير العزيز الحميد (ص: ٢٥٧)، وانظر: قرة عيون الموحدين (ص: ١٣٧)، حاشــية كتاب التوحيد، لابن قاســم (ص: ٣٨-٣٩)، إبطال التنديد، لحمد بن عتيق، (ص: ٢٩)، حاشــية كتاب التوحيد لإسحاق بن عتيق (ص:١٩)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، الحمدان (ص: ٣٩)، شــرح كتاب التوحيد لابن باز (ص: ٢٨)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (١/ ٧٨)، القصد السديد على كتاب التوحيد (ص: ٣٤)، الشــرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله بن صــالح المحسن، (ص: ٣٥)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٨).

(٢٤٧) تفسير الطبري (١٩/ ٤٤)

(٢٤٨) سورة الجاثية:٢٣.

ﭐلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ (٢٤٩)."

(٢٥٠)، ويزيده وضوحا قول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "والذي لا يشرك هو الموحد، فصار عندنا لازم، وهو أن من لم يشرك بالله أيَّ نوع من الشرك، فإنه ما ترك الشرك إلا لتوحيده، قال العلماء: قدم هنا قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ [المؤمنون: ٥٩] في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] لأن الربوبية تستلزم العبودية، فصار عدم الإشراك في الربوبية معناه عدم الإشراك في الطاعة، وعدم الإشراك في العبودية وهذا وصف الذين حققوا التوحيد؛ لأنه يلزم من عدم الإشراك: ألا يُشرِك هواه؛ لأن المرء إذا أشرك هواه: أتى بالبدع، أو أتى بالمعصية، فصار نفي الشرك نفيا للشرك بأنواعه ونفيا للبدعة، ونفيا للمعصية، وهذا هو تحقيق التوحيد لله – جل وعلا–، فالآية – إذًا – دالة على ما ترجم له الإمام – رحمه الله – بقوله:" باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب "" (٢٥١).

وقد أشار المصنف في مسائله لهذه الآية في المسألة الرابعة فقال:" ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك "(٢٥٢). فجعل سبب تحقيق التوحيد هو السلامة من الشرك؛ لثناء الله _جل وعلا _عليهم في الآية.

- **وقال المصنف رحمه الله" عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة" . قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي–ﷺ– قال: "عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي**

(٢٤٩) سورة آل عمران:١٣٥.

(٢٥٠) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٩٦- ٩٥)

(٢٥١)التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧-٣٨)

(٢٥٢) كتاب التوحيد:(ص: ١٢٥).

ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله -ﷺ-، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله -ﷺ- فأخبروه فقال: "هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" . فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت منهم" ، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "سبقك بها عكاشة" (٢٥٣) (٢٥٤)

ومناسبة الحديث للباب تتجلى في الآتي:

أولا: فيه دليل لما ترجم له المصنف وهو قوله -ﷺ-: "ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" ، وهذا هو الشاهد، فإن الشيخ أخذ الترجمة من لفظ هذا الحديث، فهذا الحديث هو فيمن حقق التوحيد، وما له عند الله -جل وعلا- من الكرامة، فتحقيق التوحيد، هو تخليصه من شوائب الشرك الأكبر والأصغر، والبدع والمخالفات، وهذه هي مرتبة السابقين في هذه الأمة (٢٥٥).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء،

---

(٢٥٣) رواه البخاري في صحيحه، (٧/ ١٢٦)، كتاب: الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث رقم:(٥٧٠٥)، ومسلم في صحيحه، (١/ ١٩٨)كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم:(٣٧٤).

(٢٥٤) كتاب التوحيد، (ص: ١٢٣).

(٢٥٥) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (١/ ٨١)

والرضى به ربًا وإلهًا، والرضى بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء، وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء، والله ذُو الفضل العظيم" (٢٥٦).

ولهذا أشار المصنف -رحمه الله- إلى هذه الفائدة بقوله: "السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل" (٢٥٧)، وهذه الخصال هي ما سيأتي ذكره:

قوله: "ولا يكتوون" مع أن الاكتواء جائز، لكن من صفات من حقق التوحيد، أنهم لا يكتوون، والعلة في ذلك أمور منها: أن يكون ذلك من أجل أنهم يعظمون أمره، ويقولون: "آخر الدواء الكي" ، فيتعلقون به ويرون أنه آخر الأدواء فإذا لم يكن به منفعة هلك صاحبه، وهذا يقدح في حقيقة التوحيد(٢٥٨)، فمن فضل التوحيد وتحقيقه، هو تمام وكمال التعلق بالله -جل وعلا-.

كذلك قوله: "ولا يسترقون" ، مما يدل على عدم طلب الرقية من أحد مع أن الأصل الجواز، وهذا يدل على أن المحققين للتوحيد لا تتعلق قلوبهم بغير الله جل وعلا، بل حتى مجرد سؤال الخلق، فيما يشرع مع الكراهة الذي هو مأخوذ من قوله "ولا يكتوون ولا يسترقون" .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "فتركوا الشرك رأسا ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم إليه. وأن لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبره وقضاه فلا يرغبون إلا إلى ربهم، ولا يرهبون إلا منه ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم، فلا يفزعون إلا إليه وحده في كشف ضرهم..." (٢٥٩)، فتركوا الاكتواء والاسترقاء، فنالوا بسبب ذلك درجة المحققين للتوحيد الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وقد ذكر المصنف ما يدل على هذه المناسبة في مسائله حيث قال -رحمه الله-: "الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد" (٢٦٠).

---

(٢٥٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص: ٢٧٤)

(٢٥٧) كتاب التوحيد، (ص: ١٢٦).

(٢٥٨) انظر: فتح الحميد لعثمان بن منصور:(٣٤٩/١)

(٢٥٩) قرة عيون الموحدين (ص: ١٤٧)، وانظر: حاشية كتاب التوحيد (ص: ٤٦)

(٢٦٠) كتاب التوحيد (ص: ١٢٦)

وذكر التطير في الحديث لاشتراكها مع الاكتواء والاسترقاء والتوكل في قضية التعلق، فالاكتواء والاسترقاء والتطير فيها تعلق بالمخلوق، وأما التوكل فهو تعلق بالله — جل وعلا-.

في الحديث قوله: "ولا يتطيرون" وفيه الإشـــارة إلى تحقيق التوحيد؛ وأنه لا يكون إلا بانتفاء الشـــرك كله، صـــغيره وكبيره دقيقه وجليله؛ فالذين يدخلون الجنة بلا حســـاب ولا عذاب، مبتعدون كل البعد عن الشـــرك بالله جل وعلا، وهذا يتوافق مع الآيتين الســـابقتين في الثناء على من ترك الشرك؛ لأنهم محققون للتوحيد.

ثانيا: أن الأصـــل الجامع للأفعال المذكورة في الحديث والفضـــل المترتب عليها من دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، هو بسبب تحقيق التوحيد الذي هو تمام التوكل على الله وصـــدق الالتجاء إليه —ســـبحانه-، وعدم تعلق القلب بغيره، فهذا هو تحقيق التوحيد الذي سببه دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وظاهر قوله – صـــلى الله عليه وســـلّم -: "بغير حســـاب ولا عذاب" ، أي لا في قبورهم ولا بعد قيام الساعة، فلا يعذبون كرامة لهم (٢٦١).

---

(٢٦١)انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ١٠١)

المبحث الرابع: **باب الخوف من الشرك**.

تمهيد

هذا المبحث هو الذي نصّ عليه المصنف بقوله: "باب الخوف من الشرك" (٢٦٢)، ويحتوي هذا الباب على آيتين، وثلاثة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب الخوف من الشرك) لباب (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(٢٦٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٢٣).

المطلب الأول: مناسبة باب الخوف من الشرك للباب السابق.

مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله هو أن المصنف -رحمه الله- لما ذكر التوحيد وبينه ورغب فيه، أعقبه بالترهيب من ضده وهو الشرك؛ **وذلك لأمور**:

أولا: الحث على الخوف من الشرك والحذر منه، وفائدة هذا الحفاظ على التوحيد من الشرك صغيره وكبيره، فإن الشيخ - رحمه الله – "لما ذكر -رحمه الله تعالى- أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، أعقبه بباب الخوف من الشرك؛ ليكون محصل التوحيد على حذر من زواله أو نقصانه، ولئلا يتكل على الرجاء في فضله، بل يجمع بين الخوف والرجاء في ذلك" (٢٦٣)، يقول الشيخ ابن قاسم -رحمه الله- مؤكدا وموضحا هذا المعنى: "لما ذكر التوحيد وفضله وتحقيقه ناسب أن يذكر الخوف من ضده وهو الشرك، ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه، قال حذيفة:" كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه "(٢٦٤)...، فعلى المسلم الخوف من الوقوع في الشرك؛ حيث إنه يقتضي هذا الخوف عدة أمور(٢٦٥) منها: أن الشرك أنواعه كثيرة، فيه الجلي الظاهر، وفيه الخفي، وله وسائل وأسباب كثيرة، فإذا لم يتوقاها العبد فقد يقع فيها ولا يشعر، كذلك أن الشرك لا يغفره الله، فإذا صدر من العبد ومات عليه لا يمكنه الاستدراك ويكون خالدا مخلدا في النار – والعياذ بالله-، أيضا فإن القلوب بيد الله يقلبها حيث يشاء، وهذا يجعل العبد دائم الاجتناب والدعاء لله بالنجاة، كذلك فإن إبراهيم – عليه السلام- خاف من الشرك وسأل الله السلامة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- خافه على أصحابه، فمن هو دونهم من باب أولى أن يخافوا منه ويجتنبوه (٢٦٦)

---

(٢٦٣) فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٣٥٤/١)

(٢٦٤) رواه البخاري في صحيحه: (٩/ ٥١)، كتاب: الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، حديث رقم: ٧٠٨٤، ومسلم في صحيحه: (٣/ ١٤٧٥)، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، حديث رقم: ١٨٤٧.

(٢٦٥) وقد استدل بها المصنف -رحمه الله- بأدلة تدل على هذا المعنى كما سيأتي.

(٢٦٦) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، للغنيمان (١٤٣/١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – مبينا خطر الشرك ووجوب الخوف منه وسوء عاقبة صاحبه: "فإذا كان الشرك ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق. وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألها، وإنابة وخوفا ورجاء وطمعا وقصدا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد، وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه" (٢٦٧).

ثانيا: ليتنبه المسلم إلى أن التوحيد لا يكفي فيه معرفة ما سبق بل يجب على المسلم أن يعرف ويتعلم كل ما يقدح في التوحيد ويحبطه أو ينقصه؛ حتى يكون موحدا محققا للتوحيد؛ لأن من اقتصر على معرفة فضل التوحيد وكيفية تحقيقه، فإنه قد يرى أنه حقق التوحيد وهو لم يحققه، وذلك بوقوعه في الشرك أو أنه لا ينكره كما ينكره الذي علمه وعرفه.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –: "وذلك أن من لم يعرف إلا الخير قد يأتيه الشر ولا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وإما لا ينكره كما ينكره الذي عرفه..." (٢٦٨)، فاجتناب الشرك داخل في حقيقة التوحيد؛ إذ إن التوحيد لابد فيه من نفي وإثبات؛ والنفي يعني: البراءة من الشرك وأهله فالخوف من الشرك هو من مقومات تحقيق التوحيد، فإن أعظم الناس تحقيقا للتوحيد أخوف ما يكونون من الشرك (٢٦٩).

فلا يعرف قيمة التّوحيد، وفضل التّوحيد، وتحقيق التّوحيد إلاَّ من عرف الشرك وأمور الجاهلية حتى يتجنّبها، ويحافظ على توحيده.

---

(٢٦٧) القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن السعدي: (ص: ٣٢)

(٢٦٨) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله، (٢٨٣/١)، وانظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد، الحمدان (ص: ٤٨)

(٢٦٩) انظر: مقاصد كتاب التوحيد لعيسى السعدي (ص: ٣٩).

ثالثا: لينذر العبد بأن الشرك لا مأمن منه وأنه يعود متى ما حاد الإنسان عن الطريق ولم يقِ نفسه من الوقوع فيه، وأن هذه هي سنة الله -جل وعلا- في الحياة، فلا يظن ظان ويعتقد أن الشرك زال وانتهى.

يقول الشيخ سعيد الجندول(٢٧٠) -رحمه الله-: "قصد إمام الدعوة قدس الله روحه من هذا الباب بيان العقاب الرهيب لمن مات مشركا بالله في عبادته، وتوضيح خطأ ما يعتقده كثير من الناس من أن خطر الشرك قد زال بزوال الجاهليات الأول" (٢٧١).

رابعا: ومن الأوجه التي ذكرها بعض أهل العلم في إيراد هذا الباب لما قبله، هو الحذر من الاغترار بما لدى العبد من توحيد، قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -: "مناسبة الباب للبابين قبله: في الباب الأول ذكر المؤلف رحمه الله تحقيق التوحيد، وفي الباب الثاني ذكر أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث بهذا الباب رحمه الله تعالى؛ لأن الإنسان يرى أنه قد حقق التوحيد وهو لم يحققه، ولهذا قال بعض السلف:" ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص "، وذلك أن النفس متعلقة بالدنيا تريد حظوظها من مال أو جاه أو رئاسة، وقد تريد بعمل الآخرة الدنيا، وهذا نقص في الإخلاص، وقل من يكون غرضه الآخرة في كل عمله، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله ما سبق من البابين بهذا الباب، وهو الخوف من الشرك" (٢٧٢).

خامسا: أن المصنف -رحمه الله- كأنه أراد أن يوجه العبد أنه ينبغي له أن يعلم وأن يتعلم ما سيأتي في هذا الكتاب، فإن هذا الكتاب موضوع لتحقيق التوحيد، وللخوف من الشرك والبعد عنه، فما بعد هذين البابين: (باب من حقق التوحيد) و(باب الخوف من

---

(٢٧٠) الشيخ سعيد بن عبدالعزيز الجندول، ولد عام ١٣٤١هـ بمدينة ليلى بمحافظة الأفلاج، تعلم في الكُتّاب ثم رحل إلى الرياض، وتتلمذ على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، وعلى سماحة المفتي – آنذاك- الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، له عدة مؤلفات؛ منها: الدر النضيد على كتاب التوحيد (شرح وتعليق)، إليكم شباب الأمة، توفي الشيخ سعيد الجندول رحمه الله في يوم ١٤٢٩هـ .انظر: موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية (في السعودية)، (ص ٣٣٣).

(٢٧١) الدر النضيد على كتاب التوحيد،(ص: ٥٣)

(٢٧٢)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١٣).

الشرك) تفصيل لهاتين المسألتين العظيمتين اللتين هما: تحقيق التوحيد، والخوف من الشرك؛ بيان معناه وبيان أنواعه(٢٧٣).

ومن جميل فقه الشيخ الفوزان -حفظه الله-، أنه ذكر المناسبة بين هذا الباب والأبواب السابقة له، فقال: "هذا الباب في غاية المناسبة للأبواب السابقة، وهذا من دقة فقهه وفهمه رحمه الله، وحسن تأليفه، فإنه لما ذكر في الباب الأول: معرفة حقيقة التوحيد، وذكر في الباب الثاني: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وذكر في الباب الثالث: من حقق التوحيد دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، لما ذكر هذه الأبواب ناسب أن يذكر ضد التوحيد وهو الشرك؛ لأنه لا يكفي أن الإنسان يعرف التوحيد ويعمل به، بل لابد أن يعرف ضده وهو الشرك، خشية أن يقع فيه، ويفسد عليه توحيده، لأن من لا يعرف الشيء يوشك أن يقع فيه،... فلا يعرف قيمة الصحة إلا من ذاق المرض، ولا يعرف قيمة النور إلا من وقع في الظلام، ولا يعرف قيمة الماء إلا من عطش، وهكذا... إذا لا يعرف قيمة التوحيد، وفضل التوحيد، وتحقيق التوحيد إلا من عرف الشرك وأمور الجاهلية حتى يتجنبها، ويحافظ على التوحيد، ومن هنا يظهر خطأ هؤلاء الذين يقولون: لا داعي أن نتعلم العقائد الباطلة ونعرف المذاهب الباطلة، ونرد على المعتزلة والجهمية، لأنهم بادوا وذهبوا، علموا الناس التوحيد ويكفي، أو بعضهم يقول لا تعلموهم التوحيد لأنهم أولاد فطرة، ونشأوا في بلاد المسلمين،... أما التوحيد فيحصلونه بفطرتهم وبيئتهم، نعم وجد من يقول هذا،... ولذلك لا يهتمون بإنكار هذا الشرك الذي بعثت الرسل لإنكاره، وإنما ينصب إنكارهم على الشرك في الحاكمية فقط.

وكل هذه من حيل الشيطان لبني آدم، والواجب أننا، كما نعرف الحق؛ يجب أن نعرف الباطل، من أجل أن نعمل بالحق، ونتجنب الباطل،... فإن هناك أناسا الآن كثيرين يزهدون في تعلم هذه الأمور: تعلم التوحيد، تعلم الشرك، معرفة الشبه والضلال، يزهدون في هذه الأمور، وهذا إما من جهلهم، وعدم معرفتهم، وإما لأنهم يريدون الدس على المسلمين، وإفساد عقيدة المسلمين، فلنحذر من هذا الأمر، سمعنا من يقول إن الذي يدرس عقائد

---

(٢٧٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، (ص: ٤٤)

المعتزلة والرد عليهم مثل الذي يرجم القبر، لأنهم ماتوا، يقولون كذا، نقول: يا سبحان الله هم ماتوا بأشخاصهم، لكن مذاهبهم باقية، وشبهاتهم باقية، وكتبهم، تطبع الآن وتحقق، وينفق عليها الأموال، وتروج، فكيف نقول نتركهم لأنهم ماتوا، والله تعالى ذكر شبهات المشركين من الأمم السابقة: فرعون وهامان وقارون وقوم ونوح وعاد وثمود، مع أنها أمم بائدة، ذكر شبهها ورد عليها، فالعبرة ليست بالأشخاص، العبرة بالمذاهب، والعبرة بالشبه الباقية ولكل قوم وارث.

ولهذا قال الشيخ:" باب الخوف من الشرك "أي: أن الموحد يجب أن يخاف من الشرك، ولا يقول أنا موحد وأنا عرفت التوحيد، ولا خطر علي من الشرك، هذا إغراء من الشيطان، لا أحد يزكي نفسه، ولا أحد لا يخاف من الفتنة ما دام على قيد الحياة، فالإنسان معرض للفتنة، ضل علماء أحبار، وزلت أقدامهم، وختم لهم بالسوء، وهم علماء، فالخطر شديد، ولا يأمن الإنسان على نفسه أن تنزلق قدمه في الضلال، وأن يقع في الشرك، إلا إذا تعلم هذه الأمور من أجل أن يجتنبها، واستعان بالله، وطلب منه العصمة والهداية: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ خافوا من الزيغ بعد الهداية، والمهتدي يكون أشد خوفا أن يزيغ، وأن تزل قدمه، وأن تسوء خاتمته، وأن يكون من أهل النار، نسأل الله العافية" (٢٧٤).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

فالمصنف -رحمه الله- أراد أن يبين باستدلاله بالآيات والأحاديث في هذا الباب، أن يبين ويوضح وجه الخوف من الشرك ولماذا يجب على الإنسان أن يخافه، إلى غير ذلك من أوجه الدلالة التي سنذكرها بإذن الله عند الكلام عن الآيات والأحاديث المندرجة في هذا الباب.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ (٢٧٥)." (٢٧٦)

---

(٢٧٤)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٩٣-٩٥)

(٢٧٥) سورة النساء:٤٨.

(٢٧٦) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٨).

فمناسبة ذكر المصنف لهذه الآية في هذا الباب تظهر من عدة أمور:

أولا: حذر الله – جل وعلا – من الشرك وبين أنه أعظم الذنوب، حيث إنه لا يغفره الله، فكل الذنوب مظنة المغفرة إلا الشرك فقد صرح الله –جل وعلا– بعدم مغفرته له، وهذا يوجب الخوف عند العبد؛ لأنه هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد هذه الآية : "فتبين بهذا أن الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره، أي: إلا بالتوبة منه، وما عداه، فهو داخل تحت مشيئة الله إن شاء غفره بلا توبة وإن شاء عذب به. وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله" (٢٧٧)، ثم ذكر الشارح –رحمه الله–، بعد هذا الكلام سبب كون الشرك موجب للخوف في عدة أمور، منها لأن الشرك أقبح القبيح وأظلم الظلم لأنه تنقيص لرب العالمين، ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، ولأنه تشبيه للمخلوق بالخالق (٢٧٨).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤكداً هذا المعنى: "وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك، وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد، ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (٢٧٩)، فخصص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه، فلا يرجى له معه نجاة إن لم يتب منه قبل الوفاة" (٢٨٠).

ثانيا: أنه يجب على العبد أن يبتعد أشد البعد عن الأمور التي فيها اشتباه، ولا يعذر بمجرد كون الشبهة موجودة؛ بل لابد له من البحث والتقصي والتجرد للحق، فإن العلماء اختلفوا في الشرك الأصغر هل هو داخل في الآية أو لا، فإذا كان كذلك فالواجب على

---

(٢٧٧) تيسير العزيز الحميد (٢٨٤/١).

(٢٧٨)انظر: المصدر السابق (٢٨٤/١–٢٨٥)، حاشية كتاب التوحيد (ص:٤٨)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، لسليمان الحمدان (ص: ٤٩)، الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله بن صالح المحسن، (ص: ٣٨)

(٢٧٩) سورة النساء:٤٨.

(٢٨٠) قرة عيون الموحدين (ص: ١٥٢)

الإنســــان أن يبتعد عن الأمور التي يكون فيها اشـــتباه، وهذا وجه من وجوه الخوف من الشرك(٢٨١).

وقد بين المصنف علاقة هذه الآية بالباب في مسائلة في المسألة الأولى مشيرا إلى هذه الآية بقوله: "الأولى: الخوف من الشرك" (٢٨٢)

- **قال المصنف** -رحمه الله-: **"وقال الخليل** -عليه السلام-: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (٢٨٣)." (٢٨٤).

ومناسبة الآية للباب:

أولا: أن الله — جل وعلا- أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه كان يدعو ربه أن يجنبه الشرك وعبادة الأصنام، فإذا كان هذا حال سيد الأنبياء وخليل الله، وهو من أعرف الخلق بالله، الذي يكسر الصنم بيده ويسأل الله أن يجنبه عبادتها، فما هو حالنا نحن، فوجب علينا أن نتأســـى بهم؛ فإننا أولى بالخوف منه وعدم الأمن من الوقوع فيه، فأوجب ذلك على العبد الخوف من الشرك.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره؟ كما قال إبراهيم التيمي (٢٨٥):" ومن يأمن من

---

(٢٨١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١/١٤٥-١٤٦)، وقد ذكر الخلاف في المسألة مجملاً.

(٢٨٢) كتاب التوحيد:(ص: ١٢٩).

(٢٨٣) سورة إبراهيم:٣٥.

(٢٨٤) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٨).

(٢٨٥) هو: إبراهيم بن يزيد بن شـــريك التيمي الكوفي، يكنى أبا أسماء، كان من الثقات والعلماء العاملين، وكان قانتًا لله عالما فقيهًا واعظًا، يقال: قتله الحجاج، وقيل: مات في حبسه سنة ٩٢هـــ، أو ٩٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (١/ ١٧٦) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/ ٦٠-٦٢).

البلاء بعد إبراهيم "[٢٨٦]، وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشـــرك، لا كما يقول الجهال: إن الشــرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا أمنوا الشــرك فوقعوا فيه، وهذا وجه مناسـبة الآية للترجمة" [٢٨٧].

ولهذا يقول المصـنف في مسـائله: "الثامنة: المسـألة العظيمة: سـؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام" [٢٨٨]، فسماها مسألةً عظيمةً؛ أي ذات شأن وخطر.

الثانية: أن إبراهيم – عليه السلام – خاف من الوقوع في الشرك وعبادة الأصنام، لما رآه من أن كثيراً من الناس عبدها ووقع في الشـــرك، ولهذا قال في الآية: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [٢٨٩]، فإذا عرف الإنسان ذلك أوجب له الخوف أن يقع فيما وقع فيه الكثير، ولا يأمن الوقوع فيه إلا جاهل به، وبما يخلص منه من العلم بالله، وبما بعث به رسوله -ﷺ- من توحيده والنهي عن الشرك به. [٢٩٠]

ثالثا: أن المصـــنف -رحمه الله- بين في الباب الســـابق عن إبراهيم أنه كان أمة وحقق التوحيد الكامل، فأراد أن يبين في هذا الباب أن إبراهيم مع تحقيقه التوحيد خاف على نفسه من الشــرك، وهذا هو الواجب فيمن أراد أن يحقق التوحيد، فلابد أن يخاف ويبتعد كل البعد عن الشرك ووسائله، وشبهاته، وهذا حال الكمَّل الذين حققوا التوحيد، فالذي يخاف الشرك هو الذي يسعى في تحقيق التوحيد، كإبراهيم – عليه السلام_[٢٩١]، فالعبد لا يملك لنفسه الاحتراز ولا يملك لنفســه النفع ولا الضــر، وإنما يجب عليه أن يســأل ربه ويتجه إليه وإذا لم يعصمه الله جل وعلا فلا عاصم له.

---

[٢٨٦] رواه ابن جرير في تفسـيره: (١٧/١٧)، وابن أبي حاتم في تفسـيره: (٧/ ٢٢٤٩)، حديث رقم: ١٢٢٨٧.

(٢٨٧) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٨٨)

(٢٨٨) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٠)

(٢٨٩) سورة إبراهيم:٣٦.

(٢٩٠) انظر: فتح المجيد، لعبد الرحمن بن حسن:(ص ٦٤).

(٢٩١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ:(ص:٤٩-٥٠).

فمن كان أعلم بالله كان أشـــد خوفا منه، "ولما كان إمام الحنفاء إبراهيم ومحمد بن عبدالله سيد المرسـلين صـلوات الله عليهم أجمعين أعلم بالله كان خوفهم أشـد وأعظم وطلبه من الله النجاة أكثر قال الخليل عليه السـلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾[٢٩٢] قـال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [٢٩٣]،. وقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾ [٢٩٤]." [٢٩٥].

رابعاً: أن المصنف أراد أن يرد على من زعم أن الشرك لا يقع من المسلمين ولا يخاف عليهم منه.

يقول الشـيخ عبد الهادي بن محمد العجيلي: "ووجه مناسـبة هذه الترجمة بهذه الآية الرد على من قال إن المسـلمين لا يقع منهم الشـرك، ولا يخاف عليهم منه، فينبغي للمؤمن شـدة الخوف من ذلك، والبحث عنه، ومعرفته لئلا يقع فيه وهو لا يشـعر، والشـرك شـوكة العين، فكما أن الشـوكة إذا دخلت في العين فقأتها وأعمتها، وكذلك إذا دخل الشـرك على العبادة أبطلها"[٢٩٦].

خامسا: أن المصنف أراد أن يبين أن من فعل مثل فعل إبراهيم –عليه السـلام- بأن حقق التوحيد وخاف من الشـرك ودعا وتضـرع إلى الله في طلب الوقاية من الشـرك، فإن الله سيثبته بإذنه سبحانه وبفضله وكرمه على التوحيد، ويسلمه ويؤمنه من الشرك[٢٩٧].

---

(٢٩٢) إبراهيم:٣٥.

(٢٩٣) سورة البقرة:١٢٨.

(٢٩٤) سورة الإسراء:٨٠.

(٢٩٥) فتح الله الحميد المجيد، لحامد بن محمد بن حسين، (ص: ١٦٦)

(٢٩٦) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٩٠)

(٢٩٧) انظر: المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله القصير: (ص٣٩- ٤٠).

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وفي الحديث:" أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرياء "**[298]**"** [299].

مناسبة الحديث للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن أخوف ما يخاف منه هو الشرك الأصغر كما أخبر بذلك النبي -ﷺ-؛ لأنه لا يأمنه الإنسان على نفسه، فالنفس مجبولة على حب المدح والثناء وأن يشار إليه، وهذا يحمل العبد على مصانعة الناس وتزيين العمل لهم، فخاف النبي -ﷺ- ذلك على أصحابه، فناسب أن يكون أولى ما يخاف منه المسلم.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "ولما كانت النفوس مجبولة على محبة الرياسة والمنزلة في قلوب الخلق إلا من سلم الله، كان هذا أخوف ما يخاف على الصالحين، لقوة الداعي إلى ذلك، والمعصوم من عصم الله، وهذا بخلاف الشرك الأكبر، فإنه إما معدوم في قلوب المؤمنين الكاملين، ولهذا يكون الإلقاء في النار أسهل عندهم من الكفر، وإما ضعيف؛ هذا مع العافية، وأما البلاء فـ" يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت... ويفعل الله ما يشاء "الآية،" [300]، ثم إنه سمى أنه الرياء شركاً أصغراً، وهذا الشرك غير مغفور عند بعض أهل العلم، وداخل في الآية السابقة، فوجب على الإنسان أن يخافه ويحذر منه[301]، ولهذا ذكر المصنف الخوف من هذا الشرك وحذر منه في الأربع الأوائل من مسائله، والتي تدل على ما سبق من مناسبة ذكر المصنف للحديث في هذا الباب فقال: "الأولى: الخوف من الشرك، الثانية: أن

---

(298) أخرجه: أحمد في مسنده، (39/ 39)، حديث رقم: 23630، والطبراني في المعجم الكبير (4/ 253)، حديث رقم: 4301، والبغوي في شرح السنة (14/ 323)، حديث رقم: 4135، والبيهقي في شعب الإيمان (9/ 154)، حديث رقم: 6412. وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (2/ 634)، حديث رقم: 951، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط1، جـ 1 - 4: 1415 هـ، جـ 6: 1416 هـ، جـ 7: 1422 هـ.وحسنه الشيخ صالح العصيمي في كتاب الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد(ص:30)، دار ابن خزيمة، ط1، 1413هـ.

(299) كتاب التوحيد: (ص: 128).

(300) تيسير العزيز الحميد (ص: 290).

(301) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (1/162).

الرياء من الشـــرك، الثالثة: أنه من الشـــرك الأصـــغر، الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين" (٣٠٢).

ثانيا: أنه إذا كان إبراهيم — عليه السلام — خاف على نفسه من الشرك فإن النبي -ﷺ- خافه على أصـــحابه أيضـــا، وهذا التأكيد منهما، يدل على خطر الشـــرك الأكبر والأصغر وأن الإنسان لا يأمن على نفسه ولا على من بعده من الوقوع فيها.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "فإذا كان يخاف على أصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة، ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا من كفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم، وما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشـرك، فكيف لا يخاف من لا نسـبة له إليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك! وقد أخبر – صـلى الله عليه وسلّم – عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم..." (٣٠٣)

ثالثا: أنه إذا كان النبي -ﷺ- خاف الشـرك الأصـغر على أصـحابه مع ما يحملونه من كمال الإيمان، فالأولى بنا ليس أن نخاف من الشرك الأصغر وحسب، بل علينا أن نخاف من الشرك الأكبر وذلك بسبب ضعف إيماننا ونقصانه، وبعدنا من عصر النبوة، وهذا ملحظ جميل حق لنا أن نتنبه له.

يقول الشـيخ سـليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "فلذلك صـار خوفه صـلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء أشد لقوة الداعي وكثرته، دون الشرك الأكبر لما تقدم، مع أنه أخبر أنه لا بد من وقوع عبادة الأوثان في أمته، فدل على أنه ينبغي للإنسـان أن يخاف على نفسه الشـرك الأكبر، إذا كان الأصغر مخوفًا على الصالحين من الصحابة مع كمال إيمانهم، فينبغي للإنســان أن يخاف الأكبر لنقصــان إيمانه ومعرفته بالله، فهذا وجه إيراد المصــنف له هنا..." (٣٠٤).

ومما سبق يتبين لنا مناسبة الحديث للباب.

---

(٣٠٢) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٩).

(٣٠٣) قرة عيون الموحدين (ص: ١٥٥).

(٣٠٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٩٠).

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار "**(٣٠٥)**. رواه البخاري"**(٣٠٦).

هذا الحديث تفسير لمعنى لا إله إلا الله كما بين المصنف في مسائله حيث قال: "العاشرة: فيه تفسير" لا إله إلا الله "كما ذكره البخاري" (٣٠٧).

أي كما ذكره البخاري من كلام ابن مسعود بعد ذكره لهذا الحديث مفسراً وموضحاً لمعناه: "وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة" (٣٠٨). والذي يظهر أن هذا هو تفسير "لا إله إلا الله" الذي أراده المصنف.

وأما مناسبة الحديث للباب فإن فيه تخويفا من الشرك بذكر الوعيد الشديد للمشرك، فإن الإنسان يدخل النار بمجرد أن جعل لله ندا، ولو كان من أعبد الناس، وهذا يورث الخوف من الشرك، وأن الإنسان عليه أن يبتعد كل البعد عن الشرك وأهله ووسائله وطرقه.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن قاسم -رحمه الله-: "وهذا الحديث فيه أيضا التحذير من الشرك والتخويف منه، فمن جعل لله ندا في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به، نبيا كان أو غيره دخل النار" (٣٠٩)، وهذا يدل على وجوب لزوم التوحيد، والحذر من الخاتمة على الشرك يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "فهذا فيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يُختم له بالشرك فيكون من أهل النار، ولو كان من أهل التّوحيد قبل ذلك، وعارف به،

---

(٣٠٥) رواه البخاري في صحيحه: (٦/ ٢٣)، كتاب:تفسير القرآن، باب قوله: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله"، حديث رقم: ٤٤٩٧.

(٣٠٦) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٩).

(٣٠٧) كتاب التوحيد:(ص:١٣٠).

(٣٠٨) رواه البخاري في صحيحه: (٦/ ٢٣)، كتاب:تفسير القرآن، باب قوله: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله"، حديث رقم: ٤٤٩٧.

(٣٠٩) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٥١)

ومستقيم، لكن يخاف على نفسه من أنه يتنكس بعد ذلك، ويشرك بالله، ويموت على ذلك فيكون من أهل النار، فنسأل الله الثبات، فيكون عنده حذر دائماً وأبداً من الشرك" (٣١٠)

- **قال المصنف -رحمه الله-: "ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار** "(٣١١)." (٣١٢).

ومناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن كل من أشرك بالله شركا أكبر ولو قليلاً ولقي الله على شركه، فإنه متوعد بالنار؛ لأن شيئا نكرة تفيد العموم ، وهذا يوجب الخوف من الشرك، "فإذا كان التغليظ في النهي عن الشرك بهذه الشدة فينبغي شدة الخوف منه" (٣١٣).

وهذا الذي بينه المصنف في مسائله بقوله: "أن من لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس" (٣١٤).

ثانياً: أنه كما أن الجنة قريبة من العبد فإن النار كذلك قريبة منه، وذلك بدليل أن الإنسان بمجرد موته يكون مصيره إلى أحدهما، "فلم يجعل بينه وبينها شيئاً إلا الموت على ذلك" (٣١٥) وهذا يوجب للعبد مع الرجاء الخوف من الشرك.

---

(٣١٠)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٩٨)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٥).

(٣١١) رواه مسلم في صحيحه: (١/٩٤)، كتاب الإيمان، باب: من لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، حديث رقم: ١٥٢.

(٣١٢) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٩).

(٣١٣) حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٥٢)

(٣١٤) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٠).

(٣١٥) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله بن محمد الدويش:(ص: ٤٦)

وقد بين المصـــنف هذه الأوجه في مناســـباته بقوله: "الخامســـة: قرب الجنة والنار، السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد على عمل متقارب في الصورة" (٣١٦)

ثالثاً: أن هذا الخوف يزول بزوال الشرك، ولا خوف أشد من الشرك، ولهذا فإن النبي – ﷺ– قال في الحديث: "ومن لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة" ، ففيه فضيلة من سلم من الشرك، كما بين ذلك المصنف –رحمه الله– في المسألة الحادية عشرة(٣١٧).

رابعاً: أن هذا الحديث موضح لحديث ابن مسعود قبله، حيث إنه قال في حديث ابن مسعود: "يدعوا من دون الله ندا" ، وقال في حديث جابر: "يشرك بالله شيئا" ، فدل على أن الند هو الشـرك، ويكون حديث جابر مفسـرا لحديث ابن مسـعود، وهذا يوجب الخوف من الشرك الذي منه اتخاذ الند من دون الله(٣١٨)، ومما سبق يتبين لنا مناسبة الأدلة للباب.

---

(٣١٦) كتاب التوحيد: (ص: ١٢٩).

(٣١٧) انظر: كتاب التوحيد: ص: (١٣٠).

(٣١٨) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين(١/١٢٨).

المبحث الخامس: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه.

تمهيد

هذا المبحث هو الذي نصّ عليه المصنف بقوله: "باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله" (٣١٩)، ويحتوي هذا الباب على آية، وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) لباب (الخوف من الشرك) قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(٣١٩) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٣١).

المطلب الأول: مناسبة باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله للباب السابق.

مناسبة هذا الباب لما قبله من الأبواب من عدة أمور:

أولاً: أن العبد لما عرف التوحيد وأهميته وحقيقته وفضله، وعرف نقيضه وهو الشرك وخاف منه، وهو بذلك أكمل نفسه بمعرفته بالتوحيد؛ إذ السالك للصراط المستقيم بالتوحيد، إذا كان بين الخوف والرجاء يكون مهتدياً، فحينئذ يصلح للدعوة، فيكون هادياً مهدياً، لذلك أعقبه ببيان الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله(٣٢٠)

فلما عرف العبد الأبواب السابقة وما تحمله من معانٍ، وأصبح صالحاً للدعوة؛ كان لزاما عليه ألا يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو غيره إلى التوحيد والتحذير من الشرك؛ إذ إن التوحيد هو الأساس.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- مجليا المناسبة بين هذا الباب وما قبله من الأبواب:" لما بين المصنف رحمه الله الأمر الذي خلقت له الخليقة وفضله وهو التوحيد، وذكر الخوف من ضده الذي هو الشرك، وأنه يوجب لصاحبه الخلود في النار، نبّه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه كما يظن الجهال؛ ويقولون: اعمل بالحق واترك الناس وما يعنيك من الناس، بل يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما كان ذلك شأن المرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين، وكما جرى للمصنف وأشباهه من أهل العلم والدين والصبر واليقين(٣٢١) "(٣٢٢).

---

(٣٢٠) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور:(١/٣٨٤).

(٣٢١) وقد كان المصنف -رحمه الله- يعاني من هذه الشبهة في زمانه عندما نشر دعوته، فلقي من الجهال والمثبطين والخائفين من يجعل هذه الشبهة ديناً يدافع به ويسلي نفسه ويخذلها ويوهنها، والله المستعان.انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله البسام:(١/١٣٩وما بعدها)، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ.

(٣٢٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٩٩).

ثانياً: أن هذا التوحيد الذي دعا المصنف -رحمه الله- إلى الدعوة إليه هو أوجب الواجبات على العبد، وأولى الأمور التي يجب على العبد أن يدعو إليها؛ فلا يكمل إيمان العبد إلا بالدعوة إلى التوحيد، إذ إن الدعوة إلى التوحيد هو أولى المهمات وأوجب الواجبات، وقد بين الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- أن أول ما يجب على الداعية أن يبدأ به هو الدعوة إلى التوحيد، كما بين سبب كونه أول واجب، وأن الدعوة إلى التوحيد هو أصلها فيقول -رحمه الله-:"وإذا أراد الدعوة إلى ذلك، فليبدأ بالدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى شهادة أن: لا إله إلا الله، إذ لا تصح الأعمال إلا به، فهو أصلها الذي تبنى عليه، ومتى لم يوجد، لم ينفع العمل، بل هو حابط، إذ لا تصح العبادة مع الشرك، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ (٣٢٣). ولأن معرفة معنى هذه الشهادة هو أول واجب على العباد، فكان أول ما يبدأ به في الدعوة" (٣٢٤).

فكان "قصد الإمام المصلح رحمه الله من هذا الباب بيان وجوب دعوة الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والبعد عن كل ما يلوث عقيدة المسلم من شرك أو بدع أو خرافات"(٣٢٥).

ولا يتم إيمان العبد إلا إذا دعا إلى التوحيد، "وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره" (٣٢٦)، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟

---

(٣٢٣) سورة التوبة:١٧.

(٣٢٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٩٩).

(٣٢٥) الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول (ص: ٥٨).

(٣٢٦)حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٥٤).

﴿بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ (٣٢٧). فلا بد مع التوحيد من الدعوة إليه، وإلا كان ناقصا (٣٢٨).

ثالثاً: وأما بخصوص الباب السابق وهو الخوف من الشرك، وهذا الباب فهناك مناسبة ظاهرة بينة لمن تأملها، قال الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله–: "بوب الشيخ – رحمه الله – هذا الباب الذي عنوانه (باب الخوف من الشرك)، فكأنه يقول لك: إذا كنت تخاف من الشرك كما خاف منه إبراهيم – عليه السلام – وعرفتَ ما توعد الله به أهل الشرك من أنه لا يغفر لهم شركهم، فينبغي لك أن تعلم وأن تتعلم ما سيأتي في هذا الكتاب، فإن هذا الكتاب موضوع لتحقيق التوحيد، وللخوف من الشرك والبعد عنه، فما بعد هذين البابين: (باب من حقق التوحيد) و(باب الخوف من الشرك) تفصيل لهاتين المسألتين العظيمتين اللتين هما: تحقيق التوحيد، والخوف من الشرك؛ بيان معناه وبيان أنواعه" (٣٢٩).

رابعا: أن من استقام على التوحيد لابد أن يدعو إليه؛ لأن ذلك من شكر الله تعالى على نعمة الهداية إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ (٣٣٠).
"(٣٣١).

وأما مناسبة هذا الباب لما بعده من الأبواب هو أن ما بعد هذا الباب هو تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، فكأن المصنف يخبر العبد: أنه كما أنك تعلمت التوحيد على سبيل الإجمال وفضله وتحقيقه والخوف من الشرك، الآن أدعوك إلى الدعوة إلى معرفة تفاصيل التوحيد، وهذا من الأهمية بمكان؛ لأن كثيراً ممن عرف التوحيد إجمالاً اكتفى بذلك،

---

(٣٢٧) سورة العصر: ١-٣.

(٣٢٨) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٢٨)

(٣٢٩) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٤)

(٣٣٠) سورة القصص: ٧٧.

(٣٣١) انظر: المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله القصير (ص: ٤٥).

ولم يعرف تفاصيله؛ فوقع بسبب ذلك في الشرك، فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– تفصيلية وليست إجمالية(٣٣٢).

ومما سبق يتبين لنا مناسبة الباب لكتاب التوحيد.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

إذا نظر القارئ إلى مسائل الكتاب في هذا الباب، وجد أن المصنف –رحمه الله– أراد أن يبين أولوية الدعوة إلى التوحيد وغير ذلك مما يهم الداعية إلى الله، فالمصنف –رحمه الله– استنبط من الأدلة الآتية مسائل تختص بالدعوة إلى التوحيد، وما يتعلق بها، وتهتم بالداعية إلى الله – جل وعلا– والتي يجب عليه أن تكون نوراً مضيئاً له عند دعوته إلى التوحيد، فهي قواعد وأصول لمن أراد الدعوة إلى الله، فهذه هي مناسبة إيراد المصنف الأدلة في هذا الباب بشكل عام، وسنوضح من خلال ذكر الأدلة، القواعد والآداب المتعلقة بالدعوة إلى التوحيد، التي هي مناسبة إيرادها في الباب.

- **قال المصنف –رحمه الله–:" وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (٣٣٣). **الآية** "(٣٣٤).

وقد استنبط المصنف من هذه الآية المسائل الست الأولى المتعلقة بالدعوة إلى التوحيد، وما يجب على الداعية إلى الله تعالى على مناسبة الآية للباب وأنها مهمة في هذا الجانب؛ حيث إن الدعوة التي أول ما يبدأ به فيها التوحيد لا بد لها من قواعد وأصول يجب أن يسير عليها من أراد الدعوة إلى الله وتوحيده:

أولاً: أن الدعوة إلى الله هي طريقة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهي طريقة أتباعه ومن كان على منهجه، فيجب على من يدعي اتباعه أن يسير على طريقته –صلى الله عليه وسلم– وذلك بأن يدعو إلى الله – جل وعلا–.

---

(٣٣٢) انظر:المصدر السابق (ص: ٦٣)

(٣٣٣) سورة يوسف:١٠٨.

(٣٣٤) كتاب التوحيد: (ص: ١٣١).

يقول المصنف -رحمه الله- في مسائله:" الأولى: الدعوة إلى الله طريق من اتبعه -ﷺ- "(٣٣٥)،" وقد علم بالاضطرار أنه -ﷺ- قد امتثل أمر ربه، وبلغ ما أرسل به البلاغ المبين، فيلزم الداعي إلى الله – سبحانه- من أمته -ﷺ- أن يلتزم في دعوته ما في هذه الآيات من آداب الدعوة، ليتخلق بخلق سيد البشر -ﷺ-... "(٣٣٦)

فسبيل النبي -ﷺ- ومن اتبعه هي الدعوة إلى دين الله – عز وجل-، وهذا يتضمن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ففيها وجوب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله الذي هو موضوع الباب(٣٣٧).

وكأن المصنف -رحمه الله-، اقتدى بهذه الآية في منهجه وجعلها دليلا على طريقته في توضيح الحق ثم الدعوة إليه؛ فبعد أن ذكر الله –جل وعلا – في آيات سبقت هذه الآية الأدلة القاطعة على وجود الله؛ أمر نبيه -ﷺ- بأن يدعو الناس إلى إخلاص العبادة له وتوحيده – جل وعلا-، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله- في شرحه موضحاً هذا المعنى:" بعد أن بين الله سبحانه وتعالى في آيات سابقة لهذه الآية الدليل القاطع على وجود الله المتمثل في هذا الكون المحير للعقل في أحكامه ودقة نظامه، وخفاء أسراره، وما عليه البشر من غفلة عن التفكير في آيات الله على وحدانيته. أمر رسوله عليه الصلاة والسلام، أن يخبر الناس بأن طريقه هي الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له وحده... "(٣٣٨).

ثانياً: التنبيه على مسألة الإخلاص في الدعوة إلى الله، فالاتّباع لا يكفي في قبول العمل؛ بل لابد من الإخلاص في الدعوة، ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله –جل وعلا- من أجل العبادات، وهذه قاعدة مهمة في الدعوة إلى الله – جل وعلا-، وفي هذا يقول المصنف في مسائله:" الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه

(٣٣٥) المصدر السابق:(ص: ١٣٣).

(٣٣٦) فتح الحميد، لعثمان بن منصور (١/٣٨٤-٣٨٥)

(٣٣٧) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٦٣)، الملخص في شرح كتاب التوحيد، للفوزان (ص: ٤٧).

(٣٣٨) الدر النضيد على كتاب التوحيد: (ص: ٥٩)

"[339]. وقد استنبطها المصنف من قوله:: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [340]. الآية، فيدعو إلى الله وحده لا لشـــيء آخر من تحصـــيل جاه ومنزلة عند الناس وغيرهما، فإن ذلك ينافي الإخلاص[341].

ثالثاً: أن تكون الدعوة إلى الله عن علم ويقين لما قال -جل وعلا-:: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [342].، يقول ابن كثير-رحمه الله-:" يقول الله تعالى لعبده ورســوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرا له أن يخبر الناس: أن هذه سـبيله، أي طريقه ومسـلكه وسـنته، وهي الدعوة إلى شـهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، يدعو إلى الله بها على بصـيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسـول الله صـلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي... "[343]

وقد ذكر المصـنف -رحمه الله- هذه في المسـألة الثالثة بقوله:" الثالثة: أن البصـيرة من الفرائض "[344]، أي لما جعل أتباعه هم من يدعون إلى الله على بصـيرة؛ ومن لم يكن على بصـيرة؛ فليس من أتباعه، فدل ذلك على أن البصــيرة شــرط في الدعوة إلى الله ومن لم يدع إلى الله على بصــيرة فحري به ألا يستنفع بها ولا يقبل منه، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الدعوة إلى الله[345].

---

(339) كتاب التوحيد، (ص: 133).

(340) سورة يوسف:108.

(341) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش:(ص: 52).

(342) سورة يوسف:108.

(343) تفسير ابن كثير (4/ 422)

(344) كتاب التوحيد، (ص: 133).

(345) انظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: 178)، التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش:(ص: 52).

يقول ابن القيم -رحمه الله- موضحاً أن البصيرة لازمة في الدعوة:" فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعين إلى الله على بصيرة. فمن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة. وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى "(٣٤٦).

وقد بين الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه المسألتين السابقتين (الإخلاص والبصيرة) فقال بعد ذكر تفسير ابن كثير -رحمه الله- للآية مبينا مناسبة الآية للباب:" قلت: فتبين وجه المطابقة بين الآية والترجمة. قيل: ويظهر ذلك إذا كان قوله: ﴿ومن اتبعني﴾ عطفًا على الضمير في ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ (٣٤٧)، فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة إلى الله تعالى، وإن كان عطفًا على الضمير المنفصل، فهو صريح في أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون من عداهم، والتحقيق أن العطف يتضمن المعنيين، فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله "(٣٤٨)، وتقدم قريبا في المناسبة بين هذا الباب وما قبله من الأبواب أن مقصود الشيخ - رحمه الله — هو أن على الداعية أن يتعلم العلم، ويتبين التوحيد ويعرف أهميته وفضله، ومن ثم يدعوا إلى الله على بصيرة.

رابعاً: لابد في الدعوة إلى الله أن يوضح الداعية إلى الله محاسن التوحيد ودلائله وآثاره، وكذلك يوضح الشرك وقبحه، والتحذير مما لا يليق به، ومن هذه المحاسن ما ذكره المصنف في مسائله وهو كون التوحيد تنزيه لله عن المسبة، فالذي يشرك مع الله هو في الحقيقة متنقص لله — سبحانه-، وقد ذكر المصنف -رحمه الله- هذه الفائدة في مسألتين بقوله:" الرابعة: من حسن التوحيد: أنه تنزيه له تعالى عن المسبة، الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله "(٣٤٩). وقد استخرجهما المصنف -رحمه الله- من قوله تعالى:" وسبحان الله "، وذلك أنه نزه الله أن يكون له شريك، يقول ابن كثير -رحمه الله-:" وقوله: ﴿وسبحان الله﴾ أي: وأنزه الله وأجله وأعظمه

---

(٣٤٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية(٢/ ٤٥١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ببيروت ط٣، ١٤١٦ هـ .

(٣٤٧) سورة يوسف:١٠٨.

(٣٤٨) تيسير العزيز الحميد، (١/٣٠٠).

(٣٤٩) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٣)

وأقدسه، عن أن يكون له شريك أو نظير، أو عديل أو نديد، أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوا كبيرا "(٣٥٠)

فدل على أن إفراده بالعبادة حسن مطلوب مأمور به، كذلك لما نزه نفسه –سبحانه– دل على قبح الشرك وفاعله(٣٥١).

فبين في هاتين المسألتين أنه على الداعي أن يبين في دعوته أن الشرك قبيح وهو مسبة لله –سبحانه–، ويجب على المسلم أن ينزه الله عنه. وهذا أصل آخر من أصول الدعوة إلى الله، وهو أنه لا يكتفى بذكر محاسن التوحيد، دون التنزيه والتحذير مما يناقضه، بل إن من محاسن التوحيد التنزيه عن كل ما لا يليق به –سبحانه– والتحذير منه وعدم تلبس الداعية به في دعوته إلى الله، وهذه لفتة جميلة من المصنف –رحمه الله–، وتنبيه لطيف؛ حيث إنه جعل هذا المعنى في مسألتين ليتنبه الداعي إلى الله على ذلك في دعوته إلى التوحيد، ويحرص عليه.

خامساً: أنه لابد على الداعية إلى الله أن يتبرأ من المشركين، ويبتعد كل البعد ويبعد غيره عن الشرك وأهله، كما في هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ (٣٥٢)، ويجب عليه أن يتنبه على أن من لم يتبرأ من المشركين صار منهم ولو لم يشرك، وقد بين المصنف –رحمه الله– هذا المعنى في مسائله فقال:" السادسة: –وهي من أهمها– إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك "(٣٥٣). يقول ابن قاسم –رحمه الله– في قوله –جل وعلا– ﴿وما أنا من المشركين﴾:" في الاعتقاد والعمل والمسكن، لست منهم ولا هم مني، بأي نسبة كانوا بحيث لا يعد منهم بوجه من الوجوه، إن نظر في الاجتماعات فليس منهم، وإن جلسوا في المجالس فليس منهم، وإن خرجوا إلى المحافل فليس منهم، فليس منهم في أي حال من الأحوال، وفيه

---

(٣٥٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢)

(٣٥١) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش:(ص: ٥٢).

(٣٥٢) سورة يوسف:١٠٨.

(٣٥٣) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٣)

وجوب الهجرة، وهو معلوم بالكتاب والســـنة والإجماع، وبذلك يظهر وجه المطابقة بين الآية والترجمة "(٣٥٤).

وقد جمع الإمام الطبري -رَحِمَهُ اللَّهُ- هذه المســـائل في تفســـيره للآية فقال -رَحِمَهُ اللَّهُ-:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل﴾ يامحمد ﴿هذه﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سبيلي﴾وطريقتي ودعوتي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ (٣٥٥) وحده لا شريك له ﴿على بصيرة﴾ بذلك ويقين علم مني به، ﴿أنا و﴾ يدعو إليه على بصيرة أيضـا ﴿من اتبعني﴾وصـدقني وآمن بي ﴿وسـبحان الله﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شـريك في ملكه، أو معبود ســواه في ســلطانه، ﴿وما أنا من المشـركين﴾يقول: وأنا بريء من أهل الشـرك به، لسـت منهم، ولا هم مني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل "(٣٥٦)، وقد التزم الصحابة - رضي الله عنهم — هذا المنهج النبوي في الدعوة إلى التوحيد، فنشروه في المعمورة، وقد ذكر الشيخ فيما سيأتي حديث ابن عباس - رضـي الله عنهما — في بعث معاذ إلى اليمن، وأمر النبي - صـلى الله عليه وسـلّم — له بأن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد، وكذلك حديث سهل - رضي الله عنه -، فكأن ما سيورده الشيخ بعد هذه الآية تفصيل لها وتطبيق من الصحابة لتلك الدعوة.

ومما سبق تبين لنا مناسبة الآية للباب.

- **قال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ-:" عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن رسول الله - ﷺ- لما بعث معاذا إلى اليمن قال له:" إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله "-وفي رواية:" إلى أن**

(٣٥٤) حاشية كتاب التوحيد، (ص: ٥٥)

(٣٥٥) سورة يوسف:١٠٨.

(٣٥٦) تفسير الطبري: (١٣/ ٣٧٨-٣٧٩)

يوحدوا الله[٣٥٧]، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ". أخرجاه[٣٥٨]" [٣٥٩]

هذا الحديث يدل على الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ووجه ذلك من عدة أمور:

أولاَ: أن النبي -ﷺ- بعث معاذا إلى اليمن، وهذا فيه الدعوة إلى الله، وإرسال الدعاة لذلك[٣٦٠]، "فأول شيء طلبه النبي -ﷺ- منه هو الدعوة، فقال له:" فليكن أول ما تدعوهم "، فدل على أنه بعث داعياً، وبعد أن يستجيبوا عليك أن تعلمهم..." [٣٦١]، وهذا من أجل إقامة الحجة عليهم، فإن الله -جل وعلا- لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل، قال -جل وعلا-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [٣٦٢].

ثانياَ: وصيته وأمره -ﷺ- لمعاذ -رضي الله عنه- أن أول ما يدعوهم إليه هو التوحيد؛ وهذا مأخوذ من قوله -ﷺ-: "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله" -وفي رواية: "إلى أن يوحدوا الله-" يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- مبينا هذا المعنى وأن المراد هو الدعوة إلى التوحيد: "وأشار المصنف رحمه الله بإيراد هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، إذ معناها توحيد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه. فلذلك جاء

---

(٣٥٧) وهذه رواية البخاري -رحمه الله-، (٩/ ١١٤) كتاب:التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم ٧٣٧٢.

(٣٥٨) رواه البخاري في صحيحه: (٥/ ١٦٢)، كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم: ٤٣٤٧، ورواه مسلم في صحيحه: (١/ ٥٠)، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام،حديث رقم: ١٩.

(٣٥٩) كتاب التوحيد: (ص: ١٣٢).

(٣٦٠) انظر: الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٠).

(٣٦١) السبك الفريد، لابن جبرين -رحمه الله-: (١/١٣٧).

(٣٦٢) سورة الإسراء:١٥.

الحديث مرة بلفظ" شـهادة أن لا إله إلا الله "ومرة" إلى أن يوحدوا الله ". ومرة" فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله... فلله ما أفقه من روى هذا الحديث بهذه الألفاظ المختلفة لفظًا المتفقة معنى! فعرفوا أن المراد من شـهادة أن لا إله إلا الله هو الإقرار بها علمًا ونطقًا وعملاً، خلافًا لما يظنه بعض الجهال أن المراد من هذه الكلمة هو مجرد النطق بها، أو الإقرار بوجود الله أو ملكه لكل شـيء من غير شـريك، فإن هذا القدر قد عرفه عباد الأوثان وأقروا به، فضلاً عن أهل الكتاب، ولو كان كذلك لم يحتاجوا إلى الدعوة إليه.... "(٣٦٣). وقد أشـار المصنف -رحمه الله- في مسـائله المعنى الأخير الذي أورده صـاحب التيسـير من أن مجرد النطق بالشـهادتين أو معرفتها أو الإقرار بها، لا تكفيان في دخوله للإسـلام، فقال -رحمه الله-:" العاشـرة: أن الإنسـان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها "(٣٦٤).

وقد أشار كذلك المصنف -رحمه الله- في مسائله الهدف من ذكر ألفاظ الحديث؛ للدلالة على أن المراد هو الدعوة إلى شـهادة أن لا إله إلا الله، حيث قال في مسـائله -رحمه الله-:" التاسعة: أن معنى: "يوحدوا الله" هو معنى شهادة: أن لا إله إلا الله "(٣٦٥).

وقد ذكر البخاري الحديث بنحوه في صحيحه بكتاب التوحيد، باب (ما جاء في دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)(٣٦٦) ، مما يدل على أن هذا الحديث رأس في بيان التوحيد والدعوة إليه وأنه يحتوي على قواعد مهمة للداعي إلى الله وإلى توحيده، ومن هنا تظهر مناسبة إيراد المصنف له في الباب.

فالتوحيد هو أول وأوجب الواجبات التي ينبغي للداعية أن يدعو إليها، يقول الإمام عبد الهادي العجيلي -رحمه الله- في شرحه:" "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا

---

(٣٦٣) تيسير العزيز الحميد: (١/٣٠٣-٣٠٤).

(٣٦٤) كتاب التوحيد:(ص:١٣٤).

(٣٦٥) كتاب التوحيد:(ص:١٣٤).

(٣٦٦) انظر: صحيح البخاري، (٩/ ١١٤).

الله" وفي رواية: (إلى أن يوحدوا الله) في الحديث دليل على أن التوحيد مفتاح الدعوة يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة، وهو أول واجب على الإنسان فيبدأ بالأهم فالأهم "[٣٦٧].

وقد أوضح المصنف -رحمه الله- ذلك في مسائله فقال:" السابعة: كون التوحيد أول واجب"[٣٦٨]، ثم أكد هذا المعنى ووضحه؛ لينبه الناس على أن التوحيد هو أهم المهمات، ولا تكفي الدعوة إلى العبادات الظاهرة، فقال:" الثامنة: أنه (يقصد التوحيد) يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة "[٣٦٩]، بل وجعل ذلك منهجاً وقاعدة يجب على الداعية إلى الله أن يلتزم بها ويجعلها أساساً في دعوته فقال -رحمه الله-:" الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم "[٣٧٠]، وزاد -رحمه الله- الأمر توضيحاً وبين أن هذا هو التدرج الذي ينبغي أن يقوم به الداعية إلى الله، فقال -رحمه الله-:" الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدرج "[٣٧١].

ثالثا: وفي قوله – صلى الله عليه وسلّم –:" إنك تأتي قوما من أهل الكتاب "، فيه دليل على أن الداعية عليه أن يتعلم –كما سبق-، فإنه – صلى الله عليه وسلّم – أخبره بذلك لأمرين:

الأول: أن يكون بصيرا بأحوال من يدعوا.

الثاني: أن يكون مستعدا لهم؛ لأنهم أهل كتاب، وعندهم علم [٣٧٢].

ومما سبق يتبين لنا مناسبة الحديث للباب.

---

(٣٦٧) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٩٧)

(٣٦٨) كتاب التوحيد:(ص:١٣٣).

(٣٦٩) نفس المصدر

(٣٧٠) نفس المصدر:(ص:١٣٤).

(٣٧١) نفس المصدر

(٣٧٢) انظر: القول المفيد، لابن عثيمين (١/١٣٢).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" ولهما عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال يوم خيبر: "لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه" . فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله -ﷺ- كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: "أين علي بن أبي طالب؟" فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع! فأعطاه الراية، فقال: "انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من حمر النعم"** (٣٧٣)**، يدوكون أي: يخوضون** "(٣٧٤).

هذا الحديث يدل على الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقد ساق المصنف هذا الحديث ليبين أن أول الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله؛ حيث إن المصنف -رحمه الله- ذكر حديث ابن عباس السابق وفيه:" فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله "، ثم ساق هذا الحديث وفيه:" ثم ادعهم إلى الإسلام؛ ليبين أن أول الإسلام هو التوحيد، وهذا وجه من أوجه إيراد المصنف لهذا الحديث في هذا الباب. يقول صاحب الدر النضيد على أبواب التوحيد، ليبين أن حديث ابن عباس السابق يوضح حديث سهل: "قال: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»، وهنا أمره أن يدعوهم إلى الإسلام الذي دلَّت عليه شهادة أن لا إله إلاّ الله، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة" (٣٧٥).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- مبيناً أن الدعوة إلى الإسلام المقصود بها التوحيد: "

---

(٣٧٣) رواه البخاري في صحيحه: (٥/ ١٣٤) كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، حديث رقم: ٤٢١٠، ومسلم في صحيحه: (٤/ ١٨٧٢)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ــرضي الله عنهــ، حديث رقم: ٢٤٠٦ .

(٣٧٤) كتاب التوحيد:(ص:١٣٢).

(٣٧٥) سليمان الحمدان (ص: ٦٥).

قوله:" ثم ادعهم إلى الإســـلام "، أي: الذي هو معنى شـــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومن هذا الوجه طابق الحديث الترجمة" (٣٧٦).

ويقول الشيخ إسحاق بن عتيق في حاشيته: "قوله:" ثم ادعهم إلى الإسلام "الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وترك الشرك، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ومن هذا الوجه طابق الحديث الترجمة" (٣٧٧).

وهذا يدل على وجوب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله ابتداءً؛ وما شرع القتال إلا لأجلها، فلا بد من قيام الحجة قبل القتال إذا لم يكن قد دعوا من قبل، أما إذا دعوا من قبل فتكرار الدعوة مرة أخرى سنة، ووجه كونه سنة؛ لأنه دعوة ليهود خيبر، ويهود خيبر دعوا إلى الإســـلام قبل ذلك، وقد أغار النبي -ﷺ- على بني المصـــطلق وهم غافلون، لأنهم بلغتهم الدعوة(٣٧٨). يقول الشـــيخ ســـعيد الجندول-رحمه الله-، عن هذا الحديث مؤكداً هذا المعنى: "وهذا دليل أكيد على أن أجر هداية الناس إلى الخير لا يعدله أجر، وأن الإســـلام لا يأمر بقتال الأعداء إلا بعد رفضهم لدين الله وتهديدهم لدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام." (٣٧٩)

وقد بين المصنف -رحمه الله- ذلك في مسائله، فقال: "الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال. السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا" (٣٨٠)ومعنى مشروع أي غير واجب.

أيضاً من الأمور التي تؤخذ من هذا الحديث ما ذكره المصنف -رحمه الله- في مسائله فقال: "الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين -ﷺ-، وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء" (٣٨١)، وهذا أصل من أصول الدعوة إلى التوحيد، التي لابد من الداعية

---

(٣٧٦) تيسير العزيز الحميد،(١/ ٣١٩)

(٣٧٧) حاشية كتاب التوحيد، (ص: ٢٧)

(٣٧٨) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله: (١/٣٢١).

(٣٧٩) الدر النضيد على كتاب التوحيد، (ص: ٦٣).

(٣٨٠) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٥).

(٣٨١) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٤).

إلى الله وكذلك من تبلغه الدعوة من الدعاة أن يتنبهو لها؛ حيث إن ما حصل للنبي -ﷺ-، وصحابته يوم خيبر من الجوع، وكذلك ما حصل لعلي -رضي الله عنه- من الرمد يدل على أنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا دفعاً، فكيف بغيرهم؛ فلا يصرف لهم شيء من العبادة؛ بل ذلك كله حق لله -تعالى-[٣٨٢].

أيضاً مما يؤخذ من الحديث أنه ينبغي على الداعية أن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبين للناس ما يجب عليهم من حق الله تعالى في الإسلام، وقد ذكر المصنف -رحمه الله- هذا المعنى في مسائله فقال: "السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله:" أخبرهم بما يجب عليهم "، الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام." [٣٨٣]، فلم يقل عنفهم، ولا قال: ازجرهم، وإنما أمره بأن يحسن كلامه معهم، ويخبرهم بحق الله تعالى في الإسلام، وهو التوحيد؛ فينبغي صرف الوقت في معرفة التوحيد وتحقيقه وتعليمه؛ لأنه حق الله على العبد، طمعاً في أن يهديهم الله - جل وعلا- على يديه بدون قتال؛ وهذا ملحظ مهم وهو أن يدعو الإنسان إلى التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، فالغلظة والشدة في الدعوة تنفر الناس عن الحق وتبغضهم فيه[٣٨٤]، يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [٣٨٥]، الآية.

ومما سبق يتبين لنا مناسبة الحديث للباب.

---

(٣٨٢) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش(ص:٥٤).

(٣٨٣) كتاب التوحيد:(ص: ١٣٥-١٣٦).

(٣٨٤) انظر: المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد بن عبد العزيز الهويسين(١/٧٥)، دار العاصمة، ط١، ١٤٣٧هـ.

(٣٨٥) سورة النحل:١٢٥.

المبحث السادس: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللّه.

تمهيد

هذا المبحث هو الذي نصّ عليه المصنف بقوله: "باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله" [386]، ويحتوي على أربع آيات، وحديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) لباب (الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(٣٨٦) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٣٧).

المطلب الأول: مناسبة باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله للباب السابق.

إذا رجعنا إلى المبحث الأول وهو: استفتاح المؤلف - رحمه الله – لكتاب التوحيد وجدنا أن من الشراح من قال بأنه لبيان معنى التوحيد، وأن هذا الباب إنما هو مزيد بيان وإيضاح لمعنى التوحيد، ومنهم من قال بأن الباب الأول إنما هو لبيان حكم التوحيد ووجوبه وأهميته وأن هذا الباب هو لبيان معنى التوحيد وتفسيره[٣٨٧]، ومنهم من قال بأن الباب بيان لمجمل معنى التوحيد، وفي هذا الباب بيان تفصيلي للتوحيد؛ لذلك تعرض فيه لعبادة الأحبار والرهبان، ولموالاة الكفار، وتبرؤ إبراهيم منهم، والأنداد التي تحَب كحب الله؛ ولأجل زيادة تفسير التوحيد تلا هذا الباب أبواب كثيرة تفسر التوحيد ببيان ضده من الشرك[٣٨٨].

فكأن هذا الباب هو نهاية المقدمة للكتاب، كما هو واضح من كلام المصنف – رحمه الله– عندما قال في نهاية مسائله لهذا الباب: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب" [٣٨٩]، وهذا يؤيد أن هذا الباب هو زيادة إيضاح وتفسير لمعنى التوحيد كما تقدم، يقول الشيخ سعيد الجندول–رحمه الله–: "قصد داعية التوحيد رحمه الله من هذا الباب زيادة الإيضاح لمعنى كلمة التوحيد الذي تقدم الكلام عليه في الأبواب السابقة، لما في الآيات المذكورة في هذا الباب من زيادة إيضاح، ولحرص الشيخ رحمه الله على صفاء عقيدة المسلم؛ أورد هذا الباب؛ لما فيه من معان جديدة ينبغي للمسلم معرفتها" [٣٩٠]، ويقول ابن قاسم–رحمه الله–: "فالتفسير تارة بذكر ما تحت اللفظ من معنى، وتارة بذكر الضد والمنافي" [٣٩١] فالمتفق عليه عند الشراح أن هذا الباب هو لبيان معنى التوحيد وتفسيره كما هو واضح من ترجمة المصنف.

---

(٣٨٧) انظر الخلاف في مناسبة الباب الأول.

(٣٨٨) انظر: مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد، لعبد المنعم إبراهيم (٢/٦٦٦)

(٣٨٩) كتاب التوحيد: (ص:١٣٨)، وسيأتي مراد المصنف بهذه الجملة، عند الكلام عن مناسبة أدلة الباب له.

(٣٩٠) الدر النضيد على كتاب التوحيد، (ص: ٦٥)

(٣٩١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٦٦)

والحاجة ماسة جدا لتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، فإن المصنف -رحمه الله- ابتلي في وقته بمن عنده علم ويؤلف الكتب، لكنه لا يعرف ولا يفهم التوحيد، فلهذا ابتدأ بتفسير التوحيد وبين فيه شيئا من هذه المعاني، والتي تكون منتشرة في عصره ورائجة بين الناس، وألفوها، فحذر منها[٣٩٢]، وبين أنها من أعظم الأمور التي تخل بالتوحيد، بل وتنقل العبد من الإسلام إلى الكفر والعياذ بالله، بل إن بعضهم ممن ينسبون إلى العلم وأهله، تجد عندهم من الشركيات الشيء العجيب، بل إن منهم من يرى أنها قربة وطاعة، كالتوسل إلى الصالحين، ودعائهم والتقرب إليهم.

ويشهد لهذا الكلام ما ذكره المصنف -رحمه الله- في أحد رسائله، يوضح فيه كيف أن الشرك شاع في الأمة في وقته وخاصة التوسل بالأولياء والصالحين الذي هو الشرك الأكبر فيقول -رحمه الله-: "... لكن المشركون في زماننا أضل من الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين:

أحدهما: أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء، وأما في الشدائد فيخلصون لله الدين،... والثاني: أن مشركي زماننا يدعون أناساً لا يوازنون عيسى والملائكة، إذا عرفتم هذا، فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام: هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابي كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح، وهذا يدعوه في الضراء وفي غيبته، وهذا ينذر له... وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع، حتى إن كثيراً ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فما بالكم لم تفشوه في الناس، وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله، مخرج عن الإسلام؟..." [٣٩٣]

وقد صرح في موضع آخر أن ممن يسموهم علماء في بعض المناطق من وقع في الشرك ولا يعرف حقيقة التوحيد، بل آمن بتوحيد الربوبية فقط[٣٩٤]، ومما يؤكد ويقوي هذا المعنى

---

(٣٩٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، لعبد الله الغنيمان (١/٢٠٧)

(٣٩٣) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس الرسالة التاسعة عشره: رسالته إلى محمد بن عبيد وعبد القادر العديلي وغيرهم) (٦/ ١٢٦-١٢٥)

(٣٩٤) انظر: الرسالة الثالثة عشرة رسالة في توحيد العبادة (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الأول (١/ ٣٩٨).

أنه عند النظر إلى مسائل الباب، وجدنا أن المصنف -رحمه الله- فصل في شرحه للأدلة فيها؛ فتجده يؤكد على أن تفسير التوحيد من أكبر المسائل، ثم يبين أنه وضح التوحيد بأمور واضحة، ثم ذكر الأدلة الموضحة لهذا التوحيد مع شرح جامع لها، للدلالة على أن التوحيد لا ينفك عن الحذر من هذه الأمور الشركية التي ذكرها(٣٩٥)، بل إن المصنف -رحمه الله- جعل مسائل الباب كلها تابعة إلى مسألة واحدة ذكرها أولاً وهي تفسير التوحيد، ثم قال "ومنها..." ، فدل ذلك على أن الباب كله ومسائله التي بعده إنما تتكلم عن مسألة واحدة وهي تفسير وتوضيح التوحيد، ثم في نهاية مسائلة قال -رحمه الله-: "فيا لها من مسألة ما أجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع" (٣٩٦)، وهذا الكلام يدل على أن هذه المسائل المذكورة في هذا الباب هي أهم ما يفسر التوحيد، وأنها هي التي ضل فيها في عصره من ضل وانحرف عن ذلك من القبوريين وغيرهم بل حتى ممن ينسبون إلى الصلاح والعبادة والعلم.

أيضا فإن البعد عما ذكره المصنف في الأدلة من التوسل بالصالحين وطاعة غير الله ومحبته كمحبته لله، هو من تمام تحقيق تفسير التوحيد، يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: "ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها: البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله، أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى لا إله إلا الله أشد المنافاة" (٣٩٧).

وأما مناسبة الباب للباب الذي قبله، فتتضح في النقاط التالية:

أولا: أنه لما ذكر المصنف التوحيد وفضله والخوف من ضده والدعوة إليه، فكأن النفوس تتطلع إلى معرفة ما هو هذا التوحيد الذي اهتم به المصنف وما ذكر في فضله ووجوبه والخوف من ضده والدعوة إليه، فجاء بهذا الباب لتفسير التوحيد الذي ينبغي للعبد أن يتصف به، وأنه ليس المراد فقط هو مجرد النطق بها أو الإقرار فقط، دون البراءة من كل ما سوى الله.

---

(٣٩٥) انظر: كتاب التوحيد: (ص: ١٣٩)

(٣٩٦) كتاب التوحيد: (ص:١٤٠)

(٣٩٧) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٩)

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- مبينا هذا المعنى: "ولما ذكر المصنف في الأبواب السابقة التوحيد وفضائله، والدعوة إليه، والخوف من ضده الذي هو الشرك، فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر العظيم الذي خلقت له الخليقة، والذي بلغ من شأنه عند الله أن من لقيه به غفر له، وإن لقيه بملء الأرض خطايا؛ بين رحمه الله في هذا الباب أنه ليس اسمًا لا معنى له، أو قولاً لا حقيقة له، كما يظنه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الشهادة من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معنى الإله هو الخالق المتفرد بالملك، فتكون غاية معرفته هو الإقرار بتوحيد الربوبية، وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، ولا هو أيضًا معنى" لا إله إلا الله "وإن كان لا بد منه في التوحيد بل التوحيد اسم لمعنى عظيم، وقول له معنى جليل هو أجل من جميع المعاني.

وحاصله هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله، وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وهو معنى" لا إله إلا الله "... أما قول الإنسان:" لا إله إلا الله "من غير معرفة لمعناها، ولا عمل به، أو دعواه أنه من أهل التوحيد، وهو لا يعرف التوحيد، بل ربما يخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير ذلك من أنواع العبادات، فلا يكفي في التوحيد، بل لا يكون إلا مشركًا والحالة هذه، كما هو شأن عباد القبور" (٣٩٨).

ثانيا: أن إفراد المصنف هذه الترجمة بتفسير التوحيد، مع أن ما قبلها وما بعدها يوضح التوحيد؛ ليبين المصنف التوحيد الذي يجب على الإنسان أن يؤمن به ويعمل به، حيث إن المصنف ـ رحمه الله ـ أراد أن يؤكد معنى التوحيد، وأن يبين التوحيد أكثر بيان، لشدة لبسه عند كثيرٍ من الناس في زمنه، ولمخالفة كثيرٍ من الخلق إياه في زمنه -رحمه الله-، ففيه -مثلا- رد على من أقر بالتوحيد لكنه تعلق بالأنبياء والصالحين يدعوهم ويتقرب إليهم ويسألهم...، فالمصنف فسر التوحيد بأنه ترك عبادة كل ما سوى الله -جل وعلا- وقد ذكر المصنف -رحمه الله- في أدلة الترجمة ما يدل على هذا المعنى، بل إن المصنف -رحمه الله- بين في مسائله هذا

---

(٣٩٨) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٣٢٧)

المعنى[٣٩٩]، وأنه لا يكفي التلفظ بكلمة التوحيد، بل ولا التعرف لمعناها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كون الإنسان لا يدعو إلا الله وحده، لكن لابد عليه أن يضيف الكفر بما يعبد من دون الله -جل وعلا-، ولأجل هذا أتى المصنف بهذا الباب لإيضاح هذا الأمر، وهذا يؤكد أيضاً ما ذكره الشيخ سليمان في شرحه في مناسبة هذا الباب للذي قبله، والذي تقدم قريبا.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى" لا إله إلا الله "وما تضمنته من التوحيد كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [٤٠٠]، وسابقها ولاحقها. وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها، فما فائدة هذه الترجمة؟.

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه: من توحيد العبادة..." [٤٠١].

وقد أشار الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- إلى هذه المعاني فقال: "أما قول الإنسان:" لا إله إلا الله "من غير معرفة لمعناها، ولا عمل به، أو دعواه أنه من أهل التوحيد، وهو لا يعرف التوحيد، بل ربما يخلص لغير الله من عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير ذلك من أنواع العبادات، فلا يكفي في التوحيد، بل لا يكون إلا مشركًا والحالة هذه، كما هو شأن عباد القبور" [٤٠٢]

ثالثا: أن الداعي إلى التوحيد لابد أن يدعوا على بصيرة -كما وضح ذلك المصنف -رحمه الله- في الباب الذي قبله-، فكان من لازمه معرفة التوحيد وما يحتويه من توضيحات، ليتصف بهذه الصفة.

---

(٣٩٩) انظر: كتاب التوحيد: (ص: ١٤٠).

(٤٠٠) سورة الإسراء:٢٣.

(٤٠١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٢)

(٤٠٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٦)

فكأنه لما عرف التوحيد على الإجمال ورغب فيه ورهب من ضده من الشرك بيّن أنك الآن تأهلت للدعوة، لكن هذا القدر لا يكفي للاستمرار، فينبغي أن نشرح لك على التفصيل، فناسب لاستمرارية الدعوة أن يذكر بعد الدعاء إلى لا إله إلا الله أن يذكر على التفصيل ومعنى الشهادة(٤٠٣).

يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله-: "لما ذكر -رحمه الله- الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله، ذكر تفسيرها؛ ليكون الداعي من دعوته إليها على جلية، وجعل ما بعد هذه الترجمة من التراجم شرحا لها؛ لتعلقها كلها -بل الدين كله- بذلك" (٤٠٤).

ويقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "مناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة؛ لأن الباب الذي قبله:" باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله "، وهذا الباب في تفسير هذه الكلمة، وبيان معناها، لأن الذي يدعو إلى شيء ويطلب من الناس أن يفعلوه، فلابد أن يبيّنه لهم، ويوضّحه لهم توضيحاً تامًّا، ولا يكتفي بمجرد أن يقول للناس قولوا: لا إله إلاَّ الله أو يقول للناس: ادخلوا في الإسلام، بل لابد أن يبين لهم معنى لا إله إلاَّ الله، وأن يبين لهم معنى الإسلام الذي يدعوهم إليه، ولابد مع ذلك أن يبَيّن لهم ما يناقض الإسلام، وما يناقض لا إله إلاَّ الله، من أنواع الرِّدّة، وأنواع الشرك، حتى تكون دعوته مُثمرة، وحتى يستفيد الناس من دعوته، أما أن يدعوَهم إلى شيء مجمل، فهذا لا يكفي" (٤٠٥).

رابعا: المصنف -رحمه الله- أتى بهذا الباب بعد ما قبله من التراجم؛ ليبين -والله أعلم- أن هذا الباب هو أهم الأهداف والمقصد والغاية الأساسية الذي لأجله صنف الكتاب، وهو تفسير وتوضيح التوحيد، فسهّل على القارئ معرفة مراده؛ ليكون القارئ على دراية بالكتاب، فما كل من قرأ الكتاب أنهاه وختمه، فيحظى بفكرة الكتابِ القارئُ المتعجل في قراءته، والمترددُ في قبول كتابه، والمعاندُ والحاسدُ والحاقدُ والمتهاونُ، والمتكاسلُ، والمسوّفُ... فيحصل أولاً: توضيح الهدف والمراد، وثانياً: تشويق القارئ للقراءة وإكمال الكتاب، ليفهم معنى

---

(٤٠٣) انظر: مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد، لعبد المنعم إبراهيم (٢/٦٦٦-٦٦٧)، بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد لمنصور الصقعوب، (ص ٧١).

(٤٠٤) فتح الحميد(٢/٤٣٢)

(٤٠٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٢٢)

وتفسير التوحيد، فالمصنف يعرض حجته بأسلوب قويٍّ رصينٍ أصيلٍ قائمٍ على الكتاب والسنة وبعض الأثر.

وقد جمع الشيخ -رحمه الله- في عنوان هذا الباب بين اللفظتين: تفسير التوحيد ووشهادة أن لا إله إلا الله؛ ليبين أن معنى التوحيد هو لا إله إلا الله، وأن معنى لا إله إلا الله هو التوحيد، فلا يخفى على أحد ذلك؛ فيعتقد أن التوحيد غير الشهادة، بل هما شيء واحد(٤٠٦).

فتخلص من هذا أن هذا الباب هو مزيد بيان وإيضاح وتأكيد لمعنى التوحيد وتفسيره، وكذلك فإنه بمثابة القاعدة في تفسير التوحيد، وما بعد هذه الترجمة من التراجم إنما هو شرح لهذه القاعدة العظيمة التي جعلها المصنف في أدلة تحت هذه الترجمة، فما أجمله من ترتيب متناسق وفقه بمهمات هذا الدين العظيم وتقديم للأهم ثم الأهم.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ما سيذكره الشيخ - رحمه الله — من النصوص إنما هم نماذج دالة فيما يظهر تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن تلك النصوص التي أوردها هنا عقد لبعضها أبوابا في كتابه هذا، ولعله اختار أشهر ما يقع فيه المخالفون للتوحيد، ويشتبه به الملبسون على الناس، فيقعوا فيما يناقض التوحيد.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المصنف -رحمه الله- جعل هذه النصوص التي أوردها هنا تفسيرا للتوحيد بمزيد إيضاح عن الباب الأول لكنه على سبيل الإجمال، ومن أراد تفسير التوحيد على سبيل التفصيل فدونك ما بعد هذه الترجمة، فهي تفصيل شاف ووافٍ لمن أراد الاستزادة واليقين، ويتبين ذلك عند ذكر مناسبات الأبواب اللاحقة لهذا الباب.

وقد ذكر صاحب فتح الله الحميد المجيد -رحمه الله- كلاماً بديعاً يعتبر خلاصة للأربع الآيات التي ذكرها المصنف -رحمه الله- في هذا الباب، فقال -رحمه الله-(٤٠٧): "والشيخ -

(٤٠٦) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٢٣)

(٤٠٧) حامد بن محمد بن حسين، (ص: ١٩١).

ﷺ- قد ذكر للإسلام والتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله أربع آيات من كتاب الله هن له كالقواعد حيث لا وجود له ولا ثبات إلا بها، وهن أم المسائل التوحيدية وأصلها، حيث إن المسائل تتولد منها وتنتج وتتفرع منها تفرع الأغصان من أصل الشجرة" .

فبين -ﷺ- مناسبة تليق بالترجمة كاملة، وكذلك هي مناسبة للآيات الأربع، فهي بمثابة القواعد التي تشرح وتفسر التوحيد، وما بعد هذه الترجمة إنما تتفرع من هذه الآيات.

ثم بين -ﷺ- وجه العلاقة بين هذه الآيات الأربع وأن كل واحدة مرتبطة بالأخرى، وأنها بمثابة المنازل المتوالية، التي لا تقدم أحدها على الأخرى، فقال: "... لكن الآيات المذكورات في ترقي مراتبها كأربع درجات ما لم ترق الأولى لم ترق الثانية، وما لم ترق الثانية لم ترق الثالثة، وما لم ترق الثالثة لم ترق الرابعة" ، ثم شرح كيف أن هذه الآيات متتابعة ومتوالية على التفصيل، وأنها بالترتيب المذكور تكون مفسرة للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، فقال -ﷺ- مبتدئاً بشرح الآية الأولى وهي قوله -جل وعلا-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ۝٥٧﴾ (٤٠٨)، ثم ما بعدها من الآيات: "اعلم أن هذه الآية اشتملت على ثلاث فوائد يلزمك أن تؤمن بها وتعمل بمقتضاها وتنبذ من خالفها وتحاربه.

الأولى: أن ما سوى الله مطلقاً لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً.

الثانية: أن ما سواه عبيد وتحت قهره وتصريفه، ويبتغون إليه الوسيلة بالأعمال الصالحة... الثالثة: أن من سواه يرجون رحمته ويخافون عذابه ويعلمون أن عذابه كان محذوراً، فهو الواحد الأحد...

فإذا رقيت هذه الدرجة وما تضمن من الوحدانية حينئذ طولب بالدرجة الثانية الحب في الله والبغض فيه والموالاة في الله والمعاداة فيه والمشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ

---

(٤٠٨) سورة الإسراء:٥٧.

إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٤٠٩). الآية، فينبغي لزارع الإيمان أن يستعين بالله في إنشاء عرقين من سويداء قلبه: عرق المحبة لأهل الإيمان والتوحيد والطاعة، وعرق البغض لأهل الشرك والكفر والنفاق أصلاً ولأهل المعاصي فرعاً... فإذا قبلت هذه الدرجة وتمكنت فيها بلا التفات ولا محاباة طولبت بالثالثة وهي لب الكتاب وزبدة الرسالة والكتاب وهي أن يكون الله أحب إليك مما سواه، فإذاً تقدم أمره على أمر من عداه وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾. [البقرة: ١٦٥]... فإذا رقيت هذه الدرجة وتمكنت فيها طولبت بالدرجة الرابعة وهي المتممة للدرجات الثلاث وهي المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيدور مع قول الرسول وفعله نفياً وإثباتاً بلا روغان... واستدل الشيخ على ذلك بالآية الرابعة وهي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (٤١٠). [التوبة: ٣١]" (٤١١)، هذا ما يتعلق بالمناسبة الإجمالية، وأما التفصيلية فتتجلى من عدة أمور:

- **قال المصنف رحمه الله** "وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ (٤١٢)" (٤١٣) الآية.

ومراد المصنف من إيراد هذه الآية يتبين بذكر الآية التي قبلها، فالله جل وعلا يقول: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ

(٤٠٩) سورة الزخرف:٢٦.

(٤١٠) سورة التوبة:٣١.

(٤١١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩١-١٩٤).

(٤١٢) سورة الإسراء:٥٧.

(٤١٣) كتاب التوحيد (ص:١٣٧).

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ (٤١٤).

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تفسير الآية الأولى بعد أن ذكر أقوال المفسرين: "وهذه الأقوال كلها حق؛ فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر... فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً، وهذا موجود في الملائكة والجن والإنس... ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائط فيما يُقدّره الله بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى الله -تعالى- عن دعائهم، وبيّن أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين، ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع أيضاً، فلا يرفعونه ولا يحولونه من حال إلى حال كتغيير صفته أو قدره" . (٤١٥)

وأما الآية الأخرى فيقول الإمام الطبري في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ (٤١٦) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يقول: يبتغي المدعوّون أربابا إلى ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ﴿وَيَرۡجُونَ﴾ بأفعالهم تلك ﴿رَحۡمَتَهُۥ﴾ ويَخافُونَ أمره ﴿عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ متقي." (٤١٧)

فمناسبة الآية للباب من عدة أمور:

---

(٤١٤) سورة الإسراء:٥٦-٥٧.

(٤١٥) الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ١٩٣-٢٩١)، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،دراسة وتحقيق: د.عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ.

(٤١٦) سورة الإسراء:٥٧.

(٤١٧) تفسير الطبري، (١٧/ ٤٧١).

أولاً: أن التقرب إلى الأولياء والصالحين والاستشفاع بهم ودعائهم، واتخاذهم وسائل منافٍ لتفسير التوحيد ولشهادة أن لا إله إلا الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "فتبين أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: هو ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين، والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر أو تحويله، فكيف بمن أخلص لهم الدعوة، وأنه لا يكفي في التوحيد دعواه، والنطق بكلمة الشهادة من غير مفارقة لدين المشركين، وأن دعاء الصالحين لكشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر نبه عليه المصنف" (٤١٨)، فلا يُدعى إلاَّ الله، ولا تتخذ الوسائط بين العباد وبين الله من الخلق، فمن اتخذ بينه وبين الله واسطة فقد أخلّ بمعنى: لا إله إلاَّ الله. ومن العجب أنهم يدعون من هم في حاجة إلى ما يقربهم إلى الله تعالى؛ فهم غير مستغنين عن الله بأنفسهم؛ فكيف يغنون غيرهم؟! (٤١٩)، ويشير الشيخ سليمان – رحمه الله – في قوله: "نبه عليه المصنف" ، ما قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في مسائله فقال: "منها آية الإسراء، بيّن فيها الردَّ على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر" (٤٢٠).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن –رحمه الله–: "وفيها: الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم؛ لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الآيات، كالآية الأولى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ (٤٢١)، أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه، والعزير والملائكة، وقد نهى الله عن ذلك أشد النهي، كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك. وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شرك بالله ينافي التوحيد،

---

(٤١٨) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٣١)، وانظر: حاشية كتاب التوحيد (ص: ٦٧).

(٤١٩) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ١٤٩)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (١/ ١٢٧).

(٤٢٠) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب: (ص: ١٣٩).

(٤٢١) سورة الإسراء:٥٦.

وينافي شـــهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده، وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك، لأن دعوة غير الله تأليه وعبادة له..." (٤٢٢).

ثانيا: أن هذه الآية اشـــتملت على الثناء على خاصـــة عباد الله؛ بأنهم وحدوا الله في الإلهية، ولم يتخذوا الوســائط والشــفعاء بينهم وبين الله – ســبحانه_، وهذا يدل على أنهم تمسكوا بمعنى التوحيد الصحيح؛ فاستحقوا هذا الثناء، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٤٢٣)، فحاجاتهم يبتغونها إلى ربهم ذي الربوبية الذي يملك الإجابة... (٤٢٤)، يقول الشيخ عبد الله الدويش(٤٢٥) في كتابه، عند شرحه للمسألة المتعلقة بهذه الآية موضـــحا هذا المعنى: "أي لما أخبر أنهم يبتغون إلى ربهم الوســـيلة، دل هذا على صـلاحهم، ولما أخبر أنهم لا يملكون كشـف الضـر ولا تحويلا، دل هذا على أنهم لا يقدرون على ما طلب منهم، ومن طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشـــرك الشـــرك الأكبر" (٤٢٦)، وقال الشــيخ الفوزان –حفظه الله–: "هذه الآية الأولى في الباب: تدل على أن من معنى لا إله إلا الله أن يصرف الدعاء والتقرب والعبادة لله سبحانه وتعالى، لا تصرف لأحد من خلقه بحجة أنه واسـطة بين العبد وبين ربه عز وجل، لأن الله ليس بينه وبين عباده

---

(٤٢٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٢)

(٤٢٣) سورة الإسراء:٥٧.

(٤٢٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٧٨).

(٤٢٥) هو العلامة الشيخ المحدث عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد الدويش، ولد الشيخ في عام ١٣٧٣هـ في مدينة الزلفي، كان آية في الحفظ والفهم مع الذكاء المتوقد، بدأ بطلب العلم صغيراً بجدٍ واجتهاد، فقد قيل أنه كان يحفظ الأمهات الست وغيرها من كتب الحديث، من مشايخه الشيخ صالح بن أحمد الخريص، الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، من مولفاته التوضيح المفيد لشرح مسائل كتاب التوحيد، الزوائد على مسائل الجاهلية، توفي عام ١٤٠٩ هـ. انظر: كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله آل بسام (٤/ ٣٨٦- ٣٩١).

(٤٢٦) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ٥٨).

واســطة من هذا النوع، أما الواســطة في تبليغ الوحي فإن بين الله وبين عباده واســطة لتبليغ الوحي والرسالات، أما الواسطة بين العباد وبين الله في رفع حوائجهم؛ فهذه غير موجودة..." (٤٢٧).

- **قال المصنف رحمه الله** "وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ (٤٢٨) الآية" (٤٢٩)

وهذه الآية هي القاعدة الثانية في تفســير ومعنى التوحيد؛ كما بين ذلك الشــيخ حامد بن محمد بن حســين، وقد تقدم كلامه، حيث يقول -رَحِمَهُ اللهُ-: "... فإذا رقيت هذه الدرجة وما تضــمن من الوحدانية حينئذ طولب بالدرجة الثانية الحب في الله والبغض فيه والموالاة في الله والمعاداة فيه والمشـــار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ الآية... فينبغي لزارع الإيمان أن يســتعين بالله في إنشــاء عرقين من ســويداء قلبه: عرق المحبة لأهل الإيمان والتوحيد والطاعة، وعرق البغض لأهل الشــرك والكفر والنفاق أصــلاً ولأهل المعاصي فرعاً..." (٤٣٠)

يقول ابن كثير-رَحِمَهُ اللهُ- في تفســـير هذه الآية: "يقول تعالى مخبرا عن عبده ورســـوله وخليله...: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه ســيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي" لا إله إلا الله "أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي: إليها، وقال عكرمة، ومجاهد، والضـــحاك، وقتادة، والســـدي، وغيرهم في قوله تعالى:

---

(٤٢٧) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٢٧).

(٤٢٨) سورة الزخرف: ٢٦-٢٧.

(٤٢٩) كتاب التوحيد (ص:١٣٧).

(٤٣٠) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩١-١٩٤).

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ (٤٣١) يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها. وروي نحوه عن ابن عباس."(٤٣٢).

ويؤخذ من كلام ابن كثير -رحمه الله- أن هذه الآية هي توضيح وتفسير لمعنى من معاني التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وهو: البراءة من كل معبود سوى الله –سبحانه-.

ولا أدل على ذلك من توضيح المصنف هذا المعنى في مسائله وأن هذا هو سبب إيراده للآية في هذا الباب وأنها تفسر وتوضح التوحيد، فقال -رحمه الله-: "ومنها: قول الخليل – عليه السلام- للكفار: ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾، فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ (٤٣٣).

ومناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: في الآية معنى لا إله إلا الله مطابقة، وهو توحيد الله بإخلاص العبادة له، والبراءة من عبادة كل ما سواه – جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فتبين بهذا أن معنى لا إله إلا الله هو البراءة مما يُعْبَدُ من دون الله، وإفراد الله بالعبادة، وذلك هو التوحيد لا مجرد الإقرار بوجود الله وملكه وقدرته وخلقه لكل شيء، فإن هذا يقرُّ به الكفار وذلك هو معنى قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله. قاله المصنف(٤٣٤) "(٤٣٥).

ويفسر الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- الآية بأنه تبين معنى التوحيد حيث قال بعد ذكر الآية:" أي (لا إله إلا الله)، فتدبر كيف عبر الخليل -عليه السلام- عن هذه الكلمة

---

(٤٣١) سورة الزخرف:٢٨.

(٤٣٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٥).

(٤٣٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب: (ص: ١٣٩).

(٤٣٤) انظر: كتاب التوحيد (ص: ١٣٩).

(٤٣٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٣٣).

العظيمة بمعناها الذي دلت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما يعبد من دون الله من المعبودات... فكل عبادة يقصد بها غير الله: من دعاء وغيره فهي باطلة، وهي الشرك الذي لا يغفره الله... "[٤٣٦]. وهذا يدل على أن معنى التوحيد الذي أمر الله به والذي يكون به العبد موحدا؛ هو البراءة من كل المعبودات سوى الله –جل وعلا–، فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ كقولنا: لا إله، وقوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾ كقولنا: إلا الله، فتوحيد العبد لا يصح إلا إذا تبرأ من عبادة كل ما سوى الله.

ثانيا: أن هذه الآية تدل على أن قوم إبراهيم –عليه السلام– يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى غير الله، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم وتبرأ إبراهيم منهم لأنهم كانوا يعبدون مع الله غيره، فتحقيق التوحيد يكون بالبراءة من المعبودات كلها إلا الله وحده[٤٣٧].

ثالثا: أن المصنف –رحمه الله– ذكر في مسائله تفسير الآية بأنه التوحيد بدليل الآية التي بعدها وتفسير المفسرين لها وهي قوله: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾، وأن هذه الكلمة هي التوحيد، وتقدم قريبا تفسير ابن كثير لهذه الآية التي تؤيد ما قاله الشيخ – رحمه الله –[٤٣٨].

- **قال المصنف رحمه الله"** وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ

---

(٤٣٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٤).

(٤٣٧) انظر: انظر السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، لابن جبرين(١/١٥٧)

(٤٣٨) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٢٢٥)، وانظر: تفسير الطبري، (٢١/ ٥٨٩)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٧٧)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم آطفيش، ط٢، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية القاهرة، تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٩٣)، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق:عبد الله محمود شحاته، ط١، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث ببيروت، تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٧٠)، لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ط١، ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (٤٣٩) الآية "(٤٤٠)

ومناسبة الآية للباب تظهر من عدة أمور:

أولاً: أراد المصنف -رحمه الله- أن يبين في هذه الآية معنى من معاني التوحيد، وقاعدة مهمة في التوحيد، وهي أن الطاعة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام من العبادة المنفية عن غير الله تعالى، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله:" ومراد المصنف رحمه الله بإيراد الآية هنا أن الطاعة في تحريم الحلال، وتحليل الحرام، من العبادة المنفية عن غير الله تعالى، ولهذا فسرت العبادة بالطاعة، وفسر الإله بالمعبود المطاع، فمن أطاع مخلوقًا في ذلك فقد عبده، إذ معنى التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة، وإفراد الرسول بالمتابعة، فإن من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، وهذا من أعظم ما يبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، لأنها تقتضي نفي الشرك في الطاعة، فما ظنك بشرك العبادة، كالدعاء والاستغاثة... "(٤٤١).

وهذا المعنى هو الذي بينه المصنف في مسائله فقال -رحمه الله-:" ومنها آية براءة، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء في المعصية، لا دعاؤهم إياهم"(٤٤٢).

فمن أطاع غير الله في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله فقد اتخذه ربا ومعبودا، وجعله لله شريكا، وذلك ينافي التوحيد، فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتُّخِذَ ربا ومعبودا، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابا، كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة لا إله إلا الله، فتبين بهذه

---

(٤٣٩) سورة التوبة: ٣١.

(٤٤٠) كتاب التوحيد (ص: ١٣٨).

(٤٤١) تيسير العزيز الحميد: (١/ ٣٣٤).

(٤٤٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب: (ص: ١٣٩).

الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة، فأثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما أثبتته من التوحيد "(٤٤٣).

ثانيا: أن هذه الآية تفسير التوحيد بدليل أن الله أنكر عليهم اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله فقد جعلوهم شركاء في الطاعة، ومن لازم التوحيد وتفسير لا إله إلا الله؛ أن تكون طاعتك لله وحده، يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:" وجه كون هذه الآية تفسيرا للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: أن الله أنكر عليهم اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله وهذه الآية سيأتي فيها ترجمة كاملة في كلام المؤلف (٤٤٤) رحمه الله؛ فهؤلاء جعلوا الأحبار شركاء في الطاعة، كلما أمروا بشيء أطاعوهم، سواء وافق أمر الله أم لا... فتفسير التوحيد أيضا بلا إله إلا الله يستلزم أن تكون طاعتك لله وحده... "(٤٤٥).

ثالثاً: أن الله فضح من أطاع الأحبار والرهبان وعاب عليهم شنيع فعلهم؛ فهم ضيعوا أمر الله وعبادته بطاعة أحبارهم ورهبانهم في معصيته وتحليل ما حرمه الله عليهم، وهذا فيه أيضاً أن الله يحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه.

- **قال المصنف رحمه الله"** وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ (٤٤٦) الآية "(٤٤٧)

هذه الآية مُبَيِّنٌ فيها أن هناك شرك وقع في المحبة التي يُخَصُّ بها الله — عز وجل-، ومناسبة هذه الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية تفسير آخر للتوحيد ولا إله إلا الله، وهو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم الإخلاص له وإفراده سبحانه، وقد فسر المصنف -رحمه الله- هذا المعنى بمثال

---

(٤٤٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٤).

(٤٤٤) يقصد باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابا من دون الله.

(٤٤٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٥٢).

(٤٤٦) سورة البقرة:١٦٥.

(٤٤٧) كتاب التوحيد (ص: ١٣٨).

واضـــح من القرآن بالشـــرك الذي يقع به بعض الناس، مع حبهم لله؛ لكنه لم ينفعهم ذلك بسبب شركهم، بل إن المصنف صدر في مسائله حكم الله على من فعل ذلك بأنه لن يخرج من النار، مع أنهم أحبوا الله حبا شـديدا، فكأنه -رحمه الله- أراد أن يوضـح مسـألة مهمة وهي أن محبة لله وإن كانت عظيمة فإنها لا تنفع إذا خالطها محبة للأنداد كمحبة الله أو أشـــد، يقول -رحمه الله- في مســـائله:" ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [448] ٣ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما، ولم يدخلهم في الإســـلام، فكيف بمن أحب الند حبا أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟! "[449].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- موضحا مراد المصنف -رحمه الله-:" قلت: مراده أن معنى التوحيد، وشـهادة أن لا إله إلا الله، هو إفراد الله بأصـل الحب الذي يسـتلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له... ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والرزق والملك، وإنما ساووهم به في المحبة والإلهية والتعظيم والطاعة. فمن قال لا إله إلا الله، وهو مشرك بالله في هذه المحبة، فما قالها حق القول وإن نطق بها "[450]، فكل من جعل لله ندا يدعوه من دونه ويرجو فإنه لابد له من تعظيمه ومحبته، فمحبتهم هذه تبطل كل قول وعمل يقومون به؛ لأن المشرك لا يقبل منه شيء، وإن قال لا إله إلا الله؛ لأنه لم يعلم مدلولها ويعمل به[451].

فإذا عرفنا أن هذا شـرك، فالتوحيد ضـده، وهو أن يفرد الرب بهذه المحبة المختصـة التي هي التوحيد، وبذلك ظهر معنى التوحيد وتفسيره، وشهادة ألا إله إلا الله[452].

فبهذا يتبين لمن وفقه الله تعالى لمعرفة الحق وقبوله دلالة هذه الآيات العظيمة على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي دعا إليه جميع المرسلين.

---

(٤٤٨) سورة البقرة:١٦٧.

(٤٤٩) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب: (ص: ١٣٩).

(٤٥٠) تيسير العزيز الحميد (١/٣٣٥)

(٤٥١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن: (ص: ٨٥)

(٤٥٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن: (ص: ٧١)

ثانيا: أن العرب مقرون بأنه لا رب إلا الله ولا خالق ســــواه، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الألوهية الذي منها المحبة،" وفي هذا أوضح دليل أن جملة مشركي العرب مقرون أنه لا رب إلا الله ولا خالق ســــواه، وأنه وحده المنفرد بالخلق والربوبية، وذلك معلوم عند جملتهم، وقد تظاهرت به الأدلة من الكتاب عنهم كما مر تقريره، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الألوهية وهو المحبة والتعظيم والخضوع، والتذلل بالتعبد تحت أمره ونهيه، بل كانوا يتألهون مع الله غيره، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله –سبحانه وتعالى–، فقد أخبر –سبحانه– أن من أحب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، وهذا ند في العبادة، لا في الخلق والربوبية "[٤٥٣].

ثالثا: أن أولئك الذين ســــاووا محبة الله بمحبة غيره، كأنهم جعلوا لله ندا وإن كانوا لم يصرحوا بذلك[٤٥٤]؛ مما يدل على أهمية معرفة التوحيد وتفسيره.

وكل هذا يدل على أن من بيان التوحيد، بيان ما يناقضه.

- **قال المصنف رحمه الله" وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل"** [٤٥٥] [٤٥٦].

وهذا فيه إشارة إلى التوحيد المضَمَّن في شهادة لا إله إلا الله المشتمل على النفي وعلى الإثبات وأكد النفي بقوله ﷺ (وكفر بما يعبد من دون الله) فلا بد مع إثبات العبادة لله وتوحيده ســـبحانه وتعالى من الكفر بكل المعبودات من دون الله عز وجل مهما كانت، صغرت في أعين الناس أم كبرت، فإن ذلك كُلَّه يجب أن يُكفر به.

ولذلك فإن الناس كانوا يتحججون بأنهم يعبدون الله ـ عز وجل ـ ولكنهم قد يَتَقرَّبون إلى غيره؛ أو أنهم لا يكفرون بكثير من المعبودات الموجودة في قراهم أو بلدانهم أو الأماكن

---

[٤٥٣] فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٢/٤٤٦)

(٤٥٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن عثيمين: (١/ ١٥٦)

(٤٥٥) كتاب التوحيد (ص:١٣٨)

(٤٥٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٣٩) برقم: (٢٣) (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله)

التي هم فيها، فكأن المصنف -رحمه الله- بين أن التوحيد لا يتحقق بمجرد العبادة والنطق بالشهادة، بل لابد من البراءة من الشرك وأهله، وقد بين المصنف هذا المعنى في مسائله فقال: "ومنها قوله – صلى الله عليه وسلّم –:" من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله "، وهذا من أعظم ما يبين معنى" لا إله إلا الله "؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع." (٤٥٧).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد ذكر كلام المصنف السابق: "قلت: وقد أجمع العلماء على معنى ذلك فلا بدّ في العصمة من الإتيان بالتوحيد، والتزام أحكامه، وترك الشرك" (٤٥٨).

ويقول كذلك – رحمه الله – في موضعٍ آخر موضحاً مراده السابق: "وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، وأنه ليس المراد منها مجرد النطق، فإذا كانت لا تعصم من استباح محرمًا، أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً بل يقاتل على ذلك حتى يفعله، فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله وأحبه ومدحه، وأثنى على أهله، ووالى عليه، وعادى عليه، وأبغض التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله، وتبرأ منه، وحارب أهله، وكفرهم، وصد عن سبيل الله كما هو شأن عباد القبور، وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله، وهو مشرك أنه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد" (٤٥٩).

أيضاً المصنف -رحمه الله- الله أراد أن يوضح المراد من تفسير التوحيد، والجانب المهم فيه مستدلاً بهذا الحديث؛ فإن قال "وكفر بما يعبد من دون الله" مع أن هذه الكلمة داخلة في قوله: "من قال لا إله إلا الله" في الحديث، لكنه ذكرها هنا وعطفها على ما قبلها من باب

(٤٥٧) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب: (ص: ١٤٠).

(٤٥٨) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٣٧)

(٤٥٩) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٤٠)

عطف التفسير، فيكون ما بعدها بعض ما قبلها، كقوله - جل وعلا -: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ (٤٦٠) (٤٦١) فجبريل وميكال بعض الملائكة، فعطفهم، وخصهم بالذكر، وأظهر اسم جبريل وميكال: لبيان أهمية هذين الاسمين، وأهمية هذين الملكين؛ لأن أولئك اليهود لهم كلام بالقدح في جبريل وميكال، وهذا الكلام هو الأظهر لسياق المصنف -رحمه الله- تعالى - بل هو الذي يتوافق مع ما قبله من الأدلة(٤٦٢).

فهذا الحديث من أحسن ما يفسر التوحيد؛ ذلك لأنه اشترط لحرمة المال والدم أمرين: الأول: قول لا إله إلا الله، الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله -جل وعلا-.

- **ثم قال المصنف** -رحمه الله- [وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب...](٤٦٣)

المصنف -رحمه الله- أراد أن يوضح ويبين قواعد مهمة في تفسير التوحيد وهذا يوضح لنا مناسبة أخرى من مناسبة ذكر هذا الباب في آخر الأبواب الستة الأولى التي هي كالمقدمات، فكأن المصنف -رحمه الله- وضع للقارئ تفسير التوحيد على هيئة قواعد تتفرع منها جميع المسائل اللاحقة لهذا الباب:

فالدعاء شرك بدليل الآية الأولى

ومجرد الولاء والبراء للمشركين شرك بدليل آية الزخرف

ومجرد الطاعة شرك بدليل آية براءة

ومساواة غير الله مع الله في المحبة شرك أيضا بدليل آية المحبة في البقرة

ثم كما أن دعاء غير الله ومجرد موالاة المشرك وعدم البراءة منه وطاعة غير الله ومحبته مع الله شرك فكذلك لابد للموحد الذي نطق الشهادة أن يتبرأ مما سبق ولا يجعل مع الله شريكاً بدليل الحديث المذكور في الترجمة فالدعاء والولاء والبراء والطاعة والمحبة عبادة لا تصرف إلا لله

---

(٤٦٠) سورة البقرة:٩٨.

(٤٦١) سورة البقرة: ٩٨.

(٤٦٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٨٦)

(٤٦٣) كتاب التوحيد: (ص:١٣٨).

جل وعلا(وكفر بما يعبد من دون الله) فكلها عبادة يجب أن نكفر بها إذا صرفت لغير الله، وتفصيل السابق سوف يكون بلاحق هذا الباب، ولهذا قال المصنف بعد ذكر الآيات والحديث في الباب: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب" .

ثم إن هذه الجملة تتضح من خلال استقراء التراجم والأبواب التي ذكرها المصنف . رحمه الله ــ بعد هذا الباب، فإنه ذكر أفراداً من مسائل التوحيد وأفراداً من مسائل الشرك الذي هو ضد التوحيد؛ إذ إن التفسير يأتي على طريقتين: إما بتبيين المعاني المشتمل عليها اللفظ، وإما بتبيين ضد الشيء الذي يتبين به تمام ضده كذلك، وهذا وارد في جملة الأبواب والتراجم التي سيذكرها المصنف بعد هذا الباب.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله: وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. يعني أن ما يأتي بعد هذه الترجمة من الأبواب شرح للتوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، لأن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، أن لا يُعْبَدُ إلا الله ولا يعتقد النفع والضر إلا في الله، وما بعد هذا من الأبواب بيان لأنواع من العبادات والاعتقادات التي يجب إخلاصها لله تعالى، وذلك هو معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والله أعلم" (٤٦٤).

ودونك كلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله- فما أجمله من بيان وما أوضحه من تفسير لمراد المصنف في كتابه كتاب التوحيد، فيقول -رحمه الله-: "ترجمة الكتاب فاتحته، وشرحها تفسيرها وتبينها، وتوضيح معناها؛ وذلك أن ما بعدها فيه ما يبين التوحيد، ويوضح معنى لا إله إلا الله، وفيه بيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجلاله، وقد جمع -رحمه الله- في هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق، وما لا يعذر أحد عن معرفته، فمن استحضره استغنى به عن غيره في بيان التوحيد، والرد على كل مبتدع" (٤٦٥).

---

(٤٦٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٤٤)

(٤٦٥) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٧٣)

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- شرحاً هو بمثابة البيان والتوضيح لمراد المصنف وهو مشابه لما أورده صاحب التيسير(٤٦٦)، وذكر -رحمه الله- توضيحاً آخر في موضع آخر بعد باب من الشـرك النذر لغير الله فقال: "وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصـنف - رحمه الله تعالى - تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته" لا إله إلا الله "، فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد، وهذا معنى قول شيخنا: وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد" (٤٦٧).

وقد أجاد ووُفِّق الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في وضـع هذه القواعد والمقدمات الأساسية لهذا الكتاب، والتي يبنى عليها ما بعدها من أبواب ومسائل ولا تخرج عنها، فرحمه الله وغفر له وجعل ما قدمه في ميزان حسناته.

---

(٤٦٦) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٩٧)، كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين (ص: ١٩٦).

(٤٦٧) قرة عيون الموحدين (ص: ٢٥٩).

الفصل الثاني: **مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببيان أنواع من الشرك الأكبر والأصغر**

المبحث الأول: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

المبحث الثاني: باب ماجاء في الرقى والتمائم.

المبحث الثالث: باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما.

المبحث الرابع: باب ما جاء في الذبح لغير الله.

المبحث الخامس: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.

المبحث السادس: باب من الشرك النذر لغير الله.

المبحث السابع: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله.

المبحث الثامن: باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

المبحث الأول: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

تمهيد

ابتدأ المصنف -رحمه الله- في هذا الجزء من كتابه "كتاب التوحيد" ، بذكر مسائل في التوحيد مشهورة يحتاجها الناس، وتكثر فيها المخالفة، وتقدم أن تلك الأبواب الستة السابقة هي كالمقدمة لهذا الكتاب، وكما أوضح في نهاية الباب السابق، أن ما بعده يعتبر شرحا له فقال: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب" يقول الشيخ الحمدان في شرحه: "ومن هنا بدأ المصنف رحمه الله في بيان ما وعد به في قوله «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب » فذكر شيئاً فيما يضاد التوحيد من أنواع الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله" (١)، فهذا الباب هو بداية الشرح المفصل للتوحيد وتفسير لا إله إلا الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "ومن هنا ابتدأ المصنف في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فإن الضد لا يعرف إلا بضده، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء، فمن لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد وبالعكس" (٢).

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه" (٣)، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

---

(١) الدر النضيد على أبواب التوحيد، (ص: ٧٥)

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٤٨)

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٤١).

المطلب الأول: مناسبة (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه للباب السابق.

ومناسبة هذا الباب للباب السابق تتجلى من عدة أمور:

أولا: لما بين المصنف في الباب السابق أن ما بعد ذلك الباب هو شرح له؛ إذ إنه نهاية المقدمة التي وضعها المصنف -رحمه الله- وبين فيها التوحيد أجمل بيان؛ ابتدأ في هذا الباب بشرح ما وعد به -رحمه الله-، وقد بدأ ببيان أنواع من الشرك الأصغر والأكبر، وابتدأ في هذا الباب ببيان صورة من الشرك الأصغر، وهي لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وذلك بسبب خفائها على الكثير والتي يكثر وقوعها كذلك، فهي وسيلة للشرك وطريق له وهي مما يقدح في التوحيد لكثرتها مع خفاء حكمها على كثير من الناس.

ثانيا: أنه ابتدأ بالأصغر مع أن الأكبر أهم وأعظم؛ للانتقال من الأدنى إلى الأعلى، كحال الطبيب الحاذق الذي يترقى من الأدنى إلى الأعلى، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "فبدأ بالأصغر الاعتقادي انتقالاً من الأدنى إلى الأعلى" (١).

ثالثا: أن الشبهة في الأصغر ضعيفة بخلاف الشبهة في الأعلى، فإذا علم المتعلق بالخيط مثلاً خطأ تعلقه بها؛ سهل حينها إقناعه ببطلان تعلقه بالأكبر كتعلقه بغير الله كالأولياء والصالحين، لأن الشبهة فيها أقوى وأوضح، وحتى يكون ذلك أقوى في الحجة، وأمكن

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٤٨)، وانظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (١/٤٨٦)

في النفوس، من جهة: ضـــرورة التعلّق بالله، وإبطال التعلق بغيره، فإذا عرف الشـــخص ضرورة عدم تعلقه بغيره، سهل حينها إقناعه بعدم تعلقه بالأولياء والصالحين [١].

رابعا: أن المصـــنف -رحمه الله- ابتدأ بالأصـــغر لشـــدة البلوى فيه وكثرة الوقوع فيه بخلاف الأكبر، فإن الوقوع فيه قليل، فمن عرف الأصغر وعظمه، وأنه أكبر من كبائر المعاصي، كان ذلك توضيحاً لخطورة الأصغر للحد منه وتقليله، وتنبيها من الوقوع في الأكبر الذي هو أعظم[٢].

وقصد المصنف -رحمه الله- من هذا الباب هو بيان أن تعلق القلب بغير الله في جلب النفع أو دفع الضر شرك[٣]، وهذا من تفسير وتوضيح التوحيد.

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٩١)

(٢) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٤٨٦/١)

(٣) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٧٣)

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

ويحتوي على آية، وأربعة أحاديث.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى**: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ (١) **الآية"** (٢)

مناسبة الآية للباب من أظهر ما يكون، ويتبين ذلك فيما يأتي:

أولا: هذه الآية دليل على أن الضر والنفع من الله سبحانه فلا يقدر على كشف الضر أحد غيره، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله -: "وقد دخل في ذلك كل من دعي من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين، فضلا عن غيرهم فلا يقدر أحد على كشف ضر ولا إمساك رحمة،... وإذا كان كذلك بطلت عبادتهم ودعوتهم من دون الله، وإذا بطلت عبادتهم فبطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل، ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه كذلك، فهذا وجه استدلال المصنف بالآية" (٣).

ففي الآية جعلوا تلك المعبودات وسائط بينهم وبين الله، يرجون شفاعتها وبركاتها، وهذا الوصف يدخل في لبس الحلقة أو الخيط، فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله(٤).

---

(١) سورة الزمر:٣٨.

(٢) كتاب التوحيد (ص:١٤١).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٤٩-٣٥٠)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٩٧-٩٨)، حاشية كتاب التوحيد لإسحاق بن عتيق (ص: ٣٤)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٧٤).

(٤) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٧٥)، السبك الفريد، لابن جبرين (١/١٦٧).

ثانياً: القياس من جهة أخرى وهي أن لبس الحلق والسلاسل من الشرك، والآية تدل على أن الشرك كله يدخل فيما ذكر كبيره وصغيره، ولم يزل الصحابة رضوان الله عليهم وأتباعهم يستدلون على الشرك الأصغر وبطلانه فيما نزل في الشرك الأكبر، فكل من طلب النفع، أو طلب المنع من الأذى، أو رفعه سواء كان صنما يعبد، أو كان بحلقة، أو خيطا فهو من الشرك، وسواء كان من الشرك الأكبر أو الأصغر فإن الآية تدل عليه. [1]، قال الشيخ ابن عثيمين: "وهذا يدل على حذق المؤلف رحمه الله وقوة استنباطه، وإلا؛ فالآية بلا شك في الشرك الأكبر الذي تعبد فيه الأصنام، ولكن القياس واضح جدا؛ لأن هذه الأصنام ليست أسبابا تنفع، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب، فيعتبر إشراكا بالله" [2].

ثالثاً: أن تتمة الآية هي قوله -جل وعلا- ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [3]، قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: "في قوله: ﴿حسبي الله﴾ ؛ فإن فيه تفويض الكفاية إلى الله دون الأسباب الوهمية، وأما الأسباب الحقيقية؛ فلا ينافي تعاطيها توكل العبد على الله تعالى وتفويض الأمر إليه؛ لأنها من عنده" [4]. فلما أبطل الشرك في أول الآية قرر التوحيد بهذه الجملة أي: لن يستطيع أحد أن يضر أو ينفع من دون الله[5]. فهذه الآية من

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٤٩-٣٥٠)، المحاورات لطلب الامر الرشيد(١/٢٣٥-٢٣٦).

(٢)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٦٨)

(٣) سورة الزمر:٣٨.

(٤) المصدر السابق (١/ ١٦٨)

(٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٣٧)

حيث المعنى تدل على أن التعلق لا يكون إلا بالله وحده وأن التعلق بغيره باطل، وأن كل ما يدعى من دون الله لا يستطيع جلب النفع ودفع الضر عمن أراده الله.

- **قال المصنف رحمه الله "عن عمران بن حصين[١]" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال ما هذه؟ قال من الواهنة. فقال انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا "[٢]. رواه أحمد بسند لا بأس به"** [٣]

مناسبة الحديث للباب صريحة، وتظهر من عدة أوجه:

أولا: لأن هذا الرجل لبس حلقة من صفر؛ إما لدفع البلاء أو لرفعه، والظاهر أنه لرفعه، لقوله: "لا تزيدك إلا وهنا" [٤].

ثانيا: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنكر عليه وبين أنها لا نفع فيها وبين عدم الفلاح لمن وضعها، وهذا دليل على المنع من لبس الحلقة والخيط ونحوهما لذلك[٥].

---

(١) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغر أسلم عام خيبر وصحب وكان فاضلا وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. تقريب التهذيب (ص: ٤٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٨ / ٤٦٠٨) برقم: (٢٠٣١٩)، وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣ / ٤٤٩) برقم: (٦٠٨٥) والحديث سنده جيد عند الألباني لولا عنعنة الحسن وله شاهد من حديث عباس مرفوعا. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٢٢٩).

(٣) كتاب التوحيد (ص:١٤١)

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ١٦٩)

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/ ١٢٥)، حاشية كتاب التوحيد (ص: ٧٧)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٤٠).

ثالثا: أنه رتب عدم الفلاح لمن ترك هذه القلادة وغيرها في قوله: "فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا،" ، أي: لأنه يعتبر مشركا وحاله هذه[1].

وقد ذكرها المصنف رحمه الله في مسائله وبينها ومنها: أنه غلظ الإنكار -ﷺ- على هذا الرجل من أصحابه، لما اعتقد أن هذه الحلقة ترفع الضر النازل، ولم يعذره بجهله، وأخبره أنها لا تزيده من وهن يده الذي أصابها إلا وهنا، نقيض قصده، وأنه لو مات على هذه الحالة معتقدا ذلك — لم ينزعها ويتب إلى الله —سبحانه- مما اعتقه — ما أفلح أبدا، وهذا وعيد شديد وتغليظ بالإنكار على من فعل هذا الفعل وغيره[2]، فمن اعتقد النفع والضر في الملبوسات فهو شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك بل اعتقدها أسبابا، فيكون معنى قوله: "ما أفلحت أبدا" من نصوص الوعيد، والموقف من نصوص الوعيد معلوم.

رابعا: الحديث فيه دلالة على أن التفاتة القلب إلى غير الله في طلب الخير أو دفع المكروه شرك[3].

فتبين بهذا أن صغيرة الشرك أكبر من كبيرة الكبائر، كما تبين أن إيراد المصنف لهذا الحديث في الباب؛ لتصريح الحديث بحكم من يتعلق حلقة أو نحوها.

- **قال المصنف رحمه الله "وله عن عقبة بن عامر[4] مرفوعا:" من تعلق تميمة فلا**

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/ ١٢٥).

(٢) انظر: كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب(ص: ١٤٣).

(٣) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٧٤).

(٤) هو الإمام، المقرئ، أبو حماد، عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي الجهني، المصري، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، كان عالما، مقرئا، فصيحا، فقيها، فرضيا، شاعرا، كبير الشأن، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان عقبة من أصحاب الصفة، وجملة ما روى عن رسول الله: خمسة وخمسون حديثا، له منها في الصحيحين سبعة عشر. توفي سنة ٥٨هـ. مختصر تاريخ دمشق (ص: ٢٣٠٣)

أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له "[١]. **وفي رواية:" من تعلق تميمة فقد أشرك (٢) "**[٣].

ومناسبة الحديث للباب من عدة أوجه:

أولا: أن هذا الحديث فيه دعاء بنقيض قصـد فاعله وهذا الدعاء منه -ﷺ- يدل على الوعيد الشديد على من فعل ذلك، قال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله-:" وهذا دعاء عليه، فيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، فإنه مع كونه شركًا، فقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقيض مقصوده. "[٤]. فهذا زيادة على كونه شركا فقد دعا عليه النبي – صلى الله عليه وسلم –، والرواية الأخرى دلت على أن من تعلقها فقد أشرك، وقد بين المصنف -رحمه الله- هذا المعنى في مسائله[٥].

ثانيا: المقصود من هذه الرواية لفظ التعلق وأن التعلق يشمل التعليق وكذلك تعلق القلب بما لبس سواء كان المعلق في صدره أو يده أو غيرها[٦].

- **وقال المصنف رحمه الله" ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه "رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٨٧٦) برقم: (١٧٦٧٦) وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣ / ٤٥٠) برقم: (٦٠٨٦ وأحمد في "مسنده" (٧ / ٣٨٧٦) برقم: (١٧٦٧٦)، والحديث ضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة - مختصرة (٣/ ٤٢٧).

(٢) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٧)، وقال:"رواه أحمد والحاكم واللفظ له ورواة أحمد ثقات".

(٣) كتاب التوحيد (ص:١٤٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٦٣).

(٥)انظر: كتاب التوحيد (ص: ١٤٤).

(٦) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٠٢)

مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ (١)" (٢) (٣)

ومناسبة الحديث للباب:

أولا: أن حذيفة رضـــي الله عنه لما رأى في يد الرجل الخيط قطعها منكرا عليه واســـتدل بالآية التي تدل على أنها شرك لا يشعر به غالبا فاعله، وأنه يجب الإنكار على من فعل ذلك، وقد بين المصنف رحمه الله هذا المعنى بقوله: "الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك" (٤).

ثانيا: أنه استدل على الأصغر بالأكبر وهذا يدل على صحة الاستدلال بما نزل في الأكبر على الأصغر، وسيأتي معنا كثيرا أمثلة لاستدلال الشيخ - رحمه الله — بما ورد في الأكبر على الأصغر، وأن هذا من فعل الصحابة والسلف رضي الله عنهم ورحمهم، قال الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -: "استدل حذيفة بهذه الآية على أن تعليق الخيط ونحوه مما ذكر شرك، أي: أصغر كما تقدم في الحديث، ففيه صـحة الاسـتدلال بما نزل في الأكبر على الأصـغر، ومعنى الآية أن الله أخبر عن المشركين أنهم يجمعون بين الإيمان بالله، أي: بوجوده، وأنه الخالق الرزاق المحيي المميت، ثم مع ذلك يشـــركون في عبادته فســـرها بذلك ابن عباس وعطاء ومجاهد والضـــحاك وابن زيد وغيرهم" (٥).

---

(١) سورة يوسف:١٠٦.

(٢) كتاب التوحيد (ص:١٤٣)

(٣) رواه ابن ابي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٨)

(٤) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب -رحمه الله— (ص: ١٤٤).

(٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٦٥)

المبحث الثاني: باب ماجاء في الرقى والتمائم.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب ما جاء في الرقى والتمائم" (١)، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في الرقى والتمائم) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٤٥).

المطلب الأول: **مناسبة باب ماجاء في الرقى والتمائم للباب السابق**.

مناسبة هذا الباب للباب السابق يظهر من عدة أمور:

أولا: أن معنى الباب السابق وهذا الباب واحد من حيث أن فيهما تعلق القلب سواء كان بالحلقة أو الخيط أو الرقى أو التمائم وغيرها، ولأن استعمالها كذلك واحد، ففيها تعلق قلبي وتعليق بالأجسام، فـ "عقب رحمه الله الرقى للبس الحلقة والخيط؛ لتناسب ذلك في المعنى والاستعمال" (١).

ثانياً: أنه ذكر أنواعا من الشرك الأصغر وهي مكملة للباب السابق، وقد بين المصنف - رحمه الله - في مسائله أن الأحاديث الواردة قصدت الرقى والتولة والتمائم المحرمة، وأنها كلها شرك، وهذا وجه آخر من أوجه التشابه بين هذا الباب والباب السابق، يقول المصنف -رحمه الله-: "الثالثة: أن هذه الثلاث — يقصد الرقى والتمائم والتولة المذكورة في أحاديث الباب - كلها من الشرك من غير استثناء" (٢)، فأراد أن يبين رحمه الله أن الحديث يقصد من هذه الثلاث المحرم منها والذي هو وسيلة إلى الشرك، ولا خلاف في شرك التولة وعدم الرخصة في شيء منها، لكن الرخصة واردة في بعض الرقى التمائم على خلاف فيها، فوجه التشابه مع الباب السابق هو حصول الشرك في هذه الأشياء الثلاثة؛ لأنها لرفع البلاء أو دفعه.

ثالثا: لما صرح في الباب السابق بأن لبس الحلقة والخيط ونحوها من الشرك للأدلة الدالة على ذلك وقد بدأ بما هو واضح وصريح في كونه شركا، ثم أعقبه بهذا الباب بقوله: باب ما جاء في الرقى والتمائم؛ وذلك لأنها ليست كلها شركا، بل منها ما هو شرك ومنها ما ليس بشرك، فلم يصدِّر الباب بحكم، فيكون الاستدلال على حكمها مستفاد من الأدلة المذكورة في

---

(١) فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٢/٥٠٣).

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ١٤٨)

الباب، فأفردها المصنف -رحمه الله- بباب مستقل وجعلها بعد الباب السابق لعلاقته به؛ يقول الشيخ سعيد الجندول- رحمه الله -: "قصد الداعية إلى التوحيد رحمه الله من هذا الباب، بيان ما له صلة بالشرك من الرقى وما ليس كذلك وحكم التمائم" (١)، وهذه عبارة جميلة منه-رحمه الله-، فبين أن لا خلاف في الرقى وأن الباب إنما ذكر ما يحرم من الرقى وهو معروف وواضح، أما التمائم فقد وقع فيها الخلاف بين الصحابة إذا كانت من القرآن، وسيأتي الكلام عنها (٢)، ولم يذكر التولة في ترجمة الباب لأنها لا خلاف في كونها شركا.

يقول الشيخ صالح الفوزان- حفظه الله-: "هذا الباب مناسبته لما قبله: وهو:" بابٌ من الشرك لبس الحلْقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه "؛ أن هذا الباب مكمِّلٌ للباب الذي قبله، لأنه ذكر أنواعاً أخرى مكمِّلة لما ذُكر في الباب الذي قبله، ولكن الباب الذي قبله صرّح الشيخ في ترجمته بأن لبس الحلْقة والخيط من الشرك، وأما هنا فلم يصرّح، بل قال:" ما جاء في الرُّقى والتمائم "، وهذا من دقّة فقهه ومعرفته رحمه الله، فإنه إذا كان الحُكم واضحاً منصوصاً عليه في الحديث ذكره في الترجمة، وإذا كان الحكم فيه تفصيل، أو فيه احتمال؛ فإنه لا يجزم في الترجمة، وإنما يورد الأدلة في الباب ويُؤخذ منها الحكم مفصّلاً..." (٣)، وهذا كلام جميل يدل على طريقة من طرق الشيخ -رحمه الله- وهي الغالبة على صنيعه، بمعنى أنه ليس كل باب إذا لم يصرح به المصنف أنه يدل على أن منه ما هو شرك ومنه ما ليس بشرك، بل هذه طريقة من طرق الشيخ رحمه الله وهو أنه لا يصرح لعدم الجزم بالحكم، أو لأن الحكم منه تفصيل أو احتمال كما قال الشيخ الفوزان -حفظه الله-، وقد لا يصرح لأجل تشويق القارئ على معرفة الحكم كما سيأتي في مناسبات الأبواب القادمة، ومنها قوله: باب ما جاء في الذبح لغير الله، هل نقول هنا أن الحكم لم يجزم به المصنف فمنه ما هو شرك ومنه ما ليس بشرك؟، قطعا لا

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد،(ص: ٧٧)

(٢) انظر: المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٤٥)

يقال بهذا، وسيأتي بيان الباب في مكانه، لكن المقصد أننا نقول مناسبة هذا الباب واضحة في كونه جزم في الباب السابق ولم يجزم هنا للتشابه بينهما في طلب النفع ودفع الضر، والتعليق فاختلف الحكم بينهما، وهذه طريقة من طرق الشيخ -رحمه الله-، والمصنف رحمه الله شابه البخاري رحمه الله في طريقة تبويبه وقد تقدم بيان طريقة الشيخ - رحمه الله — في تبويبه عند التعريف بكتاب التوحيد في موضوع الكتاب، فمن أبوابه ما جزم بالحكم، ومنها ما لم يصرح للخلاف في ذلك، أو للتفصيل أو لتشويق القارئ وغيرها.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

قبل الكلام على أحاديث وآثار الباب نلاحظ أنها كلها تدور حول عن التمائم من حيث الحكم فكلها يصح الاستدلال بها في التمائم، بينما إذا نظرنا إلى الرقى، فإنها تكون في حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، وقد تدخل في حديث عبد الله بن عكيم لأن فيها نوع تعلق — وسيأتي بيان مناسبته في مكانه- أما من حيث الشمول فكل الأحاديث والآثار تتكلم عن التمائم على وجه الخصوص، بل إن مسائل الباب تسعةٌ، سبعةٌ منها تتكلم عن التمائم، وهذا فيه فائدتان:

أولا: لوضوح الأمر في الرقية، فإنه لم يكثر من الأحاديث المبينة للرقى بل ذكر منها ما يحرم، أما الجائز منها فواضح ولا يحتاج إلى توضيح بل اكتفى بذكر الجواز في مسألة واحدة من مسائله وهي المسألة الرابعة (١).

ثانياً: أراد أن يبين أهمية عدم التهاون في التمائم، فنوَّع في الأحاديث والاستدلال، وهذا يتضح عند ذكر الأحاديث والآثار وأوجه استدلال المصنف بها، وشدة احتياطه وتحرزه من التمائم ولو كانت من القرآن، حيث إنه ذكر خلاف العلماء في التمائم التي من القرآن، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله مؤكداً هذا المعنى ومبيناً خطورة التمائم والتساهل فيها حتى تدرجوا

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، (ص:١٤٨).

في زمانه ووقعوا بما هو أشـد من تعليق الآيات القرآنية: "هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته، فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها؟! بل والتعلق عليهم، والاستعاذة بهم، والذبح لهم، وسؤالهم كشف الضر، وجلب الخير مما هو شرك محض، وهو غالب على كثير من الناس إلا من سلم الله، فتأمل ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه والتابعون، وما ذكره العلماء بعدهم في هذا الباب وغيره من أبواب الكتاب، ثم انظر إلى ما حدث في الخلوف المتأخرة، يتبين لك دين الرسول صلى الله عليه وسلم وغربته الآن في كل شيء، فالله المستعان" [(١)]، رحم الله الشيخ سليمان، لكأنه يقرأ أفكار المصنف رحمه الله ويبين شدة حرصه وبعد نظره، وسبب احتياطه وتحرزه وتحذيره، وهذا الكلام يفيدنا في ذكر مناسبات الأحاديث والآثار للباب وعلاقتها به ولهذا قدمته على الأدلة.

ويحتوي هذا الباب على أربعة أحاديث، وأثرين.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري** [(٢)] **أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره" فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت ""** [(٣)] [(٤)]

مناسبة الآية للباب لأمور:

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/٣٨٠-٣٨١).

(٢)هو: أبو بشير الأنصاري الساعدي، وقيل: الحارثي، كان ممن شهد بيعة الرضوان، وهو ممن لم يعرف اسمه على التحديد، قيل: مات بعد الحرة، وقيل: سنة ٤٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٢١/١٢).

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (ص: ١٤٥)

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٥٩) برقم: (٣٠٠٥) (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦٣) برقم: (٢١١٥) (كتاب اللباس والزينة، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير)

أولا: أن فيه ذكر القلادة والقلادة من التمائم التي حرمها الشارع، فالمصنف – رحمه الله – ذكر ما يحرم من هذه القلائد وبين شركيتها كما سيأتي في الأحاديث التي تليها، وهذا وجه إيراد المصنف – رحمه الله – لها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فعلى هذا، يكون تقليد الإبل وغيرها الأوتار وما في معناها لهذا المعنى حرامًا، بل شركًا، لأنه من تعليق التمائم المحرمة، ومن تعلق تميمة فقد أشرك "[1]، فالأمر بقطع جميع القلائد يدل على تحريمها، وهي شرك كما سيأتي؛ وإن قيل بأن هذا الحديث دل عليه الباب السابق فلا حاجة إلى ذكره؛ قلنا بأن الشيخ رحمه الله أراد أن يوضح ما هو مقطوع بتحريمه وما وقع عليه الخلاف من التمائم فابتدأ بالحديث الذي يدل على تحريمها [2]، ويدل على هذا المعنى قول صاحب التيسير في كلامه السابق وفيه قوله:" لهذا المعنى "مما يدل على أن هذا المعنى المذكور هو المحرم.

ثانيا: أن الحديث فيه الأمر بقطع القلائد عن رقاب الإبل كلها، وعدم طلب الإذن من أهلها، وهذا الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم يدل على النهي عن لبسها، وهذا معنى من معاني التحريم وفيه فائدة ألا وهي الأمر بالإنكار باليد، وهذا وجه آخر من أوجه إيراد المصنف رحمه الله هذا الحديث.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك" رواه أحمد وأبو**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/٣٧٢)

(٢) ولمعرفة المناسبات المتعلقة بهذا الباب والتي هي كالباب السابق، انظر: ، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (١/ ١٤٦)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١١١)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٩٠).

داود "[١] [٢].

مناسبة هذا الحديث للباب من عدة أمور:

أولاً: الحكم في الحديث على سبيل العموم بأن الرقى والتمائم والتولة شرك، ومما لا شك فيه أنه لأجل الرقى والتمائم أما التولة فلا خلاف في حرمتها وكونها من الشرك، ولهذا لم يذكرها في الترجمة، وكأن الشيخ أراد التحذير والتنبيه وأنه ينبغي على العبد أن يحتاط لدينه، وغلظ المصنف رحمه الله في ذلك، حتى إنه قال في مسائله:" أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء "[٣]، مع إنه قال في المسألة التي بعدها أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليست شركا؛ ومقصده رحمه الله أن يحتاط المسلم لدينه ولا يتساهل بل يتثبت ويعبد الله على بينة وعلم، وهذا من دقة فهمه -رحمه الله -، وهو أنه لم يصرح بكونها شركا في الترجمة لكنه في المقابل ذكر أحاديث وآثار تدل على التغليظ والتشديد في هذا الأمر؛ مما يوضح لنا مقصده وغاية مراده.

ثانيا: أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث ليبين أن الرقى والتمائم جمعت مع التولة التي هي شرك في جميع أحوالها؛ مما يزيد الأمر تنبها واحتياطاً من الوقوع في المحظور.

ثالثاَ: أراد المصنف – رحمه الله – أن يشير إلى أنها ضد التوكل على الله — جل وعلا-، وأن ضد التوكل شرك، وهذه الفائدة ذكرها عثمان بن منصور رحمه الله في كتابه فتح الحميد [٤]، وقد ذكر هذا المعنى في مناسبة الأدلة في باب من الشرك لبس الحلقة والخيط كما سبق بيانه.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب -رحمه الله — (ص: ١٤٥)

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ٨٤٠) برقم: (٣٦٨٥) وأبو داود في "سننه" (٤ / ١١) برقم: (٣٨٨٣) والحديث صححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة – مختصرة (١/ ٦٤٨)

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب(ص:١٤٨)

(٤) انظر: فتح الحميد (٢/٥٠٩).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: "من تعلق شيئا وُكِل إليه" . رواه أحمد والترمذي "**[1] [2].

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولاً: أن التعلق يكون بالقلب والفعل فمن تعلق قلبه أو فعله أو كلاهما بشيء وكل إلى ذلك المعلق، والرقى والتمائم يكون فيها تعلق بالقلب أو الفعل أو بهما جميعاً، فمن تعلق قلبه بغير الله فقد خاب وخسر، وهذا وجه إيراد المصنف لهذا الحديث، فالحديث دل على خذلان من اعتمد على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر؛ فجلب النفع ودفع الضر من خصائص الله -جل وعلا-، وطلبها من غير الله شرك [3].

ثانيا: أن كل مخلوق ضعيف والله -جل وعلا- عاقب من تعلق بأي شيء فإنه سوف يوكل إلى ذلك الشيء الضعيف، وهذا غاية في الهلاك والمعاقبة بنقيض قصده ومراده، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان في ذلك -حفظه الله-:" من تعلق قلبه بأمور أخرى من أمور الدنيا فإنه يوكل إليه، وكونه يوكل إليه معناه: أن الله يكله إلى هذا المخلوق الضعيف، ومن وكل إلى ذلك ضاع وهلك...، وهذا من مقابلة الشيء بضده والله جل وعلا جعل ذلك سنة في خلقه "[4]. وهاتان المناسبتان تدلان على الوعيد الشديد بمن تعلق بغير الله -سبحانه- سواء كان

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (ص: ١٤٥)

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٨ / ٤٢٧٧) برقم: (١٩٠٨٣) (أول مسند الكوفيين رضي الله عنهم، حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه)، والترمذي في "جامعه" (٣ / ٥٨٥) برقم: (٢٠٧٢) (أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء في كراهية التعليق) والحديث ضعيف عند الالباني كما في صحيح وضعيف الجامع الصغير - الألباني (ص: ١٢٤٨)

(٣)انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١١٣)، الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٩٤).

(٤) المحاورات لطلب الامر الرشيد (٢٥٨/١)

بالرقى أو بالتمائم، وأن ذلك من الشرك، وهذا وجه إيراد المصنف هذا الحديث في الباب، ففيه مزيد فائدة وتأييد للحديث الذي قبله بالتحريم وكونه من الشرك.

ثالثا: أن الحديث يدل على أن المتعلق طلب النفع ممن تعلق به أو علقه، وطلب النفع من غير الله شرك، وهذا وجه آخر لإيراد المصنف هذا الحديث في الباب [١].

- **قال المصنف -رحمه الله-:" التمائم شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه، والرقى هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته** "[٢].

هنا المصنف رحمه الله تكلم عن خلاف أهل العلم في التمائم إذا كانت من القرآن ولم يصرح بالحكم وهذا يؤيد ما ذكر سابقا، من أن الشيخ لم يصرح في الترجمة بالحكم؛ للخلاف القوي في التمائم، فاكتفى المصنف بذكر الأحاديث التي تدل على الوعيد على من علق التمائم، ثم إنه رحمه الله لم يصرح بأسماء من رخص فيها، وصرح بابن مسعود ومن رأى رأيه كما في الأثرين اللاحقين الذين لم يرخصوا في التمائم وهذا يدل على شدة تحرز الشيخ واحتياطه مع عدم التصريح بالحكم للخلاف القوي فيه، فالمصنف رحمه الله لم ينقل خلافاً في كتابه إلا هنا لقوته [٣].

---

(١) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٩٣)

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (ص: ١٤٦)

(٣) انظر: المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد الهويسين (٨٧/١)، جمع وترتيب: مروان بن شداد الضبيطي، دار العاصمة بالرياض ط١، ١٤٣٧هـ.

- **قال المصنف –رحمه الله –:" وروى الإمام أحمد عن رويفع[1] قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يارويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه"[2] "[3].**

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: فيها زيادة إيضاح وفائدة لمقصد وهدف تعليق هذه الأشياء، مما يبين سبب التشديد والتغليظ فيها، وهو قوله:" أو تقلد وترا "، وهي أن الأوتار التي في الحديث من الشـرك الذي بينه المصـنف؛ لأنهم كانوا يعلقونها اتقاء العين، وقد ذكر ذلك المصـنف رحمه الله في مسـائله فقال:" السـادسـة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك "[4]، يقول ابن قاسـم- رحمه الله -:" وهذا الشـاهد للترجمة، وفيه مع ما تقدم أنه شـرك لما كانوا يقصـدونه بتعليقه على الدواب وغيرها. "[5]، وإن كانت هذه الفائدة ليست صريحة في كلام المصنف إلا إنها تبين دقة كلام المصـنف في مسـائله وحرصـه على الاختصـار من غير إخلال والاسـتفادة من كل كلمة

---

(١) رويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري المدني صحابي سكن مصر وآمره معاوية على أطرابلس سنة ٤٦ فغزا إفريقية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه بسر بن عبيد الله الحضرمي وشييم بن بيتان وحنش الصنعاني وأبو الخير مرفد وغيرهم قال أحمد بن البريقي الفتياني توفي ببرقة وهو أمير عليها سنة ٥٦هـ، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٣/ ٢٥٧)

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" ((٧ / ٣٧٦٠) برقم: (١٧٢٦٩) وأبو داود في "سننه" (١ / ١٤) برقم: (٣٦) صححه الشيخ الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٧٥).

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب –رحمه الله – (ص: ١٤٦)

(٤) كتاب التوحيد:(ص: ١٤٨).

(٥) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٨٨)

يذكرها في مســـائله؛ والدليل على ذلك أنهم في الجاهلية كانوا يقلدون الأوتار على الأولاد والدواب من أجل أن يتقى به العين والضرر، فتبين سبب حرمة تقليد هذه الأوتار.

ثانيا: أن فيها معنى من معاني التمائم ونوع من أنواعها ألا وهو تعليق الأوتار وقد بين الحديث كونه شركا.

ثالثا: أن فيه وعيد شـــديد وتغليظ آخر على من علق هذه الأوتار، وهذا فيه مزيد بيان وتحذير من تعليق الأوتار، فإنه زيادة على كونه شركا، وزيادة على أنه يوكل الشخص إلى الذي علقه؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم بريء ممن علق مثل هذه الأشياء، يقول المصنف رحمه الله في مسائله:" الوعيد الشديد على من تعلق وترا "(١)، فأراد المصنف مزيد تحذير وتغليظ على من علق هذه التمائم التي منها تقليد وتعليق الأوتار على الأبناء والدواب وغيرها، فـــ" مناسبة الحديث للتوحيد: حيث تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن تعلق وترا لدفع الضرر؛ لأن جلب النفع ودفع الضر من الأفعال الخاصة بالله، وطلبها من غير الله شرك. "(٢).

رابعاً: أن فعلهم بتعليق الأوتار فيه نوع إعراض عما سـواه من الآيات والأذكار التي أمرنا أن ندفع بها العين والحســد وغيرها، فجاء الوعيد الشــديد جزاء فعله وإعراضــه، فإن" المراد ما يفعلونه لدفع العين، لإعراضـه عما سـواه من الأقوال "(٣). وهذا فيه مزيد إيضـاح وفائدة لذكر هذا الحديث، وفيها تحذير لما قد يقع في القلب من عدم اليقين وسوء الظن.

- **قال المصنف –رحمه الله –:" وعن سعيد بن جبير قال: "من قطع تميمة من إنسان**

---

(١) كتاب التوحيد:(ص: ١٤٨).

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٩٦)

(٣) فتح الحميد (٥٤١/٢).

كان كعدل رقبة" . رواه وكيع "[١] [٢].

مناسبة الأثر للباب من عدة أمور:

أولا: أن هذا الأثر يدل على أن التمائم محرمة، والترغيب في سـرعة قطعها، ففيها مزيد بيان وإيضاح لحرمة التمائم والمسارعة إلى إنكار هذا المنكر باليد ولو بغير إذن صاحبها.

ثانياً: أن قطع التمائم كعدل رقبة، يقول المصنف -رحمه الله-:" الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان "[٣]. وذلك لأن من علقها أشرك بالله -سبحانه-، فهو مستحق للنار ومتوعد بها، فإذا قطعت التميمة عنه كأنك خلصته من النار التي هو متوعد بها إذا علقها، فكأنك أعتقت رقبته من النار فصار الجزاء والفضل من جنسه وهو كعدل رقبة، وهذا وجه آخر من إيراد المصنف لهذا الأثر، يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-:" وفي الحديث فضل قطع التمائم وأنه كعدل رقبة، لأنه سيخلص هذه الرقبة من النار ومن الشرك فيكون أفضل من عتق الرقبة "[٤].

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وله عن إبراهيم[٥]: "كانوا يكرهون التمائم كلها من**

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (ص: ١٤٧)

(٢) لم أجده من رواية وكيع.. لكن أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٣/١٢) برقم (٢٣٩٣٩) (كتاب الطب في تعليق التمائم والرقى، حديث سعيد بن جبير)

(٣) كتاب التوحيد(ص: ١٤٨).

(٤) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٦٤)

(٥)هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي من كبار الفقهاء، قال العجلي: "رأى عائشة رؤيا وكان مفتي أهل الكوفة وكان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف ومات وهو مختف من الحجاج"، توفي -رحمه الله- سنة (٩٦) هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٥٢٠)، تهذيب التهذيب، لابن حجر (١/ ١٧٧).

القرآن وغير القرآن" "(١) (٢).

مناسبة الأثر للباب:

أولا: أن المصـــنف رحمه الله أراد أن يبين أن التمائم فيها خلاف بدليل كلام إبراهيم النخعي رحمه الله الســابق، فبين المصـنف في مســائله أن مراه بقوله:" كانوا يكرهون "يقصــد أصحاب عبدالله بن مسعود -ﷺ- وليس كل الصحابة، قال -ﷺ-:" التاسعة: كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبدالله "(٣).

ثانياً: أن هذا الأثر والذي قبله دلا على تحريم تعليق التمائم فـــ" مناسبة الأثرين للباب: حيث دل كل منهما على تحريم تعليق التميمة ســواء كانت من القرآن أو من غيره "(٤)، وهذا فيه نظر: إذ إن المصـــنف لم يقصــد من إيراد الحديث الجزم بحرمة التمائم إذا كانت من القرآن بدليل أن المصنف لم يبين تحريمها في مسائله، ولم يجزم كذلك في الترجمة، بل إنه بين في مسائله أن هذا الأثر دليل على وجود الخلاف وأن قول النخعي هو خاص بأصـــحاب عبد الله بن مسـعود -ﷺ-، بل إننا نسـتطيع أن نقول: إن المصــنف رحمه الله يميل إلى التحريم لكنه لم يصــرح بذلك، وإنما ذكر الأحاديث والآثار التي تدل على تحريم التمائم على ســبيل العموم ثم ذكر الأثر الذي يدل على تحريم التمائم إذا كانت من القرآن ولم يصـــرح بأسماء من رخص في ذلك، مما يدل على كراهة تعليق التمائم التي من القرآن، وكل هذا من الشـــيخ - رحمه الله - احتياط وحفظ لجناب التوحيد.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب -ﷺ- (ص: ١٤٧)

(٢) لم أجده من رواية وكيع بنفس اللفظ بل رواه هشيم .. لكن أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٢/١٢) برقم (٢٣٩٣٣) (كتاب الطب في تعليق التمائم والرقى)، ورواية وكيع بلفظ اخر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٣/١٢) برقم (٢٣٩٣٧) (كتاب الطب في تعليق التمائم والرقى)

(٣) كتاب التوحيد(ص: ١٤٨).

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٩٧)

المبحث الثالث: باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله:" باب من تبرك بشـــجرة أو حجر ونحوهما"(١)، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، (ص: ١٤٩).

المطلب الأول: مناسبة باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما للباب السابق

أولا: السبب من تعليق الخيط ونحوه في الأبواب السابقة هو لأجل رفع البلاء أو دفعه أو جلب منفعة، وهنا يحمل نفس المعنى، ففيه طلب دفع البلاء أو رفعه أو جلب المصلحة والخير، وهذا وجه إيراد المصنف لهذا الباب بعد البابين السابقين، للتشابه بينهما في جانب طلب النفع ودفع الضر أو رفعه، فـ" قصد الداعية الكبير رحمه الله من هذا الباب أن طلب البركة من الجمادات من أشجار أو أحجار ودعائها، والاعتماد عليها والاستعانة بها شرك "[1].

ولهذا كان هذا الباب مكملا لما قبله يقول الشيخ صالح الفوزان—حفظه الله -:" هذا الباب مكمِّلٌ للأبواب التي قبله، لأن الأبواب التي قبله في لبس الحلْقة والخيط ونحوهما، أو تعليق الرُّقى والتّمائم، وهذا فيه النهي عن التبرّك بالأشجار والأحجار، فهذه الأبواب كلها مؤدّاها الاعتقاد بغير الله سبحانه وتعالى أنه يضر أو ينفع، وهذا شرك، لأن الذي يقدر على دفع الضر وجلب النفع هو الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، هو القادر سبحانه وتعالى على ذلك، لا يشاركه أحد، وإن كان هناك أشياء يترتّب على استعمالها أو أكلها أو شُربها ضرر، أو يترتّب عليه نفع؛ فهذه أسباب فقط، أما الذي يخلق ذلك فهو الله سبحانه "[2].

ثانياً: لما كان البابان السابقان فيهما تعليق بالأبدان، أعقب تلك الأبواب بهذا الباب الذي فيه تعليق لكنه ليس بالأبدان وإنما بشيء خارج البدن كالأشجار والأحجار والتبرك بها، وكون هذا التبرك من الشرك المنهي عنه.

---

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص: ٨٣)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٥٥)

فـ" لما ذكر رحمه الله ما يستعمله الإنسان في بدنه من الخيط والحلقة والرقى والتمائم، ذكر ما يُتبرك به من الشجر والحجر والتعليق على ذلك، ونحو ذلك. "[1]، واشترك كل من الباب السابق وهذا الباب في أن الكل فيه تعلق القلوب بغير الله، وإن اختلفت صور المتعلق به.

ولعل المصنف - رحمه الله — لم يجزم في هذا الباب كما جزم في الباب السابق، وقد يكون ذلك من أجل ظهور الحكم، وقد يكون أسلوبا من أساليب التشويق وطريقة من طرقه رحمه الله في وضع التراجم، وقد تقدم بيان ذلك عند الكلام عن موضوع الكتاب، فهنا" لم يصرح المصنف رحمه الله بالحكم؛ لأنه ذكره قبل بابين حيث قال: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، فلعله أراد أن يحكم عليه المتعلم نفسه فيكتشف ذلك "[2]، فقد بدأ المصنف الترجمة ب(من) وهي إما شرطية فيكون جواب الشرط غير موجود فيحتاج القارئ أن يقرأ الأدلة حتى يستخرج جواب الشرط، وإما أن تكون موصولة فيكون: باب من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما أي ما حكمه أهو شرك أو لا وهذا المعنى ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله — [3].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

ويحتوي هذا المطلب على آية، وحديث:

- **قال المصنف رحمه الله**" وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [4]

---

(١) فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٢/٥٤٧)

(٢) المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد الهويسين (١/٨٩).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد:(١/٣٤٩).

(٤) سورة النجم:١٩.

الآيات(١)

مناسبة الآية للباب تتبين من عدة أمور:

أولا: لأن آلهتهم من الأشـــجـار والأحجـار فهم يعبـدونها والبـاب يتكلم عن التبرك بالأشجار والأحجار، وهذا وجه إيراده الآية هنا، يقول الشيخ عبدالرحمن بن قاسم – رحمه الله – مبينا أصـل اللات والعزى ومناة وأنها إنما هي أشـجار وأحجار ونحوها كما في الترجمة: "... فالتبرك بقبور الصـالحين كاللات، وبالأشـجار والأحجار كالعزى ومناة، من جنس فعل أولئك المشـركين مع تلك الأوثان..." (٢)، فتبين أن التبرك باللات كالتبرك بقبور الصـالحين والتبرك بالعزى كالتبرك بالأشـجار والتبرك بمناة كالتبرك بالأحجار (٣)، فمن عبد الأشـجار والأحجار ونحوها فهو إنما شابههم في ذلك ومن تشبه بقوم فهو منهم، وهذا سبب ومناسبة جميلة ولطيفة من مناسبات إيراد هذه الآية في هذا الباب.

ثانيا: أن صـفتهم واحدة وهي العكوف عندها والدعاء والتبرك بها، والالتجاء إليها وقت الشـدائد واعتقاد تأثيرها، يقول الشـيخ سليمان بن عبدالله–رحمه الله –: "فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن، ووازن بينه وبين بناء القباب على القبور، والعكوف عندها ودعائها، وجعلها ملاذا عند الشدائد" (٤).

ثالثا: أراد المصنف أن يبين مآل من يتبرك بالأشجار والأحجار أنه سيكون نهايته عبادتها من دون الله، فاللات والعزى إنما كانت قبل ذلك معظمة ثم عبدت فوقعوا في الشـــرك الأكبر

---

(١) كتاب التوحيد (ص:١٤٩)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٩١)

(٣) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد، للحمدان (ص: ٩٠).

(٤) تيسير العزيز الحميد:(٣٩٧/١)

لجعلهم هذه الأشياء آلهة مع الله جل وعلا، وسيأتي عند المصنف - رحمه الله — بابا متعلقا بسبب الشرك بالله تعالى[1].

رابعاً: أن الكل فيه التفات القلوب وتعلقها بغير الله -جل وعلا-، فكل من تبرك بشجر أو حجر أو قبر أو وثن إنما تعلق قلبه بها، فأخذ يتبرك بها، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى والصخرة ومناة، إنما كان بالتفات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر ومن ذلك التبرك بها، فصارت أوثانا تعبد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الشرك وفساد عقولهم كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [2] ٤، فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة." [3]، ففيها مصير عبادتهم وهو أنها هل نفعت أو ضرت حتى تجعلونها مع الله شريكاً، يقول الإمام القرطبي[4] -رحمه الله-:

---

(١) وهو باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله. انظر: كتاب التوحيد (ص: ١٩٣)، لكن هذه الآية تدل من جانب على هذا المعنى، وهو سبب من أسباب إيراد المصنف لهذه الآية في هذا الباب.

(٢) سورة يونس:١٨.

(٣) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص: ٢٢٩)، وانظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٩١)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ١٠٠)

(٤) الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر، جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن وهو من أجل التفاسير وأعظمها، وتوفي سنة٦٧١هـ. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (ص: ١٦٤).

"وفي الآية حذف دل عليه الكلام، أي أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضـــرت حتى تكون شركاء لله؟."(١)،

وهذا يدل على بطلان التبرك باللات والعزى ومناة وأنها لا تنفع نفســها فضــلا عن نفع غيرها، يقول الشـيخ صـالح الفوزان –حفظه الله-: "والشـاهد من الآية الكريمة: بطلان التبرّك بالأشجار والأحجار، لأن هذه أشجار وأحجار، ولم تدفع عن نفسها فضلاً عن أن تدفع عن غيرها" (٢)، فالمصـــنف – رحمه الله – ذكر هذه الآيات تحت هذا الباب ليبين أن هذه أسماء أصـنام وأوثان في الجاهلية كانوا يعبدونها ويطلبون منها البركة، فذمهم بهذا الاسـتفهام الإنكاري على تبركهم ودعائهم عند هذه الاصـــنام، فالآية تدل على معنى التبرك، فاللات وغيرها ما عبدت إلا طلبا للبركة، وكذلك الترجمة تتكلم عن التبرك الذي هو عين فعل المشركين مع اللات والعزى ومناة، وقد أكذب الله ظنهم ورد زعمهم، وأن هذا سببه الجهل والظن الكاذب والهوى،

يقول الشـيخ إسـحاق بن عتيق-رحمه الله-: "ومطابقة الآية للترجمة: أن عباد هذه الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصـول البركة منها بتعظيمها والاسـتعانة بها والاعتماد عليها في حصـول ما يرجونه منها ببركتها وشفاعتها، فالتبرك بقبور الصالحين كاللات، وبالأشجار والأحجار كالعزى ومناة من جملة فعل أولئك المشـــركين مع تلك فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شـــجر فقد ضـــاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلون من هذا الشـــرك، على أن الواقع من هؤلاء المشــركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك والله المســتعان..." (٣)، فأهل الجاهلية إنما عبدوا هذه الأوثان وعظّموها لما يعتقدونه ويرجونه ويؤمِّلونه من بركتها وشفاعتها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي،(١٧/ ١٠٢)،تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢، ١٣٨٤هـ .

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٥٨).

(٣) حاشـية كتاب التوحيد لإسـحاق بن عتيق (ص: ٤٠)، وانظر: حاشـية كتاب التوحيد، لابن قاسـم (ص: ٩٢)، الدر النضيد على أبواب التوحيد، الحمدان (ص:٩٠).

خامسا: أن هذه الآية في الشرك الأكبر، والترجمة إن كان يقصد بها الأكبر فالآية تدل عليه، وإن كان يقصد بها الشرك الأصغر فهذا هو هدي السلف وطريقتهم، فإنهم يستدلون بالأكبر على الأصغر وقد ذكر هذا المعنى الشيخ سليمان بن عبد الله فقال -رحمه الله-: "فإن قلت: فأين دليل الترجمة من الآيات؟ قيل: هو بيّن بحمد الله، لأنه إن كان التبرك بالشجر والقبور والأحجار من الأكبر فواضح، وإن كان من الأصغر، فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر" (١)، فهذا الكلام من صاحب التيسير رحمه الله يدل على أن الترجمة تحتمل الشركين الأكبر والأصغر، بحسب اعتقاد الشخص ونيته وليس هذا مجال الشرح والتفصيل في ذلك.

فتبين بعد هذا أن علاقة الآية بالترجمة واضحة، وهي أن الشيخ - رحمه الله — أراد أن يبين أن من عبادات الكفار عند أصنامهم، هي التبرك فيها، وهو عين ما يفعله عباد القبور والأضرحة، سواء بسواء.

- **وقال المصنف رحمه الله "عن أبي واقد الليثي قال:" خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم "(٢). رواه الترمذي وصححه(٣)**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٠٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص:١٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٤٩) برقم: (٢١٨٠) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم) وأحمد في "مسنده" (٩ / ٥١٢٨) برقم:

مناسبة الحديث للباب ظاهرة من عدة أمور:

أولا: أن الترجمة -كما تقدم- متعلقة بمن يتبرك بالأشجار والأحجار ونحوها، وهذا الحديث يتكلم عن حادثة وقعت، وقصة تتكلم عن تبرك المشركين بالأشجار وهي السدرة في الحديث، بالتعليق عليها وطلب المسلمين فعل مثل فعلتهم، وهذا مطابق للترجمة ومثال واضح لها.

ثانيا: أن الحديث تكلم عن حكم التبرك بهذه الأشجار والأحجار وبين أنها شرك، وذلك من خلال النهي عن التبرك بالسدرة وغيرها من الأشجار والإنكار عليهم، بتعليق السلاح بها رجاء البركة، فـمناسبة الحديث للباب ظاهرة" حيث دل الحديث على أن اتخاذ الأشجار للتبرك والعكوف عندها شرك، فيدخل فيه كل ما يتبرك به من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك "(١).

ثالثا: الآية بينت حال من يفعل هذا الفعل ونيته والحكم الشرعي في ذلك، وهو أن الفعل واحد والحكم منهي عنه ولو كانت النية حسنة وكان يعتقد النفع والضر من الله، فإن هذا الفعل شرك بالله -سبحانه-، وهذا وجه قوي من أوجه إيراد المصنف لهذا الحديث في هذا الباب، ولهذا يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ... أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها، هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون هذا شركًا، ويقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنًا وطلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل::

(٢٢٣١٥) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه) صححه الترمذي، والألباني سنن الترمذي (٤/ ٤٧٥)

(١) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ١٠٣)

"﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [1]، فكيف بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟" [2]، وهذا هو تفسير لكلام المصنف رحمه الله في مسائله عندما قال: "الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا، الثالثة: كونهم لم يفعلوا، الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه... السابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله:" الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم "فغلظ الأمر بهذه الثلاث... أ. هـ." [3]، فهم طلبوا شيئا ولم يفعلوه بعد؛ ظناً منهم أنه يقربهم إلى الله وهو التبرك الشجرة التي وجدوها في طريقهم إلى حنين، ومع ذلك لم يعذرهم وأنكر عليهم بل غلظ عليهم في ذلك، وهو شرك أصغر لو فعلوا ذلك، يقول الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله –: "لكنه اعتبر المعاني والحقائق، ولم يعتبر الألفاظ والأسماء، مما يدل على أن من الشرك الأكبر أن نعتقد أن هذه النخلة أو الحجر أو الشجر تجلب لك خيرا، أو تعطيك البركة، وأن فيها نفعا أو دفع ضر، هذا لا يجوز" [4].

رابعاً: أن التبرك بالأشجار والأحجار وقولهم: "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" هو كقول بني إسرائيل بأن يجعل لهم إلها آخر كما لهم آلهة، مع أن فعل بني إسرائيل أكبر وأعظم، لكنه شبههم به، وأنكر عليهم، وهذا يدل على عظم هذا الفعل، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–: "... وطلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل لموسى:" اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة "، فكيف بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟" [5]، وقد بين المصنف رحمه الله هذا المعنى في مسائله فقال: "الثامنة: الأمر

(١) سورة الأعراف:١٣٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٠٩)

(٣) كتاب التوحيد: (ص:١٥٠-١٥١).

(٤) شرح كتاب التوحيد: (ص: ١٨٢)

(٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٠٩)

الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى:" ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [1]. "[2] فإن تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم طلب أصحابه بطلب بني إسرائيل مع أن فعل بني إسرائيل أعظم وأكبر يدل على خطر التساهل في هذه الأمور، فإنها لا تقف عند حد معين بل سيأتي من بعدهم من يتخذها آلهة كما اتخذها بنوا إسرائيل وطلبوا ذلك، وهذا وجه قوي من أوجه إيراد هذا الحديث في هذا الباب للتحذير من المآلات.

خامساً: أن هذا الحديث تضمن أحكاما كثيرة في باب التبرك ودلالات عظيمة في التوحيد وقواعد مهمة في العقيدة، وهذا سبب مهم من أسباب إيراد المصنف لهذا الحديث في هذا الباب، وهو أن هذا الحديث يدل على أن نفي التبرك بالأشجار والأحجار يدل على العقيدة الصافية السليمة القوية، فالتبرك بهذه الأشياء يخدش كلمة التوحيد كما قال المصنف في مسائله:" التاسعة: أن نفي هذا من معنى لا إله إلا الله، مع دقته وخفائه "[3]. أي أن نفي اعتقاد وطلب التبرك بالأحجار والأشجار يعتبر معنى من معاني لا إله إلا الله، ولو كان لا ينافي كلمة التوحيد لما أنكر عليهم، [4]، ومن المسائل التي نبه عليها الشيخ - رحمه الله — في هذه الترجمة قوله:" إن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا "[5]، قول الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله-:" قال العلماء: وهو شرك أصغر، وليس بشرك أكبر؛ ولهذا لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد إسلامهم، ويدل على ذلك قوله: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى"فشبّه المقالة بالمقالة،... فالظاهر من هذا الحديث: أن الشرك الأكبر

---

(١) سورة الأعراف:١٣٨.

(٢) كتاب التوحيد: (ص:١٥١).

(٣) كتاب التوحيد: (ص:١٥١).

(٤) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله الدويش(ص: ٧٢)، المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد الهويسين(ص: ٩٣).

(٥) كتاب التوحيد: (ص: ١٥١).

الذي كان وقع فيه المشركون لم يكن راجعا إلى التبرك بذات الأنواط فقط، بتعظيمها، والعكوف عندها، والتبرك بتعليق الأشياء عليها، وقد قلت لك: إن التبرك بالشجر، والحجر، ونحو ذلك، إذا كان فيه اعتقاد أن هذا الشيء يقرب إلى الله، وأنه يرفع الحاجة إليه، أو أن تكون حاجاتهم أرجى إجابة وأمورهم أحسن، إذا تبركوا بهذا الموضع، فهذا: شرك أكبر، وهذا هو الذي كان يصنعه أهل الجاهلية؛ ولهذا، فإن فعلهم يشمل ثلاثة أشياء – كما سبق –:

١ – التعظيم، أي تعظيم العبادة،... ٢ – أنهم عكفوا عندها ولازموها، والعكوف والملازمة نوع عبادة،... ٣ – التبرك.

وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا: وجدت أنهم يصنعون مثل ما كان المشركون الأولون يصنعون عند اللات، وعند العزى، وعند ذات أنواط، ويعتقدون في القبر، بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر،... فإذا تمسحوا به فكأنهم تمسحوا بالمقبور، واتصلت روحهم به، واعتقدوا أنه سيتوسط لهم؛ لأنهم عظموه، فهذا شرك أكبر بالله – جل وعلا –؛ لأن فعلهم هذا: راجع إلى تعلق القلب في جلب النفع، وفي دفع الضر بغير الله – جل وعلا – وجعْله وسيلة إلى الله – جل وعلا –... وأما الحال الأخرى التي نبهتك في أول المقام عليها، فكمن يجعل بعض التمسحات أسبابا... فهذا إن ظن أن ثَمَّ روحا في هذا العمود، أو أن هناك أحدا مدفونا بالقرب منه،... فتمسح لأجل أن يصل إلى الله – جل وعلا – بذلك الفعل: فهذا شرك أكبر، وأما إذا تمسح واعتقد أن هذا مكان مبارك، وأن هذا سبب قد يشفيه فنقول إذا: إذا كان يتمسح بجعله سببا فهذا يكون شركه شركا أصغر، وإذا كان تعلق قلبه بهذا المتمسح به أو المتبرك به، وعظمه، ولازمه، واعتقد أن ثمت روحا هنا، أو أنه يتوسل به إلى الله فإن هذا شرك أكبر." (١).

وهذا المعنى فيه فائدة جميلة من صياغة الترجمة، عندما قال باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما، فكما ذكرنا أن صياغة هذه الترجمة تدل على تشويق القارئ لمعرفة الأحكام

(١)التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص:١٣٣- ١٣٥)

المتعلقة في هذه الترجمة، فكأن المصـــنف قال أدرجت هذا الحديث في هذه الترجمة لأبين أن التبرك بالأحجار والأشـــجار ونحوها لها ارتباط مهم في كلمة التوحيد، وأن نفي التبرك بهذه الأشـــياء يعتبر معنى من معاني كلمة لا إله إلا الله، وهذه مســـألة من مســـائل الحديث في هذا الباب وفائدة مقتبسة من مسائل المصنف -رحمه الله-.

المبحث الرابع: باب ما جاء في الذبح لغير اللّه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: "باب ما جاء بالذبح لغير الله" [1]، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء بالذبح لغير الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٥٤).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الذبح لغير الله للباب السابق.

هذا الباب ذكره المصنف من غير تصريح بالحكم وهذا من عادته - رحمه الله —كما سبق بيانه، ليستنتج القارئ الحكم على فاعل ذلك من خلال قراءة الآيات والأحاديث الواردة، قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: "ومثل هذه الترجمة يترجم بها العلماء للأمور التي لا يجزمون بحكمها، أو التي فيها تفصيل، وأما الأمور التي يجزمون بها، فإنهم يقولونها بالجزم، مثل باب وجوب الصلاة، وباب تحريم الغيبة، ونحو ذلك.

والمؤلف رحمه الله تعالى لا شك أنه يرى تحريم الذبح لغير الله على سبيل التقرب والتعظيم، وأنه شرك أكبر، لكنه أراد أن يمرن الطالب على أخذ الحكم من الدليل، وهذا نوع من التربية العلمية، فإن المعلم أو المؤلف قد يدع الحكم مفتوحا، ثم يأتي بالأدلة لأجل أن يكل الحكم إلى الطالب، فيحكم به على حسب ما سيق له من هذه الأدلة" (١)، ويريد المصنف - رحمه الله — بيان حكم من ذبح لغير الله -جل وعلا- وما يترتب عليه من الوعيد الشديد، قال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "أي من الوعيد، وهل يكون شركا أم لا؟" (٢).

ومناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة، وتتجلى من عدة أمور:

أولا: أنه لما ذكر التبرك بالأشجار والأحجار أتى بعد ذلك بالذبح لغير الله لأنه من عادة أهل البدع أنهم يتبركون ثم يذبحون لما يتبركون به ولذلك أتى المصنف بهذا الباب بعد الباب السابق، وقد ذكر هذا المعنى الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله حيث يقول: "لما ذكر رحمه الله ما يتبرك به من الشجر والحجر، ذكر الذبح لغير الله تعالى؛ لأن من عادة أهل الابتداع وعباد

---

(١)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢١٥)

(٢) تيسير العزيز الحميد(١/٤١٦).

الأصنام يعقبون ذلك بالذبح لما يتبركون به أو يدعونه من دون الله تعالى" (١)، فالمتأله للشجر والحجر والمتبرك بهما في الغالب أنه يذبح لها بعد التمسح بها وكذا غالب الكفار يؤول بهم الأمر بعد التبرك بها إلى الذبح لها وتعظيمها، وهو مظهر من مظاهر الشرك الأكبر (٢).

ثانيا: أن هذا الباب في بيان الشرك الذي وقع به الناس كالباب السابق والذي قبله فهو كثير الوقوع كذلك، ولا يزال كثير من الناس يقعون فيهما، وقد ذكر هذا المعنى الشيخ صالح الفوزان— حفظه الله — حيث قال: "هذا الباب كالأبواب التي قبله في بيان أنواع من الشرك التي يمارسها بعض الناس في مختلف الأزمان، من عهد الجاهلية، ولا تزال مستمرَّة، وذلك من أجل أن يتميّز الخبيث من الطيّب" (٣).

ثالثا: هذا الباب يبين نوعا من أنواع الشرك، فكأن المصنف أراد أن يوضح أن العبادة سواء كانت فيها جهد بدني كما في السابق أو مالي كما في هذا الباب فهو شرك، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله -: "قصد مؤلف الكتاب رحمه الله بيان أن من تقرب إلى غير الله بأي نوع من أنواع العبادة مالية كانت أو بدنية ظاهرة أو باطنة فقد أشرك مع الله في عبادته" (٤)، فهذا الباب وهو قوله: "باب ما جاء في الذبح لغير الله" ظاهر في الدلالة على أن التقرب لغير الله – جل وعلا – بالذبح شرك به – سبحانه – في العبادة؛ فمن ذبح لغير الله؛ تقربا وتعظيما؛ فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة (٥).

رابعا: أن الذبح يتخذه المتبرك والمستغيث والمستعين للدلالة على صدقه وإخلاصه ورغبته في النفع من المتبرك به، فهو دليل على اعتقاده وايمانه بالنفع والضر لما يتبرك به، فذكر بعد هذا

---

(١) فتح الحميد(٥٦٩/٢)

(٢) انظر: المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد الهويسين(١٠٠/١)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٦٤)

(٤) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٨٩)

(٥) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ١٤٩)

الباب لقطع السبيل على المتبركين والتمادي في ما يتبركون به ولأجل الدلالة على مآلات ما يكون من التبرك والتعلق بغير الله، من الوقوع في أنواع من الشرك تكون أشد وأكبر، كالذبح لغير الله – سبحانه-.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

ويحتوي على آيتين، وحديثين.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (١). **الآية"** (٢)

وفي الآية دلائل متعددة على أن الذبح لغير الله شرك، كما هو بين عند التأمل، وفيها بيان العبادة، وأن التوحيد مناف للشرك مضاد له(٣).

مناسبة هذه الآية للباب تتضح من عدة أمور:

أولا: أن فيها النسك والنسك هو الذبح (٤)، وفي الآية الأمر بأن يكون النسك لله – جل وعلا –، وقد قرنها بالصلاة، وهذا دليل على أنه عبادة والعبادة صرفها لغير الله شرك، يقول الشيخ عثمان بن منصور –رحمه الله–: "... فكما أنهم علموا أن الله هو رب العالمين، فليعلموا أنه هو المعبود وحده" (٥)، وهذا وجه مطابقة الآية للباب.

---

(١) سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣.

(٢) كتاب التوحيد (ص:١٥٤)

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص: ٤١٧)

(٤)وهو قول مجاهد –رحمه الله– كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١٢/٨)، حيث قال: "والنسك هو الذبح في الحج والعمرة".

(٥) فتح الحميد (٥٦٩/٢).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك، كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات؛ فإن الله تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه، فإذا تقربوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة، فقد جعلوا لله شريكا في عبادته، ظاهر في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ (١) ١ نفى أن يكون الله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح" (٢)، ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: "وتبين الآية أن الذبح عبادة وأنها لله ولا تنبغي أن تكون لغيره. ومن ذبح لغيره من الجن والأصنام والقبور فهو كمن صلى وعبد غير الله؛ لأن كل من الصلاة والذبح عبادة حيث قرن الله بينهما" (٣).

ثانيا: أنه قال بعد الآية: "لا شريك له" وهذا دليل على أن من خالف أمر الله بأن جعل لغير الله الذبح فإنه قد وقع في الشرك وخالف ما أمر الله به نبيه بأن لا يشرك به شيئا، وهذا وجه من أوجه ذكر هذه الآية في هذا الباب، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "ومطابقة الآية للترجمة أن الله تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك... وإذا تقربوا إلى غيره بالذبح فقد جعلوا له شريكا في عبادته، وهو ظاهر في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ (٤) نفى أن يكون لله شريك في هذه العبادات... فدلت هذه الآية أن أقوال العبد وأفعاله الظاهرة والباطنة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك..." (٥)، ويوضح هذا المعنى الشيخ صالح

---

(١) سورة الأنعام:١٦٣.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٤٣)

(٣) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٦٨)

(٤) سورة الأنعام:١٦٣.

(٥) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٩٦)

آل الشيخ – حفظه الله – حيث يقول: "وقوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لا شَرِيكَ لَهُ﴾ (١) فيه وجه استدلال ثالث على التوحيد، حيث قال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ (٢) (٣) يعني: فيما مر، أي لا شريك له في الصلاة، والنسك؛ فلا يتوجه بالصلاة والنسك إلى أحد مع الله - جل وعلا - أو من دونه..." (٤).

- **وقال المصنف رحمه الله "وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ (٥)" (٦)**

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن فيها النحر، والنحر هو الذبح وهذا وجه من أوجه مطابقة الآية للباب، يقول عبد الرزاق في تفسيره لهذه الآية: "عن معمر عن قتادة قال:" هو نحر البدن لقوله ﴿وانحر﴾ "(٧). ويقول الطبري رحمه الله في تفسيره:" عن الحسن (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال: اذبح "(٨).

ثانيا: أن فيها الأمر بأن يكون النحر لله – جل وعلا–، وقرنها بالصلاة لله وحده، وهذا دليل على أنهما عبادة وصرفهما لغير الله شرك، فالآية تأكيد للآية السابقة في بيان أن الذبح عبادة وصرفها لغير الله شرك، يقول الشيخ عبد الهادي بن محمد العجيلي–رحمه الله -:" ولا يمترى

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) سورة الأنعام:١٦٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٣.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٤٥)

(٥) سورة الكوثر:٢.

(٦) كتاب التوحيد(ص:١٥٤)

(٧) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٦٦)

(٨) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٤)

مسلم في كون الذبح لغير الله من الشرك الأكبر، ووجه الدلالة على ذلك من الآيتين الكريمتين ظاهر، وهو أن الله قرن الذبح بالصلاة، ومعلوم أن من صلى لله ولغيره فقد أشرك... "[١].

ثالثا: أن من تفسير الآية أنه لا تكن كمن صلى ونحر لغير الله بل اجعل صلاتك ونحرك لي يقول الإمام الطبري رحمه الله:" وقال آخرون: قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، لأن قوما كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغيره فقيل له. اجعل صلاتك ونحرك لله، إذ كان من يكفر بالله يجعله لغيره. "[٢]. فمن ذبح لغير الله فقد خالف هذه الآية وأخطأ كما أخطأ أولئك القوم الذين كانوا يصلون ويذبحون لغير الله، ووقع في الشرك الذي وقعوا فيه.

- **وقال المصنف رحمه الله" عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: "لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الأرض" [٣]. رواه مسلم[٤]**

مناسبة الحديث للباب يظهر من عدة أمور:

أولا: أن فيه قوله: "لعن الله من ذبح لغير الله" وهذا وجه مطابقته للباب، فإن معنى الباب كما سبق: أي ما جاء من الوعيد الشديد لمن ذبح لغير الله -جل وعلا-.

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ١٤٨/١٤٩)، وانظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد لحامد بن محمد بن حسين بن محسن (ص: ٢٢٠)، الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٨٩)، شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٦٨)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (١/ ١٦٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص:١٥٤)

(٤) اخرجه مسلم في "صحيحه" (٤ / ١١٥) برقم: (١٣٧٠) (كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة).

ثانيا: أن هذا الحديث فيه اللعن، واللعن يدل على التغليظ في التحريم، وابتدأ اللعن بمن ذبح لغير الله لعظم هذا الأمر ولأنه أشد تحريما مما بعده، فهو شرك والشرك أعظم الذنوب، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائله: "الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله" (١)، ويوضح سبب البداءة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم حيث يقول: "ووجه مطابقة الحديث للترجمة لعن من ذبح لغير الله، وبدأ بلعنه قبل غيره لغلظ تحريمه" (٢).

فمن المعلوم أن الذبح لغير الله شرك، وهذا الحديث فيه تغليظ ووعيد على من ذبح لغير الله سبحانه أنه مشرك يستحق اللعن والطرد والإبعاد من رحمة الله، يقول الشيخ صالح آل الشيخ: "وهذا يدل على أن الذبح لغير الله من الكبائر ومن المعلوم أن اقتران ذنب من الذنوب باللعن يدل على أنه من كبائر الذنوب، وهذا ظاهر من جهة: أن الذبح لغير الله شرك بالله – جل وعلا – يستحق صاحبه اللعنة والطرد والإبعاد من رحمته – جل وعلا –" (٣)، وهذا وجه من أوجه مطابقة الحديث للباب، وهو أن من أنواع الوعيد فيمن ذبح لغير الله أن الله –سبحانه – لعنه.

كما أن الذبح لغير الله هو من أكبر الكبائر وهو شرك، لأن فيه لعنا وطردا من رحمة الله، يقول الشيخ ابن باز –رحمه الله –: "وبدأ بها؛ لأن الشرك أعظم الذنوب، واللعن: الطرد، وهذا يدل على أنه من الكبائر الشركية. كما في الحديث:" أكبر الكبائر الشرك بالله "(٤).

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يارسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب**

(١) كتاب التوحيد (ص: ١٥٦).

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٩٨).

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٤٧)

(٤) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٦٩)

له شيئا، قالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة" [1]**. رواه أحمد**[2].

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيها ذبح لغير الله لقوله: "فقرب ذبابا" والتقريب هو الذبح للشيء تعظيماً.

ثانيا: أراد المصنف أن يوضح خطورة الشرك ولو كان صغيراً، ففي الحديث القربة كانت ذباباً، ومع ذلك كانت سبباً في دخول صاحبها النار، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار، ألا ترى إلى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار؛ لإشراكه في عبادة الله؛ إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة" [3]. وقد يؤخذ هذا المعنى من قول المصنف في مسائله: "الثامنة: هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب" [4]. فتأمل كيف جعل القصة عظيمة وجليلة ثم سمى القصة بقصة الذباب، مما يدل على أن الشرك عظيم ولو كان بشيء حقير وصغير، فإنه متوعد بدخول النار، وإن ذبح شيئا لا يؤكل تقربا لغير الله تعالى [5].

---

(١) كتاب التوحيد (ص:١٥٤).

(٢)أخرجه أحمد الزهد لابن حنبل (ص: ١٦/١٥)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧/ ٥٣٧) برقم (٣٣٧٠٩) عن طارق بن شهاب عن سلمان موقوفا. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٢/ ٧٢١).

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/٤٣٠).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ١٥٦)

(٥) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٢٢٥)

ثالثا: أراد المصنف أن يبين خطر الذبح والتقريب بالصغير والحقير، بل فعله لأجل أن يتخلص من قتلهم له، فكيف بمن يقرب الأنفس والأغلى وهو في حال الاختيار، لا شك أن هذا أكبر وأعظم، ويدل لهذه المناسبة قول المصنف رحمه الله في مسائله: "التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصا من شرهم" (1)، يقول ابن قاسم - رحمه الله -: "فإذا كان هذا فيمن- قرب ذبابا، فكيف بمن يستسمن الإبل وغيرها، ليتقرب بنحرها لمن كان يعبده من دون الله، من قبر أو مشهد أو طاغوت وغير ذلك" (2)

فأراد المصنف أن يبين أن صاحب التقريب لم يفعله مختارا وإنما مكرها -مع العلم بأنه في شريعة غيرنا الإكراه لا يعذر صاحبه (3) - فكيف بمن ذبح وقرب مختارا وراضيا من غير إكراه

ثم إن صاحب القربة فعل فعلته، وهو لا يهتم بالشيء الذي قرب له، فكيف بمن يعظم غير الله ويذبح له بل ويرغب إليه في رخائه وشدته، لا شك أنه أخطر وأوضح في الشرك.

رابعا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين الوعيد الشديد فيمن تهاون في الشرك، ولم يتثبت ويعلم خطر ما فعله بأن عقوبته النار، وأنه لا ينفعه كونه مسلم قبل ذلك، وهذا يؤخذ من قول المصنف: "الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرا لم يقل:" دخل النار في ذباب "" (4). أي دخل النار بسبب الذباب الذي قربه لأنه لو كان كافرا لدخل النار بسبب كفره، فلما ذكر في الحديث دخل النار في ذباب" يدل على أن سبب دخوله النار هو إشراكه بالله -سبحانه- وتقريبه ذباباً (5).

---

(1) كتاب التوحيد (ص: ١٥٦)

(2) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٠١)

(3) انظر: كتاب التوحيد وقفات وتأملات (ص: ١٠٩)

(4) كتاب التوحيد (ص: ١٥٧)

(5) انظر: المسبوك الثمين: لخالد الهويسين (١/١٠٣).

خامسا: أراد المصنف أن يبين فضل من عظم الشرك وتجنبه ولو كان شيئاً حقيرا، وصبر على ذلك حتى يلقى ربه – سبحانه-، ولو كان شيئا حقيرا، قال المصنف رحمه الله في مسائله: "العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر" (١).

ومما تقدم يتبين لنا مناسبة الحديث للباب.

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ١٥٧)

المبحث الخامس: باب لا يذبح للّه بمكان يذبح فيه لغير اللّه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله" [1]، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٥٨).

المطلب الأول: مناسبة باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله للباب السابق.

مناسبة هذا الباب للذي قبله تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الباب السابق كان من المقاصد، فقد قصد الإنسان الذبح لغير الله أما هذا الباب فهو التحذير من الوسائل الموصلة إلى هذا المقصد الخطير، أو قريبا منه، فقصد المصنف رحمه الله من البابين كل الشرك ووسائله ومواطن الشبهة فيه، وهذا من أبدع ما يكون في ترتيب البابين حتى قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله -: "ما أحسن اتباع هذا الباب بالباب الذي قبله، فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربا إليها وشركا بالله قد صار مشعرا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله، فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم." [(١)]، وهذا من عظيم نصحه - رحمه الله — للناس فإنه قصد قطع الشرك الظاهر والوسائل والمظان التي تدل وتحث عليه وتذكر به، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله -: "قصد مؤلف الكتاب - رحمه الله - هذا الباب بيان عدم جواز الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه لغير الله منعا لأي وسيلة قد تكون سببا في النهاية إلى الوقوع في الشرك" [(٢)]

ثانياً: أن الباب السابق يتكلم المؤلف فيه عن الذبح لغير الله، وهذا الباب يتكلم عن الذبح أيضا لكنه يكون لله وفي مكان يذبح فيه لغير الله، فوجه الشبه السابق كان ذبحا لغير الله، وهذا الباب هو ذبح لله لكنه في مكان يذبح فيه لغير الله، يقول الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله -: "هذا الانتقال من المؤلف من أحسن ما يكون، ففي الباب السابق ذكر الذبح لغير الله،

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٦)

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد،(ص: ٩٣)

فنفس الفعل لغير الله. وفي هذا الباب ذكر الذبح لله، ولكنه في مكان يذبح فيه لغيره، كمن يريد أن يضحي لله في مكان يذبح فيه للأصنام، فلا يجوز أن تذبح فيه، لأنه موافقة للمشركين في ظاهر الحال، وربما أدخل الشيطان في قلبك نية سيئة، فتعتقد أن الذبح في هذا المكان أفضل، وما أشبه ذلك، وهذا خطر" [١].

ثالثا: أن المصنف كأنه لما بوب الباب الأول في الذبح لغير الله وبين أنه كفر، وجد من الناس من يقول: نعم سلمنا لكم أنه كفر، ولكنا لا نذبح إلا لله، لكن عند هؤلاء الأصنام والأولياء وغيرها، أتمنعوننا من أن نذبح لله، فكان هذا الجواب على كل من ادعى إما جهلا أو عنادا بأن الذبح لله في هذا المكان جائز، فقطع الشرك وطرقه وحيله [٢].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

ويحتوي على آية، وحديث.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [٣]." [٤] الآية**

مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن الآية تتكلم عن عبادة مأمور بها الإنسان وفضيلة إقامة هذه العبادة، وفعل الأسباب التي تؤدي إلى التذكير بالصلاة وتخصيص مكان لها، ألا وهو إنشاء مسجد وهو عمل فضيل وأجره عظيم، لكنه لما كان المكان يعصى الله فيه بالفتنة والتحريض نهي عن الصلاة فيه، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله، يجب ألا يذبح بها الإنسان لله فيها، فكان مراد الشيخ - رحمه الله – قياس الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله بالصلاة في مسجد الضرار قال

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٣٢)

(٢) انظر: مغني المريد الجامع لشروح التوحيد، لعبد المنعم إبراهيم (١٠٧٩/٣).

(٣) سورة التوبة:١٠٨.

(٤) كتاب التوحيد (ص:١٥٨)

الشيخ سليمان في كتابه فقال -رحمه الله-: "ووجه الدلالة من الآية على الترجمة من جهة القياس، لأنه إذا منع الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله، لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به، يؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي" (١)، ويقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "وجه المناسبة من الآية: أنه لما كان مسجد الضرار مما اتخذ للمعاصي ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين، نهى الله رسوله أن يقوم فيه، مع أن صلاته فيه لله، فدل على أن كل مكان يعصى الله فيه أنه لا يقام فيه، فهذا المسجد متخذ للصلاة، لكنه محل معصية؛ فلا تقام فيه الصلاة، وكذا لو أراد إنسان أن يذبح في مكان يذبح فيه لغير الله كان حراما، لأنه يشبه الصلاة في مسجد الضرار" (٢)، فالآية تدل على مكان كان يعصى الله فيه، وكذلك الذبح لله في مكان يعصى الله فيه ويشرك به، يقول الشيخ عبدالله الغنيمان – حفظه الله –: "فالمقصود من هذا أن المعاصي تؤثر في الأماكن، وكذلك أصحاب المعاصي يؤثرون على من جالسهم، ولهذا أمر الله جل وعلا بالتبرؤ من المشركين والابتعاد عنهم" (٣).

فلما نُهي عن الصلاة في مسجد لا يقوم فيه العبد إلا لله – سبحانه- لكن منعوا من الصلاة فيه بسبب التحريض والفتنة التي كانت في المكان، وإذا كان كذلك فإن الأولى ألا يذبح لله في مكان أساسه وأصله أنه يقام فيه عبادة لغير الله، فلا شك أنه أعظم وأكبر يقول الشيخ حامد بن محمد بن حسين -رحمه الله-: "فإن قلت: ما استدل به من قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٣٦)، وانظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ١٦٣)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٣٤-٢٣٥)، وانظر: الدر النضيد، لسعيد الجندول (ص: ٩٥).

(٣) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١/٣٠٩)

فِيهِ أَبَدًاۚ﴾ [(١)]. [التوبة: ١٠٨]. على عدم الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله؟ قلت: لأن الله ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه ومعلوم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي لله وحده لا شريك له ومع ذلك نهي عن الصلاة فيه، وبعدما فعلوا فيه ضرراً ولا كفراً ولا تفريقاً بل مجرد أن أوجب النهي عن الله بالقيام والصلاة فيه، فكيف بمكان فعل فيه الشرك والكفر؟ فهو أولى بالنهي عن الطاعة فظهر وجه الاستدلال بالآية لما بوَّب لأجله الباب" [(٢)].

ثانيا: أن مقصد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه -رضي الله عنهم- حسنة ونيتهم صافية، ألا وهي الصلاة، ومع ذلك نهاهم الله -عز وجل- من الصلاة فيه، فكذلك الذبح لله مقصده جميل ومع ذلك نهي عنه، فأراد المصنف رحمه الله أن النية ليست وحدها كافية في العبادة، بل لابد من اعتبار غيرها كأماكن الشبه وغيرها، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "ومناسبة الآية للباب ظاهرة: وهي أن الله - جل وعلا - نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في مسجد الضرار، ومعلوم أن صلاته عليه الصلاة والسلام، وصلاة المؤمنين معه هي خالصة لله - جل وعلا - دون من سواه، ومع هذا فقد نهوا عن الصلاة فيه، مع أنهم مخلصون؛ ليس عندهم نية الإضرار ولا التفريق ولا الإرصاد، لكن نهاهم عن الصلاة فيه؛ لأجل هذه المشاركة والمشابهة التي قد تغري بإتيان ذلك المكان، الصورة متحققة وموجودة فيمن ذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، فإنه وإن كان مخلصا، لكنه قد يدعو إلى تعظيم ذلك المكان بفعله، وإن لم يقصد التعظيم" [(٣)].

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله أن يحذر من الأماكن التي يعصى الله فيها؛ لأنها أماكن عذاب وعقاب ما دام أنها كذلك، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن-رحمه الله-: "ووجه مطابقة

---

(١) سورة التوبة:١٠٨.

(٢) فتح الله الحميد المجيد (ص: ٢٢٦)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٣)

الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب، فنهى الله نبيه – صلى الله عليه وسلّم – أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة، وخرج لوجود العلة المانعة مخرج الخصوص والنهي عام، وما كان مثله من الأمكنة مما أعد للمعصية وخص بفعلها فيه، فإنه يعطى حكمه؛ لأن المعصية صيرته محلا خبيثا وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه" (١)، وهو – ﷺ – لا يصلي إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، "(٢). وهذا تنبيه مهم، وملحظ جميل في أن العبرة بالحقائق، لا بالظواهر والأسماء، يقول الشيخ عثمان بن منصور –رحمه الله –:" في هذه الآية الكريمة تنبيه للمسلمين بالاحتراز من عدوهم الباطن؛ لئلا يغتروا بزخرفته القول، فيلبس الباطل عليهم بالحق، والباطن غير ذلك... أن الاعتبار بالحقائق لا بالأسماء؛ فإن الظاهر أنهم اتخذوه مسجدا للعبادة "(٣)، وقد بين هذا المعنى المصنف في مسائله فقال:" الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة "(٤).

رابعا: أراد المصنف أن ينظر العبد إلى مآلات الأمور، ولا يكفي مجرد كون الشيء في وقته جميل وحسن، فالصلاة في مسجد الضرار يسبب نشر فتنتهم وفسادهم وإفسادهم، وكذلك الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله فإنه قد يؤدي إلى اعتقاد جواز الذبح لغير الله وهكذا، يقول الشيخ ابن باز –رحمه الله –:" واستدل به المؤلف على أن المكان المعد للذبح لغير الله أو

(١) قرة عيون الموحدين (ص: ٢٤٨)

(٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٠٣).

(٣) فتح الحميد(٦٢٣/٢،٦٣٠)

(٤) كتاب التوحيد:(ص:١٥٩).

الصلاة لغير الله أو معد للفسق والمعاصي يجب ألا يبقى حتى لا يفسد المسلمين ولا ينسب إليهم، وهذا قياس ثابت كما في حديث: "فلعل ابنك هذا نزعه عرق" (١) "(٢).

- **قال المصنف رحمه الله" عن ثابت بن الضحاك قال: "نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك آدم" ، رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما** "(٣) (٤).

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: هذا توضيح صريح مطابق للترجمة في بيان أن الحكم متوقف على المكان هل كان يذبح فيه لغير الله، فلما لم يكن يذبح فيه لغير الله أجاز صلى الله عليه وسلم أن يوفي الرجل بنذره، لأن النذر عبادة؛ وكذلك الذبح لله عبادة أيضا، يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- يبين مناسبة الحديث للبا:" وجه الدلالة: أن هذا الناذر كان قد نذر أن يذبح نعما... وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله، من وجوه:

---

(١)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٥٣) برقم: (٥٣٠٥) (كتاب الطلاق ، باب إذا عرض بنفي الولد)، ومسلم في "صحيحه" (٤ / ٢١١) برقم: (١٥٠٠) (كتاب اللعان).

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٧٣)

(٣) كتاب التوحيد (ص:١٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣ / ٢١٩) برقم: (٣٢٥٧) (كتاب الأيمان والنذور .، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام)، والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٢٨٢).

أحدها: أن قوله: «فأوف بنذرك"تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء، وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء: وجود النذر خاليا من هذين الوصفين، فيكون الوصفان مانعين من الوفاء، ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به.

الثاني: أنه عقب ذلك بقوله: «لا وفاء لنذر في معصية الله» ولولا اندراج الصورة المسئول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط، والمنذور في نفسه – وإن لم يكن معصية – لكن لما سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن الصورتين قال له: «فأوف بنذرك»، يعني: حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه -ﷺ - فيه أمرا بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه..." (1).

ففي الحديث التصريح بأن الوفاء لا يجوز في معصية الله، فدل على أن الذبح في مكان فيها ذبح لغير الله من أوثان ونحوها أنه معصية، وهذه دلالة أخرى على أن الذبح لغير الله معصية بل من أعظم المعاصي لأنها شرك.

ثانيا: أن الحديث أتى بفائدة أخرى وهي أنه لا يجوز الذبح في هذا المكان لله، ولو بعد زوال الوثن أو الشرك الموجود في هذه البقعة لقول النبي -ﷺ -: "هل كان فيها..." الحديث، وقد ذكر هذه المناسبة المصنف في مسائله فقال: "السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله" (2)، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "قال المصنف: وفيه المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ولو بعد زواله، وهو الشاهد من الحديث للترجمة؛ لأن

---

(1)اقتضاء الصراط المستقيم اقتضاء الصراط لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،(1/ 495) تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:7، 1419هـ، ونقل معناه الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – في تيسير العزيز الحميد (1/442).

(2) كتاب التوحيد: (ص:160).

في بعض الروايات بيان أنه ســـأله في حجة الوداع بعد زوال الأوثان من تلك الجهات، فكل موضع أسس للمعصية لا يجوز الذبح فيه ولا الصلاة" (١).

ثالثا: أن تخصـــيص المكان وتعيينه بالذبح فإنه في الغالب يكون هناك اعتقاد في هذا المكان في فضيلة أو مناسبة، فأراد المصنف أن يبين أن تخصيص المكان بالذبح لابد أن يخلوا من أي شـــرك عرف به، فلما نذر الرجل أن يذبح ببوانه احتمل أن يكون فيه محظورا أو لا يكون، فســـأل عندها النبي -ﷺ -، فلما تمت الإجابة بأنه ليس ثمت محضـــور، أمره بالوفاء بنذره، وهذا المعنى قد ذكره المصنف في مسائله بقوله: "الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال" (٢).

رابعا: دل الحديث على معنى من معاني الترجمة وفائدة من فوائدها وهو أن الإنسان ينبغي له أن يخالف المشركين في أحوالهم واعمالهم وهذا له شواهد كثيرة من الكتاب والسنة ومنها هذا الحديث، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان —حفظه الله-: "المسلم يجب أن يكون مخالفا للمشركين في جميع أعمالهم التي عرفوا بها وصارت خاصة بهم، وأن مشاركتهم في ذلك من الأمور الكبيرة؛ يعني: من الكبائر التي تقدح في توحيد المســـلم، وهذا هو المقصـــود من هذا الباب والله أعلم" (٣).

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٠٤)

(٢) كتاب التوحيد: (ص:١٥٩)، وانظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله الدويش:(ص:٨٢)

(٣) المحاورات لطلب الأمر الرشيد: (٣٢٣/١)

المبحث السادس: باب من الشرك النذر لغير الله.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب من الشرك النذر لغير الله" [1]، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من الشرك النذر لغير الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٦١).

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك النذر لغير الله للباب السابق.

قبل البدء في ذكر المناسبة أنبه القارئ إلى أن ما أورده الشيخ - رحمه الله – في هذا الباب إنما هي نصوص تدل على أن النذر عبادة، وتقدم أن الشيخ - رحمه الله – في مطلع كتابه لما أورد بعض النصوص التي تدل على تحريم الشرك وقبحه، وأن الشرك هو صرف العبادة لغير الله قال بعد ذلك: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب" ، فتلك الأدلة التي ذكرها تصلح لأن يستدل بها على أن صرف العبادة لغير الله شرك، ومنها النذر لغير الله تعالى [١].

ومناسبة هذا الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن الشيخ يحذر من أنواع يقع الناس بها وهي من الشرك، فلما ذكر الذبح وفصله في بابين أراد أن يبدأ بما يدخل في الشرك أيضا وما يعتبر من الشرك فبدأ بالنذر لغير الله في هذا الباب، يقول الشيخ صالح الفوزان–حفظه الله-: "والشيخ رحمه الله في هذه الأبواب إنما يحكي أنواعاً تقع من بعض الناس وهي من الشرك، يريد أن يحذر المسلمين منها، ومن ذلك: النذر لغير الله من الجن، أو الأولياء والصالحين، أو أصحاب القبور، وهذا عبادة لغير الله عز وجل فهو شرك، وهذا واقع في هذه الأمة بكثرة" [٢].

ثانيا: أن هذا الباب والذي قبل الباب السابق، وكذلك البابين التي بعد هذا الباب، إنما هم لبيان أنواع من الشرك، ومعرفة الضابط في حد الشرك الأكبر وهو أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، فالذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة عبادات لا تصرف لغير الله، ولهذا فإن المصنف قد والى بين هذه الأبواب [٣].

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٦٠-١٦١)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٨٠)

(٣) انظر: القول السديد، لعبد الرحمن السعدي (ص: ٦١)

ثالثا: أن الذبح من العبادات البدنية، وصرفها لغير الله شرك، فأعقبه بهذا الباب لأنه من العبادات البدنية والقولية معا، وهذه مناســبة جميلة ولطيفة، فبدأ بالعبادة البدنية ثم أعقبها بما تشترك معها في كونها بدنية ولكنها تزيد في كونها يكون فيها العبادة قولية [(١)].

رابعا: لما أورد الشيخ - رحمه الله – في الباب السابق حديث ثابت بن الضحاك في شأن الرجل الذي نذر أن يذبح لله تعالى، ولكن في مكان معين، سأل النبي - صلى الله عليه وسلّم – عن حقيقة المكان في زمن الجاهلية، فكأن الشــيخ - رحمه الله – أراد في هذا الباب أن يبين حكم النذر الشركي وهو الصريح في صرف تلك العبادة لغير الله -جل وعلا-، يقول الشيخ عثمان بن منصــور-رحمه الله -: "لما ترجم رحمه الله على المنع من الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله – تعالى -، ذكر هذه الترجمة على قاعدته في الترقي من الاســفل إلى الأعلى، فالأولى تمنع عن المشابهة في الفعل، وهذه تمنع عن الفعل نفسه." [(٢)]،

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

ويحتوي على آيتين، وحديث.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى:** ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [(٣)] الآية. [(٤)]**"**

مناسبة هذه الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الله -عز وجل- أثنى على الموفين بالنذر، ووعدهم به الجنة، فدل ذلك على أنه عبادة؛ وصرف العبادة لغير الله شرك، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: "وجه الدلالة من الآية

---

(١) انظر: التأصيل والتقعيد، لخالد المرضي (ص: ١٨٣).

(٢) فتح الحميد (٦٥٣/٢)، وانظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد للجندول (ص: ٩٧)

(٣) سورة الإنسان:٧.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ١٦١).

على الترجمة أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، لا يمدح على فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقربًا به إليه فقد أشرك" (١)، يقول المصنف - رحمه الله - في مسائله: "الثانية: إذا ثبت كونه عباده فصرفه إلى غيره شرك" (٢)،

ومما يوضح كونها عبادة أن الله تعالى قرن الوفاء بالنذر بالخوف به -جل وعلا-، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان—حفظه الله-: "قرن النذر بالخوف من يوم القيامة وأهواله الذي هو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله -جل وعلا- مما يؤكد أن النذر عبادة لله —جل وعلا- وهو الوفاء به إذا كان في طاعة الله جل وعلا." (٣)، مما يدل على أن الذي لا يوفي بنذره أنه لا يخاف لقاء الله وعصى الله بذلك، فما بالك بمن نذر لغير الله، لا شك أنه أعظم وأكبر، وهذه مناسبة جميلة ولطيفة في هذه الآية، للدلالة على مفهوم هو أعظم من عدم الوفاء بالنذر ألا وهو الشرك بالله بالنذر لغيره،

ثانيا: أراد المصنف أن يبين حرمة النذر وأنه يعظم أجر من أوفاه ويمدحه، لأنه عظم النذر وأتى به، مما يدل على أن النذر إذا كان لغير الله فإنه ليس له حرمة ولا تعظيم، فالشرك ليس له حرمة، والنذر لغير الله شرك، وكثير من الجهال يعظم النذر ويكبره لو كان لغير الله، ولهذا المصنف أتى بهذه الآية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما ما نذره لغير الله كالأصنام والشمس والقمر ونحو ذلك بمنزلة أن يحلف بغير الله تعالى من المخلوقات، لا وفاء

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٤٤٧)، وانظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٣٠)

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ١٦٢).

(٣) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١/٣٢٨)

عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء، فإن كلاهما شـــرك والشـــرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر" (١).

- **وقال المصنف رحمه الله "وقوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ (٢) الآية" (٣)

مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصـــنف رحمه الله من هذه الآية أن يورد شـــاهدا آخر على أن النذر عبادة، والعبادة صرفها لغير الله شرك، فقد بين في هذه الآية أن ما ينفقه الإنسان من نفقة أو ينذره من نذر أن الله يعلمه وسيجازي الإنسان على ذلك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله -: "وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله تعالى أخبر بأن ما أنفقناه من نفقة، أو نذرناه من نذر متقربين بذلك إليه أنه يعلمه، ويجازينا عليه. فدل ذلك أنه عبادة. وبالضـــرورة يدري كل مسلم أن من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك" (٤)، فقد قرن الله النذر بالنفقة، ومن المعلوم أن الإنفاق في ســـبيل الله طاعة، مما يدل على أن النذر كذلك طاعة لله —جل وعلا-(٥)، وهذا أيضا مدلول قول المصنف رحمه الله في مسائله: "الثانية: إذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غيره شرك" (٦).

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله، نقلا عن شيخ الإسلام بن تيمية – رحمهما الله – (١/٤٤٩)، وقد نقل هذا الكلام صاحب تيسر العزيز الحميد عن شيخ الإسلام بن تيمية ولم أجده.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٠.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٦١)

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ٤٤٨)، وانظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٣٠)

(٥) انظر: إعانة المستفيد، للشيخ صالح الفوزان (١/ ١٨٢)

(٦) كتاب التوحيد: (ص: ١٦٢).

ومما يؤكد أن النذر عبادة هو أن تعليق النذر بالعلم يدل على أنه سيحاسب عليه وبالتالي فهو عبادة، يقول الشيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله -: "قوله:" ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ (١) ": تعليق الشـــيء بعلم الله دليل على أنه محل جزاء، إذ لا نعلم فائدة لهذا الإخبار بالعلم إلا لترتب الجزاء عليه، وترتب الجزاء عليه يدل على أنه من العبادة التي يجازي الإنسان عليها، وهذا وجه استدلال المؤلف بهذه الآية" (٢).

ثانيا: أراد أن يؤكد كما أكد في الآية التي قبلها أنه كما أن للنذر حرمة والوفاء به واجب وتاركه يعتبر ظالم لنفســـه، فإن النذر لغير الله ليس له حرمة ولا تعظيم بل إن الوفاء به يعتبر ظلما والظالم لا أنصـــار له ولا أعوان، قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠﴾ (٣).

- **قال المصنف رحمه الله "في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه "(٤)"** (٥)

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٠.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٤٦)، وانظر: إعانة المستفيد، للشيخ صالح الفوزان (١/ ١٨٢).

(٣) سورة البقرة: ٢٧٠.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ١٦١)

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٤٢) برقم: (٦٦٩٦).

أولا: دل الحديث على أن الوفاء بنذر الطاعة واجب، فيجب على الإنسان أن يوفي به، وقد بين وجوب ذلك المصنف في مسائله فقال: "الأولى وجوب الوفاء بالنذر" (1)، وإذا كان كذلك فإنه عبادة وصرفها لغير الله شرك، وهذا أيضا تفسير آخر لمراد الشيخ في مسائله عند ذكر المسألة الثانية المذكورة في الآيتين السابقتين وهي قوله: "إذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك" (2)، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم-رحمه الله-: "وقد علمنا من الآيتين والحديث أن النذر عبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر، ومنه الذين ينذرون الزيوت والشموع والأطياب للقبور"(3).

ثانيا: أراد المصنف أن يوضح تحريم الوفاء بالنذر إذا كان معصية، ومن المعلوم أن النذر لغير الله معصية فلا يجوز الوفاء به؛ بل إنه من أعظم المعاصي، يقول الشيخ عثمان بن منصور- رحمه الله -: "ولفظ المعصية عام لكل معصية، داخل فيه أنواع الشرك، كالنذر لغير الله — سبحانه وتعالى -؛ فإن الشرك أخص المعاصي بالنهي في هذا اللفظ" (4)، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الثالثة أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به." (5)، فلا يجوز الوفاء بنذر المعصية، فما بالك إذا كانت المعصية شركا، لا شك أنها أعظم وأشد.

وعلى كل فإن هذه النصوص التي نقلها الشيخ - رحمه الله — في هذا الباب العظيم دالة على بطلان ما عليه عباد القبور، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -: "إذا علمت ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور وأشباههم لمن يعتقدون فيه نفعا أو ضرا فيتقرب إليه بالنذر، ليقضي حاجته أو ليشفع له. كل ذلك شرك في العبادة... وعباد القبور يجعلون لله

---

(1) كتاب التوحيد: (ص: ١٦٢).

(2) كتاب التوحيد (ص: ١٦٢).

(3) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٠٨)، وانظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ١٦٨)

(4) فتح الحميد (٢/٦٦١)

(5) كتاب التوحيد: (ص: ١٦٢).

جزءا من أموالهم بالنذر والصـــدقة، وللأموات والطواغيت جزءا كذلك، وقد نص غير واحد من العلماء، على أن النذر لغير الله شرك..." [1].

المبحث السابع: باب من الشرك الاستعاذة بغير الله.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: "باب من الشـــرك الاســـتعاذة بغير الله"[2]، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/٤٤٨).

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٦٣).

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك الاستعاذة بغير الله للباب السابق.

مناسبة الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب والأبواب الثلاث التي قبله، وكذلك الباب الذي بعد هذا الباب، إنما هي لبيان أمثلة من أنواع الشرك التي يمارسها بعض الناس في مختلف الأزمان، ولا تزال تُمارس عند كثير من الناس، ومعرفة الضابط في حد الشرك الأكبر وهو أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله -: "قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب، التنبيه على أن الاستعاذة بالله عبادة، وصرفها لغيره شرك" [(١)]. فالذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة عبادات لا تصرف لغير الله، ولهذا فإن المصنف قد والى بين هذه الأبواب [(٢)].

ثانيا: أن الذبح من العبادات البدنية، وصرفها لغير الله شرك، فأعقبه بباب النذر لأنه من العبادات البدنية والقولية معا، ثم بعد ذلك أتى بهذا الباب وهو من العبادات القولية وهذه مناسبة جميلة ولطيفة، فبدأ بالعبادة البدنية ثم أعقبها بما تشترك معها في كونها بدنية ولكنها تزيد في كونها يكون فيها العبادة قولية[(٣)] ثم بعد ذلك أتى بالعبادة القولية وهي الاستعاذة، فقال: "باب من الشرك الاستعاذة بغير الله" لأن الاستعاذة بغير الله تكون بالقول الذي معه اعتقاد؛ ولذلك ناسبت أن تكون بعد "باب من الشرك النذر لغير الله" [(٤)].

---

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ٩٩)

(٢) انظر: القول السديد، لعبد الرحمن السعدي (ص: ٦١)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (١/ ١٨٦)

(٣) انظر: التأصيل والتقعيد، لخالد المرضي بتصرف يسير (ص: ١٨٣).

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٦٧)

ثالثا: لما ذكر المصنف ما يقدمه العبد لمن يعبده من دون الله من التبرك والذبح والنذر له، أعقبه ببيان ما يطلبه ممن يعبده من دون الله، وهذه مناسبة لطيفة وتتابع جميل في الأبواب [1]

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

ويحتوي على آية، وحديث.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى:** ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [2]. **الآية"** [3].

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الجن لما عرفوا الدين الصحيح وآمنوا به جعلوا يتذكرون عبادتهم الشركية التي كانوا يقومون بها، ومنها الاستعاذة بغير الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "ووجه الاستدلال بالآية على الترجمة أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، ذكروا أشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في الجاهلية، من جملتها الاستعاذة بغير الله" [4]، وهذا معنى مراد المصنف في مسائله حيث قال -رحمه الله-: "الثانية: كونه من الشرك" [5].

فإيراد المصنف لهذه الآية في هذا الباب يدل على أنها عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، يقول الشيخ سعيد الجندول: "وإيراد هذه الآية في هذا الباب للاستدلال بها على أن الاستعاذة بالله عبادة من العبادات كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ

---

(١) انظر: منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد، لخالد الدبيخي(ص: ٢١٤).

(٢) سورة الجن:٦.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٦٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٤٦٣/١)

(٥) كتاب التوحيد:(ص:١٦٤).

ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ (١)، وما كان عبادة لله كان صرفه لغير الله شركا" (٢)، وقد تقدم تقرير هذا بحمد الله.

ثانيا: أنهم ذكروا هذه العبادات الشركية التي كانوا يقومون بها على سبيل الذم، وذلك أن قلوبهم تعلقت بغير الله تعالى، حتى استعاذوا بالمخلوقين من دون الله تعالى، يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "وجه الاستشهاد بالآية: ذم المستعيذين بغير الله، والمستعيذ بالشيء لا شك أنه قد علق رجاءه به، واعتمد عليه، وهذا نوع من الشرك" (٣)، فقد ذكرهم الله في معرض الذم، فكان هذا دليلا على وجوب ترك فعلهم، وهو الاستعاذة بغير الله –سبحانه- (٤).

ثالثا: أن من معاني: "رهقا" ، أي إثما، وهذا مناسب للباب من جهة أنه إذا كان إثما فإنه شرك؛ لأنها عبادة، وصرفها لغير الله شرك، يقول الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله-: "وهذا أيضا ظاهر من جهة الاستدلال، لأن الاستعاذة إذا كانت موجبة للإثم، فهي إذًا عبادة شركية إذا صرفت لغير الله، وعبادة مطلوبة إذا صرفت لله -جل جلاله- وهذا يستقيم مع الترجمة من أن الاستعاذة بغير الله شرك" (٥)، ثم إن حصول المنفعة أو المضرة من أي شيء، فإن هذا لا يخرجه عن الشرك، وكذلك الآية فإن الجن لما ذكروا الأمور الشركية وأنهم لما كانوا يستعاذ بهم بغير الله؛ ذكروا أثرها عليهم: ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾﴾ (٦)، يقول الإمام البغوي في تفسير الآية: "يعني زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا، قال ابن عباس: إثما. قال مجاهد: طغيانا. قال مقاتل:

---

(١) سورة فصلت:٣٦.

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ١٠٠)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٥٢)

(٤) انظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٧٩)

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٧٢)

(٦) سورة الجن:٦.

غيا. قال الحسن: شرا قال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا يقولون: سدنا الجن والإنس، و" الرهق "في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم" (١).

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك "(٢). رواه مسلم.** (٣)

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف أن يبين أن الاستعاذة بصفاته ليست من الشرك، وأن كلمات الله غير مخلوقة، بدليل أنه استعاذ بها، وأنه استعاذ بها من شر ما خلق، وهذا يدل على أن الاستعاذة المشروعة التي يجب على الانسان أن يقتصر عليها هي الاستعاذة بالله أو بصفة من صفاته، يقول الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله -:" والشاهد من الحديث: قوله: أعود بكلمات الله. والمؤلف يقول في الترجمة: الاستعاذة بغير الله، وهنا استعاذة بالكلمات، ولم يستعذ بالله، فلماذا؟ أجيب: أن كلمات الله صفة من صفاته، ولهذا استدل العلماء بهذا الحديث على أن كلام الله من صفاته غير مخلوق، لأن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز في مثل هذا الأمر، ولو كانت الكلمات مخلوقة ما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستعاذة بها. ولهذا كان المراد من كلام المؤلف: الاستعاذة بغير الله، أي: أو صفة من صفاته "(٤)، يقول الشيخ ابن باز مؤكدا هذا المعنى:"

---

(١) تفسير البغوي(٨/ ٢٣٩)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ١٦٣)

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٧٦) برقم: (٢٧٠٨) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فِي التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٥٥)، وانظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٣٥٥/١)

وهذا يدل على فضلها فينبغي العمل بها، والتعوذ بغير الله وبغير صفاته لا يجوز بالإجماع وإنه شرك "(١).

فلما أتى المصنف في هذا الباب الآية السابقة والتي فيها كيف أن الجن ذموا عبادتهم الشركية، وذكروا ما يحصل لشياطينهم عندما يضعف إيمان الإنس ويستعيذون بهم، وأن الجن يتسلطون عليهم ويزيدهم ذلك طغيانا وشرا؛ ذكر هذا الحديث ليبين أن من قوي إيمانه واستعاذ بربه وذكره أنه لن يضره شيء بإذنه سبحانه.

إذا تقرر هذا فإن النفع والضر بيد الله وطلبها من غير الله شرك، وكون الإنسان يزعم أنه لا يعبدها وإنما لأجل أن يحصل على منفعة فإن هذا لا يخرجه من الشرك، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله في مسائله، حيث قال:" الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك "(٢).

ثانيا: أن المصنف لما بين الحديث، وأن النبي -ﷺ- دل على الاستعاذة بكلمات الله التامات، دل ذلك على تحريم الاستعاذة بغيره -سبحانه-، يقول الشيخ حامد بن محمد بن حسين -رحمه الله-:" فإن قلت: ما المستدل به على الترجمة؟ قلت: لما بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاستعاذة بكلمات الله التامات منطوقا بان مفهوما أن الاستعاذة بغيرها لا ينبغي للمسلم أن يفعلها وأنها منهي عنها وأنها حرام، وقد نص الإمام أحمد رحمه الله وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق "(٣).

ثالثا: أن هذا الدعاء وهذه الاستعاذة بالله هو ما شرعه الله -سبحانه- للمسلمين، وأن شرع غيره باطل ومردود، ففيه الاستعاذة النافعة المشروعة بدلا من الاستعاذة الشركية التي كان يستعملها المشركون، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله -رحمه الله-:" هذا شرعه الله لأهل الإسلام

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ٨٠)

(٢) كتاب التوحيد:(ص:١٦٤).

(٣) فتح الله الحميد المجيد (ص: ٢٣٤: ٢٣٥)

أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا به أو بصفاته "[1].

المبحث الثامن: باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره "[2]، ويحتوي على أربع آيات، وحديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) تيسير العزيز الحميد: (١/٤٦٥).

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٦٥).

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره للباب السابق.

أراد المصنف أن يبين ويوضح في هذا الباب أن الاستغاثة بغير الله هو دعاء لغير الله بل هو نوع من أنواع الدعاء، فعطف الدعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على الخاص كما بين ذلك المصنف رحمه الله في المسألة الأولى من مسائل هذا الباب (١)، والذي يتبادر إلى الذهن هو أن المصنف رحمه الله كأنه يقول إذا كنتم تنكرون أن دعاء غير الله بالجملة شركا، فهاكم الأدلة التي تدل على أن الاستغاثة من الشرك، والاستغاثة إنما هي دعاء لكنه من مكروب، وإذا كنتم تزعمون أنكم لا تدعون غير الله وإنما تستغيثون بهم فقط، فهاكم الأدلة أيضا التي تدل على أن الاستغاثة دعاء، ودعاء غير الله شرك، فقال المصنف: باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره،" فالدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره "(٢)،

أما مناسبة الباب لما قبله فتتجلى من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب والأبواب الأربع التي قبله، إنما هي لبيان أنواع من الشرك، ومعرفة الضابط في حد الشرك الأكبر وهو أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، فالذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة عبادات لا تصرف لغير الله، ولهذا فإن المصنف قد والى بين هذه الأبواب (٣)، يقول الشيخ عبدالله بن جبرين-رحمه الله -:" ويعرف أهمية الباب وآكديته، وصلته ببقية أبواب التوحيد في أن الدعاء، والاستغاثة، من جملة أنواع العبادات التي لا يصلح منها شيء إلا لله تعالى، فمن صرف منها شيئا لغير الله، فقد عبد ذلك الغير، ولا فرق بالتسمية

---

(١) انظر: كتاب التوحيد (ص:١٦٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله -رحمه الله- (١/٤٧١).

(٣) انظر: القول السديد، لعبد الرحمن السعدي (ص: ٦١)

حينئذ... "[1]، فهذا الباب جاء في سياق الأبواب التي تبيّن أنواعاً من الشرك الذي يقع فيه بعض الناس في مختلف العصور والأزمان [2].

ثانيا: أن الذبح من العبادات البدنية، وصرفها لغير الله شرك، فأعقبه بباب النذر لأنه من العبادات البدنية والقولية معا، ثم بعد ذلك أتى بباب الاستعاذة والاستغاثة وهما من العبادات القولية، فبدأ بالعبادة البدنية ثم أعقبها بما تشترك معها في كونها بدنية ولكنها تزيد في كونها يكون فيها العبادة قولية[3] ثم بعد ذلك أتى بالعبادة القولية وهي الاستعاذة والاستغاثة والدعاء[4].

ثالثا: أن المصنف أخر باب الاستغاثة وقدم الاستعانة لكي يستقيم الترتيب، فهذا الباب فيه دعاء وطلب واضح وصريح، وكذلك الباب الآتي ذكره فإن بينهما علاقة وارتباط كما سيأتي بيانه في الفصل القادم بإذن الله، فبدأ بالاستعاذة ثم الاستغاثة، مع إن الاستعاذة فيها نوع دعاء، لكن هذا الباب أوضح وأصرح، فناسب أن يكون ما هو أوضح وأصرح في الدعاء —وهو الاستغاثة-، قريب من الباب التالي —وهو باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [5]. - والذي يتكلم عن الدعاء والمدعوين كما سيأتي بيانه بإذن الله -جل وعلا-.

---

(١) السبك الفريد(١/٢٧٤)، وانظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص: ١٠٣).

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان —حفظه الله- (١/ ١٩٣)

(٣) انظر: التأصيل والتقعيد، لخالد المرضي بتصرف يسير (ص: ١٨٣،١٩٠).

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٦٧)

(٥) سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله" وقول الله تعالى:** ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ (١). **الاية** "(٢)

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية تتكلم عن نهي النبي -ﷺ- من أن يدعو غير الله، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ (٣). الآية، فالآية مطابقة للباب، والمعنى لا تطلب من غير الله.

ثانيا: أن هذه الآية بينت السبب من النهي عن دعاء غير الله، وهو أنهم لا يملكون نفع غيرهم أو ضرهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ (٤) الآية، فلا يملك النفع ولا الضر إلا الله -سبحانه-، فكيف تطلب من غير الله ما لا يملكه.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله-رحمه الله- مبينا وموضحا ما ذكرناه في المناسبتين السابقتين:" حاصل كلام المفسرين أن الله تعالى نهى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو من

---

(١) سورة يونس:١٠٦-١٠٧.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ١٦٥)

(٣) سورة يونس:١٠٦.

(٤) سورة يونس:١٠٦.

دونه ما لا ينفعه ولا يضره، والمراد به كل ما سوى الله، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون وسواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم... "(١).

فالنفع والضر بيد الله وحده فهو الذي يصيب الإنسان به وهو الذي يكشفه عنه، فدعاء غير الله لا ينفع زيادة على أنه كفر، فثبتت مضرته في الدنيا والآخرة (٢)، وهذا ما نص عليه المصنف في مسائله فقال -رحمه الله-:" السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا "(٣).

ثالثا: بينت الآية العقوبة والوصف الذي يوصف به النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يدعوا غير الله ويستغيث به، فما بالك بغيره من الناس، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فإذا كان هذا الأمر لا يصدر من الأنبياء وحاشاهم من ذلك لم يفكوا أنفسهم من عذاب الله، فما ظنك بغيرهم؟! فلم يبق شيء يقرب إلى الله ويباعد من سخطه إلا توحيده والعمل بما يرضاه، لا الاعتماد على شخص أو قبر أو صنم أو وثن أو مال أو غير ذلك من الأسباب... "(٤)، وهذه المناسبة قد بينه المصنف في مسائله فقال:" الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين "(٥).

رابعا: أن من استغاث بغير الله أو دعا غيره فهو مشرك شركا أكبر مخرج من الملة، بدليل أنه وصف صاحبه بالظلم، ثم ذكر في الآية التي بعدها أن كاشف الضر هو الله وحده لا شريك له، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله مبينا هذا المعنى ومستشهدا له:" وقوله: ﴿فَإِن

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٠٤).

(٢) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله الدويش(ص: ٩١).

(٣) كتاب التوحيد (ص:١٦٧).

(٤) المصدر السابق (١/ ٥٠٥).

(٥) كتاب التوحيد، (ص:١٦٧).

فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [١] أي المشركين، وهذا كقوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [٢]... والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾. "[٣]، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله عن الآية:" الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر "[٤]، أي أن هذا الدعاء والطلب من غير الله من الشرك الأكبر، فالمصنف رحمه الله أراد أن يبين أن هذا الدعاء في هذه الصفة والحالة أنها هي الشرك الأكبر.

- **وقال المصنف رحمه الله" وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [٥]"[٦] الآية[٧]**

مناسبة الآية للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن المصنف أراد أن يبين في هذه الآية أن الرزق يطلب من الله وحده ولا يطلب من غيره ويدعى غيره، وأن من طلب من غيره فهو مشرك، وهذا مراد المصنف في مسائل الباب قوله:" الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه "[٨]، يقول

---

(١) سورة يونس:١٠٦.

(٢) سورة الشعراء:٢١٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٠٥).

(٤) كتاب التوحيد، (ص:١٦٧).

(٥) سورة العنكبوت:١٧.

(٦) المصدر السابق (ص: ١٦٥)

(٧) (سورة العنكبوت: ١٧)

(٨) كتاب التوحيد (ص:١٦٧).

الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-:" فتقديم المعمول يفيد الاختصاص، أي اطلبوه من عند الله لا من عند غيره "(١).

ثانيا: أن غالب من يدعوا غير الله ويستغيث به أنه يريد منه رزقا، ولهذا قال الله قبلها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ (٢) ولهذا فإن المصنف أورد هذه الآية ليبين أن الاستغاثة والدعاء هما من أعظم أسباب الحياة؛ فمن لم يكن عنده رزق فإنه يوشك على الهلاك؛ فذكر المصنف هذه الآية التي فيها النص على توحيد جهة طلب الرزق؛ لأن معظم حال المستغيثين إنما هي لطلب الرزق، وإذا كانت هذه الأصنام لا تملك الرزق، فكيف تستغيث بها؟! لا شك أنه تناقض وقلب للحقائق ووضع الشيء في غير موضعه (٣).

ثالثا: أن المصنف أورد هذه الآية ليبين طريق الخلاص من الشرك وأهله وإخلاص الالتجاء إلى الله، فهي أعظم ما تجلب وتكثر به الأرزاق، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" أرشد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية إلى الإخلاص لله، وأنه أعظم الوسائل في ابتغاء الرزق عنده "(٤).

رابعا: لما بين المصنف في الآية السابقة أن النفع والضر بيد الله فلا يكشف الضر ولا يجلب النفع إلا الله، هنا أرشدهم وأمرهم أن يطلبوا الرزق ممن بيده كل شيء وهو المتصرف وحده لا شريك له، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله-:" بعد أن أخبرهم الله تعالى أن جميع معبوداتهم من دون الله لا يملكون لهم رزقا، ولا يقدرون على جلب خير، ولا دفع ضر،

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص:٩١).

(٢) سورة العنكبوت:١٧.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٧٠)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٨٤).

(٤) فتح الحميد (٦٨٥/٢)

وأن الذي يملك ذلك هو الله وحده، أمرهم بطلب الرزق من الله تعالى ودعائه وحده، والاقبال عليه بالقلب، فإنه الذي يملك النفع والضر، ويجلب الخير، ويملك الرزق، ويرزق من يشاء بغير حساب، فاطلبوا منه الرزق "[١].

- **وقال المصنف رحمه الله" وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [٢] الآيتين "[٣]**

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: لما بين في الآية الأولى أنه –سبحانه – بيده النفع والضر، فلا يدعى غيره، ثم في الآية الثانية وجههم إلى طلب الرزق من الله وحده والاستغاثة به لا بغيره، بين في هذه الآية مآل من لم ينتصح ولم يستمع لما سبق، وجعل يستغيث بغير الله أملا أن يجد حلا أو استجابة، أنه لن يجد شيئا. فناسب الترتيب بين الآيات، واجتماعها كلها في توضيح معنى استغاثة ودعاء غير الله وحقيقته وعاقبته ومآله.

ثانيا: بين حقيقة من يدعو ويستغيث بغير الله، أنه لا أحد أضل منه، ولا أسوأ منه، يقول المصنف رحمه الله في مسائله:" العاشرة: ذِكرُه أنه لا أضل ممن دعا غير الله "[٤]، فكيف يترك من بيده النفع والضر، ويذهب إلى من هو بحاجة إلى نفع نفسه فضلا عن أن ينفع غيره، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله –:" حاصل كلام المفسرين أن الله تعالى حكم بأنه لا أضل ممن يدعو من دون الله، لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة واستغاثة من هذه حاله. ومعنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً ممن عبد غير الله ودعاه، حيث

---

(١) السبك الفريد (١/٢٦٩).

(٢) سورة الأحقاف:٥.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٦٥)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ١٦٧).

يتركون دعاء السـميع المجيب القادر على تحصـيل كل بغية ومرام، ويدعون من دونه من لا يستجيب لهم، ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دام في الدنيا وإلى أن تقوم القيامة "[1].

فـ" تركوا عبادة السميع المجيب، وعدلوا إلى عبادة من لا يستجيب لعابديه لو سمع دعاءهم، فضلا أن يعلم سرائرهم "[2].

ثالثا: أراد المصنف أن يبين عاقبة هذه الدعوات وهذه الالتجاءات التي هي إلى غير الله أنه لن يستجاب لأصحابها حتى يوم القيامة، يقول المصنف في مسائله:" الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه "[3]، وقد أخذها من قوله تعالى في الآية: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ [سورة الأحقاف: ٥]، الآية، فكيف تدعو من لا يستجيب ولا يغني عنك شيئا، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:" الشاهد قوله: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [سورة الأحقاف: ٥]، فإذا كان من سوى الله لا يستجيب إلى يوم القيامة، فكيف يليق بك أن تستغيث به دون الله؟! فبطل تعلق هؤلاء العابدين بمعبوداتهم... "[4].

رابعا: أراد المصنف أن يبين أن الدعاء عبادة بدليل هذه الآية والتي بعدها، فقد ذكر بعد هذه الآية وبين أنها عبادة بقوله﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [5]، فسماها عبادة، يقول الشيخ صالح الفوزان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:" وفى الآية السابقة فائدة عظيمة وهي: أن الله سمّى الدعاء عبادة،

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٠٨)

(٢) فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٢/٦٨٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٦٧).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٧٢)

(٥) سورة الأحقاف:٦.

فقال: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ (١)، لأنه في أول الآية قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟﴾ (٢)، وإذا كان الدعاء عبادة فصرفه لغير الله شرك، كما في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ (٣)، يعني: عن دعائي، فسمّي الدعاء عبادة، وإذا كان الدعاء عبادة فصرفه لغير الله شرك "(٤)، وهذه لفتة بينها ووضحها المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال:" الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو "(٥).

خامسا: أن المدعو يوم القيامة يتبرأ من تلك الدعوات، ويكفر بها، بل ويصبح عدوا بسبب دعوته من دون الله، فكيف وأنت تدعوه وتطلبه وتتقرب إليه، ثم يوم القيامة يعاديك بسبب تقربك منه، بل ويتبرأ منك، ويكفر بدعواك التي دعوته بها ونسبتها إليه، فهذا دليل على من استغاث بغير الله وطلب التقرب منه، واجتهد في غير محله، أنه يعاقب بنقيض قصده، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال:" الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له... الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة "(٦).

سادسا: أن من دعا غير الله واستغاث به، أن مآله وعاقبته خلاف ما يقصده ويريده في الدنيا والآخرة، فالمدعو غافل عن دعوته وعبادته له، بل إنه يوم القيامة يعاديه ويكفر بدعوته لخطورة فعلته، فحق لهذا الشخص أن يكون أضل الناس وأشقاهم في الدنيا والآخرة، يقول

(١) سورة الأحقاف:٦.

(٢) سورة الأحقاف:٥.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) عانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٩٩ـ ٢٠٠)

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٦٨).

(٦) المصدر السابق.

المصنف -رحمه الله-:" الخامسة عشرة: أن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس "[1]، فبين في هذه الآية شرك من دعا غير الله، وكذلك حاله وعاقبته.

- **وقال المصنف رحمه الله" وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[2] الآية "[3]**

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: بين المصنف حقيقة الالتجاء عند الشدائد وتوجه الداعي إلى الله لأنه وحده هو الكاشف للسوء –سبحانه- فهو المعبود وحده، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" يقرر تعالى أنه الإله الواحد الذي لا شريك له، ولا معبود سواه مما يشترك في معرفته المؤمن والكافر، لأن القلوب مفطورة على ذلك، فمتى جاء الاضطرار رجعت القلوب إلى الفطرة، وزال ما ينازعها، فالتجأت إليه وأنابت إليه وحده لا شريك له... فتبين أن من اعتقد في غير الله أنه يكشف السوء أو يجيب دعوة المضطر، أو دعاه لذلك فقد أشرك شركًا أكبر من شرك العرب كما هو الواقع من عباد القبور "[4].

ثانيا: أن المصنف ذكر هذه الآية في هذا الباب متعجبا من إقرار من يعبد غير الله، أنه لا يستجيب للمضطر عن الشدائد إلا الله، فإذا سئلوا عن ذلك أقروا أنه لا يقدر على ذلك إلا الله، وهذا هو مراد المصنف في مسائله عندما قال:" السابع عشرة: الأمر العجيب: وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة النمل:٦٢.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٦٦)

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/٥١١-٥١٢)

"[١] فهم يفردونه ملزمين وذلك حالهم بإفراد العبادة له لكونه هو القادر –جل وعلا– على ذلك لا ما عبدوه.

ثالثا: أن المصنف رحمه الله ذكر هذه الآية التي تدل على أن كاشف الضر هو الله، ثم قال في نهاية الآية التي بعدها: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣﴾ [٢]، مما يدل على أن الاستغاثة بغير الله شرك، يقول الإمام الطبري –رحمه الله–:" يقول تعالى ذكره: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطّر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه... أإله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبدوه من دونه، أو تشركوه في عبادتكم إياه (تعالى الله) يقول: لله العلوّ والرفعة عن شرككم الذي تشركون به، وعبادتكم معه ما تعبدون. "[٣].

رابعا: في الآية بيان أن من التجأ إلى الله خالصا مخلصا كالمضطر عندما يلتجئ إليه، ولم يلتفت إلى غير الله، فحاله حال المضطر في التجائه وإخلاصه، فإن الله يكشف ما به، فكانت الآية فيها توضيح آثار من لم يدع ويستغيث إلا بالله وحده، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين –رحمه الله–:" في الآية أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة المضطرين، ويزيل ما بهم من الشدة والضرورة متى دعوه، وأخلصوا له العبادة، وعلقوا رجائهم به وحده، ولم يلتفتوا إلى غيره من المخلوقات "[٤].

- **وقال المصنف رحمه الله" وروى الطبراني[٥] بإسناده: "أنه كان في زمن النبي**

---

(١) كتاب التوحيد(ص:١٦٨)، وانظر: التوضيح المفيد، لعبد الله الدويش(ص: ٩٢).

(٢) سورة النمل:٦٣.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٤٨٥)

(٤) السبك الفريد(٢٧٢/١)

(٥)في الكبير، كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي: (١٠ / ١٥٩)، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث".

صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله -عز وجل-" (١)

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أتى به المصنف ليبين حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حماية حمى التوحيد ووسائله، وسدا لذرائع الشرك وطرقه، فالصحابة -رضوان الله عليهم- يطلبون من النبي ما ينتابهم ويشكل عليهم ومع ذلك يجيبهم، لكنهم لما أتوا بلفظ الغوث الذي لا يليق إلا بالله نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ووجه إلى من يستحقه، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "فنفيه صلى الله عليه وسلم لفظ الاستغاثة في شيء يقدر عليه، لائقا بمنصبه، إنما هو حماية لجانب التوحيد، وإلا فقد علمنا بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم إذا طلب منه ما يليق بمنصبه في حياته، بأنه لا نزاع في جوازه... فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه على الاطلاق إلا الله سبحانه وتعالى، فهو غياث المستغيثين، لا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن زعم ذلك فهو ضال مشرك." (٢)، وهذا هو مراد المصنف بقوله في مسائله: "الثامن عشرة: حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، والتأدب مع الله —عز وجل—" (٣).

ثانيا: أراد المصنف أن يبين أنه إذا كان هذا النهي أتى من النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فيما يقدر عليه؛ تأدبا مع الله، فما بالك بمن يستغيث بغير الله ممن هم دون النبي

وأخرجه أحمد في مسنده (١٠/٥٣٦٢) برقم (٢٣١٤٦) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث عبادة ابن الصامت)، بلفظ: " إنه لا يقام لي وإنما يقام لله".

(١) كتاب التوحيد (ص: ١٦٦).

(٢) فتح الحميد (٢/٦٩٩، ٧٠٦)

(٣) كتاب التوحيد(ص:١٦٨)

-ﷺ- وفيما لا يقدر عليه إلا الله، وكذلك من يستغيث من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "فإذا كان هذا كلامه -ﷺ- في الاستغاثة به فيما يقدر عليه، فكيف بالاستغاثة به أو بغيره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها إلا الله كما هو جار على ألسنة كثير من الشعراء وغيرهم، وقَلَّ من يعرف أن ذلك منكر، فضلاً عن معرفة كونه شركًا"[1].

---

[1] تيسير العزيز الحميد (١/ ٥١٣)، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٠٢).

الفصل الثالث: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بأحوال بعض من عُبد من دون اللّه تعالى وعدم استحقاقهم للعبادة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ (١).

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ (٢).

المبحث الثالث: باب الشفاعة.

المبحث الرابع: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (٣).

---

(١) سورة الأعراف:١٩١-١٩٢.

(٢) سورة سبأ:٢٣.

(٣) سورة القصص:٥٦.

المبحث الأول: باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصرا} (١)، الآية.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "المبحث الأول باب قول الله تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ۝١٩٢﴾ (٢) الآية" (٣)، ويحتوي على آيتين، وأربعة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ۝١٩٢﴾ (٤) الآية للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة الأعراف: ١٩١.

(٢) سورة الأعراف: ١٩١.

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٦٩).

(٤) سورة الأعراف: ١٩١.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصرا}الآية للباب السابق.

هذا الباب هو بداية الفصل الثالث الذي هو للتعريف بأحوال بعض من عُبد من دون الله تعالى وعدم استحقاقهم للعبادة والأدلة التي يجب أن يعرفها من طلب التوحيد، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان—حفظه الله-: "في هذا الباب وثلاثة أبواب بعده بدأ المؤلف رحمه الله فيها بذكر دلائل التوحيد البراهينية التي يجب أن يعرفها الموحد، وبطلان الشرك، وهي براهين عقلية وشرعية..." (١).

والملاحظ على هذا الباب وبعض الأبواب الآتية، هو أن الشيخ - رحمه الله — يترجم للباب ببعض الآيات اكتفاء بمعانيها الظاهرة لمن يقرؤها، ومن ثم يعرف مقصوده - رحمه الله — من عقده، ولأجل هذا سأوضح المقصود من الآية المترجم لها، وذلك بتفسيرها؛ ليتضح مقصود الباب ومن ثم تتبين مناسبتها، وعلاقتها بالآيات بعدها بها.

فمقصود المصنف - رحمه الله — من إيراد هذه الآية في هذا الباب يظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف أن يبين حال المدعوين من دون الله وأنهم لا ينفعون ولا يضرون، ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو صنما أو صالحا، يقول الإمام الطبري-رحمه الله -: "يقول تعالى ذكره: أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئا من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله أو أحل بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءا نصر نفسه ولا دفع ضر عنها. وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه. وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعا ولا تدفع

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١/٣٧٤)

عنها ضرا، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعد." (١). فكل من عبد ودعي من دون الله فهذا هو حاله، فلم يدعون ويعبدون من دونه –سبحانه–(٢)، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآية للباب: حيث نفت الآية نفع كل معبود سوى الله، وهذا يتضمن بطلان عبادتهم وإنكارها، ويدخل في هذا كل من توجه إليه دون الله من قبور وأشجار وغير ذلك" (٣).

ثانيا: أن في الآية توبيخا وزجرا لمن عبد من لا يخلق شيئا ولا يملك أي شيء من صفات الربوبية التي اختص الله –جل وعلا– بها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ (٤). توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى عبادًا لا تخلق شيئًا وليس فيها ما تستحق به العبادة من الخلق والرزق والنصر، لأنفسهم أو لمن عبدهم وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم..." (٥)، وهو تعجب من الله كيف أن هؤلاء الناس يعبدون من هذا حاله، يقول الإمام الطبري –رحمه الله–: "يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره" (٦).

رابعا: أفادت الآية فائدة جميلة ولطيفة، وهو أن الداعي لما توجه إلى غير الله واعتقد إدراكه وسمعه لدعوته، وصفه الله –جل وعلا– بـ(ما) في الآية مما يدل على أنه خلاف ما تعتقدون من كونه عاقلا مدركا، فرد عليهم بنقيض اعتقادهم، وقد بين هذه الفائدة الشيخ محمد بن عثيمين–رحمه الله– في شرحه وأوضح العلاقة والفرق بين هذه الآية والآية التي في الباب

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٦٣٣)
(٢) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/ ٥٢٩)
(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٣٦)
(٤) سورة الأعراف:١٩١.
(٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٣٠)
(٦) تفسير الطبري (١٠/ ٦٣٤)

السابق مما يدل على الترابط بين الأبواب والتسلسل، يقول -رحمه الله-: "قوله:" ما لا يخلق ": هنا عبر ب (ما)، دون" من "، وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ [1] عبر بـــ(من)، والمناسبة ظاهرة، لأن الداعين هناك نزلوهم منزلة العاقل، أما هنا، فالمدعو جماد، لأن الذي لا يخلق شيئا ولا يصنعه جماد لا يفيد" [2].

وأما علاقة هذا الباب بما قبله فيتجلى من عدة أمور:

أولا: أنه لما ذكر حكم من عبد غير الله وذكر الأمثلة ومنها من الشرك الاستغاثة بغير الله -جل وعلا- ودعاء غيره، ذكر في هذا الباب ضـــعف هذه المعبودات من دون الله، وأنها هي مثل العابد أو أقل منه، يقول الشـيخ عثمان بن منصـور-رحمه الله-: "هذا انكار من الله تعالى على المشـــركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الاصـــنام والأنداد والأوثان، وهي مخلوقة مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تنتصر لعابديها، وعابدوها أكمل منها بسـمعهم وأبصـارهم، ولهذا قال ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١﴾ [3]، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ الآية [4]، وبهذا تظهر مناسبة هذا الباب للذي قبله؛ إذ كيف يستغاث بمخلوق جامد أو ناطق فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو يدعى وهو بهذه المنزلة" [5]. فإذا كانت هذه المعبودات بهذه الحالة وهذا الصغار فكيف تعبد من دون الله، وتطلب منه ما هو من خصائص الله -سبحانه- ، فالمصنف رحمه الله أراد أن يبين أن كل من عبد من دون الله، بل كل من سوى الله أنه متصف

---

(١) سورة الأحقاف:٥.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٨٣)

(٣) سورة الأعراف:١٩١.

(٤) سورة الحج:٧٣.

(٥) فتح الحميد (٢/٧١٥)

بتلك الصفة التي في الآية [(١)]، فلما ذكر المصنف أمثلة للشرك، شرع في هذا الباب بذكر أدلة تدل على بطلان الشـــرك وإثبات التوحيد، من إثبات ربوبية الله –جل وعلا- وكون المخلوق ليس له من صفات الربوبية لنقصه وعجزه، فلا يستحق العبادة. يقول الشيخ سعيد الجندول – رحمه الله -: "قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان سفه عقول الذين يجعلون المخلوقين شركاء للخالق في عبادته ويرفعون العبد المخلوق العاجز إلى منزلة الخالق المعبود القاهر فوق عباده" [(٢)].

ثانيا: أنه لما ذكر الاستغاثة والاستعاذة شـرع في ذكر الأدلة التي تدل على التوحيد من العقل والنقل، والتي تدل على بطلان الشرك ودعاء واستغاثة والاستعانة بالمعبودات التي هي في غاية الضعف وغاية الحاجة لله –جل وعلا-، يقول الشيخ محمد بن عثيمين- رحمه الله -: "مناسبة الباب لما قبله: لما ذكر رحمه الله الاستعاذة والاستغاثة بغير الله- عز وجل-، ذكر البراهين الدالة على بطلان عبادة ما سوى الله، ولهذا جعل الترجمة لهذا الباب نفس الدليل" [(٣)].

ثالثا: لما بين المصنف في الباب السابق الدعاء لغير الله والاستغاثة التي هي نوع من أنواع الدعاء، ذكر المصـــنف في هذا الباب الدعاء وأحوال الناس الذين يدعون من دون الله فهذا الباب كذلك يتكلم عن الدعاء أيضا، لكن من جهة من يدعى فهو يتكلم عن حال المعبودات التي تدعى من دون الله، ولهذا ناسب أن يتبع المصنف رحمه الله الباب السابق بهذا الباب.

رابعا: بعد أن بين وحذر من الشرك والاستغاثة بغير الله، كأن النفوس تشوقت إلى معرفة المعبودات وأحوالها وسبب عدم دعائها فناسـب أن يذكر هذا الباب ويبين أن أول ما يستحق أن يعرف من البراهين بعد التحذير من الشـــرك هو برهان وجوب إفراد الله بأفعاله، وهو الذي أقر به المشـركون، فهذ الباب والذي بعده إنما هو "برهان لاستحقاق الله العبادة وحده دون ما

---

(١) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (١/ ٢٨٠)

(٢) الدر النضيد (ص: ١١٣)

(٣) القول المفيد (١/ ٢٨٣)

ســـواه بدليل فطري، ودليل واقعي، ودليل عقلي... فهذا الباب فيه بيان أن الذي يخلق هو الله وحده، والذي يرزق هو الله وحده، والذي يملك هو الله وحده، وأن غير الله - جل وعلا - ليس له نصيب من الخلق، وليس له نصيب من الرزق، وليس له نصيب من الإحياء، وليس له نصيب من الإماتة، وليس له نصـيب من الأمر، وليس له ملك حقيقي في أمر من الأمور... فهذا الباب ذكر فيه الشـيخ -رحمه الله- أحد أنواع أدلة الربوبية، أو براهين التوحيد، وأنه - جل وعلا - هو الواحد في ربوبيته" (١).

خامسـا: بعد أن بين المصـنف رحمه الله حال الداعي والعجب من ضـلاله مع علمه كما هو واضح في مسائل المصنف في الباب السابق، أراد أن يبين الأعجب والأوضح للضلال وهو حال المدعوين من دون، ومدى تعجبه الشـديد من صـنيع هؤلاء المشـركين حيث تعلقوا بهم، فناســب أن يذكر هذا الباب بعدها، وبدأها بقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ (٢) (٣).

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ (٤) الآية." (٥)**

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ١٩٣- ١٩٦)

(٢) سورة الأعراف: ١٩١.

(٣) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم: (١٢٦٨/٤).

(٤) سورة فاطر: ١٣.

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٦٩)

مناســـبة الآية للباب تظهر من أن هذا دليل آخر من أدلة حال المدعوين من دون الله، وإثبات آخر بأنهم لا يملكون شيئا البته، حتى ما لا فائدة ولا انتفاع لهم منه، ولا يهتم له الناس فإنهم لا يملكونه ألا وهو القطمير، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "قال ابن عباس رضـــي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفي والحســـن وقتادة وغيرهم: القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي لا يملكون من الســـموات والأرض شـــيئا ولا بمقدار هذا القطمير" [1].

فالمدعو من دون الله لا بد أن يتصف بصفات الربوبية التي منها ما بينه في الآية السابقة وهي الخلق والقوة، وكذلك في هذه الآية الملك، فما بالك بأن هذه الشـــروط كلها منتفية، بل إنه لا يملك شيئا يتصرف به، بل ولا حتى القطمير الذي على نواة التمرة، وهو شيء حقير لا يذكر، فكيف تدعونه وهذا حاله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "يخبر عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الشـــروط التي لا بد أن تكون في المدعو وهي الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى عدم شرط بطل أن يكون مدعوًا، فكيف إذا عدمت كلها، فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [2]" [3]، وإذا كانوا لا يملكون هذا الشيء الحقير، ولا تطلبونه أنتم منهم، فكيف إذا تطلبون منهم أشياء لا يملكونها.

- **قال المصنف رحمه الله "وفي الصحيح عن أنس قال:" شجّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت:**

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٨)

(٢) سورة فاطر:١٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٣١)

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (1) (2) "(3).

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: لما بين المصنف في الآيات حال جميع المدعوين على سبيل العموم جعل يعطي أمثلة لمن يدعون من دون الله والذين يعتقد فيهم أن بيدهم النفع والضر، ويستدل بعدم استحقاقهم لأي نوع من أنواع العبودية والربوبية، ومن ذلك النبي -ﷺ -، على فضله ومنزلته فهو أفضل الخلق جميعا، ومع ذلك فهو لا يملك شيئا، يقول الإمام الطبري تعليقا على هذه الآية والتي تليها في سورة آل عمران:" يعني بذلك تعالى ذكره: ليس لك يا محمد، من الأمر شيء، ولله جميع ما بين أقطار السماوات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، دونك ودونهم، يحكم فيهم بما يشاء، ويقضي فيهم ما أحب، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمرَه ونهيه، ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه... "(4)، فإذا كان هذا الحال مع أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم فكيف بمن هم دونه من الأولياء والصالحين والأصنام والأحجار وغيرهم.

فالمصنف كأنه لمس من بعض أهل زمانه الغلو في النبي -ﷺ -، فخشي أن يقعوا بما وقع به النصارى من جعل عيسى -عليه السلام- إلها، فكان هذا الحديث هو بداية التمثيل على عدم ملك الصالحين لشيء من خصائص الملك والتصرف التي هي من خصائص الله -جل وعلا-، وعدم معرفتهم بأمور الغيب ولو كانوا يعلمون لدفعوه عن أنفسهم، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين-رحمه الله -:" هذا دليل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله، وعلى أن الأمر كله

---

(1) سورة آل عمران:١٢٨.

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ١٧٩) (كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد) برقم: (١٧٩١).

(3) كتاب التوحيد (ص: ١٦٩).

(4) تفسير الطبري (٧/ ٢٠٣)

لله، وهو الذي يطلب ويعبد، وهو الذي يخضــع له وينذر له ويذبح له، ولا يصــرف من ذلك شــيء لغيره، فمتى علم المســلم ذلك رغب إلى الله تعالى وأقبل على دعائه، وصــد عن كل ما ســواه، ولم يدع أحدا إلا الله،... وهذا هو القصـــد من ايراد هذا الباب، وكأن المؤلف لمس أن أهل زمانه وقع فيهم شـيء من الغلو في حق النبي صـلى الله عليه وسـلم، فخاف أن يصـل بهم الغلو إلى ما وصل بالنصارى؛ حيث غلو في عيسى حتى جعلوه إلها، أو ابنا للإله، أو شريكا في الإلهية "[1].

ثانيا: أراد أن يبين حال النبي -ﷺ -، والضـرر الذي وقع به من شـج رأسـه صـلى الله عليه وسـلم وكسـر رباعيته، وهو أشـرف الخلق وأفضـلهم، فلو كان يملك نفعا أو ضـرا لدفع عن نفسه الضرر الذي حصل به، فالرسول -ﷺ - بشر يناله ما ينال البشر، وأن ليس له مع الله في الملك شيء... وأن مهمته الدعوة والإنذار، فكيف يدعى من هم دونه صلى الله عليه وسلم ويطلب منهم النفع والضر [2]، فهذه الآية توضيح لما سبق من الآيات، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز-رَحِمَهُ اللَّهُ -:" فإذا كان هذا أفضـل الخلق وأقرب الناس منزلة وأفضـل الأنبياء لم يسـتطع أن يدفع عن نفسـه ولا عن أصـحابه وهم أفضـل القرون، وإذا كان كذلك لم يسـتحق أن يعبد من دون الله ويشرك به معه "[3].

كذلك فإن سـبب اسـتنكار النبي صـلى الله عليه وسـلم الفلاح عن هؤلاء هو بسـبب إلحاق الضرر به، وليس ذلك بسبب انتصاره لنفسه، وإنما بسبب دعوته لتوحيد الله [4]، فأنزل الله هذه الآية ليبين أن هذا بعلم الله وحكمته وأنك لا تملك من الأمر شيئا، فمع أنه صـلى الله

---

(١) السبك الفريد (٢٨٦/١)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٣٧٨/١)

(٣) شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٥)، وانظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي: (ص: ١٤٠).

(٤) انظر سبب النزول: تفسير الطبري (٧/ ١٩٩)

عليه وسلم تضرر بسبب دعوته إلى عبادته ربه، فإن هذا أدعى لحصول الضرر عليهم، إلا أن الله –عز وجل– قد بين أنك يا محمد لا تملك من الأمر شيئا، فما بالك بمن نسب الملك لغير الله من المخلوقات بأنواعها، لا شك أنه ضلال وشرك، وهذا تفسير مراد المصنف في مسائله بقوله:" الخامسة: أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها غالب الكفار: منها: شجهم نبيهم، وحرصهم على قتله... السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ (١) "(٢)،" فإذا كان كذلك بطلت كل التوجهات إلى غير الله – جل وعلا – ووجب أن يتوجه بالعبادات، وأنواع التوجهات من: دعاء، واستغاثة، واستعاذة، وذبح، ونذر، وغير ذلك: إلى الحق –جل وعلا – وحده دون ما سواه "(٣).

- **قال المصنف رحمه الله" وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم العَنْ فلاناً وفلاناً" بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد" ، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ (٤) (٥)، وفي رواية: "يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ**

---

(١) سورة آل عمران:١٢٨.

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ١٧١).

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٢٠٤)

(٤) سورة آل عمران:١٢٨.

(٥)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٩٩) برقم: (٤٠٦٩) (كتاب المغازي ، باب ليس لك من الأمر شيء).

مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ (١) (٢)" (٣).

مناسبة الحديث للباب يتجلى من عدة أمور:

أولا: بين المصنف في هذه الآية رغبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى حصول اللعن عليهم، ودعاؤه الصحيح، فقد دعا عليهم بسبب قتلهم للصحابة في أحد والتمثيل بهم (٤)، وقنوت أصحابه معه ومع ذلك فالله المتصرف وهو الذي بيده النفع والضر، والخلق كله بأمره ولا يملك غيره شيئا (٥)، يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "فإذا كان سيد ولد آدم لم تقبل دعوته فيهم ولم يضرهم فكيف غيره؟ بل الله أعلم بأحوال عباده" (٦).

ثانيا: أن سبب استنكار النبي صلى الله عليه وسلم الفلاح عن هؤلاء هو بسبب إلحاق الضرر بأصحابه، والتمثيل بهم، فأنزل الله هذه الآية بأن هذا بعلم الله وحكمته وأنك لا تملك من الأمر شيئا، بل تاب الله عليهم وهو العليم بحالهم، فما بالك بمن نسب الملك لغير الله من المخلوقات بأنواعها، لا شك أنه ضلال وشرك، وهذا تفسير مراد المصنف في مسائله بقوله: "الخامسة: أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها غالب الكفار... ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم... السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: (ليس لك من الأمر شيء)" (٧).

---

(١) سورة آل عمران:١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٠٦) برقم: (٧٣٤٦) (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى ليس لك من الأمر شيء)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٦٩).

(٤) انظر: سبب النزول: تفسير الطبري (٧/ ١٩٨)

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد: (١/٥٤٢).

(٦) شرح كتاب التوحيد (ص: ٨٦)

(٧) كتاب التوحيد: (ص: ١٧١).

ثالثا: أن من دعا عليهم كانوا مســـتحقين للعن والدعاء فقد كانوا كفارا، ومع ذلك فقد بين الله جل وعلا أن مهمتك يا محمد هي الدعوة إلى الله وفع الأسباب في سبيل تحقيق ذلك، أما الغيب فلا يعلمه إلا الله، فتاب الله عليهم وآمنوا، مما يدل على وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة والدعاء [(١)]، وهذا مراد المصنف في مسائله: "الرابعة: أن المدعو عليهم كفار" [(٢)].

- **قال المصنف رحمه الله "وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [(٣)] فقال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا "[(٤)] [(٥)]**

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن النبي بين أنه لا يغني عن قومه وعشـيرته من الله شـيئا، فلا أنفعكم بدفع شـيء عنكم من دون الله، ولا أمنعكم من شيء أراده الله فالأمر كله بيد الله، فالشاهد قوله:" لا أغني عنكم من الله شيئا "، فهذا يدل على أنه لا يملك من الله شيئا، بل هو عبد ورسول ليس بيده

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/٥٤١).

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ١٧١).

(٣) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٦) برقم: (٢٧٥٣) (كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب)

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٧٠).

ملك ولا تصرف، وهذا يبين حال من يدعونه الناس من دون الله، وإنكاره في الدنيا لما يفعلونه به، ويقع به الناس، فكيف بمن هم دون النبي صلى الله عليه وسلم (١).

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين أخبر فاطمة وهي سيدة نساء العالمين، أنه لا يغني عنها من الله شيئا، فإذا كان ذلك منه وهو أشرف الخلق، والإقرار بعدم قدرته حتى نفع بنته وسيدة النساء كلهم، فما بالك بمن اعتقد فيه أو بمن هو دونه أنه ينفع ويضر، لا شك أن هذا مكذب بقول النبي -ﷺ -، غير مؤمن به، ومشرك بالله جل وعلا، وهذا هو مراد المصنف عندما بين هذه المناسبة في مسائله فقال:" الثالث عشرة: قوله للأبعد والأقرب: "لا أغني عنك من الله شيئاً" حتى قال: "يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً" فإذا صرح صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ــ تبين له التوحيد وغربة الدين "(٢)، فمن آمن أنه لا يغني عن أقرب الناس إليه شيئا لتصريحه بذلك ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس من أنه يملك وينفع ويضر ويعلم الغيب تبين له التوحيد أنه الإقبال على الله وحده لأنه الذي بيده الأمر دون من سواه وتبين له غربة الدين لأجل أن أكثر الخلق تركوا التوحيد ووقعوا في الشرك حيث تركوا إخلاص العبادة لله وحده وأقبلوا على عبادة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا (٣).

ثالثا: أراد المصنف أن يبين غربة الدين عند الناس، واحتقار من يدعوا من دون الله ووصفه بالجنون والسفه، وأن ذلك موجود منذ عهد النبي -ﷺ -، فقد دعا قومه إلى عبادة ربه، وعدم قدرته على نفعهم أو ضرهم، وكثرة من يميل ويحيد عن الحق مع وضوحه وبيانه لمن

(١) انظر: القول المفيد، لابن عثيمين (١/ ٢٩٥)

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ١٧٢).

(٣) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله الدويش (ص: ٩٧)

عقل قلبه، وهذه المناسبة قد بينها المصنف بقوله:" الثانية عشرة "جده – صلى الله عليه وسلم – في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن" (١). أي أنه لما جمعهم وأنذرهم قال عمه أبو لهب: "تبا لك ألهذا جمعتنا" (٢) ونسبوه إلى الجنون وكذلك لو أن مسلما أخذ يصدع بالحق بين الناس ويحذر من الباطل لنسب إلى الجنون بسبب غربة الدين (٣).

فتلتقي هذه الأحاديث التي أوردها الشيخ - رحمه الله – في أن النبي - صلى الله عليه وسلّم – مع علو مكانته وقربه لربه تبارك وتعالى لا يملك شيئا، فما بالك بمن هو أقل منه درجة ومكانة، بل فما بالك بمن يُدعى من دونه وهو محاد لله ورسوله - صلى الله عليه وسلّم -.

---

(١) كتاب التوحيد: (ص: ١٧١).

(٢)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٠٤) برقم: (١٣٩٤) (كتاب الجنائز ، باب ذكر شرار الموتى)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٣٤) برقم: (٢٠٨) (كتاب الإيمان ، باب فِي قوله تَعَالَى وأنذر عشيرتك الْأقربين)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٣) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ٩٧)

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "المبحث الأول **باب قول الله تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ (١)" (٢)، ويحتوي على آية وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة **باب قول الله تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ (٣) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة سبأ:٢٣.

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٧٤).

(٣) سورة سبأ:٢٣.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} [١]. للباب السابق.

مقصـــود المصـــنف - رحمه الله – من إيراد الآية في الباب وتصـــديره إياها هو أنه أراد المصنف أن يبين افتقار الملائكة إلى ربهم وشدة ضعفهم، فإذا كان هذا حالهم، فكيف يشرك بهم مع الله بالدعاء إليهم من دون الله ونحوه، بل كيف بغيرهم ممن لا يقدر على شـــيء من الأموات والأصنام وغيرها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم مَن عبد مِن دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى، وهيبتهم منه، وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله" [٢].

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن المصـــنف لما أخبر في الباب الســـابق ببرهان من براهين وجوب التوحيد وبطلان الشرك في الأشياء المحسوسة والمعلومة، انتقل في هذا الباب إلى برهان آخر ودليل واضح جديد، وهي الأشياء الغيبية وغير المشاهدة، ليقطع الطريق على المستغيثين بغير الله والذين يدعون غيره، ويبين حال أولئك كلهم [٣].

ثانيا: أن المصنف لما بين في الباب السابق البراهين على وحدانية الله، وضعف المخلوقات، وعدم نفعهم وضـرهم لا لأنفســهم ولا لغيرهم، ومن المخلوقات التي ذكرها في الباب الســابق النبي صـلى الله عليه وسـلم وحاله وحاجته إلى ربه وضـعفه وافتقاره إليه، مع أنه أشـرف الخلق جميعا وسيد ولد آدم، وأعلى الناس منزلة، انتقل إلى ضعف آخر ومخلوق جديد لا يملك لنفسه

---

(١) سورة سبأ:٢٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٥٤)

(٣) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٤/١٣٢٤).

ولا لغيره نفعا ولا ضرا، بل إنهم يصيبهم الغشي والصعق والإغماء، ويجلسون مدة من الزمن لا يدرون ما أصابهم، حتى يمن الله عليهم بالإفاقة، ألا وهم الملائكة وكذلك العالم العلوي والسفلي كلهم يتضـــاءلون أمام كبرياء الله وعظمته، فكأن المصـــنف يقول أي قوة وجدتموها في هذه المخلوقات والتي تختص بها وتجعلكم تدعونها من دون الله.

ثم إن المصنف – رحمه الله – أراد أن يبين أنه مع ضعف المخلوقات وشدة حاجتهم له، كما هو واضح في الباب السابق، أراد أن يبين أن المخلوقات بأسرها معترفة بعظمة الله ومجده وخاضعة له وخائفة منه، يقول الشيخ حامد بن محمد بن حسين-رحمه الله-: "قلت: لو لم يكن للتوحيد دليل غير هذه لكفت، وحال أنه كل ما في الكون ينطق نطقاً فصـــيحاً بأنه الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له في ملكه وربوبيته وألوهيته" (١)، فمن كان هذا شأنه فهو الإله الذي بيده تصريف الأمور، والذي يستحق العبادة وطلب الدعاء منه والاستغاثة والاستعاذة وغيرها، ومن سواه ليس له من الحق شيئا (٢).

كذلك فإن المصـــنف – رحمه الله – انتقل في هذا الباب إلى الكلام عن الملائكة وأنهم أيضا لا يستحقون أن يكونوا شريكين مع الله –سبحانه–، فهم أقرب ما يكونوا من الله بعد خواص بني آدم وقد ذكر منهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الباب السابق، فناسب أن يذكر بعد ذلك حال الملائكة وضعفهم لقطع الشكوك والظنون التي تجعلهم متصرفين بما ليس لهم، وحصول الفزع منهم (٣)، فالمصنف أراد أن يفسر هذه الآية بالأحاديث التي وردت تحت هذا الباب الذي هو إنما إتمام لما سـبق في الأبواب الســابقة من أدلة بطلان الشــرك، فبين أن الملائكة إذا كانت تخاف الله وتخاف عذابه إن خالفت أمره وهم أقوى الخلق خِلقة، ومن أقربهم

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٥٦)

(٢) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن السعدي (ص: ٦٨-٦٩)

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٣٠٦)

إلى الله سبحانه وتعالى منزلة، فكيف تستحق أن تعبد من دون الله.، فلأن تبطل عبادة من سواهم من الآدميين والجن والإنس من باب أولى(1).

وقد بين هذه المعاني المصنف أجملها رحمه الله في قوله: "الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب" (2).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها، خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ (3) فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك**

---

(1) انظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص: 88)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (1/ 221)

(2) كتاب التوحيد (ص: 175).

(3) سورة سبأ:23.

الكلمة التي سمعت من السماء "(١) (٢).

مناسبة الحديث للباب يتجلى من عدة أمور:

أولا: أن هذا الحديث هو تفسير للآية بالسنة، فبوب المصنف رحمه الله بآية، ثم فسر هذه الآية وأول ما يفسر به الآية هو تفسيرها بالسنة، ولهذا أتى بها في أول هذا الباب، فالمصنف رحمه الله يتأسى بالسلف -رحمهم الله- في تفسيرهم بالقرآن والسنة، فهم يفسرون القرآن بالقرآن، وإذا لم يجدوا فسروه بالسنة (٣).

ثانيا: تفسير شدة عبادة الملائكة، وهيبتهم، وخوفهم من الله، وفزعهم مع قوتهم وهيبتهم، ووصف حالهم وشدة خضوعهم، لكلام الله وأمره إذا قضاه، فكيف يعبد من هم في هذا الضعف ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فالملائكة يضربون بأجنحتهم خضعانا لقول الله — جل وعلا-، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على بيان حال الملائكة وأنهم يخافون من الله ويخشونه "(٤). وهذا هو مراد المصنف في قوله في مسائله:" الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفا من الله "(٥).

ثالثا: أن الملائكة يفردون الله بعبادته ويخافونه، فلا يصح عبادتهم، وكذلك غيرهم، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للتوحيد: حيث دل الحديث على أن الملائكة أنفسهم يعبدون الله ويخافونه، فإذا لم يصح دعاؤهم ولا عبادتهم لا استقلالا ولا وساطة بالشفاعة،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٢١) برقم: (٤٨٠٠) (كتاب تفسير القرآن، باب حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير)

(٢) كتاب التوحيد (ص:١٧٣)

(٣) انظر: مغني المريد: (١٣٣٦/٤).

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٠)

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٧٨)

فعبادة غيرهم لا تصح من باب أولى "[1]، فتبين من هذا الحديث" بطلان التعلق على الملائكة، عكس ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الملائكة، واعتقاد أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً "[2]، وهذا هو مراد المصنف في مسائله بقوله:" الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدا"[3].

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة، أو قال: رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبرئيل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل فينتهي جبرئيل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل** [4] [5]"

وهذا الحديث كالحديث السابق فيه حقيقة الملائكة، وكيف يتعبدون ربهم ويخافونه، فهي لا تستحق العبادة، إلا إنه في هذا الحديث فصل في ذلك، ويتجلى هذا في الآتي:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٢٧)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٧٨)

(٤) أخرجه الطبري تفسير الطبري - (٢٠/ ٣٩٧)، وأبن أبي عاصم في السنة لابن أبي عاصم ٢٨٧ (١/ ٢٢٧)

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٧٤)

أولا: أن هذا الحديث تفسير للآية أيضا، وذكر حال الملائكة وصعقهم من كلام الله وفزعهم ثم سؤالهم بعد فزعهم، ولهذا ناسب أن يذكره المصنف في هذا الباب، فإذا كان هذا حال الملائكة الذين لا يعصون الله، فغيرهم من باب أولى، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله-: "... إذا كانت ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يرتجفون خوفا من الله، فغيرهم من البشر أولى بالخضوع أمام الله، والاعتراف له بالعبودية الخالصة..." [١]، بل إن هذا هو حال السماوات فإنها ترتجف، وحال من فيها أنهم يصيبهم الغشي لكلام الله -جل وعلا-، يقول المصنف رحمه الله في مسائله: "الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم، التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله -تعالى-" [٢].

ثانيا: أن الله لا يقول إلا الحق، ولهذا فإن الملائكة كلهم كلما رد عليهم بأن الله قال الحق، قالوا جميعا: الحق، لعلمهم أن الله لا يقول إلا حقا، يقول ابن كثير -رحمه الله-: "يسأل بعضهم بعضا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿قالوا الحق﴾ أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [٣]" [٤]. فما بالك بمن لا يؤمن بكلام الله ولا كلام رسوله ويرده ويذهب إلى غيرهم ويستغيث بهم، ويدعوهم من دون الله، فهذا رد من المصنف رحمه الله على المشركين الذين لم يقبلوا الحق ولم يؤمنوا به.

ثالثا: أن الملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، فهم يجهلون ما يوحى إليهم، فسألوا جبريل الذي لم يعلم أيضا إلا بعدما أفاق وهو أول من يرفع رأسه، فكيف يتعلق الناس بهم ويدعونهم ويستغيثون بهم من دون الله وهذا حالهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-

---

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ١٢٥)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ١٧٦).

(٣) سورة سبأ:٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٥١٤)

: "وإذا بطلت دعوتهم مع أنهم أحياء ناطقون مقرَبُّون عند الله، فدعاء غيرهم من الأموات الذين لا يستطيعون سمعًا ولا يملكون ضـرًا ولا نفعًا أولى بالبطلان" (١)، بل كيف يتعلق الناس بمن لا يعلم شـيئا إلا بإذن الله -جل وعلا-، فالله قد تفرد بالعلم ثم رفع عن جبريل الغشـي لكي يخبره الخبر، فالله هو المتفرد بالتأله والتعبد، فلا يصرف شيء من أنواع العبادة إلا له (٢)، قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك" (٣)، أي سبب بعد إفاقتهم من الصعق يسألون حيث إنهم لا يفهمون ما قيل فإذا زال عنهم سألوا فأخبروا (٤).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن الملك العظيم الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفا منه ومهابة، وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصـفاته، وعلمه وقدرته وملكه وعزه، وغناه عن جميع خلقه. وافتقارهم جميعا إليه، ونفوذ تصـرفه وقدره فيهم لعلمه وحكمته، لا يجوز شرعا ولا عقلا أن يجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم، فكيف يجعل المربوب ربا، والعبد معبودا؟ أين ذهبت عقول المشـركين؟ سـبحان الله عما يشركون"(٥).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٧٠)

(٢) انظر: المسبوك الثمين، لخالد الهويسين: (ص: ١٢٨).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٧٦).

(٤) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٠١)

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٠٣)

المبحث الثالث: باب الشفاعة.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: **"باب الشــفاعة"** [1]، ويحتوي على خمس آيات، وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة(**باب الشفاعة**) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٧٩).

المطلب الأول: مناسبة باب الشفاعة للباب السابق.

مناسبة الباب لما قبله يتجلى من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب كالبابين التي قبله والباب الذي بعده في ذكر أحوال من عبد من دون الله وأن المشرك ليس له أي تعلق؛ لأن هذه الأبواب تبين أن الملك والأمر كله لله، وليس لأحد معه شيء أو استحقاق (١).

ثانيا: أن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم واستغاثتهم بغير الله، من مخلوقاته كالأنبياء والملائكة وغيرهم، بأن يسألوهم الشفاعة ويطلبون منهم ليقربوهم إلى الله ولمنزلتهم ومكانتهم عند الله، فناسب أن يكون هذا الباب لقطع هذا التساؤل، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي- رحمه الله -: "فالمقصود في هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأنه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالا ولا مشاركة ولا معاونة ولا مظاهرة ولا من الشفاعة شيء وإنما ذلك كله لله وحده، فتعين أن يكون المعبود وحده" (٢). فالشفاعة الشركية تنافي التوحيد والبراءة منها هو حقيقة التوحيد، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة... وكذلك قطع الله أطماع المشركين منها، وأخبر أنه شرك، ونزه نفسه عنه، ونفى أن يكون الخلق من دونه ولي أو شفيع... أراد المصنف في هذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك هو عين الشرك وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا وأخرى، وإنما الله هو الذي يأذن للشافع ابتداء، لا يشفع ابتداء كما يظنه أعداء الله" (٣)، فكأن الشيخ -رحمه الله- رأى حال المشركين والخرافيين واستحضر حججهم. وهو كذلك؛ إذ هو من أخبر أهل هذه العصور المتأخرة بحجج المشركين، فلما استحضر ذلك عقد باب الشفاعة ليحاججهم

---

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٤١٨/١)

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٧٢)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٥٧٤/١)

[1]، ففي البابين السـابقين بيان منزلة النبي - صـلى الله عليه وسـلّم - والملائكة، وأنهم لا يملكون شـيئا، فإذا اعترف المخالف بذلك، لكنه زعم أنه يطلب منهم الشـفاعة، رد عليه المصنف بهذا الباب وأوضح أنه حتى الشفاعة لا يملكونها إلا بإذن الله -جل وعلا- ورضاه عن المشفوع له.

ثالثا: أراد أن يبين فضـل الشـفاعة المثبتة والمشـروعة ومن يسـتحقها، وأنها لا تكون لمن أشـرك بالله -جل وعلا-، وقد بين هذا المعنى المصـنف رحمه الله في مسـائله[2]، فلما أخبر عن المشـركين بالله واسـتغاثتهم بغيره، ورد مزاعمهم في كون ذلك شـفاعة وتقربا، عاقبهم بعدم دخولهم في الشفاعة المشروعة التي شرعها الله ورضيها وأذن بها، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "وخلاصة الباب: أن تعلق أولئك بالشفاعة عاد عليهم بعكس ما أرادوا، فإنهم لما تعلقوا بالشـفاعة حرموها؛ لأنهم تعلقوا بشـيء لم يأذن الله - جل وعلا - به شـرعا؛ حيث استخدموا الشفاعات الشركية، وتوجهوا إلى غير الله، وتعلقت قلوبهم بهذا الغير" [3].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى:** ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [4]." [5]

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٢١٢)

(٢) انظر: كتاب التوحيد (ص:١٨٢) المسألة السابعة في هذا الباب وقول المصنف: أنها لا تكون لمن أشرك بالله".

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٢٥)

(٤) سورة الأنعام: ٥١.

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٧٩)

علاقة الآية بالباب من عدة أمور:

أولا: أن الله –عز وجل – تكلم في هذه الآية عن حال المؤمنين وأنهم ليس لهم بينهم وبين ربهم ولي يستغيثون به ويطلبون منه الشفاعة، وهذا واضح في المناسبة والعلاقة، فهي تصف المؤمنين وحالهم مع الشفعاء والأولياء، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "فنفى سبحانه وتعالى عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين، فمن اتخذ من دون الله شفيعا، فليس من المؤمنين، ولا تحصل له الشفاعة" (١)، ولا شك أن هذه منقبة للمؤمنين في بعدهم كل البعد عن الشفعاء والأولياء وطلبهم والبحث عنهم وطلب الشفاعة منهم، فالمؤمنون أخلصوا نيتهم وعملهم لله تركوا التعلق على الأولياء والشفعاء، ومن خالف هذه الآية فقد شابه المشركين في اتخاذ الوسائط بينه وبين الله –سبحانه–(٢).

ثانيا: أن هذه الآية فيها تحذير وإنذار لمن كان له عقل وخوف من ربهم من أن يتخذوا الوسائط والشفعاء، فاتخاذها هو الذي يجب أن يخاف منه المرء ويهرب منه، ولا يتخذها خوفا من النار كما يعتقده المشركون في دينهم وعقيدتهم، فحذرهم بنقيض قصدهم، يقول الإمام الطبري –رحمه الله–: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر، يا محمد، بالقرآن الذي أنزلناه إليك، القومَ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، علمًا منهم بأن ذلك كائن... ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾، أي ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم، ﴿وليّ﴾، ينصرهم فيستنقذهم منه، ﴿ولا شفيع﴾، يشفع لهم عند الله تعالى ذكره فيخلصهم من عقابه ﴿لعلهم يتقون﴾، يقول: أنذرهم كي يتقوا الله في أنفسهم، فيطيعوا ربهم، ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سَخطه باجتناب معاصيه" (٣).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٧٩)

(٢) انظر: الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله (ص: ٧٨).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٣٧٣)

ثالثا: أن من اعتقد أن هؤلاء الشفعاء والأولياء الذين استشفع بهم المشرك، أنه سيأتي يوم القيامة ولا يجد أحدا منهم، ففيه رد على المشركين الذين اعتقدوا الشفاعة وانتظروها وتمسكوا بها، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله-: "هذه الشفاعة الباطلة فإن العباد ليس لهم ولي ولا شفيع بالكلية إلا من رضي الله قوله وعمله فقط، لأن الكفار يظنون أن لهم أولياء وشفعاء ينقذونهم من النار ولا يدخلون النار بسببهم حتى عبدوهم من دون الله وقالوا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ (1)، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ (2)، فبين سبحانه أنه ليس للعباد ولي ولا شفيع دونه وأن شفاعة الكفار هذه باطلة وإن الشفاعة الحق هي التي يأذن الله فيها لأنبيائه وأوليائه وأهل طاعته في أهل التوحيد والإيمان لا في أهل الكفر والنفاق" (3).

رابعا: أن هذه الآية بينت نوعا من أنواع الشفاعة وهي الشفاعة المنفية، وهي الشفاعة من المخلوق، الغير مستوفية لشروطها، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآية للتوحيد: حيث دلت الآية على نفي الشفاعة عن المخلوق استقلالا، فيكون طلبها من المخلوق شركا أكبر، ومن ذلك طلبها من الأوثان التي زعموا أنهم يعبدونها للشفاعة" (4)، وقد نص عليها المصنف رحمه الله في مسائله بقوله: "الثانية: صفة الشفاعة المنفية" (5).

---

(1) سورة يونس:١٨.

(2) سورة الزمر:٣.

(3) شرح كتاب التوحيد لابن باز(ص: ٩٢)

(4) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٥٥)

(5) كتاب التوحيد (ص: ١٨٢)

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ (١)"(٢).**

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الشفاعة كلها ملك لله – جل وعلا- لا لأحد فيها تصرف من دونه – سبحانه-، يقول الشيخ محمد القرعاوي "مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على أن الشفاعة بجميع أنواعها ملك لله، فلا تنال إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له" (٣).

ثانيا: أوضحت الآية أن طلب الشفاعة من غير الله شرك أكبر، لأنه خالف مدلول هذه الآية وكذب بها، فـ "مناسبة الآية للتوحيد: حيث أثبتت الآية أن الشفاعة ملك لله لا يستحقها أحد سواه، فيكون طلبها من غير الله شركا أكبر، ومن ذلك طلبها من الأوثان الذين زعموا أنهم يعبدونها لأجل الشفاعة" (٤).

ثالثا: لما بين المصنف قبل هذه الآية في نفس السورة ما فعله المشركون من اتخاذهم من دون الله شفعاء من دون إذن من الله، بين لهم أنهم لا يعقلون ولا يملكون فكيف يشفعون، ثم أعقبها بهذه الآية التي فيها رد على جميع المشركين وقطع لجميع الوسائط والأولياء بقوله: "قل لله الشفاعة جميعا" فالله مالكها كلها وليس لمن يدعونهم منها شيء، ثم أتبعها بقوله: "له ملك السماوات والأرض" ، فهذا تأكيد وتقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء، إذ إنه هو مالك كل شيء، فلا يتكلم أحد في أمره من دون إذنه، فإذا كان هو مالكها فقد بطل اتخاذ الشفعاء من دون إذنه كائنا من كان (٥).

---

(١) سورة الزمر: ٤٤.

(٢) المصدر السابق (ص: ١٧٩)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ١٥٧)

(٤) المصدر السابق

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد: (١/٥٨١).

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ (١)" (٢)**

مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن الله أنكر على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها، وظنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه، فأنكر عليهم، وبين عظيم ملكوته وكبريائه(٣).

ثانيا: أن في هذه الآية إثبات لنوع من أنواع الشفاعة، ونفي جميع الشفاعات غيرها، فبين أن أحدا لا يتمكن أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء بالشفاعة، وهم الأنبياء والعلماء وغيرهم، والإذن راجع إلى الأمر فيما نص عليه كمحمد صلى الله عليه وسلم إذا قيل له: اشفع تشفع..." (٤)، وهذه هو الشرط الأول من شروط الشفاعة المثبتة، وقد نص عليها المصنف رحمه الله في مسائله بقوله: "الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة" (٥).

ثالثا: أن هذه الشروط المراد تقريرها في هذا الباب فائدتها: لأجل ألا يتعلق أحد بمن يظن أو يعتقد أن له عند الله مقاما، كما هو اعتقاد أهل الشرك في آلهتهم، فقطع عليهم ذلك بهذه الشروط التي بينها الله -عز وجل- في كتابه (٦).

---

(١) سورة البقرة:٢٥٥.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ١٧٩)

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله:(١/٥٨٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٨٣)

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٨٢)

(٦) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٢١٦)

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾** (١)" (٢)

مناسبة الآية للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية بينت الشرط الأول من شروط الشفاعة، وهو إذن الله لمن يشاء من الشفعاء أن يشفع، وقد تم بيان ذلك في الآية السابقة في الباب.

ففي هذه الآية زيادة بيان أن هذا الإذن إنما هو لكل الخلق، بدليل أنه حتى الملائكة المقربين لابد لهم من إذن الله لهم، ففيه مزيد بيان وتفصيل في هذا الشرط، وهو أنه عام في كل الناس حتى الملائكة المقربون، فإذا كان هؤلاء الملائكة لا يؤذن لهم بالشفاعة ابتداء فلماذا يدعون من دون الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "في هذه الآيات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين لشفاعة أو غيرها ما لا يخفى، لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن من الله ابتداء، فلأي معنى يدعون ويعبدون" (٣).

ثانيا: أن الآية بينت الشرط الثاني من شروط الشفاعة المقبولة والمثبتة، وهو رضا الله –تعالى–، عن المشفوع له، فلا يرضى الشفاعة لمشرك كما هو حال المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–: "فإن الله لا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله، وهو الموحد لا المشرك" (٤)، وقد نص عليها المصنف رحمه الله في مسائله بقوله: "الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة" (٥).

---

(١) سورة النجم:٢٦.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ١٧٩)

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٨٤)

(٤) المصدر السابق.

(٥) كتاب التوحيد (ص: ١٨٢)

ثالثا: أراد أن يبين المصيبة العظمى التي وقع فيها المشركون، وهو أنه إذا نفى الله شفاعة الملائكة المقربين بغير إذنه ورضاه، فدل على أنها ملك لله، وطلبها من غير الله شرك أكبر، ومن ذلك طلبها من الأوثان التي زعموا أنهم يعبدونها لأجل الشفاعة فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه(١).

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله:** ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (٢). **الآيتين، قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى:** ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ (٣). **فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع"** (٤).

---

(١) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد القرعاوي (ص: ١٦٢)، الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله (ص: ٧٩)

(٢) سورة سبأ:٢٢.

(٣) سورة الأنبياء:٢٨.

(٤)أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٧) برقم: (٤٤) (كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٢٣) برقم: (١٩٣) (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها).

وقال له أبو هريرة: "من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه" (١) **فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص "**(٢). **انتهى كلامه رحمه الله"** (٣).

مناسبة الآية وكلام ابن تيمية -رحمه الله- بعدها للباب من عدة أمور:

أولا: أن المصنف بين الأمور التي بها يشفع الشافع عند الله، وهي التي شرحها ابن تيمية رحمه الله من هذه الآية والتي بعدها من سورة سبأ، وقد ذكرها ابن تيمية في مواضع أخرى أوضح وفصل تفصيلا مختصرا وشافيا، منها قوله: "بين سبحانه أن كل ما يدعى من دونه من الملائكة والبشر وغيرهم ليس لهم مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا لهم نصيب فيهما، وليس لله ظهير يعاونه من خلقه، وهذه الأقسام الثلاثة هي التي تحصل مع المخلوقين: إما أن يكون لغيره ملك دونه، أو يكون شريكًا له، أو يكون معينًا وظهيرًا له، والرب تعالى ليس له من خلقه مالك ولا شريك ولا ظهير. لم يبق إلا الشفاعة وهو دعاء الشافع وسؤاله لله في المشفوع له، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ (٤)" (٥)، فلما تبين أن الصفات الثلاث الأولى إنما تحصل بين المخلوقين، ولا ينبغي أن نشبه الله بها، وهي أن يكون

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣١) برقم: (٩٩) (كتاب العلم، باب الحرص على الحديث).

(٢)مجموع الفتاوى (٧/٧٧- ٧٨).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٨٠)

(٤) سورة سبأ:٢٣.

(٥) الإخنائية (ص: ٩٩)، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي،دار الخراز، جدة، ط١٤٢٠،١هـ.

لغيره ملك أو يشـاركه به أو يكون عون له فيه، بقيت الشـفاعة التي هي ملك لله وحده لتفرده بملك، فبين أنها لا تنفع إلا بإذنه سبحانه ورضاه، ففي هذه الآية مزيد بيان وتوضيح للشفاعة، وقطع كل الأسباب والعلائق التي يتعلق بها المشركون لأجل شفاعتهم، ويعتقدونها ويجعلونا سببا للشـفاعة، ولهذا فإن هذه الآية كما نقل المصـنف في الباب الذي قبله أن هذه الآية هي التي تصلح أن يقال أنها تقطع عروق الشرك وهو كلام نقل عن ابن القيم -رحمه الله-، بل كان الأولى والأنسب، فكان الأولى أن يذكر المسألة في مصنفه كتاب التوحيد في الباب السابق (١)، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، متنقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشـرك، وهي الشـفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نورا، وبرهانا ونجاة، وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها" (٢).

ثانيا: دل حديث أبي هريرة الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على أن شفاعة الرسول -ﷺ- لا تكون إلاّ لأهل الإخلاص، لا تكون لأهل الشـرك، وأهل الإخلاص هم: "من قال: لا إله إلاّ الله" أي: تلفّظ بها، "خالصاً من قلبه" لم يقلها بلسـانه فقط، وإنما قالها عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضـاها، معتقداً لها بقلبه، وأن المشـركين لما تعلقوا بالشـفاعة حرموها؛ لأنهم تعلقوا بشيء لم يأذن الله - جل وعلا - به شرعا؛ حيث استخدموا الشفاعات الشركية،

---

(١) وهي المسألة الثانية من باب: "حتى إذا فزع عن قلوبهم..."الآية، انظر: كتاب التوحيد: (ص: ١٧٥).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن قيم الجوزية (١/ ٣٥١)،تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

وتوجهوا إلى غير الله، وتعلقت قلوبهم بهذا الغير. [١]، وهذا مراد المصنف عندما قال في مسائله: "السادسة: من أسعد الناس بها؟، السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله" [٢].

ثالثا: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع مباشرة، بل يطلب الإذن من ربه بسجوده له حتى يؤذن له، فإذا كان هذا حال أفضل الخلق، ولم يفعل شيئا بأمره، وإنما يسجد بأمر ربه وإذنه، ولا يرفع حتى يؤذن له، ولا يبدأ بالشفاعة حتى يسمح له رب العزة والجلال، فكيف تطلب منه الشفاعة مباشرة وتنسب له، بل كيف تطلب من غيره ممن هم دونه في الفضل والمنزلة [٣]، وقد أوضح المصنف هذه المناسبة في مسائله حيث قال -رحمه الله-: "الخامسة: صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع" [٤].

رابعا: بين المصنف رحمه الله حقيقة الشفاعة، وهي أن الله يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود، وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فالمصنف أراد أن يوضح أن الشفاعة لم يدعيها صاحبها، ولم يشفع بغير إذن الله، بل إن الله تفضل على عباده المخلصين بأن غفر لهم بواسطة من أذن له بأن يشفع لهم ورضي عنهم، لا كما يفعله المشركون بطلبها ممن لم يأذن الله لهم.

---

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (١/ ٢٤٩)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٢٥).

(٢) كتاب التوحيد، (ص: ١٨٢).

(٣) انظر: المسبوك الثمين، لخالد الهويسين(١/١٣٧).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ١٨٢)

المبحث الرابع: باب قول اللّه تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت} الآية .

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله باب قول الله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (١) (٢)، ويحتوي على آية وحديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (٣) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له

(١) سورة القصص:٥٦.

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٧٩).

(٣) سورة القصص:٥٦.

المطلب الأول: مناسبة باب قول اللّه تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت} الآية (١). للباب السابق.

معنى الآية في الباب للباب قبلها تتجلى من عدة أمور:

أولا: أنه لما بين في الباب السابق الشفاعة المثبتة والمشروعة، والتي لابد أن تكون بإذن الله للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له، ومنها شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود، أراد أن يبين أن الله لم يأذن ولم يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب، فأمره بألا يشفع له، وبين أنه مشرك والمشرك لا يستحق الشفاعة، فانتفى عنه شرطي الشفاعة، والهداية هنا المذكورة في الباب فيها نوع شفاعة وطلب، يقول الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله -: "مناسبة هذا الباب لما قبله، مناسبته أنه نوع من الباب الذي قبله،، فإذا كان لا أحد يستطيع أن ينفع أحدا بالشفاعة والخلاص من العذاب، كذلك لا يستطيع أحد أن يهدي أحدا؛ فيقوم بما أمر الله به." (٢).

ثانيا: أن هذا قطع آخر لعلائق الشرك وطرقه، ومنها الغلو في الصالحين، فقد يقول قائل أن النبي صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء، فنسأل الله بجاهه ومكانته فنحن نتوسل به ونطلب منه الهداية والتوفيق، فأتى المصنف بهذا الباب ليقطع هذا الطريق وهذه الحيلة التي هي من حيل المشركين بالله، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع هداية عمه أبي طالب، فكيف تطلبون منه هداية التوفيق التي هي من خصائص الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -: "أراد المصنف رحمه الله الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون، فيسألونهم مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وهداية القلوب... ففي هذا أعظم البيان، وأوضح البرهان على أنه صلى الله عليه وسلم لا يملك ضرا ولا نفعا،... ولو كان

---

(١) سورة القصص:٥٦.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٤٨)

عنده صلى الله عليه وسلم من هداية القلوب ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب شيء ؛ لكان أحق الناس به، وأولاهم من قام معه أتم القيام ونصره، وأحاطه من بلوغه ثمان سنين إلى ما بعد النبوة بثمان سنين أو أكثر" (١)، فإذا لم يستطع أن يهدي عمه الذي كان يحميه ويحوطه من المشركين، ويدافع عنه ويتحمل الأذى، فهو لا يستطيع أن يهدي أحدا، وغيره من باب أولى، ففيه بيان أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يملك هداية التوفيق، وشرح الصدر للإيمان، وإنما الذي يملك ذلك الله سبحانه وتعالى، فدلت الآية على أن هداية التوفيق مختصة بالله، فيكون طلبها من غير الله شركا.(٢).

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف رحمه الله "في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال:" لما- حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: "يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك" فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (٣). وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ**

(١) تيسير العزيز الحميد(٦١٥/١)

(٢) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ١٣٢)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله الغنيمان (٤٤٠/١)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد القرعاوي (ص: ١٦٨)

(٣) سورة التوبة:١١٣.

أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (١) (٢) "(٣)

مناسبة الحديث للباب يتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الحديث يذكر سبب نزول الآية التي ترجم بها المصنف وهي قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (٤)، وأنه في عمه أبي طالب.

ثانيا: أن الحديث فسر سبب عدم قبول هداية الله لعم النبي -ﷺ-، وهو أنه مشرك، والمشرك لا يجوز أن يستغفر له، وهذا مأخوذ من الآية الأخرى التي في الحديث، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾ (٥)، يقول الإمام الطبري-رحمه الله-:" يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به "أن يستغفروا" ، يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم "أولي قربى" ، ذوي قرابة لهم "من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم" ، يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله "(٦).

---

(١) سورة القصص:٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٥٢) برقم: (٣٨٨٤) (كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٠) برقم: (٢٤) (كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٨٣).

(٤) سورة القصص:٥٦.

(٥) سورة التوبة:١١٣.

(٦) تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٩)

ثالثا: فيه بيان أن المشـركين الأولين الذين لغتهم سـليمة وقويمة، لم يقولوا لا إله إلا الله؛ لعلمهم بمعناها ومقتضياتها، وهذا الذي بينه المصنف في مسائله بقوله: الثالثة: وهي المسألة الكبيرة – تفسير قوله صلى الله عليه وسلم:" قل: لا إله إلا الله "بخلاف ما عليه من يدعي العلم" (١)، يقول الشيخ عبد الله الدويش تعليقا على هذه المسألة: "أي أن تفسيرها إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه ولذلك لما فهم هذا كفار قريش لم يقولوها بخلاف من بعدهم ممن يدعي العلم فإنهم لما خفي عليهم هذا صاروا يقولونها وهم متلبسون بالشرك لظنهم أنه لا ينافيها" (٢). وقد دعا المصنف على من أبو جهل أعلم بمعنى "لا إله إلا الله" ، ويعلم أصل الإسلام، وهو أنه ترك الشفعاء والأصنام والوسائط من دون الله وإفراد الله بعبادته وحده لا شريك له، يقول المصنف –رحمه الله–: "الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل:" قل لا إله إلا الله ". فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام" (٣).

رابعا: أراد المصنف أن يبين أن سبب عدم هداية المشركين هو ضلالهم وشركهم مع الله وتعظيم هذه الشبهة وتذكير أنفسهم بها، فهم لا يكادون ينفكون عن تكرارها، فلم يأتوا بأدلة أو شواهد، وإنما قالوا له: "أترغب عن ملة عبد المطلب" ، وهذا كفيل أن يرده عن الحق؛ فهذه شبهة كبيرة في نفوس المبطلين، وأن السبب هو تعظيم الشرك في النفوس (٤)، فكأن المصنف قال: إذا علمت الأدلة والبراهين التي تدل على قطع الشرك ووحدانية الله، وذكر الأمثلة عليها، أمرنا بقطع جميع العلاقات والقرابات والأفكار التي تقف عائقا أمام طرد تلك الشبه ودحرها، وهذا هو مراد المصنف في مسائله عندما قال: "الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في

(١) كتاب التوحيد (ص: ١٨٤)

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٠٩)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ١٨٥)

(٤) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم،(١٤٧٤/٤).

قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم، اقتصروا عليها" (١).

الفصل الرابع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بأسباب الشرك وقطعها والرد على من منع وقوع الشرك في هذه الأمة

المبحث الأول: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

المبحث الثاني: باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟.

المبحث الثالث: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.

المبحث الرابع: باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك.

المبحث الخامس: باب أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

(١) كتاب التوحيد (ص: ١٨٦)

المبحث الأول: **باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب ما جاء أن سب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو بالصالحين" (٩١٨)، ويحتوي على آية، وثلاثة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء أن سب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو بالصالحين) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(٩١٨) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٨٧).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين للباب السابق

فمناسبة الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: عندما تكلم المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة مما هو في الفصل الماضي عن أحوال المشركين وشبههم وحيلهم تجاه من عبد من دون الله وأحوالهم، تكلم في هذا الفصل عن أسباب الشرك والوقوع فيه، وقطع تلك الأسباب بفضحها وتوضيحها وإظهارها على حقيقتها، والاستدلال بأن هذا الشرك باق وموجود في هذه الأمة، ويدل لهذا عندما تكلم في الباب السابق عن قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب، ثم ذكر في المسألة الأخيرة سببا من أسباب الشرك، وتعلق أبي طالب بدينه، وعدم دخوله في الإسلام، حيث قال المصنف -رحمه الله-: "الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم، اقتصروا عليها" (٩١٩)، فجعل هذه الشبهة كبيرة، فهي شبهة كبيرة في نفوس المبطلين، وأن السبب هو تعظيم الشرك في النفوس، ثم ساق هذا الباب؛ ليبدأ بتبيين أسباب الشرك، فما أجمله من تناسق وترتيب.

ثانيا: أنه لما بين أحوال المعبودات من دون الله والشبه التي تمسك المشركون بها، بدأ في هذا الباب بذكر أهم الأسباب وأشدها، وهو الغلو في الصالحين لأنه أسرع عند الناس من غيرهم وتمسكهم بهم، وقربهم من دينهم، فالشبهة فيهم كبيرة، فأورد هذا الباب ليحذر العبد أشد الحذر؛ لأنه سبب للكفر وترك الدين (٩٢٠)، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "ولما ذكر المصنف رحمه الله بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذر، وهو الغلو مطلقًا لاسيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديمًا

---

(٩١٩) كتاب التوحيد (ص: ١٨٦)

(٩٢٠) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله الغنيمان (١/٤٥٦)

وحديثًا لقرب الشرك بالصالحين من النفوس فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم لهم" (٩٢١)، فلا سبب أشد ولا أقوى من الغلو في الصالحين، ولهذه قال في الترجمة "هو" ليدل على الاختصاص، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "أتى الشيخ -رحمه الله تعالى- في هذه الترجمة بضمير (هو) الذي هو يفيد الاختصاص؛ إذ لا سبب أخص في تغيير الأديان وعبادة الأوثان من الغلو في الصالحين، فبذلك يضل الشيطان بني آدم عن عبادة الرحمن" (٩٢٢).

ثالثا: لما ذكر المصنف رحمه الله الشفاعة وبينها وحذر من الاستشفاع بالأولياء والصالحين، ومنع الهداية منهم، ذكر في هذا الباب الغلو في الصالحين، وبين بذلك أن سبب غلوهم بهم هو طلب الشفاعة منهم والهداية، فأتى المصنف بهذا الباب ليبين المصيبة الكبيرة والمسألة الخطيرة التي كان سببها الغلو بالصالحين فطلبوا منهم ما هو خاص بربهم، ولهذا يقول المصنف في مسائل هذا الباب: "الخامس عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة" (٩٢٣)، فكان الغلو في الصالحين سببا من أسباب شرك سبق بيانه في الأبواب التي قبله وهي طلب الشفاعة، فهذا الباب هو مكمل للكتاب الذي يدور من أوله إلى آخره على النهي عن الشرك، لكن هذا الباب هو أهمها؛ وذلك لانتشاره وشيوعه، وعظم البلية به، فالذين وقعوا في الغلو في الصالحين كثير، ولا زالوا (٩٢٤)، ولهذا فإن المصنف بين هذا الأمر الخطير وجعل يوضحه في هذا الباب وبابين بعده، وسيأتي في كلام المصنف ما يوضح ذلك.

رابعا: أن المصنف بين في الأبواب السابقة أصولا وبراهين عظيمة تدل على توحيد الله مما لا يدع مجال للشك أو الريبة، فإذا كان كذلك فإنه يتبادر إلى ذهن القارئ أنه لماذا إذا وقع الشرك في الناس وانتشر مع وضوح التوحيد، فأتى بهذا الباب والأبواب بعده ليبين أسباب هذا الشرك بدأ بالأكثر وقوعا وأقربه من الناس، فأتى بهذا الباب ليثبت ويبين ما سبق

---

(٩٢١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٣٠)

(٩٢٢) فتح الحميد (٢/٨٤٥)

(٩٢٣) كتاب التوحيد (ص:١٩١).

(٩٢٤) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ١٤٦)،السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (١/٣٥٤)

التحذير منه وبيانه من الشرك والتوحيد، ويوضح أقوى أسباب الوقوع في الكفر والشرك وهو الغلو في الصالحين [٩٢٥].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله عز وجل:** ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [٩٢٦]." [٩٢٧].

مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية واضحة في النهي عن الغلو، وأن الله حذر منه قبل الإسلام وبعده، ومع ذلك فإن الناس وقعوا فيه في الأمم السابقة وهذه الأمة، فبدأ بهذه الآية التي هي قاعدة عظيمة في النهي عن الغلو في الدين، فما بالك بمن يغلو بالصالحين، لا شك أن هذه الأمر من أعجب العجب، ولهذا بدأ المصنف بتفسير هذه الآية بالمسألة الأولى، فقال: "الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب" .

ثانيا: أن هذه الآية تدل على أن الصالحين يدعون إلى دينهم، والغلو في حبهم هو غلو في الدين لأن حب الصالحين دين، يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله-: "والمقصود من الباب التحذير من الغلو في حب الصالحين والأنبياء وحبهم دين حيث قال: (في دينكم) والحب والبغض في الله من الدين..." [٩٢٨]، ويؤيد هذا أن هذه الآية تتكلم في عيسى -عليه

---

(٩٢٥) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٣٦- ٢٣٧)

(٩٢٦) سورة النساء:١٧١.

(٩٢٧) كتاب التوحيد (ص: ١٨٧)

(٩٢٨) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١٠٠)

السلام- وعدم الغلو فيه، فقال بعدها: "﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ (٩٢٩)..

يقول ابن جرير الطبري-رحمه الله - في تفسير الآية:" يعني جل ثناؤه بقوله: "يا أهل الكتاب" ، يا أهل الإنجيل من النصارى "لا تغلوا في دينكم" ، يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله، قول منكم على الله غير الحق. لأن الله لم يتخذ ولدا فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابنا "ولا تقولوا على الله إلا الحق" "(٩٣٠). وهذا موافق لكلام ابن باز-رحمه الله - في إن حب الصالحين من الدين، وعيسى -عليه السلام- من الصالحين.

ثالثا: أن الآية بينت أن سبب خروج أهل الكتاب من دينهم هو غلوهم في الصالحين، وتعظيمهم لعيسى عليه السلام، فالنصارى نزلوا عيسى منزلة الله فعبدوه معه (٩٣١).

رابعا: أن من دعا نبيا أو وليا وغلا فيه وأنزله فوق منزلته فإنه قد شابه أهل الكتاب في غلوهم وشركهم، فلا شك أنه تحذير ووعيد، فهذه الآية وإن كانت في أهل الكتاب فهي تحذير لهذه الأمة ووعيد ألا يفعلوا مثل ما فعلوا (٩٣٢)، ومع ذلك فإنك تجد من يفعل مثل ما فعلوا ويحذو حذوهم، فحق لنا بعد هذه المناسبات أن نرجع إلى المسألة الأولى التي ذكرها المصنف في أول هذا الباب وقد تقدم ذكرها (٩٣٣).

- **قال المصنف رحمه الله" في الصحيح "عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى:** ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

---

(٩٢٩) سورة النساء:١٧١.

(٩٣٠) تفسير الطبري (٩/ ٤١٥)

(٩٣١) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٧٤)

(٩٣٢) انظر: الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد (ص: ٩٣)

(٩٣٣) انظر: كتاب التوحيد، (ص:١٨٩).

وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ (٩٣٤). (٩٣٥)، **قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت"** (٩٣٦). **قال ابن القيم: ((قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم))** (٩٣٧) (٩٣٨).

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف أن يستدل على أن أول سبب من أسباب الشرك أنه هو الغلو في الصالحين، ولذلك ساق هذا الحديث الذي يفسر الآيات التي تتكلم عن قوم نوح، وكيف أنهم تدرجوا في الغلو حتى وصل بهم إلى الإشراك بالله وعبادتهم من دون الله، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الغلو في الصالحين" (٩٣٩). فإذا كان الغلو في الصالحين هو سبب كفر الأولين بل هو السبب الأول في شركهم، فلا شك أنه هو أيضا سبب شرك المتأخرين (٩٤٠).

فأراد المصنف بيان بداية الشرك في الصالحين ، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –: "فتبين أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم، كما أن سبب الشرك بالنجوم هو الغلو فيها واعتقاد النحوس فيها والسعود، ونحو ذلك. وهذا هو الغالب على الفلاسفة ونحوهم، كما أن ذاك هو الغالب على عباد القبور، ونحوهم، وهو أصل عبادة الأصنام، فإنهم

---

(٩٣٤) سورة نوح:٢٣.

(٩٣٥) سورة نوح:٢٣.

(٩٣٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٦٠) برقم: (٤٩٢٠) (كتاب تفسير القرآن، سورة نوح، باب ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق).

(٩٣٧) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٨٤)

(٩٣٨) كتاب التوحيد (ص: ١٨٧)

(٩٣٩) كتاب التوحيد (ص: ١٨٩).

(٩٤٠) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (١/٣٥٨)

عظموا الأموات تعظيمًا مبتدعًا، فصوروا صورهم، وتبركوا بها، فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ومن صورته" (٩٤١)، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله بقوله: "الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم" (٩٤٢)، ويدل لذلك قوله في الحديث: "" ثم طال عليهم الأمد؛ فعبدوهم" ، ويفسر هذا المعنى الشيخ حامد بن محمد بن حسين-رحمه الله — حيث يقول: "قلت: وموجب ذلك كله الغلو شيئاً فشيئاً حتى تعدى عن الحد، وآل الأمر إلى الشرك بالله فعكفوا على قبورهم وذلك بما صوروا صورهم ثم طال عليهم الأمد فغفلوا عن التوحيد وغلوا فيها فأشركوا فعبدت فلذلك نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن الغلو حذراً مما وقع قبل من الشرك بسببه" (٩٤٣).

ثانيا: أن المصنف ذكر هذا الحديث ليبين سببا آخر من أسباب الغلو في الصالحين، الذي هو موصل إلى الشرك، فبين أن استحسان الناس للبدع دون الرجوع من الوهلة الأولى إلى أمر الله وأمر رسوله، والاسترسال في البدع، هو من أعظم الأسباب في الدخول في الغلو وتتابع البدع والشرك بالله —عز وجل-، ولهذا يقول المصنف -رحمه الله -: "الرابعة: سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها" (٩٤٤)، يقول الشيخ عبد الله الدويش مفسرا وموضحا هذه المسألة: "أي لما أوحى إليهم الشيطان ذلك قبلوه ولو أنهم رجعوا إلى الشرع وعملوا به لما قبلوا ما أوحاه إليهم الشيطان ولكنهم استحسنوا ما قالوه فحصل ما حصل" (٩٤٥).

ثالثا: أن المصنف - رحمه الله - أورد الحديث ليبين سببا آخر من أسباب الغلو في الصالحين الموصل إلى الشرك، وهو البدعة، ومزج الحق بالباطل، والدفاع عنه والاستماتة من أجله بذريعة أن فيه حقا، ولا شك أن هذا السبب من أقوى الأسباب في هلاك الأمم، فبداية كما في الحديث أن الرجال الصالحين لما ماتوا كان العهد بهم قريبا، وأهل ذلك الزمان أرادوا الخير وحب الاستزادة من الدين بتذكر الصالحين، فكان عندهم سبب ألا وهو محبة

---

(٩٤١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٣٧-٦٣٨)

(٩٤٢) كتاب التوحيد (ص: ١٩٠).

(٩٤٣) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٨٨)

(٩٤٤) كتاب التوحيد (ص: ١٩٠).

(٩٤٥) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١١٤)

الصــالحين هؤلاء، ثم فعل أهل الدين منهم والعلم أن نصــبوا عليهم أنصــابا وكتبوا أسماءهم عليها ليتذكروها ويزيدوا في العبادة، وهذا الفعل منهم أرادوا به خيرا، لكنه باطل، وهذا الباطل والبدعة الذي سببه الغلو فيهم ففعلوا أشياء في ظاهرها الحسن، جعل من بعدهم يظنون بهم غير هذا فعبدوهم، وهذا هو الذي بينه المصنف في مسائله حيث قال -رحمه الله-: "الخامسة: أن سـبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصـالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره" (٩٤٦).

فالمصـــنف - رحمه الله - أراد أن يوضـــح خطر البدعة وأثرها على العبد، والتي هي السبب الرئيس من أسباب الغلو في الصالحين، فذكرها على عدة مسائل، وهي كالتالي:

الأول: أن من طبيعة الإنســان بطبيعته أنه يزيد عنده الباطل وينقص الحق إذا لم يغذي الحق بالكتاب والسـنة، وهذا ذكره المصـنف في قوله: "الســابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد" (٩٤٧).

الثاني: أن الاسترسال بالبدعة هو سبب للكفر كما بينه السلف واستشهد المصنف للسلف بهذا الحديث، يقول المصنف -رحمه الله-: "الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر" (٩٤٨).

الثالث: أن الشــيطان يزين للعبد العمل الصــالح الذي يرى الشــيطان أنه يؤول إلى البدعة، فيحمسـه له ويرغبه فيه، فحذر المصـنف من الاسـترسـال مع الشيطان، وألا يكون الشـيطان أعلم منه في النظر إلى ما تؤول إليه الأمور، يقول المصـنف -رحمه الله-: "التاسـعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل" (٩٤٩).

رابعا: أراد المصـــنف من هذا الحديث أن يبين النتيجة العظيمة التي يســـببها الغلو في الصـالحين والاسـترسـال في ذلك أنه يؤدي إلى عبادتهم من دون الله، فحذر من الغلو في هذا الباب ونهى عنه، وسماها المصـــنف رحمه الله القاعدة الكلية في مســـائله فقال -رحمه الله-:

(٩٤٦) كتاب التوحيد:(ص: ١٩٠).

(٩٤٧) نفس المصدر

(٩٤٨) نفس المصدر

(٩٤٩) نفس المصدر

"العاشـــرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه" (٩٥٠)، ولهذا فإن هذه القصـــة فيها من البيان والتوضـــيح ما يكفي لكل من دخل في الغلو واعى فيه الدعاوى، يقول المصنف -رحمه الله-: "الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها" (٩٥١). بل إن المصنف استدل بغفلة الناس عنها في بأن الناس يعلمون هذه القصة ويقرؤونها في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، وهي موضحة في تفاسير العلماء، ومع ذلك فإنك تجد من الناس من يفعل فعل قوم نوح ويسـتحسـنه ويدافع عنه بل ويتهم من يرده بالكفر والخروج من الإسلام، يقول المصنف -رحمه الله-: "الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضـــل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو الكفر المبيح للدم والمال" (٩٥٢)، وقد بين الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله أن من يقصده في هذه المسألة أنهم من يدعي العلم ولعله من أهل زمانه، يقول -رحمه الله-: "أي أعجب شـــيء قراءة من يدعي العلم في هذه الأوقات قصـــة قوم نوح مع معرفتهم بمعنى الكلام ولكن حيل بينهم وبين معرفة التوحيد حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات" (٩٥٣)، فهذا هو حال من يدعي العلم، فما بالك بعامة الناس ووقوعهم في الغلو وقبول المزاعم الباطلة في ذلك.

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله ". (٩٥٤) أخرجاه (٩٥٥)**

---

(٩٥٠) نفس المصدر

(٩٥١) المصدر السابق: (ص: ١٩١).

(٩٥٢) نفس المصدر.

(٩٥٣) لتوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١١٦)

(٩٥٤) كتاب التوحيد (ص: ١٨٨)

(٩٥٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٧) برقم: (٣٤٤٥) (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم)

مناسبة الحديث للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن المصنف أراد أن يبين صنفا آخر من بني آدم ممن غلا في الدين وهم النصارى وذلك عندما غلوا في عيسى – عليه السلام- وأطروه حتى جعلوه ابن الله، فخرجوا من دينهم.

ثانيا: أراد المصنف أيضا أن يبين تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من إطرائه ومجاوزة الحد في مدحه والغلو فيه حتى لا يقعوا في الغلو فيه، ويشركوا بالله، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله -:" وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تجاوز الحد في مدحه تواضعا منه عليه الصلاة والسلام، وخوفا من أن يتطور الأمر إلى رفعه إلى منزلة لا تليق بالمخلوق "(٩٥٦).

ثالثا: أن الغلو في الصالحين أنه يؤدي إلى الشرك بالله وعبادة أولئك الصالحين من دون الله، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للتوحيد: حيث دل الحديث على أن الغلو في المخلوقين قد يؤدي إلى عبادتهم المنافية للتوحيد "(٩٥٧)، فأراد المصنف حماية قومة من الوقوع في الشرك بالله الذي وقع به الأمم قبله وأنه هو السبب العظيم في ذلك، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -رحمه الله -:" المقصود: أن هذا من حمايته صلى الله عليه وسلم لدين الله جل وعلا وسده الذرائع التي يمكن أن يدخل الشيطان... والمقصود أيضا أن النصارى الذين حذرناهم الرسول صلى الله عليه وسلم زادوا في الواجب، وهذا هو الإطراء "(٩٥٨)، وهذا هو معنى قول المصنف في مسائله:" السابع عشرة: البيان العظيم في قوله -ﷺ -: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم" فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين "(٩٥٩).

ومن ناحية أخرى: فإن الشيخ – رحمه الله – أراد أن يبين كذلك أن اعتقاد أهل السنة في النبي – صلى الله عليه وسلّم – بأنه عبد لله ورسول أن ذلك هو الواجب، وأن ما زاد

---

(٩٥٦) الدر النضيد على كتاب التوحيد، (ص: ١٤٠)

(٩٥٧) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٧٨)

(٩٥٨) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١/٤٧٢، ٤٧٤)

(٩٥٩) كتاب التوحيد (ص: ١٩١).

على هذا من الإطراء فإنه محرم وشرك، بخلاف من يعتقد أن ذلك تنقصا لجنابه – صلى الله عليه وسلّم –، كما هو حال عباد القبور فادعوا فيه ما ادعته النصارى في عيسى أو قريبا منه (٩٦٠).

- **قال المصنف رحمه الله" عليه السلام---قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو"** (٩٦١) (٩٦٢).

مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله حذر من الغلو وهذا يدخل فيه الغلو في الصالحين، ونهانا عنه، وبين أن سبب النهي عن الغلو أنه هو السبب الرئيس لهلاك الأمم السابقة، فهذا تحذير مختصر جامع ومانع، وهذا هو مراد المصنف في مسائله عندما حذر من الغلو في هذا الباب ونهى عنه، وسماها المصنف رحمه الله القاعدة الكلية في مسائله فقال –رحمه الله –: "العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه" (٩٦٣)، يقول الشيخ سعيد الجندول: "الحديث الرابع في هذا الباب هو ما جاء فيه نهي الرسول عليه السلام عن الغلو، وإخباره بأنه كان سببا في إهلاك أمم سابقة، وهذا دليل على العواقب السيئة التي تنتج عن

---

(٩٦٠) انظر: تيسير العزيز الحميد (٦٤٣/١).

(٩٦١) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٤ / ٤٦٥) برقم: (٢٨٦٧) (كتاب المناسك، باب التقاط الحصى لرمي الجمار من المزدلفة)، (٤ / ٤٦٦) برقم: (٢٨٦٨) (كتاب المناسك، باب التقاط الحصى لرمي الجمار من المزدلفة) وابن حبان في "صحيحه" (٩ / ١٨٣) برقم: (٣٨٧١) (كتاب الحج، ذكر وصف الحصى التي ترمى بها الجمار) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٤٦٦) برقم: (١٧١٧) (كتاب المناسك، رمي الجمار ومقدار الحصى) والنسائي في "المجتبى" (١ / ٦٠٢) برقم: (٣٠٥٧ / ١) (كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى) وابن ماجه في "سننه" (٤ / ٢٢٨) برقم: (٣٠٢٩) (أبواب المناسك، باب قدر حصى الرمي) وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم في مستدركه، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ١٧٧).

(٩٦٢) كتاب التوحيد (ص: ١٨٨)

(٩٦٣) المصدر السابق (ص: ١٩١)

الغلو في جميع الأعمال قلبية كانت أو جسمية" (٩٦٤). ففي هذه الحديث نهى وحذر من الغلو، ثم بين نتيجة من استرسل في الغلو من الأمم السابقة أنه كان سببا في هلاكهم وعقابهم، وهذا معنى آخر من معاني هذه المسألة العظيمة والقاعدة الكلية، يقول الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله-: "ففي هذا: التحذير من الغلو في العبادات، والغلو في الأشخاص، والغلو في كل شيء، فالغلو في كل شيء ممنوع..."(٩٦٥).

ثانيا: أن المصنف رحمه الله أراد أن يبين أن الغلو إنما هو اتباع الإنسان لهواه، وبعده عن أوامر الله، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "حيث دل الحديث على أن الغلو في الدين أو المخلوقين يخرج الإنسان عن الحدود التي أنزلها الله فيكون متبعا لهواه، وهذا من الشرك المنافي للتوحيد" (٩٦٦).

- **قال المصنف رحمه الله "ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" هلك المتنطعون قالها ثلاثا "**(٩٦٧) (٩٦٨).

مناسبة الحديث للباب يتجلى من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله ذكر المتنطعين في هذا الحديث، والمتنطعون: هم الغالون في عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة، ويسترسل مع الشيطان في الوسوسة (٩٦٩)، وهذا معنى من معاني الغلو الذي منه الغلو في الصالحين.

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بالهلاك، وكرر ذلك ثلاثا، مما يدل على أن الهلاك هو مآلهم وطريقهم الذي يصلون إليه، وعاقبتهم التي تنتظرهم، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على أن التنطع في الأمور كلها بما في

---

(٩٦٤) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ١٤٢)

(٩٦٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٧٦)

(٩٦٦) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٨٠)

(٩٦٧) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٨) برقم: (٢٦٧٠) (كتاب العلم، باب هلك المتنطعون)

(٩٦٨) كتاب التوحيد (ص: ١٨٨)

(٩٦٩) انظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٤٩).

ذلك تعظيم الصالحين من أسباب الهلاك "[970]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التحذير والتعليم، فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين، فما ترك شيئا يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا أخبرنا به، وإنما ضل الأكثرون بمخالفة هذه الأحاديث وما في معناها، فغلوا وتنطعوا فهلكوا، ولو اقتصروا على ما جاءهم من ربهم على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلموا وسعدوا... "[971].

ثالثا: أن وصفهم بالهلاك يدل على أن الغلو بما فيه الغلو في الصالحين أنه موصل إلى الشرك بالله، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ-رحمه الله-:" ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله"[972].

---

(٩٧٠) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٨١)

(٩٧١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٥٠)

(٩٧٢) قرة عيون الموحدين (ص: ٣٢٨)

المبحث الثاني: باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده "[973]، ويحتوي على أربعة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(٩٧٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٩٣).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟ للباب السابق.

مناسبة هذا الباب لما قبله يظهر من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب مكمل للباب الســـابق، بل هو نوع منه، فإن من أنواع الغلو في الصــالحين هو عبادة الله -جل وعلا- عند قبورهم، ووســيلة من وســائل عبادتها، فلما بين المصنف في الباب السابق خطر الغلو في الصالحين، وأنه سبب لكفر بني آدم وتركهم دينهم وهلاكهم، بين في هذا الباب أيضـــا الغلو عند قبورهم، والتغليظ على فاعله وذكر مآله وما يوصل إليه، يقول الشيخ صالح الفوزان-رحمه الله -:" ذكر المؤلف رحمه الله في الباب الذي قبل هذا: التحذير من الغلو في الصالحين، وأنه سبب لكفر بني آدم، وتركهم دينهم، ذكر في هذا الباب الغلو في قبورهم، لأنه نوع من الغلو فيهم "(٩٧٤).

فعبادة الله عند القبور وسيلة من وسائل عبادتها، كما أن الغلو في الصالحين في الباب السابق وسيلة من وسائل عبادة الصالحين من دون الله (٩٧٥)، ولا شك أن هذا الباب هو من السابق ومكمل له، يقول الشيخ سعيد الجندول:" قصد الشيخ المجدد رحمه الله، من هذا الباب الابتعاد عن كل وسيلة قد تؤدي إلى أي نوع من أنواع الشرك "(٩٧٦).

ثانيا: لما بين في الباب السابق من أن سبب الشرك هو الغلو في الصالحين، أتى بهذا الباب ليبين خطر هذا الغلو حتى ولو لم يقصــد الغالي إلا عبادة ربه؛ لأنه جعل هذه العبادة عند قبر رجل صالح، فأراد المصنف أن يقطع كل السبل والطرق التي تكون طريقا إلى الغلو والتعظيم للصـــالحين، بعبادة الله عنده، وذكر الأدلة التي تدل على التغليظ على من فعل هذا الأمر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -:" ولما كان عباد القبور إنما دُهُوا من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ

---

(٩٧٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٨٣)

(٩٧٥) انظر: الدر النضيد على أبواب التوحيد، الحمدان (ص: ١٦٩)

(٩٧٦) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ١٤٥)

عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ (٩٧٧) ١ الآية. نَوَّعَ المصنف التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة، ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، فإذا كان قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما سَيَمُرُّ بك، فكيف بعبادة أربابها من دون الله واعتيادها لذلك في اليوم والأسبوع والشهر مرات كثيرة "(٩٧٨).

ثالثا: أن الباب السابق تكلم عن الغلو في الصالحين، وما أوصل الأمم السابقة إلى عبادتهم من دون الله، وهذا الباب تكلم عن العبادة الخالصة لله عند قبورهم، فإذا كان هذا الباب فيه تغليظ ووعيد لمن عبد الله عند قبور الصالحين، فما بالك بحال الأمم السابقة المذكورة في الباب السابق، وحال من يفعل فعلهم من هذه الأمة بعبادتهم من دون الله، يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز-رحمه الله -:" هذا باب عظيم كالذي قبله ما جاء من الأدلة في التغليظ فإن كانت الأدلة جاءت بإنكار عبادة الله عند قبور الصالحين فكيف إذا عبده واتخذه إلها من دون الله؟! فالتغليظ يكون أشد لأن الأول وسيلة والثاني شرك أكبر "(٩٧٩).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله" في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها-: "أن أم سلمة ذكرت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح -أو العبد الصالح- بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله"** (٩٨٠) **فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين:**

---

(٩٧٧) سورة فاطر:٨.

(٩٧٨) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٥٤)

(٩٧٩) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١٠٤)

(٩٨٠) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٩٣) برقم: (٤٢٧) (كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد)، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٦٦) برقم: (٥٢٨) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عَنْ بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها).

فتنة القبور وفتنة التماثيل (٩٨١) "(٩٨٢)

مناسبة الحديث للباب:

أولا: أن المصنف بين في هذا الحديث والتعليق بعده، حقيقة من بنى المساجد على القبور لأجل العبادة فيها، وأنه إنما فعل فتنة، وكذلك من يعبد الله عند قبر لابد أن يتخذ مكانا كما فعل هؤلاء.

ثانيا: أن المصنف بين أن من يعبد الله عند القبر، أنه من شرار الخلق عند الله، وهذا تغليظ ووعيد على من فعل ذلك.

ثالثا: أراد المصنف أن يبين مآل من يعبد الله عند قبر رجل صالح أنه لا يكتفي بهذا، وإنما سيفعل مثل ما فعل أصحاب الكنيسة من جمعهم بين الفتنتين ببناء المساجد عليها، ووضع التماثيل والتصاوير فيها، فلا شك أنهم شرار الخلق عند الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – في شأن فتنة القبور:" الأولى: فتنة القبور، لأنهم افتتنوا بقبور الصالحين، وعظموها تعظيمًا مبتدعًا، فآل بهم إلى الشرك، وهي أعظم الفتنتين، بل هي مبدأ الفتنة... "(٩٨٣).

رابعا: أن هاتين الفتنتين التي ذكرهما المصنف من كلام شيخ الإسلام، هما سبب عبادة الصالحين، كالصالحين من قوم نوح وغيرهم، فاستحقوا أن يكونوا شرار الخلق عند الله، وهذا معنى من معاني قوله في الباب:" فكيف إذا عبده "، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله بعد أن شرح الفتنتين:" .... فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ومن هي صورته من دون الله، وهاتان الفتنتان هما سبب عبادة الصالحين كاللات وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرهم من الصالحين "(٩٨٤)، فقد ضاهوا الله في ربوبيته وألوهيته وتشبهوا به في هاتين الفتنتين وهي فتنة القبور والتماثيل: يقول الشيخ عثمان بن منصور–رحمه الله –:" قوله (وصوروا

---

(٩٨١) وهذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩١).

(٩٨٢) كتاب التوحيد (ص: ١٩٣)

(٩٨٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٥٧)

(٩٨٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٥٧)

تلك الصـور) لما ذكر صـلى الله عليه وسـلم المحذور الذي يضـاهي عبادة الله وألوهيته، ذكر المحذور الثاني المضاهي لربوبيته، من تصوير الصور تشبيها بخلقه- تعلى-، فجمعوا في صنيعهم هذا بين الفتنتين، فلهذا قال صلى الله عليه وسلم: (أولئك) الذين هذا صنيعهم (شرار الخلق عند الله) "(٩٨٥).

خامسـا: أن من عبد الله عند قبر رجل صـالح أنه شـابه النصـارى بفعلتهم، فهو متشـبه بهم، يقول الشـيخ ابن باز-رحمه الله -:" فمن فعل هذا الفعل فقد تشـبه بالنصـارى وعمل عملهم ومن تشبه بقوم فهو منهم والمقصود من الكلام التحذير من فعلهم "(٩٨٦).

سـادسـا: أن التغليظ يحصـل على كل من بنى مسـجدا على القبور، ولا عبرة بنية فاعله، ولهذا يقول المصنف رحمه الله في مسائله:" الأولى: ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسـجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صـالح، ولو صـحت نية الفاعل "(٩٨٧)، فذكر أنهم كلهم شرار الخلق عند الله.

- **وقال المصنف رحمه الله" ولهما عنها قالت: "لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال – وهو كذلك-: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا "**(٩٨٨). **أخرجاه** (٩٨٩)

مناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

---

(٩٨٥) فتح الحميد(٢/٨٧٣)

(٩٨٦) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١٠٥)

(٩٨٧) كتاب التوحيد (ص: ١٩٦).

(٩٨٨) المصدر السابق (ص: ١٩٤)

(٩٨٩) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (٤٣٥) (كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان)، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٦٧) برقم: (٥٢٩) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عَنْ بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها).

أولا: التغليظ على من اتخذ قبور الصالحين موطنا للعبادة ووصفهم باللعن من الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم أنهم أفضل الصالحين، والمساجد لا توجد إلا للعبادة، فاستحقوا اللعن، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله -:" وهذا دليل على أنهم عصوا الله معصية كبيرة، سببت وقوعهم في الشرك بعبادة الأنبياء، أو بعبادة الصالحين، فيخاف على من فعل مثل فعلهم أن يقع في مثل ما وقعوا فيه، فهذا وجه دلالة هذين الحديثين (٩٩٠) على أن من عبد الله عند قبر رجل صالح فهو متوعد باللعن، وهو من شرار الخلق، فكيف إذا عبد ذلك الرجل "، فبين الحديث أن سبب اللعن هو اتخاذ القبور مساجد (٩٩١).يقول المصنف -رحمه الله -:" السادسة: لعنه إياهم على ذلك"(٩٩٢). أي أنه لعنهم تحذيرا لنا أن نفعل عند قبره مثل ما فعلوا فيصيبنا من اللعنة ما أصابهم (٩٩٣).

ثانيا: أن النبي لما أحس بالموت خشي أن يتخذ قبره مسجدا وحذر من ذلك، مع ما يحصل له حينها من سكرات الموت ونزعه، مما يدل على أهمية هذا الأمر وخطورته، يقول الشيخ صالح الفوزان—حفظه الله-:" فإذا كان النبي -ﷺ - يحذّر من الشرك وهو في هذه الحالة، فهذا دليل على أن التحذير من الشرك أمر متعيّن "(٩٩٤)، يقول المصنف -رحمه الله -:" السابعة: أن المراد تحذيرنا عن قبره "(٩٩٥).

ثالثا: أراد المصنف – رحمه الله – بيان أن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد أنها من سنن اليهود والنصارى وهذا تغليظ آخر متعلق بالنهي عن التشبه بهم، يقول المصنف رحمه

(٩٩٠) يقصد هذا الحديث والذي قبله.

(٩٩١) السبك الفريد (٣٧٣/١)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٣٩٨)

(٩٩٢) كتاب التوحيد،(ص: ١٩٧)

(٩٩٣) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش (ص: ١٢١)

(٩٩٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٨٦)

(٩٩٥) كتاب التوحيد،(ص: ١٩٧)

الله في مسـائله:" الخامسـة: أنه من سـنن اليهود والنصـارى في قبور أنبيائهم "(٩٩٦). وذلك يـدل على أنهم فعلوا كبيرة من كبـائر الـذنوب، لأن البنـاء على القبور، واتخـاذ قبور الأنبيـاء مساجد، هو من وسائل الشرك، وكبيرة من الكبائر، يقول الشيخ سليمان الحمدان-رحمه الله - :" قولـــه: «فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وهذا هو الشـــاهد من الحديث للترجمة، وهذا يُبيِّن أن من فعل مثل ذلك حلَّ عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى "(٩٩٧).

رابعا: أن هذا اللعن في حق من بنى المسـاجد على قبور الأنبياء، فكيف من بناها على قبور غيرهم من الصالحين وغير الصالحين، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله -رحمه الله -:" فإذا كان صـلى الله عليه وسـلم لعن من بنى المسـاجد على قبور الأنبياء، فكيف بمن بناها على قبور غيرهم"(٩٩٨).

خامسا: أن الصحابة -رضي الله عنهم — امتثلوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم لم يتخذوا قبره مسـجدا، ولم يبرزوه، فإذا كان الصـحابة من بعد النبي صـلى الله عليه وسـلم لم يتخذوه، لماذا يأتي من بعدهم من الجهال وغيرهم ويقع فيما حذر منه النبي صـلى الله عليه وسـلم ولم يفعله الصحابة من بعده، وهذا مراد المصنف في قوله في مسـائله:" الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر... الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره "(٩٩٩).

السـادسـة: أن النبي صـلى الله عليه وسـلم حذر من اتخاذ قبره مسـجدا قبل أن يوجد، وذلك بلعنه عندما نزل به الموت اليهود والنصـارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مسـاجد، فهذا تحذير ونهي منه أن يتخذ قبره مسجدا، وقد أوضح المراد المصنف رحمه الله في مسائله فقال:" الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر "(١٠٠٠).

---

(٩٩٦) كتاب التوحيد (ص: ١٩٦)

(٩٩٧) الدر النضيد على أبواب التوحيد (ص: ١٧١)

(٩٩٨) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٦٠)

(٩٩٩) كتاب التوحيد (ص: ١٩٦)

(١٠٠٠) نفس المصدر

- **وقال المصنف رحمه الله" ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك" (١٠٠١). فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا. كما قال صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"(١٠٠٢)(١٠٠٣).**

مناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: مبالغة النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عمن بنى المساجد على القبور، واتخذها مساجد، وتكراره هذا الأمر على أحوال متفرقة، فقد حذر منها على مواضع متفرقة، عند موته كما في حديث عائشة -رضي الله عنها-، وقبل موته بخمس كما في حديث جندب -رضي الله عنه-، وفي رخائه كما في حديث عائشة، في قصة أم سلمة -رضي الله عنها-، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال: "الثالثة: العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك. كيف بيّن لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم"

(١٠٠١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٦٧) برقم: (٥٣٢) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عَنْ بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها).

(١٠٠٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٧٣-٦٧٧)

(١٠٠٣) كتاب التوحيد (ص: ١٩٤)

[1004]، فاكتفى المصنف بهذه الأحاديث التي تدل في تقاربها وتنوع أحوالها على عظيم هذا الأمر والتغليظ على من خالفه [1005].

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين وأكد على عدم اتخاذ القبور مساجد، وبين المصنف -رحمه الله-، أن الصلاة عند قبور الصالحين من اتخاذها مساجد، قال المصنف - رحمه الله — في مسائله: "التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً" [1006].

ثالثا: أنه بين أن الأمم السابقة كانت تتخذ قبور أنبيائهم مساجد، ولا شك أنه وسيلة من وسائل الشرك، فحرم اتخاذ قبور والأنبياء والصالحين مساجد، مع أنه قد يكون العابد لا يعبد إلا الله؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك الأكبر [1007].

- **وقال المصنف رحمه الله "ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا:" إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد ورواه أبو حاتم في صحيحه** [1008] [1009].

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أنه تغليظ ووصف للعبد الذي يتخذ القبور مساجد ويعبد الله فيها، أنه من شرار الناس.

(١٠٠٤) كتاب التوحيد (ص: ١٩٦)

(١٠٠٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/ ٦٧١)

(١٠٠٦) كتاب التوحيد (ص: ١٩٧)

(١٠٠٧) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٢٦٥)

(١٠٠٨) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٢ / ٢٦) برقم: (٧٨٩) (كتاب الصلاة، باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد) وابن حبان في "صحيحه" (٦ / ٩٤) برقم: (٢٣٢٥) (كتاب الصلاة، ذكر الزجر عن اتخاذ المرء القبور مساجد للصلاة فيها)، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٨٩٦) برقم: (٣٩٢١) (مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،)، وصححه الألباني في" تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" (ص: ٢٣)

(١٠٠٩) كتاب التوحيد (ص: ١٩٥)

ثانيا: أن هذا فيه مزيد بيان بأن شـرار الناس هؤلاء من تدركهم الساعة وهم أحياء، فكما أن العبد يخاف أن يكون ممن تدركهم الساعة وهم أحياء حتى لا يكون من شرار الناس، فعليه أن يحذر أيضا من أن يكون من شرار الناس قبل قيام الساعة، إذا اتخذت القبور مساجد، فكيف بمن عبد القبور لا شك أنه أعظم وأكبر، يقول المصنف -رحمه الله-: "العاشـرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته"(١٠١٠).

ثالثا: أنه إن كان من يتخذ القبور مساجد من شـرار الخلق عند الله، فكيف بمن يعبد تلك القبور ويتوجه لها، يقول الشيخ صالح آل الشيخ—حفظه الله-: "ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة فإنه ذكر أن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، والقصد من اتخاذ القبر مسجدا: أن يعبد الله عند قبر ذلك الرجل الصالح، فكيف حال الذي توجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام بالعبادة؟!" (١٠١١).

(١٠١٠) المصدر السابق (ص: ١٩٦)

(١٠١١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٦٧)

المبحث الثالث: باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: "باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله" (١)، ويحتوي على أربعة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ١٩٩).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله، للباب السابق.

مناسبة هذا الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: لما ذكر في الباب السابق الغلو في قبور الصالحين والوعيد الشديد على من عبد الله عندها، وبين فيه أن الوعيد والتغليظ فيمن عبد الله عند القبر فكيف إذا عبد القبر مما يدل على شدة خطره وعظيم عقابه، بين في هذا الباب كيف يعبد العبد القبر وهو بالغلو فيه، فكأنه جواب لتساؤل الشيخ في الباب السابق: (فكيف إذا عبده)، وأن الكل يدخل تحت الغلو المحرم.

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله التحذير من الغلو في قبور الصالحين، وما يفعله من استرسال المرء وعدم وقوفه عند حد معين، فالقبور إذا حصل الغلو فيها فإنها تؤول بالعبد إلى أن يعبدها من دون الله، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله -: "قصد المؤلف رحمه الله من هذا الباب التحذير من تعظيم قبور الصالحين وأن مجاوزة الحد في تعظيمها يؤدي في النهاية إلى عبادتها من دون الله" (١).

ثالثا: أراد المصنف أن يبين أن الغلو منه ما هو شرك بالله كعبادة قبور الصالحين وجعلها أوثانا، وقد لا تكون شركا بالله، وهنا نبه المصنف أن الغلو وسيلة من وسائل الشرك بالله تعالى، يقول الشيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله -: "هذا الباب له صلة بما قبله، وهو أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله. أي: يؤول الأمر بالغالين إلى أن يعبدوا هذه القبور أو أصحابها" (٢)، فلما تكلم - رحمه الله - عن الغلو في الصالحين في الباب السابق وأن الغلو

---

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ١٥١)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤١٩)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٦٩).

فيهم يؤول بالعبد إلى أن يعبدها من دون الله؛ بين في هذا الباب أن الغلو في قبورهم أيضا أنها تؤول به إلى عبادتها من دون الله، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله-: "فكما أن الغلو في الصالحين، وتصوير تماثيلهم أوثانا، يؤول الأمر بذلك إلى عبادتهم من دون الله تعالى، كذلك الغلو في قبورهم، واتخاذها مساجد، يؤول ذلك الأمر إلى أن تعبد من دون الله تعالى" (١)، فهذا الباب مكمل للباب الذي قبله من الكلام عن الصالحين والغلو فيهم.

رابعا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين أن القبور إذا عبدت من دون الله فإنها تكون أوثانا، ولا عبرة بمن كان صاحبها، سواء كان صالحا أو غير صالح.

وقد بين هذه المناسبات الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه فقال: "أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أمورا: الأول: التحذير من الغلو في قبور الصالحين، الثاني: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها، الثالث: أنها إذا عبدت سميت أوثانا ولو كانت قبور الصالحين، الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد" (٢).

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف رحمه الله "روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا**

---

(١) فتح الحميد (٢/٨٣٩-٨٩٤)

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٨٨)

قبور أنبيائهم مساجد "[1] [2].

مناسبة الحديث للباب يظهر من عدة أمور:

أولا: بين هذا الحديث أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الصالحين، لو عبد من دون الله أنه يكون وثنا، فما بالك بمن هم دونه في الفضل والمنزلة، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله -رحمه الله-:" ودل الحديث على أن قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لو عبد لكان وثنًا، فما ظنك بقبر غيره من القبور التي عبدت هي وأربابها من دون الله "[3]، وقد قال الشيخ سليمان بعد ذكره لهذه المناسبة كلاما جميلا يصف فيه حال من تمسك بهذه القبور وجعل يغلوا فيها، عندما يأتيه ناصح ينصحه ويحذره من فعلته وأنها تكون أوثانا، فقال -رحمه الله-:" وإذا أريد تغيير شيء من ذلك أنف عبادها، واشمأزت قلوبهم، واستكبرت نفوسهم، وقالوا: تنقص أهل الرتب العالية، ورموه بالعظائم، فماذا يقولون لو قيل لهم: إنها أوثان تعبد من دون الله؟! فالله المستعان على غربة الإسلام، وهذه هي الفتنة العظمى التي قال فيها عبد الله بن مسعود:

---

(١) أخرجه مالك في "موطئه" (١ / ٢٤٠) برقم: (٥٤٣) (كتاب الصلاة، باب جامع الصلاة)، وقد أعل بالإرسال كما هو عند ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (٥ / ٤١)، ومحمد بن عبد الباقي شرح الزرقاني على الموطأ: (١ / ٥٩٥)، والحديث له شواهد منها ما أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٩٥) برقم: (٤٣٧) (كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٦٧) برقم: (٥٣٠) (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عَنْ بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- .

(٢) كتاب التوحيد (ص: ١٩٩)

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٩١)

"كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري على الناس يتخذونها سنة، إذا غيرت" . قيل: غيرت السنة "(1)" (2).

ثانيا: أن اتخاذ القبور مساجد هو من جعلها أوثانا تعبد من دون الله، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله بقوله: "الأولى: تفسير الأوثان" (3)، يقول الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-: "أي أنها ما بوشر بالعبادة سواء كان منحوتا على صورة أم لا" (4).

ثالثا: بين في هذا الحديث سبب غضب الله عليهم، وهو أنهم اتخذوا القبور مساجد، قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله" (5)، فسبب ذلك هو توسلهم باتخاذ القبور مساجد حتى آلت إلى أن كانت أوثانا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله:" اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثانًا تعبد. ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف" (6).

رابعا: أن فيه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم من أن لا يجعل قبره وثنا يعبد، وهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام، في عزته وقوته، فما بالك بما بعد ذلك القرن من

---

(1) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٥١٤) برقم: (٨٦٦٥) (كتاب الفتن والملاحم، ذكر فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير) والدارمي في "مسنده" (١ / ٢٧٨) برقم: (١٩١) (مقدمة المؤلف، باب تغير الزمان وما يحدث فيه)، وقد صححه الألباني كما في مقدمة كتابه "قيام رمضان فضله وكيفية أدائه ومشروعية الجماعة فيه ومعه بحث قيم عن الاعتكاف" (ص: ٤): أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية-عمان-الأردن، ط٢، ١٤٠٤هـ.

(2) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٩١)

(3) كتاب التوحيد (ص: ٢٠١)

(4) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٢٦)

(5) كتاب التوحيد (ص: ٢٠١)

(6) تيسير العزيز الحميد (١/ ٦٩٦)

أقوام وأجيال، ففي هذا الحديث تحذير للناس من الاتجاه إلى عبادة الأوثان، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله-: "وفي دعاء الرسول هذا تحذير للبشرية من الاتجاه إلى الوثنية على أي شكل من أشكالها القديم أو الحديث" [(١)]، وقد بين هذه المعنى المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال: "الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه" [(٢)].

خامسا: أن المصنف رحمه الله بين أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن كيفية عبادته من دون الله، وهو أن يتخذ قبره مسجدا، ولهذا في الحديث دعا بألا يكون قبره وثنا يعبد، ثم أعقبه بغضب الله من اتخاذ قبور أنبياء القوم مساجد، مما يدل على أن من عبادة القبور اتخاذها مساجد، وهذه هو مراد المصنف بقوله في مسائله: "الثانية: تفسير العبادة" [(٣)]. ثم قال بعد ذلك مفسرا للعبادة: "الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد" [(٤)]، أي أنه قرن العبادة باتخاذ القبور مساجد مما يدل على أن هذه هي عبادتها، والله أعلم.

- **وقال المصنف رحمه الله "ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد:" ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾ [(٥)] قال: كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره "[(٦)] وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج[(٧)]**

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ١٥١)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٠١)

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) سورة النجم:١٩.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره، تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)

(٧) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٤١) برقم: (٤٨٥٩) (كتاب تفسير القرآن، سورة والنجم، باب أفرأيتم اللات والعزى).

[1].

مناسبة الأثرين للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: بين المصنف في هذا الأثر حقيقة عبادة أكبر الأصنام عند العرب وهي اللات، وأنها إنما كان بسبب رجل صالح كان يلت السويق[2]، ومن هنا يظهر مناسبة الحديث للباب، فهو يتكلم عن رجل صالح.

ثانيا: أراد المصنف أن يبين كيف أن هذا الرجل الصالح أصبح وثنا، بل هو من أكبر أوثان العرب في الجاهلية، قال المصنف -رحمه الله-:" السادسة: وهي من أهمها - معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان "[3].

ومعنى ذلك أن صفة عبادة الأوثان والسبب الذي آل بهؤلاء من أن يتخذوا قبر هذا العبد الصالح وثنا يعبد؛ هو أنهم عكفوا على قبره، حتى جعلوه صنما ووثنا يعبد من دون الله،" والعكوف هو البقاء واللبث والإقامة على الشيء في المكان، عبادة وتعظيما وتبركا "[4]، فدل على أن طول اللبث والإقامة عندها تؤول إلى أن تصير أوثانا كما هو حال اللات.

ثالثا: أن سبب عكوفهم عنده هو ما كان يفعل من العمل الصالح، فعظموه لأجل عمله الصالح، واعتقدوا فيه ما اعتقدوا ثم عكفوا عنده، ثم عبدوه، فهذا الحديث يزيدنا تحذيرا من عدم جعل صلاح الناس سببا في الغلو فيه، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" فعلى هذا كل قبر غلا الناس في تعظيمه سيؤدي إلى عبادته وإن لم يسموه عبادة "[5].

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٠)

(٢) والسويق هو ما يتخذ من القمح والشعير، ولت السويق هو بسه بالماء ونحوه، انظر: لسان العرب (١٠/ ١٧٠)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٤٦٤).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٠١)

(٤) حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٩٢)

(٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩٦)

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله في ذلك وأن هذا السبب هو سبب عبادة الأولين كالصالحين من قوم نوح، والآخرين:" فقد رأيت أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثنا يعبد، كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرهم، وكما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين من الأموات وغيرهم اليوم، فإنهم غلوا فيهم، وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد، وجعلوها ملاذا لقضاء المآرب.

وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة "(١).

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" . رواه أهل السنن(٢) "(٣).**

مناسبة الأثر يتجلى للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف أن يبين نوعا آخر من أنواع الغلو في القبور وهو الإسراج عليها ووضع الأنوار التي تدل على أن هذا المكان يقصد لعظم صاحبه، وقد كانوا يفعلون ذلك قديما، فاللعن

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٠٠)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٧ / ٤٥٢) برقم: (٣١٧٩) (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا، ذكر لعن المصطفى صلى الله عليه وسلم المتخذات المساجد والسرج على القبور)، والحاكم في "مستدركه" (١ / ٣٧٤) برقم: (١٣٨٨) (كتاب الجنائز، الأمر بخلع النعال في القبور) والنسائي في "المجتبى" (١ / ٤٢٠) برقم: (٢٠٤٢ / ١) (كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور)، وأبو داود في "سننه" (٣ / ٢١٢) برقم: (٣٢٣٦) (كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور) والترمذي في "جامعه" (١ / ٣٥٢) برقم: (٣٢٠) (أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا) وابن ماجه في "سننه" (٢ / ٥١٤) برقم: (١٥٧٥) (أبواب الجنائز، باب ما جاء فِي النهي عن زيارة النساء القبور) وأحمد في "مسنده" (٢ / ٥٠٧) برقم: (٢٠٥٨) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم) وصححه المحقق أحمد شاكر في مسند أحمد (٢/ ٤٩١)، وقال: إسناده صحيح.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٠)

على من اتخذ المساجد وكذلك السرج على قبور الصالحين؛ وهذا وعيد شديد على من عظم، القبور بالعبادة والتزيين، فبين المصنف أن اتخاذ السرج أيضا يؤول ويصير هذه القبور إلى عبادتها من دون الله، قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" وأما لعنة المتخذين عليها السرج، فالمراد بذلك: إضاءة المقبرة بالأنوار. لأن هذا وسيلة إلى الغلو في القبور، ويفضي إلى الشرك، فإن هذا يجلب إليها أنظار الناس والجهال، ثم يزورونها، ويترددون عليها، ثم يؤول هذا إلى الشرك، فلا يجوز أن تضاء المقابر، بل تجعل المقابر خالية من الإضاءة، وإذا احتاج الناس إلى دفن ميت في الليل فإنهم يأخذون معهم سراجا،... "(١)، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله:" العاشرة لعنه من أسرجها "(٢)،" أي اتخذ عليها السرج لأنه من الغلو فيها الذي هو سبب لعبادتها من دون الله "(٣).

ثانيا: أن المصنف قرن في هذا الحديث بين المساجد والسرج في القبور، ورتب عليهما جميعا اللعن، مما يقطع الشبهة التي تقع عند الغير وهو إنما حرم المساجد على القبور لأجل نجاسة القبور وذلك بسبب صديد الموتى (٤)، وإلا لما كانت السرج تسرج فيها، فأتى بالسرج ليدل على أن العبادة على القبور أو بجوارها نهي عنه لأجل نجاسة الشرك والوقوع في الغلو، وهذه المناسبة توضح المناسبة التي بعدها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ووجه إيراد المصنف هذا الحديث في هذا الباب دون الذي قبله، هو أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج، وقرن بينهما، فهما قرينان في اللعنة، فدل ذلك على أنه ليس المنع من اتخاذ المساجد

---

(١)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٠٧).

(٢) المصدر السابق:(ص:٢٠٢)

(٣) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، لعبد الله الدويش (ص: ١٢٧)

(٤) وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أقوال العلماء في سبب منع الصلاة في القبور وذكر أدلتهم وفندها، ثم ذكر نحوا من كلام صاحب التيسير من أن النهي لأجل الشرك، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٠٠).

عليها لأجل النجاسة، بل لأجل نجاسة الشرك، ولذلك قرن بينه وبين الإسراج عليها، وليس النهي عن الإسراج لأجل النجاسة، فكذلك البناء "[1]، فالباب السابق يتكلم التغليظ في عبادة الله عند القبور، وهذا الباب يتكلم عن الغلو في قبور الصالحين بوضع السرج والذي يؤدي إلى عبادتها من دون الله، ولهذا جعل هذا الحديث في هذا الباب.

ثالثا: أن هذا الحديث ذكر الطرق والوسائل والمراحل، التي تتخذ عند قبور الصالحين؛ مما يجعلها تؤول إلى أن تعبد من دون الله، فبين في الحديث زيارة القبور، والإكثار من الزيارة (لقوله: زوارات، مما يدل على المبالغة)، والإسراج عليها، واتخاذها مساجد، وهذه كلها مجتمعة، لا شك أنه من الغلو الظاهر في قبور الصالحين والتي تهيئ هذه القبور لأن تعبد من دون الله [2].

خامسا: أراد المصنف - رحمه الله — أن يبين في الأثر أن اللعن وقع على زيارة النساء للقبور؛ وذلك لأنه سبب أيضا من أسباب الغلو وفتح الباب لذلك، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلّم — زائرات القبور...الحديث"[3]

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/٧٠٥)، وانظر اختصار كلام الشيخ في حاشية التوحيد، لابن قاسم (ص: ١٦٨).

(٢) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم، (٥/١٦٤١).

(٣) سبق تخريجه.

المبحث الرابع: **باب ما جاء في حماية المصطفى** صلى الله عليه وسلم **جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**

تمهيد

جناب الشيء: الجزء منه، وحمى التوحيد: زائد على الجانب، فالثانية أبلغ من الأولى لأن الأولى في الجانب والثانية في الحمى، وهنا ذكر الوسائل الفعلية لحماية التوحيد من الشرك، وفي باب حماية النبي – صلى الله عليه وسلّم – حمى التوحيد وسده طرق الشرك، وسيأتي ذكره فيه الحماية القولية أي حمى التوحيد بالتحذير من الشرك وما يوصل إليه من أقوال وأفعال. [1]

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب ما جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك "[2]، ويحتوي على آية، وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

.

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١١٣)

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٠٢).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك للباب السابق.

عقد المصنف هذا الباب لينبه القارئ أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر قومه ونهاهم عن الشرك، وأنه لم يترك شيئا إلا حذر منه، بل أغلق كل الطرق التي تؤدي إلى الشرك، وهذا يظهر من خلال ما ذكر في الأبواب السابقة، وكذلك هذا الباب حيث بين فيه حرص النبي صلى الله عليه وسلم على قومه حتى إنه حذرهم من اتخاذ قبره عيدا، (كما في هذا الباب) وكيف أن صحابته -رضي الله عنهم- حذو حذوه من التحذير، وتمسكوا بما حذرهم منه.

فقال المصنف -رحمه الله -:" باب حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ".

والملاحظ هو دقة اختيار المصنف رحمه الله لكلمات هذه الترجمة وما تحتويه من معاني جميلة ولطيفة، حيث إن من معانيها ومقاصدها ما يأتي:

المعاني المهمة في الترجمة:

المعنى الأول: اختياره لكلمة جناب في هذه الترجمة.

حيث إن كلمة" جناب ": لها عدة معاني، منها:

الأول: أن من معانيها الفناء والرعاية والكنف للشيء [1]، فجناب التوحيد هو فناء التوحيد، وما يرعى التوحيد، فحماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد، أي حمايته صلى الله عليه وسلم لما يحفظه ويرعاه، وهذا ظاهر من خلال قراءة أدلة الباب التي تتكلم عن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد، وسده لكل الطرق الموصلة إليه وكذلك أصحابه من بعده -رضي الله عنهم-.

---

(١) انظر: أساس البلاغة (١/ ١٥٠)، المعجم الوسيط (١/ ١٣٨).

الثاني: أن من معاني الجناب الجانب والناحية، وما حول الشيء [1]، أي جانب التوحيد، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله -:" الجناب: هو الجانب. والمراد حمايته عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه "[2]. فيكون المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد من جميع جوانبه ونواحيه، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله -:" معنى الباب أنه صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد من جميع جوانبه ونواحيه، وضم على أوساطه ما اتسع من اطرافه وحواشيه، كما يحمي الملك حماه لئلا يستباح أو يكدر على رعيته، فكذلك حماؤه صلى الله عليه وسلم لجانب التوحيد، وسده كل طريق من جوانبه يوصل سالك الطريق إلى الشرك... "[3].

المعنى الثاني: اختياره لكلمة المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذه الترجمة.

حيث إنها تدل على خالص الشيء، والاختيار، فالاصطفاء من الصفوة وهو الاختيار، والنبي صلى الله عليه وسلم هو صفوة الله من خلقه ومصطفاه [4]، فأراد المصنف أن يبين أمورا منها:

أولا: أن الله اصطفاه من بين سائر الخلائق واختاره؛ لنصح قومه وتحذيرهم وحمايتهم من الشرك وطرقه [5].

ثانيا: أيضا أراد المصنف بإيراده كلمة:" المصطفى "أن يوضح أن الله اصطفاه على جميع الخلق واختاره، أفتتركون من اصطفاه الله لينذر الأمة ويحذرهم ويبلغهم البلاغ المبين، فتتركون ما

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٢٧٩)، وفيه:" والجناب، بالفتح، والجانب: الناحية والفناء وما قرب من محلة القوم ... ويقال أخصب جناب القوم، بفتح الجيم، وهو ما حولهم".

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٥٤)

(٣) فتح الحميد(٢/٩١٢)

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٤)، مختار الصحاح (ص: ١٧٧)، لسان العرب (١٤/ ٤٦٣).

(٥) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٣٧).

أمر به ونهى عنه، ثم تذهبون إلى من هم دونه ممن ينتسبون إلى العلم والصلاح وزعموا أن هذه الأعمال الشركية تقرب من الله –سبحانه-؟!.

ثم بين المصنف رحمه الله حماية النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب الوسائل الفعلية لحماية التوحيد من الشرك، وسيأتينا في الباب قبل الأخير في هذا الكتاب قوله في الترجمة:" حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد... "، أي الوسائل للحماية في باب الأقوال، ولما كانت الحماية في باب الأفعال أشق منها في باب الأقوال، ناسب أن يعبر المصنف رحمه الله هذه الترجمة بقوله:" المصطفى "، أي أن الله اصطفاه من بين سائر الخلائق واختاره، للحماية من هذا الباب لأهميته ودقته وخفائه [(١)]، ولعل الأولى أن نقول أنه عبر بالاصطفاء، لأن ما يغلب على هذا الباب هو بيان حماية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه –رضي الله عنهم– للتوحيد الحماية الفعلية، وليس كلها فعلية؛ وذلك لأمرين:

أولا: لأن هذا الباب فيه قول ونهي وذلك يظهر من الحديث الأول، ففيه نهي من النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قبره عيدا بالقول [(٢)].

ثانيا: أن الحماية في الحديث الثاني أتت فعلية لكنها من أصحابه –رضي الله عنهم–.

والذي يظهر من خلال قراءة هذا الباب والتمعن في نصوصه ومسائله– وهو خلاصة ما سبق كما سيأتي في بيان مناسباته–، وقراءة الأبواب السابقة، يتبين للقارئ أن في الأبواب ما كان حماية فعلية ومنها ما كان قولية، لكن حمايته الفعلية أظهر منها، فحذر الناس مما يفعلوه مما يؤول بهم إلى الشرك.

أيضا فإن المصنف رحمه الله بدأ شرحه للتوحيد والتحذير من الشرك مما هو ظاهر عند قومه ومنتشر، وقد خفي عليهم وتعلقوا به، حتى إن غالب تلك الأعمال وقع فيها كثير من

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١١٣)، مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (١٦٦٤/٥).

(٢) وسيأتي عند ذكر مناسبة أدلة هذا الباب للباب في المطلب التالي.

الناس، ومنتسبين إلى العلم، بل انتشرت وتوسعت حتى لا تكاد تجد من ينكر في هذا الأمر، إما خوفا أو اعتقاد جوازه واستحبابه أو جهلا أو غير ذلك، وقد تم بيان ذلك وتوضيحه عند الكلام عن" باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله "(١)، والله أعلم.

أما عن مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة عن السبب العظيم الذي هو من أسباب الوقوع في الشرك وهو الغلو في الصالحين، وعبادة الله عند قبورهم، وكيف أن الغلو يجعلها أوثانا تعبد من دون الله، وقد لمح في ثنايا هذه الأبواب بالتحذير من التأسي بأهل الكتاب وجعل قبره مسجدا ثم في الباب السابق بالدعاء بألا يكون قبره وثنا يعبد، والتغليظ على من اتخذ قبور أنبيائهم؛ صرح في هذا الباب بالنهي عن كثرة زيارة قبره؛ خشية من تعظيمه والعكوف عنده ومن ثم عبادته، وبين حرصه صلى الله عليه وسلم ورأفته على أمته بإبعادهم غاية البعد عن هذا البلاء العظيم، واحترازه وتحرصه من كل ما يؤول إلى الشرك بالله –عزوجل–، ولو كان ظاهره مباحا (٢)، وتوجيههم إلى ما ينفعهم ويحصل به الخير الكثير، والأجر العظيم.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–:" ولقد بالغ صلى الله عليه وسلم وحذر وأنذر، وأبدأ وأعاد، وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل "(٣)، ومما يدل على أنها أسمح الشرائع في العمل قول النبي –ﷺ–:" وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم "(٤)، والذي يظهر أن كلام صاحب التيسير رحمه الله فيه إشارة لما في هذه المناسبة.

---

(١) انظر: المطلب الأول من المبحث السادس من الفصل الأول.

(٢) كما سيأتي بيانه في المطلب الثاني من النهي عن كثرة زيارة قبره.

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٠٩)

(٤) وسيأتي تخريجه في المطلب التالي.

ثانيا: أن المصنف رحمه الله بين في الأبواب السابقة ما يدل على حماية النبي -ﷺ- العامة لجناب التوحيد، ولهذا فإنك تجد فيها التنويع في التحذير، أما هذا الباب فقد جعله لحماية النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة، أي حمايته الفعلية لجناب التوحيد وسده لجميع طرق الشرك وما يوصل إليه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئًا من حمايته صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف هنا بيان حمايته الخاصة "(١)، ويزيد هذا بيانا قول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- حيث يقول:" ولا تعجبوا من كون الشيخ كرر هذه الأبواب واحدا بعد واحد، لأن هذه المسألة عظيمة، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب الفتنة في القبور والغلو فيها، وبسبب الغلو في الصالحين، والغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب هذه الأمور، منذ أن بنيت المساجد على القبور، ومنذ أن ظهر التصوف في هذه الأمة، والشرك يكثر ويتعاظم في هذه الأمة، من رحم الله عز وجل، فالأمر خطير جدا، ولذلك كرر الشيخ رحمه الله في هذا الموضوع، وأبدى وأعاد، لأنه هو المرض الذي أصاب الأمة في أجل أن ينبه العلماء، وينبه المسلمين على هذا الخطر الشديد ليقوموا بعلاجه، والدعوة إلى التوحيد، ونفي الشرك من هذه الأمة، وإلا إن سكت العلماء عن هذا الأمر فإنه يتعاظم، وبالتالي في النهاية يكثر الجهل، وتعتبر هذه الأمور من الدين، ويعتبر من نهى عنها من الخارجين عن الدين كما حصل الآن؛ أن من ينكر هذه الأمور، وينبه الناس إلى خطرها، ويدعو إلى التوحيد يرمونه بأنه متشدد، وأنه خارج عن الأمة، لأن الأمة عندهم هم عباد القبور، ومن أنكر عبادة القبور صار خارجا عن الأمة، وهذا من قلب الحقائق -والعياذ بالله-، فالدين الذي جاءت به الرسل هو إخلاص العبادة لله عز وجل، هذا هو الدين.

أما عبادة القبور فهي دين أبي جهل وأبي لهب ودين المشركين، ليست في دين الرسل- عليهم الصلاة والسلام-، ولكن إذا ظهر الجهل، وظهر إتباع الهوى حصل في الأمة ما حصل

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٠٩)

من جعل هذه الأمور الشـــركية من الدين، وجعل التوحيد هو الخروج عن الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله "(١).

ثالثا: لما دعا النبي صـــلى الله عليه وســـلم ربه –عز وجل– في الباب الســـابق من أن لا يصـــبح قبره وثنا يعبد؛ لم يكتفِ – صـــلوات ربي وســـلامه عليه – بذلك، بل امتثل لأمر الله وفعل الأســـباب بأن حذر أمته من اتخاذ قبره عيدا، وفعله الصـــحابة من بعده، وزكاه الله –عز وجل– ومدحه بامتثاله بتعليم أمته وتحذيرهم وإبعادهم غاية البعد، ويتضح ما ذكرنا عند شرحنا لأدلة الباب وذكر مناسباتها.

رابعا: أراد المصـنف بهذا الحديث أن يبين أنه لم يترك شـيئا يوصـل إلى الشـرك إلا وحذر منه، سواء كان شركا مباشرا، أو بدعة، أو معصية، فكأنه جعل هذا الباب كالقاعدة الكلية التي تتفرع منها ما قبلها من الأبواب، يقول الشـيخ سـليمان الحمدان –رحمه الله–:" ذكر الشـيخ هذه الترجمة في بيان أن النبي ﷺ حَمَى جانب التوحيد من شـــرك يبطله، أو بدعة تقدح فيه، أو معصـــية تنقصـه؛ حرصـاً على أمته وخوفاً عليهم أن يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم، فلم يترك طريقاً ولا وسـيلة تؤدي إلى الشـرك إلا نهى عنها وحذرهم منها "(٢)، وقد قعّد الشـيخ سـعيد الجندول رحمه الله لهذا الباب قاعدة تتناسـب هذا المناسـبة فقال:" قصـد المؤلف رحمه الله من هذا الباب بيان أن كل الأسباب والوسائل التي قد تقرب من الشرك ينبغي البعد عنها "(٣).

الخامســة: أن المصــنف ذكر هذا الباب والأبواب الثلاثة بعده، وكرر التحذير فيها بأنواع مختلفة، مما يدل على أن الغلو في الصالحين فتنة عظيمة، ومعصية قديمة من عهد قوم نوح وحتى عهد النبي –ﷺ–، وإلى قيام الساعة، وأن الشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب هذه الأمور

---

(١)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٠٩).

(٢) الدر النضيد على أبواب التوحيد،(ص: ١٨٥)

(٣) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ١٥٤)

والأسباب المذكورة في تلك الأبواب، فهو المرض الذي لابد له من علاج، والنجاسة التي لابد لها من استئصالها وطهارة محلها [(١)].

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **وقال المصنف رحمه الله" وقول الله تعالى:**. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [(٢)]. [(٣)] [(٤)]. **الآية**

ذكر المصنف هذه الآية والتي فيها من صفات النبي صلى الله عليه وسلم التي تدل على حبه لقومه وحرصه عليهم ورغبته الخير لهم، يقول الإمام الطبري رحمه الله مفسرا هذه الآية: "أي عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى... حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ﴿بالمؤمنين رؤوف﴾: أي رفيق ﴿رحيم﴾" [(٥)]، وقال السمعاني [(٦)] -رحمه الله-: "وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [(٧)] أي: شديد عليه عنتكم،

---

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٠٩).

(٢) سورة التوبة:١٢٨.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٣)

(٤) سورة التوبة:١٢٨.

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٩٧)

(٦) الإمام، العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، ولد سنة ست وعشرين وأربع مائة، من كتبه التفسير. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣٧/ ١٠٣).

(٧) سورة التوبة:١٢٨.

والعنت: هو المكروه ولقاء الشدة، كأنه قال: شديد عليه ما يضركم ويهلككم، وهو الكفر الذي أنتم عليه"(١).

ومناسبة الآية للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن الله –جل وعلا– ذكر في هذه الآية من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم الكريمة وأخلاقه الجميلة، التي تدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم، وحمايتهم من كل ما يلحق الضرر بهم، أو بعقيدتهم، رحمته صلى الله عليه وسلم لهم ورأفته ورفقه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–: "فتأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمة التي تقتضي أن ينصح لأمته، ويبلغ البلاغ المبين، ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور، فإن الغلو فيها هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه إلى الشرك" (٢)، فحري بمن يملك هذه الأوصاف وحق له أن لا يترك أمته دون نصح وبيان، بل ينصح لها وينذرها ويحذرها من الشرك وجميع الطرق الموصلة إليه ويبلغ في النهي عن ذلك، ويحرص على أن إبعاد أمته عن الغلو، وتعظيم القبور الذي بينه المصنف في هذا الباب والأبواب السابقة، فقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد من الشرك وسد جميع طرقه الموصلة إليه(٣)، وهذا من بديع صنع الشيخ – رحمه الله –؛ إذ ابتدأ بهذه الآية، فهي كالمقدمة لما سيورده من نصوص تدل على حرصه ورأفته ورحمته بأمته.

ثانيا: فيه دلالة على حزن النبي صلى الله عليه وسلم على وقوع الشرك وأن هذا يشق عليه ويعز عليه عندما تقع فيه أمته، وهذا من حمايته صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد،

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٣٦٢)

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧١٢)

(٣) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٥٦).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "ووجه الدلالة بالآية أنه صلي الله عليه وسلم يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب، وقد بالغ صلي الله عليه وسلم في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى..." (1)، فمن حرصه ومشقته من أن تقع أمته في الشرك: أن حمى التوحيد وأبعد أمته غاية البعد عن الشرك، وسد الطرق التي قد توصل إليه، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله بعد تفسيره لقوله -تعالى- "ما عنتم" : "... والمعنى: شديد عليه دخول المشقة والمضرة عليكم، ولذلك حمى -ﷺ- حمى التوحيد من جميع جوانبه ونواحيه، لئلا يدخل على أمته ما يضرهم في دينهم، وكذلك دنياهم، فأرشدهم -صلى الله عليه وسلم- وحذرهم في ذلك" (2)، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال: "الثانية إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد" (3). أي حرصه على هداية أمته ورأفته بهم بأن أبعدهم عن الشرك وسد جميع الوسائل الموصلة إليه (4).

ثالثا: ذكر المصنف رحمه الله اسم المصطفى في الترجمة(5)، فأراد المصنف أن يبين أن الله اصطفاه من بين سائر الخلائق واختاره؛ لأنه يحمل هذه الصفات التي تجعله لا ينفك عن نصح قومه وتحذيرهم وحمايتهم من الشرك وطرقه، وحماية التوحيد.

---

(1) قرة عيون الموحدين (ص: ٣٤٣)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٧٦)

(2) فتح الحميد(٢/٩١٥)

(3) كتاب التوحيد: (ص: ٢٠٥).

(4) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٣٠)

(5) انظر معنى المصطفى: المطلب السابق، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٣٧)

***وقال المصنف رحمه الله "وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ". رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات** (١).

وعن علي بن الحسين -رضي الله عنهما -" أنه رأى رجلا يجيئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم "رواه في المختارة (٢) (٣).

مناسبة هذين الحديثين للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: ذكر المصنف هذين الحديثين في هذا الباب ليبين حرص النبي -ﷺ -، وصحابته من بعده على حماية التوحيد والحفاظ عليه، وكشف وبيان جميع وسائل وطرق الشرك، والتحذير

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢ / ١٦٩) برقم: (٢٠٤٢) وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٨٤٨) برقم: (٨٩٢٦)، قال عنه الحافظ بن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة. الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص: ٣٠٨).

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢ / ٤٩) برقم: (٤٢٨) (من حديث أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب) وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ٣٦١) برقم: (٤٦٩) (مسند علي بن أبي طالب،)، وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٥ / ١٧٧) برقم: (٧٦٢٤) (من أبواب صلاة التطوع، في الصلاة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإتيانه)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه حفص بن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحا، وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ٣)، والحديث له شواهد كما هو عند البخاري في "صحيحه" (١ / ٩٤) برقم: (٤٣٢) (كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر)، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٧) برقم: (٧٧٧) (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة فِي بيته وجوازها فِي المسجد).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٣٠٣)

منه، فذكر الحديث بروايتيه لما فيهما مجتمعة من المقاصد التي توضح هذه الترجمة وتبين ما تحمله من معاني ودلالات.

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الإكثار من زيارة قبره حتى لا يكون عبدا، مما يدل على حرصه الشديد على إبعاد أمته عن الشرك ووسائله، ولو كان ظاهرها الإباحة أو الاستحباب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور:" نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها "الحديث[1]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة في مسائله فقال:" الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة "[2].

ثالثا: أنه وصف القبر بألا يكون عيدا، والبيت بألا يكون قبرا، ليوضح معنى جعل البيوت قبورا، فبينهما علاقة واضحة، وهو أن البيوت التي لا يصلى فيها أنها كالقبور، وأن القبور هي في الأصل مهجورة لا يكون فيها اجتماع ولا مناسبة، فلا تجعلوا القبور كالبيوت والمناسبات التي فيها عود واجتماع؛ لأنه يفهم من الحديث: أن المعروف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لا يصلون في القبور، كما أن الغرض منها دفن الأموات، فلا يكون فيها اجتماع أو عبادة مخصصة، يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في ذلك:" وأما أن المعنى: لا تجعلوها قبورا؛ أي: مثل القبور في عدم الصلاة فيها؛ فهو دليل على أنه ينبغي -إن لم نقل يجب- أن يجعل الإنسان من صلاته في بيته ولا يخليه من الصلاة، وفيه أيضا: أنه من المتقرر عندهم أن المقبرة لا يصلى فيها، إذن؛ فيكون هذا النهي عن ترك الصلاة في البيوت لئلا تشبه المقابر، فيكون فيه دليل واضح على أن المقابر ليست محلا للصلاة، وهذا هو الشاهد من الحديث

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٦٥) برقم: (٩٧٧) (كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه)، من حديث بريدة -رضي الله عنه-.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٥)

للباب... "[1]، ولهذا جعلوا عدم الصلاة في البيوت كجعلها قبوراً، وكذلك القبور التي تقصد لأجل الدعاء والذكر والصلاة أنها كالأعياد لكثرة الترداد لها، مما يؤول بها إلى أن تصبح محلا للصلاة، وهذه المناسبة تفسر مسألتين من مسائل هذا الباب حيث قال المصنف -رحمه الله-:" السادسة: حثه على النافلة في البيت "، السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة" [2]، أي لا تعطلوها من الصلاة النافلة فتكون بمنزلة القبور، وأنه متقرر عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لا يصلون في المقبرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل البيت الذي لا يصلى فيه بمثابة القبر، فلولا أن هذا الأمر متقرر عندهم لما حسن هذا التشبيه[3].

رابعا: أورد المصنف - رحمه الله — الأثر عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - والذي فيه ذكر حديث النبي -ﷺ-، ليبين مثالا واضحا لمعنى اتخاذ القبور أعيادا بما فهمه السلف - رحمهم الله -، وأن قصد القبور بالإتيان إليها والدعاء عندها من اتخاذها عيدا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها كما تقدم بعض ذلك، لأن ذلك من اتخاذها عيدًا كما فهمه علي بن الحسين من الحديث، فنهى ذلك الرجل عن المجيء إلى قبر النبي -ﷺ- للدعاء عنده، فكيف بقبر غيره" [4].

خامسا: مبالغة النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن جعل قبره عيدا، ثم أرشدهم إلى طريق سهل وواضح ولا مشقة فيه، وهو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أي زمان أو مكان، وأن هذا يبلغه -ﷺ-، مما يدل على حرصه وخوفه على أمته، وحمايته لجناب التوحيد،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، وانظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور(٢/٩١٧).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٥)

(٣) انظر: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٣٠)

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٢٥)

وسد الشرك كله ووسائله، يقول المصنف رحمه الله في مسائله: "الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب" [1]، فقطع صلى الله عليه وسلم الحجة التي سيحتج بها من أراد المجيء، بأنه ما جاء إلى للصلاة عليه -ﷺ-، وأفاد بأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تبلغه حيث كنت من الأرض، مما يدل على أنه لا مزية من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيمن صلى عليه صلى الله عليه وسلم قريبا من قبره.

(١) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٥)

المبحث الخامس: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان" [(١)]، ويحتوي على ثلاث آيات، وثلاثة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٠٧).

المطلب الأول: مناسبة باب أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان للباب السابق.

ومناسبة هذا الباب لما قبله يتجلى من عدة أمور:

أولا: بوب المصنف هذا الباب بقوله: "ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان" ؛ لكي يرد على من زعم أن هذه الأمة لا تعبد الأوثان، وأنه لا يقع فيها الشرك، ما دام أنها تنطق الشهادتين، فاستدل لهذا الباب بما أورد من آيات وأحاديث، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: "أراد المصنف بهذه الترجمة الرد على عباد القبور، الذين يفعلون الشرك ويقولون: إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية وهم يقولون:" لا إله إلا الله محمد رسول الله "، فبين في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى" (١).

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله حماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد، وفعله للأسباب من تحذير أمته بشتى الطرق، ليحذروا من الشرك ووسائله، أتى بهذا الباب ليبين أنه مع تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، أنه سيقع أناس فيما حذر منه النبي -ﷺ-، من الشرك وخدش التوحيد، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-: "لما ذكر المصنف -رحمه الله- التوحيد وما ينافيه من الشرك، أو ينافي كماله، أو ما يكون وسيلة إلى ما ينافيه، ذكر أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة بعبادة الأوثان" (٢).

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله أن يقطع مزاعم من يقول لماذا هذا التحذير كله؟، ولماذا هذا الخوف، فإن الأوثان لا تعبد في هذه الأمة، وإن الشرك لا يمكن أن يقع في هذه الأمة، وأنكروا

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٣٩)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٧٥)

أن تكون عبادة القبور والأولياء من الشرك؛ لأن هذه الأمة معصومة منه؛ لقوله -ﷺ - "إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" (١)، فأتى بما لا يجعل مجالا للشك من أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، وهذا الباب دليل شاف لما سبق بيانه، وما وقع التحذير عليه؛ لكي يتنبه العبد، ويفعل الأسباب حتى لا يكون من أولئك البعض الذي سيعبدون الأوثان (٢).

رابعا: أراد المصنف أن يبين أن ما سبق بيانه من أمور الشرك هي التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم وبين مآلها وأنه يكون في هذه الأمة أوثان تعبد من دون الله؛ عند النظر إلى حقيقة الأوثان ومعرفة ماهيتها، وإن اختلفت المسميات، وإن أنكروا ذلك وأخفوا حقيقة ما يفعلون، إما جهلا أو عنادا، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين-رحمه الله -: "فهناك أناس يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقرؤون القران، ويصدقون به، ويصلون ويصومون، ولكنهم وقعو في الشرك، فعبدوا الأوثان، ولكنهم لا يعترفون بأن هذه أوثان، ولا بأن هذا شرك، ولا بأن أفعالهم عبادة، إنما لبس علهم الشيطان، وغير أسماء الحقائق وسموا الأصنام والأوثان بأسماء مرتجله أو مستحسنه في نظرهم حتى لا ينكر عليهم، فيسمون أفعالهم تقربا، أو يسمنها توسلا، أو يسمونها تبركا، أو يسمونها استشفاعا، أو ما أشبه ذلك، ولكنه في الحقيقة شرك، وعبادة غير الله شرك؛ حيث إنهم جهلوهم شركاء لله في استحقاق العبادة، فأصبحوا مشركين" (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣٨) برقم: (٢٨١٢) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس)، من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما -.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٣٩).

(٣) السبك الفريد (٤١٦/١)

خامسا: أن هذا الباب يعتبر كالخاتمة للقسم الأول والذي انتشر عند قومه وخفي حتى على الصالحين ممن ينتسب إلى العلم، من بيان معاني "الكفر بما يعبد من دون الله" والذي أجمل المصنف رحمه الله تفسيرها في الباب السادس [(١)] من هذا الكتاب.

ويتبين الربط بين هذا الباب والذي قبله بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "... وقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد». وقال: «لا تتخذوا قبري عيدا»، فعلم أن نهيه عن ذلك من جنس نهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛... وكذلك نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وإن كان المصلي عندها لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله؛ لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة لها، وكلا الأمرين قد وقع... وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين؛ حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام،... كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا - أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [(٢)]... والمقصود هنا: أن الشرك وقع كثيرا، وكذلك الشرك بأهل القبور بمثل دعائهم، والتضرع إليهم، والرغبة إليهم، ونحو ذلك، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم: نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات" [(٣)]، فبين ابن تيمية -رحمه الله-، أن مآل الغلو في هذه الأشياء، وعدم الامتثال لأمر الله ورسوله، والنهي عن فعل هذه الأشياء؛ هو السير على مثل ما سار به الأولون من أهل الكتاب، وأن هذه الأمة سيؤول بها ما آل بتلك الأمم.

---

(١) وهو باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

(٢) سورة النساء: ٥١ - ٥٢.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٠٠-٣٠٣)

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (١)." (٢)

ذكر المصنف هذه الآية والتي فيها بيان للنبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الكتاب الذين أعطاهم الله نصيبا من الكتاب، من أنهم آمنوا بالجبت والطاغوت.

وقد وردت عدة معاني للجبت والطاغوت منها:

فمن معاني الجبت: السحر، والشيطان، والشرك، والأصنام، والكاهن، وقيل أنها كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، إلى غير ذلك من المعاني(٣).

وقيل في الطاغوت: الشيطان، وأنهم كهان تنزل عليهم الشياطين، وأنه الشيطان في صورة إنسان، وهو كل ما يعبد من دون الله عز وجل وتراجمة الأصنام، وغيرها، وقيل في الجبت والطاغوت: هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله(٤).

وقد رجح الإمام الطبري أن كل هذه المعاني تدل على أن الجبت والطاغوت "" : اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جبوتا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا في

---

(١) سورة النساء:٥١.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٧)

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٦١) وما بعدها، تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٣٤) وما بعدها.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٦١) وما بعدها، تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٣٣٤) وما بعدها.

أهل الشـرك بالله. وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشـرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله، فكانا جبتين وطاغوتين" (١).

ويتضح مراد الشيخ - رحمه الله — من إيراد هذه الآية والآية الأخرى الآتية بذكر الحديث الآتي والذي فيه متابعة هذه الأمة للأمم السابقة، فالمناسبة للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن المصـــنف رحمه الله بين إيمان أهل الكتاب بالجبت والطاغوت، وهو أن إيمانهم بهما أتى ممن ينتسب إلى العلم والصلاح، ويعلم أن الإيمان بهما كفر، فما بالك بهذه الأمة؟!

وقد أشار المصنف إلى معنى الإيمان بالجبت والطاغوت، فقال -رحمه الله-: "الرابعة -وهي من أهمها-: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضـع؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها، ومعرفة بطلانه؟" (٢).

ثانيا: أنه إذا كان أهل الكتاب وقع فيهم عبادة الأوثان مع إيمانهم بكتابهم، فلا يسـتبعد أن تفعل هذه الأمة مثل فعلهم، ولا يأتي من يزعم أن عبادتهم للأوثان إنما كان بســـبب رفع الكتب السـماوية عنهم، بل إنهم كان عندهم نصـيب منها كما أخبر الله —عز وجل- بذلك، يقول الشـــيخ حمد بن عتيق-رحمه الله-: "وجه الدلالة أنه إذا كان في أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت فالرسـول صـلى الله عليه وسـلم قد أخبر أن أمته سـتفعل مثل ذلك" (٣)، فيلزم من هذا أن في هذه الأمة من يؤمن بالجبت والطاغوت كما تبين من تفسـير هذه الآية من إيمان أهل الكتاب بالجبت والطاغوت، ومن الحديث الآتي بيانه من أن هذه الأمة ســـترتكب سنن من كان قبلها، وسيوجد بها من يؤمن بالجبت والطاغوت (٤).

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٦٢)

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ٢١٠)

(٣) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد (١٣٣)، وانظر: حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٧٦)

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٥٦،٤٦٠)

ثالثا: أن الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان هو للناس كافة، من اليهود والنصارى وغيرهم في السابق، والحاضر، ومن هذه الأمة أيضا، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله-: "ووجه الاستدلال بهذه الآية أنه مطلوب من اليهود كغيرهم من البشر الإيمان بالدين الإسلامي الحنيف الذي جاء به محمد عليه السلام، ولكنهم لم يؤمنوا بل عاندوا وبقوا على ما هم عليه من كفر وعناد" (١).

رابعا: أن أهل الأوثان، ومن يعبدها، ويدعوا إليها، لا يكتفون بعبادته، وإنما يزعمون أن من يعبد الأوثان من أمة محمد -ﷺ- أهدى طريقا ممن لا يعبدها ويحذر منها، وهذا يتضح من خلال إكمال الآية التي أوردها المصنف، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ (٢).

وقيل في تفسيرها: أي ويقولون للذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم =: "هؤلاء" ، يعني بذلك: هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر "أهدى" ، يعني: أقوم وأعدل "من الذين آمنوا" ، يعني: من الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم = "سبيلا" ، يعني: طريقا، فاليهود يعظمون غير الله ويذعنون له، ويقولون أن أهل الكفر أولى بالحق من أهل الإيمان، ويناصرونهم بالقول والحجة، ولا شك أن هذا دليل على وقوع الأمة في عبادة الأوثان ومناصرة أهل لهم في ذلك (٣)، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله في ذكره لهذه المناسبة في قوله: "الخامسة: قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين" (٤).

- **وقال المصنف رحمه الله** "وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ١٥٩)

(٢) سورة النساء:٥١.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٤٦٦)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢١٠)

مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ (١). الآية(٢).

ويتضـــح معنى هذه الآية بذكر ما قبلها من الآيات: يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ (٣).

يقول ابن كثير-رحمه الله -:" يقول تعالى: قل يا محمد، لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب... هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟، وهذا ليس بعيب ولا مذمة،... وآمنا بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم، ثم قال... هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات القصيرة، فقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ (٤) أي: أبعده من رحمته ﴿وغضب عليه﴾ أي: غضبا لا يرضى بعده أبدا... وقوله: ﴿وعبد الطاغوت﴾... وكل هذه القراءات (٥) يرجع معناها إلى أنكم ياأهل الكتاب الطاعنين في ديننا، والذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه، كيف

---

(١) سورة المائدة:٦٠.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٧)

(٣) سورة المائدة:٥٩-٦٠.

(٤) سورة المائدة:٦٠.

(٥) يقصد القراءات الواردة في قوله:"وعبد الطاغوت".

يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر؟ ولهذا قال: ﴿أولئك شر مكانا﴾ أي: مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠﴾ [1] "[2].

ومما سبق يتبين مناسبة الآية للباب وهي أنه إذا كان في أهل الكتاب من عبد الطاغوت، فإنه سيكون في هذه الأمة من يعبدها[3]، كذلك كما في الحديث الآتي.

ففي هذه الآية فيها زيادة معنى عن الآية السابقة في حال أهل الكتاب، أن هذه الآية فيها أنهم عبدوا الطاغوت، أما الآية السابقة ففيها بيان أنهم آمنوا بالطاغوت، ولهذا جاء بها المصنف في هذا الباب؛ ليبين بما لا يدع مجالا للشك أن أهل الكتاب عبدوا الطاغوت، وهذه الأمة سيحذوا فئام من الناس حذوهم، يقول الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله-:" فالآية الأولى فيها: أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، وهذه الآية فيها أن فيهم من عبد الطاغوت، فلا بد أن يكون من هذه الأمة من يتشبّه بهم في ذلك "[4]

---

(١) سورة المائدة: ٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير(٣/١٤٢-١٤٣).

(٣) انظر: إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد (١٣٤)

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٢٧)

- **وقال المصنف رحمه الله" وقوله:** ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوٓاْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ (١). "(٢).

هذه الآية وردت في أهل الكهف الذين ماتوا وما حصل من اختلاف قومهم بين من يقول سدوا عليهم باب الكهف وبين من يقول ابنوا عليهم مسجدا (٣).

فمناسبة هذه الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية تدل على أن عبادة الأوثان حصلت في الأمم السابقة كما حصل لقوم أصحاب الكهف، وقد تقدم أن إقامة المساجد على القبور يصيرها أوثانا تعبد من دون الله، وهذه الأمة ستتبع ما فعلته الأمم السابقة.

فإن الله —جل وعلا–، يخبر طريقة عبادة الأمم السابقة للأوثان، وأن من هذه من الأمة سيتبع ما فعلته الأمم السابقة، فيؤدي ذلك إلى الإشراك بالله تعالى، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–:" لما يفضي إليه ذلك (٤) من الإشراك بأصحابها كما هو الواقع. ولهذا لما فعلته اليهود والنصارى جرهم ذلك إلى الشرك، فدل ذلك على أن هذه الأمة تفعله كما فعلته اليهود والنصارى، فيجرها ذلك إلى الشرك، لأن ما فعلته اليهود والنصارى ستفعله هذه الأمة شبرًا بشبر وذراعًا بذراع... "(٥).

---

(١) سورة الكهف: ٢١.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٧)

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ١٤٧)

(٤) يقصد اتخاذ القبور مساجد.

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص: ٧٤٥)، وانظر: فتح الله الحميد المجيد، لحامد بن محمد بن حسن (ص: ٣٠٦).

ثانيا: أنه لما تقدم في الأبواب السابقة من ذم اليهود والنصارى من اتخاذ القبور مساجد، وتحذيرنا من فعلهم، بين في هذا الباب أنهم وقعوا في هذا الأمر وأخبر من حالهم ما يثبت اتخاذهم للأوثان، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم-رحمه الله -:" ذمهم الله بذلك، تحذيرا لنا أن نتخذ القبور أوثانا، وتقدم لعن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى لاتخاذهم المساجد على قبور أنبيائهم، وأن مراده تحذيرنا أن نفعل فعلهم، فيجرنا ذلك إلى الشرك، ويأتي إخباره بذلك، وهو وجه الاستدلال بالآية "(١).

- **وقال المصنف رحمه الله" عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن" . أخرجاه(٢) "(٣)..**

ومناسبة الحديث للترجمة من عدة أمور:

أولا: أنه تقدم في الآيات السابقة صفات الأمم السابقة وأن منهم من يعبد الطاغوت ويبني المساجد على القبور، ثم أعقب الآيات بحديث أبي سعيد رضي الله عنه والمعنى هو" لتفعلن أفعالهم، ولتتبعن طرائقهم حتى تشبهوهم وتحاذوهم، كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى "(٤).

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٧٧)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٩) برقم: (٣٤٥٦) (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٧) برقم: (٢٦٦٩) (كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٠٨)

(٤) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله (١/ ٧٤٧)

ثانيا: أنه عندما عرفنا حال الأمم السابقة من الإيمان بالطاغوت وعبادته، وبناء المساجد على القبور والذي يعتبر كله من عبادة الأوثان؛ فإن هذه الأمة سيكون فيها من يفعل فعلهم ويعمل بما عملوا به؛ لأن هذا الحديث بين ذلك [(١)]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ووجه مطابقة الحديث للترجمة واضح؛ لأن الأمم قبلنا وجد فيها الشرك، فكذلك يوجد في هذه الأمة كما هو الواقع "[(٢)]، وهذا هو مراد المصنف عند ذكر مسائله بقوله:" السادسة: وهي المقصود بالترجمة - أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد "[(٣)].

ثالثا: التأكيد في الحديث على الاتباع بقوله:" حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه "، وهذا يدل على شدة اتباع هذه الأمة لمن قبلها من الأمم السابقة، وهذا فيه فائدة أخرى، وهو قطع الشك باليقين بأن كل شيء فعله من كان قبل هذه الآمة ستفعله تلك الأمة، ولو كان محالا، كما هو حال جحر الضب، ف" أكد المشابهة أي بأنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، جعل -ﷺ- غاية المشابهة أمراً محالاً في العادة بمعنى أنكم لا تتركون شيئاً يفعلونه حتى لو فعلوا هذا الأمر المحال لفعلتموه "[(٤)].

- **وقال المصنف رحمه الله" ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني**

---

(١) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (١/٤٢١)

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٥١)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢١٠)

(٤) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٦)

أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا" (١). **ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى"** (٢) (٣).

دلالة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن هذا الحديث مطابق لما في الترجمة من عبادة هذه الأمة للأوثان، فقد قال: "وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان" .

ثانيا: أن من يعبد الأوثان كثير في هذه الأمة، لقوله: "فئام" ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: "قوله: (وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان). الفئام – مهموز – الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات، وفي رواية أبي داود: (وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)، ومعناه ظاهر، وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك،

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ٥٢) برقم: (١٩٢٠) (كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠ / ٥٣) برقم: (٤٢٤٢) (كتاب الرضاع، ذكر البيان بأن نفقة المرء على عياله أفضل من النفقة في سبيل الله)، والحاكم في "مستدركه" (٤ / ٤٤٨) برقم: (٨٤٧٨) (كتاب الفتن والملاحم، يبعث الله ريحا طيبا فيتوفى من كان في قلبه من خير)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة .

(٣) كتاب التوحيد(ص: ٢٠٨)

وعبادة الأوثان في هذه الأمة" [١]، وقد بين المصنف رحمه الله هذه المناسبة في مسائله فقال: "السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة" [٢].

ثالثا: أنه قال في الحديث: "ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان" ، مما يدل على أن من هذه الأمة من يلحق بالمشركين ويتبع سننهم، ومن سننهم عبادة الأوثان، ولهذا في الحديث أتي بعبادة الأوثان بعد هذه الجملة، وهذا يؤيد ما استدل به المصنف من الآيات والأحاديث التي تدل على اتباع هذه الأمة للأمم السابقة في عبادة الأوثان.

رابعا: لما أخبر بعبادة هذه الأمة للأوثان، بين المصنف من خلال إيراده لهذا الحديث أن الخير باق إلى قيام الساعة، لقوله: "ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى" ، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله: "التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة" [٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٦٣-٧٦٤)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢١٠)

(٣) المصدر السابق (ص: ٢١١)

الفصل الخامس: **مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببعض أنواع الشرك**.

المبحث الأول: باب ما جاء في السحر.

المبحث الثاني: باب بيان شيء من أنواع السحر.

المبحث الثالث: باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

المبحث الرابع: باب ما جاء في النشرة.

المبحث الخامس: باب ما جاء في التطير.

المبحث السادس: باب ما جاء في التنجيم.

المبحث السابع: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

المبحث الأول: باب ما جاء في السحر.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب ما جاء في السحر" (1)، ويحتوي على آيتين، وحديثين، وستة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في السحر) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢١٣).

المطلب الأول: **مناسبة باب ما جاء في السحر للباب السابق**.

تكلم المصنف - رحمه الله - في هذا الباب عما جاء في السحر من حكمه وحكم فاعله وأثره وماهيته، وبين -رحمه الله- أنه من أنواع الشرك، لأن السحر لا يتأتى إلا إذا أشرك صاحبه بالله -سبحانه-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يتأتى السحر بدونه، ولهذا جاء في الحديث:" ومن سحر فقد أشرك "(١). أدخله" المصنف "في كتاب" التوحيد "ليبين ذلك تحذيرًا منه كما ذكر غيره من أنواع الشرك" (٢)

والسحر في اللغة: "هو ما خفي ولطف سببه" (٣)، وأما في الاصطلاح: "عزائم ورقى وعُقَد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه" (٤).

فمناسبة هذا الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن المصنف - رحمه الله — لا زال يتحدث عن نوع آخر من أنواع الشرك، وهو السحر، وقد تقدم بيانه في بداية هذا المطلب، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "فالسحر يدخل في الشرك من جهتين: من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه. ومن جهة ما فيه من دعوى علم

---

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٨٠٥) برقم: (٤٠٩٠ / ١) (كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة)، والطبراني في "الأوسط" (٢ / ١٢٧) برقم: (١٤٦٩) (باب الألف، أحمد بن محمد بن صدقة).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٧٦)

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤)

الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر"(١)

ثانيا: لما ذكر في الآية من الباب السابق تفسير قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ (٢).، وقد سبق بيان الجبت أن من معانيه السحر، ناسب أن يذكر المصنف -رحمه الله-، للتعريف على المعنى الآخر الذي وقع فيه أهل الكتاب، والذي لا يكون إلا بالإشراك بالله.

ثالثا: أن من معاني السحر: الصرف والعطف، فلما سبق بيان صرف الناس عن التوحيد بأمور لا تظهر للناس، وتخفى على كثير منهم، ناسب أن يذكر السحر وما فيه من الصرف والعطف والتفريق بين المتحابين، وتغيير العقول وغيرها، والذي يتم فيه الاستعانة المباشرة بالشياطين، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في السحر: "وفيه أيضا من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابين والصرف والعطف والسعي في تغيير العقول" (٣).

رابعا: لما بين في الباب السابق من اتباع هذه الأمة سنن من كان قبلها، وكيف أن كثيرا من المسلمين ممن أضلهم الشيطان، وأعوانه حتى نبذوا الكتاب والسنة، واتبعوا ما تتلوه الشياطين وأعوانهم من عبادة الأوثان، فلم يعظموا القران والسنة؛ أتى بهذا الباب ليبين السحر الذي عظمه أولئك، وقدموه على القرآن والسنة، بسبب ما يأتي به السحرة والكهان من الخوارق

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٩٧)

(٢) سورة النساء: ٥١.

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٩٧)

وذلك باستعانتهم بأولئك الشياطين وفعل ما يتلى عليهم منهم، فعظموا ما يوافق هواهم من اتباع الشياطين، على طريقة القرآن وما أتت به السنة (١).

وهذا الفصل يتكلم عن علم الغيب، وأنه لا يعلمه إلا الله، فمن ادعى علم الغيب فقد كذب وكفر؛ وذلك للأدلة التي في هذه الأبواب التي تدل على كفر من ادعى ذلك.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **وقال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (٢)." (٣).

هذه الآية تتكلم عن حكم السحر وأنه محرم بل كفر؛ لما يكون له من سوء العاقبة والمآل، يقول الإمام الطبري-رحمه الله- في معنى الآية: "ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته" ، فمن استبدل السحر عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم أنه ماله في الآخرة من نصيب، وما له في الآخرة من جهة عند الله، وأنه ليس له دين (٤).

ومما سبق يتبين لها أن المراد من الآية ومناسبتها للباب من عدة أمور:

أولا: تحريم السحر، وأنه محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام (٥).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٣٣).

(٢) سورة البقرة:١٠٢.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢١٣)

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٥٥).

(٥) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١/ ٧٧٨)

ثانيا: ذكر عاقبة السحر وفاعله، أنه ليس له نصيب في الآخرة، فقد عاقبه الله بنقيض قصده، فالسحرة خاسرون في الأصل، ولو حصلوا من الدنيا على أوفر نصيب، فإن الخسران هو خسران الدين، فقد خسروا آخرتهم وعبادتهم وديانتهم، فذلك هو الخسران المبين [١].

ثالثا: أن الساحر إنما اشترى السحر ودفع عوضا عنه، فقد دفع توحيده ودينه؛ لأنه قال: "ماله في الآخرة من خلاق" ، أي نصيب، والمشرك كذلك فإنه ليس له نصيب في الآخرة، فيكون من أوجه الاستدلال أن الساحر قد جعل دينه عوضا عن السحر الذي اشتراه وتعلمه وعمل به[٢]، يقول الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-: "أي استبدل الكفر الذي منه السحر بالإيمان، ماله في الآخرة عند الله من خلاق أي حظ ولا نصيب" [٣].

- **وقال المصنف رحمه الله "وقوله:** ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [٤].

قال عمر: " الجبت السحر والطاغوت الشيطان "[٥].

(١) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/١١).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص:٣٠٠-٣٠١)

(٣) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٤١)

(٤) سورة النساء:٥١.

(٥) أخرجه مالك في "الموطأ" (١ / ٦٥٩) برقم: (١٦٨١) (كتاب الجهاد، ما تكون فيه الشهادة) وسعيد بن منصور في "سننه" (٤ / ١٢٨٣) برقم: (٦٤٩) (كتاب التفسير، قوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت)، وعلقه البخاري في "صحيحه" (١ / ٧٤) برقم: (٣٣٤) (كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)

وقال جابر:" الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد "(١)"(٢).

تقدم بيان معاني الجبت والطاغوت.

ومناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أن السحر من الجبت كما هو واضح في الأثر، والباب يتكلم عما جاء في السحر، والآية "دلت على تحريم تعاطي السحر وذم فاعله" (٣).

ثانيا: أن هذه الآية في مقام الذم لأهل الكتاب، الذين أعطاهم الله نصيبا من الكتاب، فتركوه وعدلوا عنه إلى السحر، فذمهم الله –عز وجل– في هذه الآية بسبب تركهم ما أمر الله –عز وجل– وأخذه للسحر والإيمان به، بل ويزعمون بأنه أهدى من المؤمنين، كما سبق بيانه في المطلب الثاني من المبحث السابق عند الكلام عن الآية، وقد رجح الإمام الطبري في معاني الجبت والطاغوت أنهما: "اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان... كذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله..."(٤).

ثالثا: ما جاء في الأثر الذي رواه جابر –رضي الله عنهما– من أن الطاغوت كهان ينزل عليهم الشيطان، مما يدل على العلاقة بين السحر والشيطان، فسموا الكهان بالطواغيت، لاتصالهم

---

(١) وعلقه البخاري في "صحيحه" (١ / ٧٤) برقم: (٣٣٤) (كتاب التيمم، باب التيمم وقول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)، وقال ابن حجر عن هذا الأثر فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٥٢):"وصله بن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه".

(٢) كتاب النوحيد (ص: ٢١٣-٢١٤)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد القرعاوي (ص: ٢٢٢)

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٤٦٢)

مع طواغيت الجن، فهم طواغيت الإنس وشـياطينهم، وهذا يفهم من كلام المصـنف رحمه الله حيث قال: "الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس" [1].

رابعا: دل الأثر على أن الكاهن يعتبر طاغوتا، فإذا كان الطاغوت يطلق على الكاهن، فإن الساحر أولى؛ لأنه أخبث وأشر من الكاهن [2].

- **وقال المصنف رحمه الله "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يارسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات "**[3][4].

تكلم المصـنف في هذا الحديث عن أمر النبي أمته من اجتناب الموبقات السـبع والتي هي من الكبائر، ومناسبة ذكر هذا الحديث من عدة أمور هي:

أولا: أنه ذكر أن من هذه الموبقات:" والسـحر "، فدل على أن السـحر محرم، وذلك للأمر في الحديث باجتنابها.

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٢١٧)

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٨٣)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢١٤)

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٠) برقم: (٢٧٦٦) (كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)، ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦٤) برقم: (٨٩) (كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها)

ثانيا: أنه ذكر السحر بعد الشرك،مما يدل على خطره وعظيم جرمه، ولأنه في الغالب لا ينفك عن الشرك (١)؛ يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله -:" وقد جاء في المرتبة الثانية لخطورته على إفساد العقائد، وضرره الذي يتعدى إلى الآخرين "(٢).

ثالثا: أنه عطف السحر على الشرك مع أنه نوع منه؛ من باب عطف العام على الخاص، فالسحر نوع من أنواع الشرك، لكن الرسول -ﷺ- خصّه بالذكر، وعطفه على الشرك من أجل الاهتمام بتجنبه (٣).

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن جندب مرفوعا: "حد الساحر ضربة بالسيف" . رواه الترمذي وقال: (الصحيح أنه موقوف) "**(٤).

---

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١/٦٠٩).

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ١٦٧)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٤٨).

(٤) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٣٦٠) برقم: (٨١٦٦) (كتاب الحدود، حد الساحر ضربة بالسيف) والترمذي في "جامعه" (٣ / ١٢٧) برقم: (١٤٦٠) (أبواب الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء في حد الساحر)، وصححه الحاكم، وقال عنه ابن عبد البر في "الاستذكار(٢٥ / ٢٣٧):" حديث ليس بالقوي"، وعلله بالإرسال، وقال الترمذي: "والصحيح عن جندب موقوفا"

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال:" كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر "(١) (٢).

وصح عن حفصة -رضي الله عنها-" أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت "(٣). **وقال المصنف رحمه الله" وكذلك صح عن جندب** (٤). **قال أحمد: (عن ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) "**(٥).

مناسبة الحديث والآثار للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: في حديث جندب - رضي الله عنه - عقوبة وحد الساحر، وهو أنه يقتل فحده ضربة بالسيف، ودل أيضا على تحريم السحر (٦).

(١) أخرجه ومالك في "الموطأ" (١ / ٣٩٥) برقم: (٩٦٨ / ٢٩٢) (كتاب الزكاة، جزية أهل الكتاب) والنسائي في "الكبرى" (٨ / ٨٩) برقم: (٨٧١٥) (كتاب السير، أخذ الجزية من المجوس) وأبو داود في "سننه" (٣ / ١٣٣) برقم: (٣٠٤٣) (كتاب الخراج والفيء والإمارة .، باب في أخذ الجزية من المجوس)، وقد ذكره البخاري في "صحيحه" (٤ / ٩٦) برقم: (٣١٥٦) (كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب) بمعناه مرفوعا مطولا.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢١٥)

(٣) أخرجه مالك في "الموطأ" (١ / ١٢٨١) برقم: (٣٢٤٧) (كتاب العقول، ما جاء في الغيلة والسحر) وعبد الرزاق في "مصنفه" (١٠ / ١٨٤) برقم: (١٨٧٥٧) (كتاب اللقطة، باب قتل الساحر)

(٤) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (٨ / ١٣٦) برقم: (١٦٥٩٧) (كتاب القسامة، بَابُ تَكْفِيرِ السَّاحِرِ وَقَتْلِهِ إِنْ كَانَ مَا يَسْحَرُ بِهِ كَلَامَ كُفْرٍ صَرِيحٍ) والدارقطني في "سننه" (٤ / ١٢١) برقم: (٣٢٠٥) (كتاب الحدود والديات وغيره،).

(٥) كتاب التوحيد (ص: ٢١٦)

(٦) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٢٧)

ثانيا: في حديث جندب - رضي الله عنه — أنه إذا كانت هذه عقوبة الساحر، وهو قتله بالسيف، وتبين مما قبلها من الأدلة من كفر الساحر، فهذا يؤكد الحكم، ويقويه بكفر الساحر؛ ولذلك استحق القتل.

ثالثا: أن الساحر كافر، لأن الصحابة قتلوه، ولم يقتلوه إلا لأنه كفر [١]، قال المصنف - رحمه الله -:" السادسة: أن الساحر يكفر "[٢].

رابعا: أورد المصنف هذه الآثار؛ ليبين أن الصحابة لم يستتيبوا السحرة، وإنما قتلوهم مباشرة، مما يدل على أن فعلهم كبير، وهذا يستفاد من قول المصنف في مسائله:" السابعة: يقتل ولا يستتاب "[٣]، ولبيان فعل الصحابة -رضي الله عنهم— مع السحرة، وأنهم أنزلوا بهم العقوبة التي يستحقونها، وهي القتل؛ وذلك لما يترتب على بقائهم من مفاسد للناس وأضرار.

خامسا: أورد المصنف هذه الآثار، ليبين كثرة السحرة في عهد عمر -رضي الله عنه -، فما بالك بمن بعد عهد الصحابة -رضي الله عنهم -، يقول المصنف -رحمه الله -:" الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟ "[٤].

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٥٣)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢١٧)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢١٧).

(٤) قال الشيخ سليمان بن عبد الله في كتابه تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٩٨)"وقوله: عن ثلاثة أي: صح قتل الساحر عن ثلاثة أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني: عمر، وحفصة، وجندبا والله أعلم".

المبحث الثاني: **باب بيان شيء من أنواع السحر**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب بيان شيء من أنواع السحر "[1]، ويحتوي على خمسة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب بيان شيء من أنواع السحر) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢١٨).

المطلب الأول: **مناسبة باب بيان شيء من أنواع السحر للباب السابق**.

أتى المصنف بهذا الباب لأجل أن يوضح أنواعا من السحر التي كان أهل الجاهلية يعتقدون تأثيرها عليهم في سعادتهم وشقائهم، ونصرهم وهزيمتهم، ولأجل أن يبين أن هذه من السحر الذي يعد خرافة لا يستند حقيقة كاملة، وليس هو من كرامات الأولياء [(١)].

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف عن السحر وحكمه وحده وعقوبته، وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده عن السحر، أتي في هذا الباب ليبين بعض أنواع السحر ويوضحه؛ وذلك لما يعتريه من خفاء ولبس واشتباه، إضافة إلى كثرة وقوعه بين الناس، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" لما ذكر المصنف ما جاء في السحر أراد هنا أن يبين شيئًا من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها على الناس حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور، فهو من الأولياء، وعدّوها من كرامات الأولياء وآل الأمر إلى أن عبد أصحابها ورجي منهم النفع والضر، والحفظ والكلاءة والنصر أحياء وأمواتًا، بل اعتقد كثير في أناس من هؤلاء أن لهم التصرف التام المطلق في الملك، ولا بد من ذكر فرقان يفرق به المؤمن بين ولي الله وبين عدو الله، من ساحر وكاهن وعائف وزاجر ومتطير ونحوهم ممن قد يجري على يده شيء من الخوارق "[(٢)].

---

(١) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول (ص: ١٧٠)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٠١)

ثانيا: أورد المصنف رحمه الله هذا الباب بعد ما قبله، ليفرق المرء بين الكرامات والخوارق الشيطانية [1]، والتعريف بأنواع السحر، وقد سبق بيان هذه المناسبة من كلام صاحب التيسير في المناسبة الأولى، يقول الشيخ عبد الله المحسن-رحمه الله -:" لما أورد المصنف السحر وبيان حكمه أتبعه بأشياء متنوعة من السحر تخفى حقائقها على أكثر الناس فيظن أنها حق حتى أن بعض الناس يعتقد في أهلها أنهم من أولياء الله وأن زخارف القول منهم والتمويهات في أخبارهم التي ينتج عنها من خوارق العادات، تعد لهم كرامات وهي أحوال شيطانية "[2].

ثالثا: أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب بعد السابق، لكي يفرق بين السحر الذي يقتل صاحبه؛ لأنه مشرك شركا أكبر، وبين الذي يدخل صاحبه في الشرك الأصغر، وكذلك بينه وبين السحر الذي يأتي في النصوص ويقصد به السحر الحلال، وهو الفصاحة والبيان، وكذلك بين السحر الذي فيه شرك، والذي لا يدخل في الشرك؛ كالنميمة، ليوضح للقارئ من أن هناك أنواع من السحر لا تأخذ حكم الساحر وعقوبته وإنما شبهت بالسحر؛ لكنه داخل في المعنى اللغوي للسحر وتأثيره على القلوب، وهذا يشترك في السحر المعروف وغيره كالفصاحة والبيان، والطيرة والعيافة وغيرها، فإن لها تأثيرا خفيا على القلوب، فقد يظهر الحق باطلا والباطل حقا [3]، فذكر شيئا من أنواع السحر على سبيل المثال والإجمال، والمقصد التفريق وإزالة اللبس والشبهة في ذلك.

---

(١) انظر: الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٣)، وفيه:" السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالبا اتفاقا وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ... السحر لا يظهر إلا من فاسق وأن الكرامة لا تظهر على فاسق...وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلا فهو سحر".

(٢) الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد (ص: ١١٩)

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٦)

رابعا: أتى بهذا الباب بعد السابق، ليبين أن من السحر ما هو عملي، ومنها ما هو اعتقادي، ومنها ما هو لغوي، ومنها ما هو من أصل السحر، والأخير هو الذي يقصده المصنف في الباب السابق، والذي هو السحر الشيطاني، وأيضا منها ما هو قريب من السحر، من غير أن يكون سحرا في الحقيقة وهكذا، فأتى المصنف بهذا الباب ليذكر الأمثلة التي تدل على التفريق والتمييز [1].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت" [2]. قال عوف: "العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالأرض" "والجبت قال الحسن: رنة الشيطان" .**

---

(١) السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/٢٥).

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣ / ٥٠٢) برقم: (٦١٣١) (كتاب النجوم والأنواء، ذكر الزجر عن قول المرء بعيافة الطيور واستعمال الطرق) والنسائي في "الكبرى" (١٠ / ٦٦) برقم: (١١٠٤٣) (كتاب التفسير، قوله تعالى يؤمنون بالجبت) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٢٣) برقم: (٣٩٠٧) (كتاب الكهانة والتطير، باب في الخط وزجر الطير) وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٤٢٢) برقم: (١٦١٦٠) (مسند المكيين رضي الله عنهم، حديث قبيصة بن مخارق رضي الله عنه)، وضعفه الألباني، انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص: ١٨٣).

إسناده جيد. ولأبي داوود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه "[١]"[٢].

شرع المصنف -رحمه الله- تحت هذا الباب بذكر ما يدل على ترجمته، فذكر شيئا من أنواع السحر، فمناسبة الحديث والآثار للباب من عدة أمور:

أولا: أنه ذكر في الحديث العيافة والطرق والطيرة، وبين في الحديث أنها من الجبت، وإذا كان كذلك فهي من أنواع السحر، وهذا الحديث ظاهر الدلالة، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت" [٣]، فدل على أن هذه الثلاثة من الجبت الذي منه السحر، والسحر مبني على الشرك [٤]، فبين المصنف رحمه الله معنى الجبت الذي منها تلك الأنواع، ليوضح المراد بالجبت، وأن السحر داخل في الجبت، فمن معاني السحر الجبت، وأن المراد بالجبت هو رنة الشيطان[٥]، "فالسحر إذاً كلمة عامة تجمع شروراً

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٣ / ٥٠٢) برقم: (٦١٣١) (كتاب النجوم والأنواء، ذكر الزجر عن قول المرء بعيافة الطيور واستعمال الطرق) والنسائي في "الكبرى" (١٠ / ٦٦) برقم: (١١٠٤٣) (كتاب التفسير، قوله تعالى يؤمنون بالجبت) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٢٣) برقم: (٣٩٠٧) (كتاب الكهانة والتطير، باب في الخط وزجر الطير).

(٢) كتاب التوحيد:(ص:٢١٨-٢١٩).

(٣) كتاب التوحيد:(ص: ٢٢١).

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد القرعاوي (ص: ٢٣٠)

(٥) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه، قرة عيون الموحدين (ص: ١٣٦):"ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب. وروى الحافظ الضياء في المختارة: الرنين: الصوت، وقد رن يرن رنينا، وبهذا يظهر معنى قول الحسن".

كثيرة، إما قولية، وإما عمليّة" (١)، لأنه يغطي على الأمور الخفية، ويجعل الإنســـان يتخيل أنه يحدث شيء غريب، لا يعرف أصله، وأنه يأتي بالمتضادات(٢).

ثانيا: بين المصنف في الآثار معاني ما سبق بيانه في الحديث، ليعرف القارئ ما المراد بهذه الأنواع، ولم يتم بيان الطيرة، لأن المصنف أفرد لها بابا خاصا وسيأتي بإذن الله، فذكر أن العيافة المراد بها زجر الطير (٣)، والطرق: هو الخط يخط بالأرض (٤)، ولهذا قال المصنف في مسائله: "الثانية: تفسير العيافة والطرق" (٥).

ثالثا: أن المصنف ذكر هذه الأشياء ليبين أنها في العمل تكون مماثلة للسحر، من حيث فسادها والإفساد الحاصل بسببها، فكان لا بد أن تذكر في هذا الباب، لأجل أنها تتفق معه في قضية ادعاء علم الغيب وغيره (٦).

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما**

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (١/ ٣٥٩)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٦٢٢/١).

(٣) العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها. وهو من عادة العرب كثيرا. وهو كثير في أشعارهم. يقال: عاف يعيف عيفا إذا زجر وحدس وظن. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٣٣٠).

(٤) الطرق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء. وقيل هو الخط في الرمل. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر "(٣/ ١٢١)...يقول ابن الأثير –رحمه الله –:"والخط المشار إليه علم معروف، وللناس فيه تصانيف كثيرة، وهو معمول به إلى الآن، ولهم فيه أوضاع واصطلاح وأسام وعمل كثير، ويستخرجون به الضمير وغيره".النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٧)"

(٥) كتاب التوحيد:(ص: ٢٢١).

(٦) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٦١٩/١).

زاد "[1]. رواه أبو داوود بإسناد صحيح[2].

تكلم المصنف في هذا الحديث عن نوع آخر يدخل في أنواع السحر، وهو تعلم النجوم، والتنجيم كما ذكر تعريفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية "[3].

أما مناسبة هذا الحديث للباب فتتجلى من عدة أمور:

أولا: أورد المصنف هذا الأثر عن التنجيم، مع أنه سيأتي بيان التنجيم بباب مستقل، لكنه أورده هنا؛ ليبين أن التنجيم نوع من أنواع السحر، لقوله:" فقد اقتبس شعبة من السحر "، أي اقتطع وتعلم وأخذ بعضا من السحر [4]، فالساحر والمنجم يشتركان في دعوى علم الغيب أو الاستعانة بغير الله أو غير ذلك من الأمر الشركية.

ثانيا: أراد أن يبين المصنف أنه كلما ازداد تعلم الإنسان للتنجيم؛ كلما ازداد حظه من السحر، فالمراد التحذير من أن الزيادة منه تؤول بصاحبه إلى أن يكون ساحرا يستحق حد السحر، وهو ضربه بالسيف [5].

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٢٢) برقم: (٣٩٠٥) (كتاب الكهانة والتطير، باب في النجوم) وابن ماجه في "سننه" (٤ / ٦٧٠) برقم: (٣٧٢٦) (أبواب الأدب، باب تعلم النجوم)، وأحمد في "مسنده" (٢ / ٥٠٢) برقم: (٢٠٢٥) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم)، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢/ ٤٢٠)برقم:(٧٩٣).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢١٩)

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)

(٤) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/٣٠).

(٥) انظر: المصدر السابق: (٢/٣١).

ثالثا: أوضح هذا الحديث أن السحر إنما هو شعب وأقسام وأنواع، ويختلف نوع كل واحد بحسب التعلم الحاصل والتأثير المترتب عليه، وهذا مأخوذ من قوله" شعبة من السحر، زاد ما زاد".

وما سبق يوضح لنا مراد المصنف رحمه الله في مسائله بقوله:" الثالثة: أن علم النجوم من أنواع السحر "(١).

- **وقال المصنف رحمه الله" وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه"** (٢) (٣).

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف في هذا الحديث أن يبين أن النفث في العقد من السحر، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الرابعة: العقد مع النفث من ذلك" (٤).

ثانيا: أوضح هذا الحديث نوعا من أنواع السحر، وأن هذا النوع صاحبه مشرك؛ فالسحر شرك بصريح هذا الحديث؛ يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بعد قوله: "ومن سحر فقد أشرك" : "نص في أن الساحر مشرك؛ إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ عن

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٢٢١).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٨٠٥) برقم: (٤٠٩٠ / ١) (كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة)، والطبراني في "الأوسط" (٢ / ١٢٧) برقم: (١٤٦٩) (باب الألف، أحمد بن محمد بن صدقة)، وضعفه الألباني في "ضعيف الجامع الصغير وزيادته" (ص: ٨٢٢)، برقم: (٥٧٠٢).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٠)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٢١)

بعضهم"[١]. فالسحر تعلق بالشياطين، فلما كان كذلك كانت النتيجة أن أُوكِل الساحر إلى أولئك الشياطين؛ لأنه تعلق بهم فأصبح مشركا بالله –سبحانه-.

ثالثا: أن الحديث بين نتيجة المتعلقين بأصحاب هذا النوع من أنواع السحر، وأنهم يوكلون إلى أولئك؛ فيكون أمرهم إلى الخسارة والندم [٢].

رابعا: أورد المصنف هذا الحديث؛ ليوضح ما هو حقيقة عمل الساحر في سحره؛ ولماذا كان مشركا؛ وذلك بإيراد صفة عمله في هذا الحديث، لقوله في الحديث: "من عقد عقدة ثم نفث فيها، فقد سحر" ، فهذا النوع من السحر بيانه: هو عقد الخيوط والنفث على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدونه من السحر [٣].

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ألا هل أنبئكم ما العضه، هي النميمة القالة بين الناس "[٤]. رواه مسلم" [٥]**

أراد المصنف في هذا الحديث بيان ما هي النميمة، فالنميمة هي القالة بين الناس، أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكى للبعض عن البعض، وبمعنى آخر هي: نقل

---

(١) تيسير العزيز الحميد: (٢/٨١٥).

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٥٢٤)

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله: (٢/٨١٤).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٨) برقم: (٢٦٠٦) (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة).

(٥) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٠)

الحديث من قوم إلى قوم، على جهة الإفساد والشر [1]، وأما العضه، فقد قال ابن الأثير فيها: "وهي البهتان والكذب... وسمي السحر عضها لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له" [2].

وأما مناسبة هذا الحديث للباب فمن عدة أمور:

أولا: بعد أن ساق الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله — أقوال العلماء في علاقة النميمة بالسحر [3]، ثم رجح بأن النميمة هي كالسحر في التأثير والنتيجة والقصد، فمقصد النمام الإفساد والأذى بكلامه، وكذلك السحر، أيضا من آثار النميمة ونتائجها الإيذاء والتفريق بالحيلة والمكر، وكذلك الساحر، فشبهها بالسحر لأنها مثله، مع إنها ليست بسحر، فالسحر ورد فيه حديث خاص بكفر فاعله وقتله، والنميمة ليست كذلك [4].

ثانيا: أن الحديث فيه بيان خطر النميمة، فقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم السحر فيها تحذيرا منها؛ لما يحصل لها من تأثير في التفريق بين الناس، والقطيعة وغيرها، فهي أشد تأثيرا من السحر [5]، ولهذا قال بعضهم: "يفسد النمام في ساعة ما يفسد الساحر في شهر" [6].

- **وقال المصنف رحمه الله "ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله**

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤/ ١٢٣، ٥/ ١٢٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٥٤-٢٥٥).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨١٦-٨١٨).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨١٦-٨١٨)، وقد ذكر هذا الكلام: محمد بن مفلح في كتابه الفروع انظر: (١٠/ ٢١١).

(٥) انظر: إعانة المستفيد، لصالح الفوزان (١/ ٣٦٢).

(٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٧٠).

صلى الله عليه وسلم قال:" إن من البيان لسحرا "[(١)]" [(٢)].

أورد المصنف هذا الحديث والذي يتكلم عن البيان، وأن منه ما هو سحر، والبيان هو: "البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور. وقيل معناه أن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه؛ لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان، ألا ترى أن البليغ يمدح إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى حبه، ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه" [(٣)].

ومما سبق من تعريف البيان يتبين لنا ما مناسبة هذا الحديث للباب، فمناسبته للباب من عدة أمور منها:

أولا: أراد المصنف أن يبين معنى من معاني السحر، وتأثيرا من تأثيراته، وسبب ذلك أن سمى البيان سحرا؛ ليبين أن ما يفعله البيان، إنما صفة من صفات السحر؛ ألا وهي استمالة القلوب، وإظهار الحق باطلا والباطل حقا، أو إظهار الشيء على غير حقيقته، فهنا يظهر الكلام الحق باطلا والباطل حقا، الجميل قبيح والقبيح جميلا، وهكذا، فأظهر المصنف تأثيرا من تأثيرات السحر، مع إن البيان ليس بسحر، ولهذا يقول المصنف في مسائله: "السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة" [(٤)]. وليس المقصد أن يأخذ حكمه في الشرك، وإنما أراد أن يبين معاني السحر وتأثيراته، والأنواع التي وردت فيه، وتبيين ما هو منه، وما ليس منه، يقول الشيخ محمد بن عثيمين: "المؤلف كان حكيما في تعبيره بالترجمة، حيث قال: باب بيان شيء من أنواع

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٩) برقم: (٥١٤٦) (كتاب النكاح، باب الخطبة)عن ابن عمر، ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٢) برقم: (٨٦٩) (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة)من حديث عمار بن ياسر -رضي الله عنه- .

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٠)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ١٧٤)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٢١).

السحر، ولم يحكم عليها بشيء؛ لأن منها ما هو شرك، ومنها ما هو من كبائر الذنوب، ومنها دون ذلك، ومنها ما هو جائز على حسب ما يقصد به وعلى حسب تأثيره وآثاره" (١).

ثانيا: أورد المصنف هذا الحديث لأجل أن يحذر صاحب البيان والحجة من أن يتشبه بصفات السحرة؛ فمن سحر أعين الناس وعقولهم بكلامه، فقد شابه السحرة في سحرهم في التأثير لا الحكم، ففيه تحذير لصاحب البيان من استخدام بيانه في غير محله (٢)،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٢٨)

(٢) ولم نذكر هل البيان على سبيل الذم أو المدح؛ لأن هذا ليس محله، والمقصد إظهار مناسبة ذكره، ومن أراد الاستزاده، فلينظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨١٩-٨٢٠).

المبحث الثالث: باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب ما جاء في الكهان ونحوهم" (١)، ويحتوي على خمسة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في الكهان ونحوهم) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٢٢).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الكهان ونحوهم للباب السابق.

المصنف في هذا الباب يتكلم عن الكهان ونحوهم، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل هو الذي يخبر عما في الضمير، أما العراف: فهو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على ا لمسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وغيرها (١)، وعلاقة الكهانة بالتوحيد ظاهرة، فهي فيها ادعاء علم الغيب واستعانة بغير الله، ومن ادعى علم الغيب واستعان بغير الله فهو مشرك، وهذا ظاهر وبين، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله — بعد قوله: "باب ما جاء في الكهان ونحوهم" : "أي من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق. وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما، أو صدق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله. وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله" (٢).

وأتى المصنف بهذا الباب بعد الباب السابق لعدة أمور:

أولا: لأن هذا الباب فيه مشابهة بباب السحر في الاستعانة بالشياطين، فالساحر يستعين بالشياطين للتأثير على الناس، بالصرف أو العطف أو التفريق وغيرها، وهنا يستعين الكاهن بالشياطين لمعرفة ما سيقع ومكان الضالة والمسروق والمفقود ونحو ذلك،

ثانيا: أن فيه مشابهة للساحر من جهة ادعاء علم الغيب، ومعرفة الأسرار والمغيبات ليستعينوا بها فيما يخبروا به الناس أو يعملوه لهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله –:"

(١) كتاب التوحيد(ص:٢٢٥).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٠٠).

ولما ذكر المصنف شيئًا مما يتعلق بالسحر ذكر ما جاء في الكهان ونحوهم كالعراف لمشابهة هؤلاء للسحرة "(١)، ويوافق هذا القول هذه المناسبة وكذلك المناسبة التي قبلها، ففيهما الدلالة على مشابهة الكهان للسحرة، يقول الشيخ صالح الفوزان—حفظه الله-:" مناسبة هذا الباب لما قبله: أن ما قبله في بيان السحر وحكم الساحر، وبيان بعض أنواع السحر. وهذا في حكم الكُهّان، وذلك للتشابه بين الكُهّان والسحرة، لأن كلاًّ من السحر والكهانة عمل شيطاني يُنافي العقيدة ويضادّها "(٢)، ويقول الشيخ صالح آل الشيخ-حفظه الله-: "هذا الباب أتى بعد أبواب السحر" لأن حقيقة عمل الكاهن أنه يستخدم الجن لإخباره بالأمور المغيبة في الماضي، أو الأمور المغيبة في المستقبل التي لا يعلمها إلا الله-ﷻ-، فالكاهن يجتمع مع الساحر في أن كلا منهما يستخدم الجن لغرضه ويستمتع بالجن لغرضه"(٣).

ثالثا: أنه ذكر في" باب ما جاء في السحر "الجبت، وبينا أن من معانيه الكهان، وقد تقدم، فلما كان من معاني الجبت الكهان والسحر، ناسب أن يذكر المعنى الآخر من معاني الجبت، والذي له علاقة مشتركة مع السحر من عدة أمور تم بيانها في هذا المطلب، التي منها هذه العلاقة، فـ" القاسم المشترك بين السحر والكهانة أن كلاهما جبت "(٤).

رابعا: أنه لما ذكر الحديث الأخير من الباب الماضي:" إن من البيان لسحرا "، وبين أن منه ما هو مذموم يشبه السحر في الصرف والعطف في القول، بين هذا الباب باب الكهان، للدلالة على أن من أول من يستخدم هذا البيان المذموم هم الكهان، ومن الأدلة على استخدام الكهان للبيان حديث ابن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن" أن أبا هريرة قال: اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٢٣)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٦٦)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣١٧)

(٤) مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم:(١٨٦٠/٥).

الله -ﷺ -، فقضى رسول الله -ﷺ - "أن دية جنينها غرة، عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم" ، فقال حمل بن النابغة الهذلي: يارسول الله، كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما هذا من إخوان الكهان" من أجل سجعه الذي سجع "(١)، فناسب أن يذكر باب ما جاء في الكهان بعد الباب السابق (٢).

خامسا: أتى المصنف بهذا الباب ليبين خطر الإتيان إلى الكهان والعرافين، وأن من أتاهم وصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد -ﷺ -، فكأن المصنف رحمه الله يقول: إذا كان هذا حال الإتيان إلى الكهان والعرافين، فما بالك بمن يأتي السحرة ويطلب منهم الصرف والعطف والإفساد بين الناس والتفريق ونحو ذلك؛ فأتى بهذا الباب ليحذر ضمنا وزيادة على ما سبق من الإتيان إلى السحرة، فإن التحريم ينطبق عليهم من باب أولى وأقوى.

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

الأحاديث التي أوردها الشيخ - رحمه الله - تتكلم عن الكاهن والعراف، وعن التحذير من الإتيان إليهم، ومناسبة هذه الأحاديث كلها:

أولا: التحذير من الإتيان إلى الكاهن والعراف، والتشديد على ذلك، مما يدل على خطر فعله وجرمه، والفساد الحاصل بسببه، والأصل في العراف والكاهن أنه يدعي علم الغيب، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٣٥) برقم: (٥٧٥٨) (كتاب الطب، باب الكهانة)، ومسلم في "صحيحه" (٥ / ١١٠) برقم: (١٦٨١) (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني).

(٢) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم:(١٨٦٠/٥).

ادعى علم الغيب فقد نازع الله –جل وعلا- في صفة من صفاته، ومن نازع الله في شيء من خصائصه يكون كافرا [١].

ثانيا: أن التحذير منه وتنوع الوعيد والحكم في ذلك، هو فيمن أتى إلى الكاهن أو العراف، فما بالك بالعقاب المترتب على الكاهن والعراف نفسه، لا شك أنه يكفر؛ لادعائه علم الغيب؛ وللأحاديث الصريحة بكفر من يأتي إليهم ويصدقهم، وستأتي دلالة هذه المناسبة عند إيراد المناسبات على كل حديث.

ثالثا: أن الأحاديث فرقت بين الكاهن والعراف، مما يدل على أن لكل واحد معنى يختلف عن الآخر، لكن الحكم واحد كما في الأحاديث الواردة في هذا الباب، ولهذا قال المصنف –رحمه الله –:" السابعة: الفرق بين الكاهن والعراف "[٢].

أما مناسبة الأدلة للباب فمما يأتي:

- **قال المصنف رحمه الله" روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوما"** [٣]. [٤]

فمناسبة هذا الحديث للباب تتجلى من عدة أمور:

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله الغنيمان:(٦٣٧/١).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٦)

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٣٧) برقم: (٢٢٣٠) (كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان)، وليس فيه "فصدقه"، لكنها من رواية أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٦٥٦) برقم: (١٦٩٠٦) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم). وصححه الألباني في السلسلة(١١٥٥/٧).

(٤)كتاب التوحيد (ص: ٢٢٢).

أولا: دل الحديث على أن الإتيان إلى العراف وسـؤاله، لم تقبل لصـاحبه صـلاة أربعين يوما، ورواية مسـلم المثبتة في صـحيحه ليس فيها "فصـدقه" ، مما يدل على عدم قبول صـلاة أربعين يوما لمن أتى إلى العراف، وهذا يدل على الوعيد الشديد.

ثانيا: أن العقوبة على من يأتي ولا يصـدق، فكيف بالعراف نفسـه، وهو الذي يزعم أنه صـادق ويدعوا لذلك، قال الشـيخ سـليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول" [1].

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "[2]. رواه أبو داود" [3]**

مناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: دل الحديث على كفر من أتى الكاهن وصدقه بما يقول؛ لأن من صدقه فقد صدقه في اعاء علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله.

ثانيا: دل الحديث بطريق اللازم على كفر الكهان والكهانة [4]، فإذا كان من أتاه وصدقه بما يقول يكفر، فلا شـك أن المأتي إليه كافر أيضـا، ولأجل ما يتعلمونه من الكهانة التي تعتمد على وسائل شركية.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/٨٢٥).

(٢) أخرجه ابن الجارود في "المنتقى" (١ / ٤٦) برقم: (١١٧) (باب الحيض،)،والنسائي في "الكبرى" (٨ / ٢٠١) برقم: (٨٩٦٨) (كتاب عشرة النساء، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة في ذلك)، وأبو داود في "سننه" (٤ / ٢١) برقم: (٣٩٠٤) (كتاب الكهانة والتطير، باب في الكهان) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٣٠).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٢)

(٤) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٤٠).

فإذا كان هذا الوعيد فيمن أتى الكاهن، فما بالك بالكاهن، لا شـــك أنه أشـــد كفرا وعقوبة.

- **وقال المصنف رحمه الله "وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن ––[1]" من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "[2]. ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا[3]"[4].**

ومناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن العراف والكاهن هم ســـواء في الحكم والعقوبة، وكذلك من أتاهم، فإنه كافر، يقول الشـيخ عثمان بن منصـور–رحمه الله –: "فالحديث يشـتمل على النهي عن إتيان العراف

(١) ذكر الشيخ دغش بن شبيب محقق كتاب التوحيد أن الشيخ سليمان بن عبد الله ذكر أن المؤلف بيض لاسم الراوي، ثم أخبر أن الشيخ سليمان – رحمه الله –كتب بهامش الأصل أن الراوي هو أبو هريرة – رضي الله عنه – وهو كما قال، انظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (٢/٨٣٠)، كلام المحقق دغش بن شبيب في كتاب التوحيد (ص: ٢٢٣).

(٢) أخرجه: الحاكم في "مستدركه" (١ / ٨) برقم: (١٥) (كِتَابُ الْإِيمَانِ، التشديد في إتيان الكاهن وتصديقه) والبيهقي في "سننه الكبير"، (٨ / ١٣٥) برقم: (١٦٥٩٢) (كتاب القسامة، بَابُ تَكْفِيرِ السَّاحِرِ وَقَتْلِهِ إِنْ كَانَ مَا يَسْحَرُ بِهِ كَلَامَ كُفْرٍ صَرِيحٍ) وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٩٩٦) برقم: (٩٦٦٧) (مسند أبي هريرة رضي الله عنه،)،من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه –، وصححه الحاكم.

(٣) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (٨ / ١٣٦) برقم: (١٦٥٩٣) (كتاب القسامة، باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح) والطيالسي في "مسنده" (١ / ٣٠٠) برقم: (٣٨١) (ما أسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه،) وأبو يعلى في "مسنده" (٩ / ٢٨٠) برقم: (٥٤٠٨) (مسند عبد الله بن مسعود)، وقال ابن الهيثمي:" ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يريم وهو ثقة".مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١١٨).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٣)

والكاهن والمنجم والرمال، وعن الرجوع إلى قولهم، وتصديقهم على ما يدعونه من هذه الأمور، وذلك كله قادح في التوحيد وهو بصاحبه كفر" (١).

ثانيا: أتى المصنف بهذه الرواية مع أن الرواية السابقة مشابهة لها، وذلك لأمرين:

١- أن الحديثين السابقين، الأول كان عن العراف، والثاني عن الكاهن، وأتى بهذا الحديث الجامع للعراف والكاهن من حيث العقوبة، وكأن المصنف رحمه الله أتى بهذا الدليل ليستدل عليه بما ورد في الحديث الأول، من أن من أتى العراف أنه يكفر، والله أعلم.

٢- أتى المصنف بهذا الحديث، ليدعم الأحاديث السابقة، ويؤكدها، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "وجاء المؤلف بهذا الحديث مع أن الأول والثاني مغنيان عنه؛ لأن كثرة الأدلة مما يقوي المدلول، أرأيت لو أن رجلا أخبرك بخبر فوثقت به، ثم جاء آخر وأخبرك به ازددت توثقا وقوة، ولهذا فرق الشارع بين أن يأتي الإنسان بشاهد واحد أو شاهدين" (٢).

ثالثا: أن هذا الحديث والذي قبله وكذلك الذي بعده، فيه دليل على عدم اجتماع الكهانة والعرافة مع الإيمان بالقرآن، ولهذا قال في هذه الأحاديث: "فقد كفر بما أنزل على محمد" ، وقد ذكر هذه المناسبة المصنف رحمه الله في مسائله فقال: "الأولى: أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن" (٣).

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن عمران بن حصين مرفوعا:" ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سَحَرَ أو سُحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ". (٤) رواه البزار بإسناد**

---

(١) فتح الحميد (١١٤٧/٣).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٤١)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٢٦)

(٤) أخرجه البزار في "مسنده" (٩ / ٥٢) برقم: (٣٥٧٨) (مسند عمران بن حصين)وقال ابن الهيثمي:" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" (٥/ ١١٧):"ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة".

جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله:" ومن أتى "إلى آخره [١]، قال البغوي: (العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك). وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. قال أبو العباس ابن تيمية: (العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق)" [٢].

مناسبة هذا الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أتى المصنف بهذا الحديث، وفيه: "من أتى كاهنا..." مع أن ما سبق يغني عنه؛ ليدعم الأحاديث السابقة، ويؤكدها، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "وجاء المؤلف بهذا الحديث مع أن الأول والثاني مغنيان عنه؛ لأن كثرة الأدلة مما يقوي المدلول، أرأيت لو أن رجلا أخبرك بخبر فوثقت به، ثم جاء آخر وأخبرك به ازددت توثقا وقوة، ولهذا فرق الشارع بين أن يأتي الإنسان بشاهد واحد أو شاهدين" [٣]، وهذا هو الشاهد من الحديث.

ثانيا: أن فيه قوله: "أو تكهن أو تكهن له" ، وهذا رتب عليه العقوبة بقوله: "ليس منا" ، مما يدل على جرم فعله، والتكهن، قال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله: "قوله:" تكهن "، يعني فعل الكهانة ولو لم يكن محسنا لها" [٤]، وهذا يدل على خطر الكهانة وتعلمها.

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١١ / ٤٠٣) برقم: (٤٢٦) (من اسمه عبد الله، سلمة بن وهرام اليماني عن عكرمة)، والطبراني في "الأوسط" (٤ / ٣٠١) برقم: (٤٢٦٢) (باب العين، العباس بن حماد بن فضالة البصري) وقال بن الهيثمي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١١٧):" وفيه زمعة بن صالح، وهو ضعيف".

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٤)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٤١)

(٤) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١/٦٤٦).

وكذلك قوله: "تكهن له" ، أي أمر من يتكهن له، فيصدقه بما يقول، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "كالذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه" (١).

ثالثا: أن فيه براءة النبي صلى الله عليه وسلم ممن يتطير أو يتطير له أو يتكهن أو يتكهن له...، وأنه ليس من قومه الذين هم على طريقته ومنهجه وشرعته، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله-: "فيه دلالة واضحة على براءة الرسول عليه الصلاة والسلام ممن تطير يعني باشر عمل الطيرة بنفسه أو تطير له أي قبل أن تعمل الطيرة من أجله... أو تكهن يعني باشر عمل الكهانة بنفسه أو تكهن له أي قبل أن تعمل الكهانة من أجله..." (٢).

- **وقال المصنف رحمه الله "وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم:" ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق "**(٣)، (٤).

ذكر المصنف هذا الأثر؛ ليبين أن هذه—طريقة ادعاء علم الغيب بأبي جاد (٥) -، طريقة من طرق الكهانة، وهم أولئك الذين يتعلمون أبا جاد ويكتبونها ويدعون من خلالها الغيب، فهؤلاء هم الذين يدخلون في النهي، فهم يتعلمونها ويتعلمون طريقة كتابتها لأجل ادعاء علم

---

(١)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٩٧).

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ١٧٥).

(٣) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (٨ / ١٣٩) برقم: (١٦٦١٠) (كتاب القسامة، باب ما جاء في كراهية اقتباس علم النجوم)، وعبد الرزاق في "مصنفه" (١١ / ٢٦) برقم: (١٩٨٠٥) (كتاب الجامع، باب الشهادة وغيرها والفخذ)، وضعفه الشيخ سليمان بن عبد الله، انظر: تيسير العزيز الحميد (٨٤١/٢).

(٤)كتاب التوحيد (ص: ٢٢٥).

(٥) يقول الشيخ صالح الفوزان —حفظه الله-:" (أبا جاد) المراد بها: حروف الجمل، التي هي: (أبجد، هوز، حطي، كلمن) إلى آخره، وهي حروف مقطعة يكتبونها لتمييز الجمل، والمشعوذ إذا كتب هذه الحروف قال: يحدث كذا ويكون كذا. وهذه في الحقيقة طلاسم". إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٧٥)

الغيب، أما يتعلمها للحســـاب والتهجي فقد ذكر الشـــيخ ســـليمان بن عبد الله أنه لا بأس بذلك[1]، وقد أشار المصنف إلى ذلك بقوله:" السادسة: تعلم "أبا جاد" "[2].

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد:(٨٤٢/٢).

(٢) كتاب التوحيد:(ص:٢٢٦).

المبحث الرابع: باب ما جاء في النشرة.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب ما جاء النشرة "[1]، ويحتوي على حديث، وثلاثة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في النشرة) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٢٧).

المطلب الأول: **مناسبة باب ما جاء في النشرة للباب السابق**.

أتى المصنف بهذا الباب:" باب ما جاء في النشرة من النهي والتفصيل فيها، وقد بين المصنف رحمه الله ما هي النشرة وما حكمها، وقد أتى المصنف بها بعد أبواب السحر والكهانة لعدة أمور:

أولا: أتى بها المصنف بعد السحر والكهانة، لأن من النشرة ما يكون فيها استعانة بالشياطين فتكون مضادة للتوحيد، ومنها ما لا تكون كذلك، فأوردها هنا ليزيل اللبس والإشكال الذي فيها ويخرج ما هو جائز منها من السحر وأحكامه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "لما ذكر المصنف حكم السحرة والكهانة ذكر ما جاء في النشرة، لأنها قد تكون من قبل الشياطين والسحرة، فتكون مضادة للتوحيد، وقد تكون مباحة، كما سيأتي تفصيله" (١).

ثانيا: لأن الناس كثير من الناس يبتلون في السحر، فيحتاج إلى أن يزيل عنه السحر، فأتى بهذا الباب ليبين الحلال من الحرام في ذلك، يقول الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-: "وهذا في غاية المناسبة؛ لأن النّاس في حاجة إلى معرفة ذلك، لأن السحر موجود، ومن النّاس من يُبتلى به ويقع عليه السحر ويتضرّر به، والله تعالى ما أنزل داء إلاَّ أنزل له شفاء، علِمه مَنْ علِمه وجهله مَن جهِله، فلابد أن نعرف ما هو الدواء الصحيح للسحر، الدواء الذي لا يمس العقيدة، ونعرف- أيضاً ما يخالف العقيدة فنتجنّبه، وأيضاً: هناك من السحرة من يقول للناس: أنا أُعالج السحر، وأنا.. وأنا؛ فهذا أمرٌ واقع لابد من معرفته وبيان حكمه للناس" (٢).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٤٤)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٧٧)

ثالثا: أراد المصنف أن يبين أنه كما أن السحر شرك بالله -جل وعلا-، وهي منافية للتوحيد، وكذلك الساحر مشرك بالله تعالى يستحق القتل، فكذلك النشرة إذا كانت من الساحر؛ لأن كثيرا ممن يستعملون النشرة يشركون بالله -جل وعلا-(١).

وقد ذكر صاحب كتاب مغني المريد: أن الأولى أن يجعل المصنف هذا الباب قبل باب الكهانة؛ وذلك لعلاقته بالسحر، فهو أليق وألصق به، فكان الأولى أن يذكر السحر وشيء من أنواعه، ثم يذكر حل السحر عن الساحر، وهي النشرة لأنه متعلقة بالسحر وأنواعه، ثم يذكر بعد ذلك الكهانة (٢)، والذي يظهر أن المصنف رحمه الله أخره لأجل أن يبين كفر من أتى الكاهن أو العراف، وقد بيَّنَّا فيما سبق حديث من أتى الكاهن فصدقه فإنه كفر بما أنزل على محمد؛ فما بالك بالإتيان إلى السحرة وتصديقهم، فلما كانت هذه المناسبة، فكأن المصنف يبين أنه إذا أُتِي الساحر وأثر في المسحور، فإن المسحور يحتاج إلى أن يفك السحر عنه؛ فأتى بهذا الباب ليبين الطريقة التي يجوز فك السحر عن الساحر، فالمصنف بين السحر وحكمه، وأنواعه وفرق بينها، وحذر من الإتيان إلى السحرة ثم بين بعد ذلك طريقة فك السحر الممنوع منها والجائز، والله أعلم.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

تكلم المصنف رحمه الله عن النشرة وبين حكمها وفصل فيها، والنشرة يقول ابن الأثير رحمه الله في تعريفها: "ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء: أي يكشف ويزال" (٣).

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٥)

(٢) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٥/١٩٠٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٥٤).

- **قال المصنف رحمه الله "عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم" سئل عن النشرة؟ فقال: هي من عمل الشيطان "[١]. رواه أحمد بسند جيد وأبو داوود وقال:" سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله "[٢]" [٣].**

مناسبة هذا الحديث للباب يتجلى من عدة أمور:

الأول: لكي يحذر الناس ويبين لهم حقيقة هذه النشرة التي هي حل السحر بسحر مثله، وأنها من عمل الشيطان، وما بني على باطل فهو باطل.

الثاني: أتى بهذا الحديث لكي يبين أن النشرة محرمة؛ لأنه ذكر أنها من عمل الشيطان، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على تحريم النشرة"[٤].

- **وقال المصنف رحمه الله "وللبخاري عن قتادة" قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه "[٥] [٦]. انتهى.**

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٥) برقم: (٣٨٦٨) (كتاب الطب، باب في النشرة) والبيهقي في "سننه الكبير" (٩ / ٣٥١) برقم: (١٩٦٧٤) (كتاب الضحايا، باب النشرة) وأحمد في "مسنده" (٦ / ٢٩٩٥) برقم: (١٤٣٥١) (مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٦١٢).

(٢) ذكره ابن مفلح في "الآداب الشرعية" (٣/ ٧٧).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٧)

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٤٦)

(٥) رواه البخاري معلقا في "صحيحه" (٤ / ١٠١) برقم: (٣١٧٥) (كتاب الجزية، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر)، ووصله ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٢ / ٦٥) برقم: (٢٣٩٨٩) (كتاب الطب، في الرجل يسحر ويسم ويعالج)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٦١٤).

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٧)

مناسبة هذا الأثر للباب من عدة أمور:

أولا: أن ابن المسيب يرى جواز حل السحر عن المسحور، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب: حيث أفاد الأثر أن سعيد بن المسيب يرى جواز حل السحر عن المسحور"(١).

ثانيا: أتى بهذا الأثر؛ بسبب أن كثيرا ممن يجوز حل السحر بسحر مثله يستدل بهذا الأثر؛ فأتى به المصنف ليوضح الدليل الذي تمسك به من يرى الجواز، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وهذا الكلام من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم هل هو نوع من السحر أم لا؟ فأما أن يكون ابن المسيب يفتي بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله ليعمل السحر، فلا يظن به ذلك، حاشاه منه، ويدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح، فأي إصلاح في السحر؟! بل كله فساد وكفر والله أعلم "(٢)، وسيأتي توضيح ذلك عند ذكر المصنف رحمه الله لكلام ابن القيم -رحمه الله-.

- **وقال المصنف رحمه الله" وروي عن الحسن أنه قال: "لا يحل السحر إلا ساحر"**(٣) (٤).

هذا الأثر ذكره المصنف ليبين، كراهة الحسن للنشرة، وأن المعروف عندهم هو حل السحر بسحر مثله، ولهذا وقع التحريم، فهذا الأثر يدعم قول من قال بتحريم النشرة كابن مسعود وغيره، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الأثر للباب: حيث دل الأثر أن الحسن

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٤٧)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٤٨)

(٣) رواه الطبري في التهذيب كما في فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٣٣)، ورواه الحافظ وصححه، في تغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٨)

-رحمه الله - يرى أن حل السحر عن المسحور حرام، وأن فاعله ساحر" [١]، فيدل قول الحسن على أن من يحل السحر في وقته هم السحرة؛ لأنه يقوم بفك ما يعرف عقده وربطه وكلامه، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -رحمه الله -: "ومعنى ذلك أنه لا يجوز أن يذهب إلى الساحر ليحل السحر، وسبق قوله:" ليس منا من سحر أو سحر له "، فالذي يذهب إلى الساحر معناه أنه يسحر له، يعني يدخل في هذا، وإن كان يريد إزالة السحر عن نفسه، ولكنه بسحر" [٢]، ومما سبق من أدلة التحريم والنهي هو الذي أراده المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال: "الأولى: النهي عن النشرة" [٣].

- **وقال المصنف رحمه الله "قال ابن القيم:" النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز** "[٤] [٥].

أتى المصنف بهذا الكلام لابن القيم رحمه الله والذي يريد منه رحمه الله التفصيل الموجز والخلاصة لكل ما سبق من الأدلة، التي منها إما تحريم أو جواز النشرة، فكأن المصنف أراد أن يضع قاعدة في هذا الباب ويزيل الإشكال والخلاف بين من حرم وأجاز النشرة، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -:" هذا الثاني هو الذي يحمل عليه كلام ابن المسيب، أو على نوع لا يدرى هل هو من السحر أم لا؟ وكذلك ما روي عن الإمام أحمد من إجازة النشرة، فإنه

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٤٨)

(٢) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٢/٦٥٥).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٨)

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٣٠١).

(٥) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٨)

محمول على ذلك وغلط من ظن أنه أجاز النشرة السحرية، وليس في كلامه ما يدل على ذلك "[١]، ثم ساق رحمه الله ما يدل على هذا التقسيم ويقويه من كلام ابن المسيب وغيره، ويؤخذ من كلام صاحب التيسير أيضا: أن النوع الذي لا يدرى هل هو من السحر أم لا أنه داخل في التحريم أيضا، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" يمكن اعتبار تقسيم ابن القيم هذا ملخصا للباب كله، وهو الذي تؤيده الأدلة "[٢]، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال:" الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال "[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٤٩)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٤٩)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٨)

المبحث الخامس: **باب ما جاء في التطير**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب ما جاء في التطير "[1]، ويحتوي على آيتين، وستة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في التطير) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٢٩).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في التطير للباب السابق.

افتتح المصـــنف رحمه الله بهذه الترجمة، فقال:" باب ما جاء في التطير "أي ما جاء في الطيرة من أحكام وتفصيلات، والطيرة يقول فيها ابن الأثير -رحمه الله-:" الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء... وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبره أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر "(١)"

وأما مناسبة الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم في الأبواب السابقة عن السحر والكهانة وما يتعلق بهما، تكلم هنا أيضا عن الطيرة، لأن هذه الأبواب تجتمع في كونها كلها منافية للتوحيد، أو لكماله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "ولما كانت الطيرة بابًا من الشرك منافيًا للتوحيد أو لكماله، لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكره المصنف في كتاب" التوحيد "تحذيرًا منها وإرشادًا إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله" (٢).

ثانيا: لما تكلم في الباب قبل السابق عن الكهانة، وهي تحاكم إلى الإنس، أتى بهذا الباب لأن فيه تحاكم؛ لكنه تحاكم إلى الطير، ولهذا أتى بها هنا (٣)، وقد تدرج المصنف رحمه الله في ذكر هذه الأبواب فبدأ بالسحر وأنواعه على سبيل العموم وتأثيره، ثم انتقل إلى من يؤثر ويؤخذ بكلامه من أهل الأرض، وهو الكهانة، والسبيل إلى دفعه وعلاجه هو والسحر، ثم إلى المؤثر الآخر، الأعلى منه في الجهة والأرفع وهو الطير، وسيأتينا في الباب الذي بعده انتقاله إلى مكان أعلى منهما، وهي النجوم، وهذا يدل على أن الإنسان يتشبث ما يجده ويعتقده ويؤثر

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٥٤)

(٣) مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (١٩٣٧/٥).

به فيصدقه، سواء أكان في الأرض أم في السماء أم بينهما، فقطع المصنف الطريق عليهم، وأوضح الشرك من جميع جوانبه واتجاهاته ومصادره، وحذر منه.

ثالثا: لما تكلم المصنف رحمه الله عن الأمور التي ضررها في الغالب يتعدى إلى الغير، وهي السحر والكهانة، أتى بهذا الباب والذي ضرره غالبا ما ينحصر على فاعله، والله أعلم.

رابعا: أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب بعد باب السحر وشيء من أنواعه والكهانة وهي نوع من أنواع السحر، أتى بهذا الباب أيضا والتي هي نوع آخر من أنواع الشرك كما سبق بيانه في المبحث الثاني من هذا الفصل، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "هذا" باب ما جاء في التطير "سبق بيان أن الطيرة من أنواع السحر، ولهذا جاء المؤلف -رحمه الله- بهذا الباب بعد الأبواب المتعلقة بالسحر؛ لأنها من أنواعه بنص الحديث" (1)، ويقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- مبينا مناسبة هذا الباب لما قبله: "ومناسبة هذا الباب لِمَا قبله: أنّ فيه بيان نوع من أنواع الشرك والاعتقاد الباطل المخِلُّ بالتّوحيد، وكأن الشيخ رحمه الله يذكُر في هذا الكتاب حقيقة التّوحيد وما يناقضه أو ينقِّصه من العقائد والأقوال والأفعال الباطلة، ومن ذلك: التطيُّر"(2).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ (3)، وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم

(1) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: 335)

(2) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (2/ 5)

(3) سورة الأعراف: 131.

مَّعَكُمْ﴾ (١). **الآية**" (٢).

ذكر المصنف رحمه الله هاتين الآيتين المتعلقتين بالطيرة، فقد ذكر الله قصة أصحابها، وتشاؤمهم ورد -سبحانه- عليهم، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الأولى: "﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ أي: من الخصب والرزق ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: هذا لنا بما نستحقه: ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: جدب وقحط ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ أي: هذا بسببهم وما جاؤوا به، ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يقول: مصائبهم عند الله، قال الله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، وقال ابن جريج، عن ابن عباس قال: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال: إلا من قبل الله" (٣).

وأما الآية الأخرى فيقول الإمام الطبري -رحمه الله-: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (٤)، يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ﴾ يعنون: إنا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم... وقوله﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ يقول: لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا

---

(١) سورة يس:١٩.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٢٩)

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦١)

(٤) سورة يس:١٨.

لنرجمنكم، قيل: عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة.... القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ (١)... الآية، يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُم﴾ يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم، وسبق لكم من الله." (٢).

إذا تبين معنى الآيتين فمناسبة الآيتين للباب من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله أراد أن يبين أن التطير من عمل الجاهلية، وأن الله -جل وعلا- لم يذكره في القرآن إلا على سبيل الذم، وقد ذمهم الله -جل وعلا- به ومقتهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "ومطابقة الآيتين لمقصود الباب ظاهر، لأن الله تعالى لم يذكر التطير إلا عن أعدائه، فهو من أمر الجاهلية، لا من أمر الإسلام" (٣)، فالطيرة "ليست من خصال أتباع الرسل، وأما أتباع الرسل فإنهم يعلقون ذلك بما عند الله من القضاء والقدر، أو بما جعله الله -جل وعلا- لهم من ثواب أعمالهم أو العقاب على أعمالهم" (٤).

ثانيا: لما تبين من الآية أن الطيرة من عمل الجاهلية وأن الله -جل وعلا- أتى بها على سبيل الذم؛ تبين لنا مناسبة أخرى وهي أن الطيرة محرمة، فالآية دلت على حكم الطيرة، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على تحريم التطير... دلت الآية على أن التطير شرك؛ لأنه تعليق للقلب بغير الله وإثبات سبب دون الله" (٥).

---

(١) سورة يس:١٩.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٥٠٢-٥٠٣)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٥٩)، وانظر: حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢١٤).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٣٧- ٣٣٨).

(٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٥١)

ثالثا: أتى المصنف بهاتين الآيتين؛ ليبين العلاقة بينهما وهو أن كل أمر يكون فإنما هو بقضاء الله وقدره، وهذا الذي تبينه الآية الأولى، وكذلك فإن أعمالكم وما يحصل لكم من الخير والشر إنما هو معكم وهو في أعناقكم، وليس من شؤمنا، فإنه كتب لكم وسبق ذلك في علم الله تعالى، وهذا وجه إيراد المصنف لهاتين الآيتين، فالأمر من عند الله، وبقضائه وقدره، ثم إن الأعمال يحاسب عليها كل إنسان بما عمله ولا يحل أحد وزر غيره، فإن كل ذلك من أمور الغيب وعلمها عند الله تعالى ولا يدل لها شؤمكم وما يحدث في أحوالكم وشؤونكم، ولهذا أتى المصنف بهاتين الآيتين ليبين وجه العلاقة بينهما وعلاقتهما مع الباب، ولهذا قال المصنف في مسائله: "الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [1]، مع قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾" [2].

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا عدوى ولا طيرة ولا هامة [3] ولا صفر [4] "أخرجاه. زاد**

(١) سورة الأعراف: ١٣١.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٣).

(٣) قال ابن الأثير في " النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٣):"الهامة: الرأس، واسم طائر. وهو المراد في الحديث. وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها. وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة، وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة، فتقول: اسقوني، فإذا أدرك بثاره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه، تصير هامة فتطير، ويسمونه الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه.".

(٤) قال ابن الأثير في" النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥):"كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي، فأبطل الإسلام ذلك. وقيل أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو تأخير المحرم إلى صفر، ويجعلون صفر هو الشهر الحرام، فأبطله"، وقد روى أبو داود في "سننه" (٤ / ٢٦) برقم: (٣٩١٦) (كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة) من

مسلم:" ولا نوء (١)**، ولا غول** (٢) "(٣). (٤)

هذا الحديث صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الطيرة فيه، وبينها فمناسبة ذكر المصنف رحمه الله لهذا الحديث من عدة أمور:

أولا: أن فيه قوله:" ولا طيرة "، وهذا يؤخذ منه نفي الطيرة، والنفي أعم من النهي كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله فقال:" وهذا يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون نهيا أى لا تطيروا ولكن قوله في الحديث ولا عدوى ولا صفر ولا هامة يدل على أن المراد النفى وإبطال

حديث بقية قال:" قال: قلت لمحمد بن راشد: قوله: هام قال: كانت الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة قلت: فقوله: صفر قال: سمعنا أن أهل الجاهلية يستشئمون بصفر فقال النبي -ﷺ-: لا صفر . قال محمد: وقد سمعنا من يقول: هو وجع يأخذ في البطن، فكانوا يقولون: هو يعدي فقال: لا صفر".

(١) قال أبو عبيدة في كتابه "غريب الحديث" (٣/ ٣٢٠-٣٢١):"وأما الأنواء فإنها ثمانيةٌ وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلةً نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلومٌ مسمى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة، فكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجمٌ؛ وطلع آخر، قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطرٌ ورياحٌ، فينسبون كل غيث يكون عند ذاك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذٍ، فيقولون: مُطرنا بنوء الثريا، والدبران والسماك، وما كان من هذه النجوم، فعلى هذا فهذه هي الأنواء".

(٢) قال ابن الأثير في " النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦)"الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا: أي تتلون تلونا في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله."

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٢٨) برقم: (٥٧١٧) (كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٣٠) برقم: (٢٢٢٠) (كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٠)

هذه الأمور التى كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهى لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهى إنما يدل على المنع منه... "[١]، وهذا هو الذي أراده المصنف رحمه الله من إيراده لهذا الحديث؛ حيث يقول في مائله:" الثالثة: نفي الطيرة "[٢]، فالحديث فيه دلالة على النهي عن الطيرة وتحريمها، وكذلك نفي تأثيرها.

ثانيا: لما ذكر المصنف أنها لا تأثير فيها، دل ذلك على إبطال التطير؛ لأنه تعليق للقلب بغير الله وهذا شرك به –سبحانه–[٣]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله–رحمه الله –:" فأوضح صلى الله عليه وسلم لأمته الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله ونزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع صلى الله عليه وسلم علق الشرك من قلوبهم، لئلا يبقى فيها علق منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة "[٤].

ثالثا: أن في هذا الحديث التصريح بنفي التطير، وكذلك نفي الهامة، والغول، وصفر؛ أي نفي التشاؤم بهذه الأشياء، وهذه الأشياء إنما هي من معاني التطير؛ فكانوا يتشاءمون بها ويرجعون عن حاجاتهم بسببها.

- **وقال المصنف رحمه الله" ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة**

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤)

(٢) كتاب التوحيد:(ص:٢٣٣).

(٣) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٥٥).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٦٦)

الطيبة[1]" [2] ".

هذا الحديث إضافة لما فيه من معاني ومناسبات الحديث السابق، فإن مناسبته الأخرى للباب هي: أن النبي صلى الله عليه وسلم بين في هذا الحديث نوع من أنواع الطيرة الممدوحة والمندوبة، وهي الفأل، فأخرجها من الطيرة المحرمة، وسماها فألا، يقول ابن الأثير -رحمه الله-:" الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر... وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر، وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام... "[3]، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله:" السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب "[4]، فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها، بل إنها تسر السامع وتبهجه، ولهذا فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها الكلمة الطيبة، وهذا هو تفسير الفأل الذي أراده المصنف -رحمه الله- في مسائله [5].

- **وقال المصنف رحمه الله" ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: "ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحسنها الفأل ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا**

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٣٩) برقم: (٥٧٧٦) (كتاب الطب، باب لا عدوى) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٣٣) برقم: (٢٢٢٤) (كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٠)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٠٥-٤٠٦)

(٤) كتاب التوحيد:(ص:٢٣٣).

(٥) انظر: كتاب التوحيد:(ص:٢٣٣)، قوله:"المسألة السابعة: تفسير الفأل"

يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك" (١) (٢) (٣).

لما تكلم المصـــنف رحمه الله عن الطيرة ونفي تأثيرها، وبين ما هو المندوب منها والذي أخرجها من الطيرة، وهو الفأل، ذكر رحمه الله هذا الحديث ضمن هذا الباب أيضا لعدة أمور:

أولا: أنه أكد في هذا الحديث ما ذكره في الحديث السابق؛ من أن أحسن الطيرة الفأل، وزاد على ذلك أن الطيرة لا ترد مســلما، بل حتى الفأل لا يرد المســلم؛ بل يجعله يقدم على طلبته، بتوكل على الله -جل وعلا-، يقول الشيخ علي بن سلطان القاري(٤) -رحمه الله-: "(ولا ترد) أي: الطيرة (مسـلما) والجملة عاطفة، أو حالية، والمعنى أن أحسـن الطيرة ما يشـابه الفأل المندوب إليه، ومع ذلك لا تمنع الطيرة مسـلما عن المضـي في حاجته، فإن ذلك ليس من شـأن المسـلم الكامل، بل شـأنه أن يتوكل على الله في جميع أموره، ويمضـي في سـبيله بنوره على غاية حضوره، ونهاية سروره" (٥)، فكما أن الفأل أحسن الطيرة، بل مندوب إليها وأفضلها، فإنها لا ترد المسـلم ولا تقعده، وهذه الزيادة تفيد بأن المسـلم لا ينتظر الفأل حتى يقدم؛ بل إنه يمضـي قدما، وإن أتاه الفأل فهو حسن وجميل.

ثانيا: أن فيه فائدة أخرى لقوله: "ولا ترد مسلما" ، وهو أنه تحذير ووعيد بالتعريض بأن غير المؤمن هو الذي ترده الطيرة، قال الحسـين الطيبي -رحمه الله-: "وقوله: ((لا يرد المســلم))

---

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع،

(٢) روي من طريق عروة بن عامر ولم اجده من طريق عقبة. لكن أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٢٧) برقم: (٣٩١٩) (كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٣ / ٤٤٧) برقم: (٢٦٩٢٠) (كتاب الأدب، ما قالوا في الطيرة)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٠)

(٤) علي بن سلطان القاري الاذرعي – أبو الحسن، ضياء الدين: قاض، من فضلاء الشافعية، ولد بنابلس سنة ٦٥٧، وتنقل في قضاء النواحي نحو ستين عاما، وحكم بدمشق نيابة عن القونوي، له نظم كثير، ستة عشر ألف بيت، توفي بالرملة (بفلسطين) سنة ٧٣١ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٩١).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٠٢).

تعريض بأن الكافر بخلافه" [١]، وهذا تحذير من الوقوع بصفة من صفات الكفار فيتشبه بهم، فيؤول به الأمر إلى أن يصير كافرا مشركا، والعياذ بالله.

ثالثا: أن هذا الحديث فيه الإرشاد والتوجيه عند رؤية الإنسان ما يكره، فإنه أرشد إلى الدعاء الذي هو غاية التوكل على الله -جل وعلا-، يقول الحسين الطيبي -رحمه الله-: "وإيراد الدعاء في صورة الحصر تصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، ويعد من يعتقدها سفيها مشركا" [٢]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وهذا دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة" [٣].

- **قال المصنف رحمه الله "وعن ابن مسعود مرفوعا:" الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا... ولكن الله يذهبه بالتوكل ". رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود[٤]"** [٥].

ذكر المصنف رحمه الله حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، الذي فيه من الأحكام والفوائد والمناسبات على ما سبق، وهي ما يأتي:

أولا: أن المصنف ذكر هذا الحديث والذي فيه التصريح بكون الطيرة من الشرك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله:" الطيرة شرك "، صريح في تحريم الطيرة، وأنها من

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٩/ ٢٩٨٧).

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٩/ ٢٩٨٧)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٨٥)

(٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٢٤) برقم: (٣٩١٠) (كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة) والترمذي في "جامعه" (٣ / ٢٥٨) برقم: (١٦١٤) (أبواب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء في الطيرة) صححه الحاكم،والترمذي،والألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٩٢)

(٥) كتاب التوحيد: (ص: ٢٣١).

الشـــرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله" [1]، فقد دل الحديث على حكم الطيرة وأنها شـرك، بل إنه كرر هذه الجملة للتأكيد على دخول الطيرة في الشـرك، ولهذا قال المصـنف رحمه الله في مسائله: "العاشرة: التصريح بأن الطيرة من الشرك" [2].

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين في الحديث السابق، أن القلب قد يتحدث بالطيرة؛ فإذا تحدث قلب الإنســان بها، وكان ممزوجا بكراهتها، ثم أذهب ما في قلبه بالتوكل فإن هذا لا يضـره، وهذا يشـهد له أثر عقبة السـابق، وأثر ابن مسـعود الحالي، ففي الأثر السـابق بيان أن قلب المسـلم يكره الطيرة والحديث بها، فقال: "فإذا رأى أحدكم ما يكره" ، وأنه يأتيه مثل هذا الحديث لا محالة لقوله في هذا الأثر: "وما منا إلا" أي وما منا إلا وقد وقع في قلبه شـــيء من ذلك [3]، وكذلك في أثر عقبة الدعاء الذي فيه إشارة إلى معنى التوكل بالله -جل وعلا-، وأما في هذا الأثر فإن فيه التصـــريح بلفظ التوكل، أي بأن الله -جل وعلا- يذهب ما في القلب بالتوكل عليه —سـبحانه- وعدم الالتفات إلى ما وقع في قلبه، وقد أشـار المصـنف رحمه الله إلى هذه المناســبة، فقال: "الثامنة: أن الواقع في القلب من ذلك مع كراهته، لا يضـــر بل يذهبه التوكل" [4].

ثالثا: أشـار إلى الدواء الشـافي من داء الطيرة وهو التوكل، يقول الشيخ صـالح الفوزان – رحمه الله -: "فهذا إشارةٌ إلى ما تُعالجَ به الطيَرة أيضاً وهو: التوكُّل على الله سبحانه" [5].

- **وقال المصنف رحمه الله "ولأحمد من حديث ابن عمرو:" من ردته الطيرة عن**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٨٧)

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ٢٣٤).

(٣) انظر: الترغيب والترهيب، للمنذري (٤/ ٣٣).

(٤) كتاب التوحيد: (ص:٢٣٤).

(٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٣)، وانظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٦٢)

حاجته فقد أشرك. قالوا: وما كفارة ذلك يارسول الله؟ قال: أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك[1] [2] "

أورد المصنف هذا الحديث لأن فيه مزيد بيان وتوضيح لما سبق، فمناسبة هذا الحديث ما يأتي:

أولا: أن فيه بيان ما هي الطيرة التي يقع فيها الشـــرك، وهي التي ترد صـــاحبها عن حاجته، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" هذا هو ضابط الطيرة التي تكون شركا، وهو أن ترد المتطير عن حاجته، فإذا لم ترده عن حاجته، ولم يســتجب لها، فلا حرج عليه وبذلك إلا أن عظمت في قلبه، فربما دخلت في أنوع محرمات القلوب، الذي يذهب ذلك كله هو التوكل على الله، وتعظيم الرغب فيما عنده وحسن الظن بالله - جل وعلا- "[3].

ثانيا: أن فيه دواء آخر وعلاجا شــافيا لمن وقع في الطيرة، وردته عن حاجته، ففيه هذا الدعاء الذي يكون بعد الوقوع في الطيرة وردها له عن حاجته، أما إذا كانت الطيرة في القلب ولم ترده عن حاجته، فعلاج قلبه أثر عقبة -رضي الله عنه- - الســابق، وهنا إنما هو كفارة لما وقع به، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" هذا كفارة لما يقع في القلب من الطيرة "[4].

- **وقال المصنف رحمه الله" وله من حديث الفضل بن عباس "إنما الطيرة ما أمضاك**

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣ / ١٤٨٦) برقم: (٧١٦٦) (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،) والطبراني في "الكبير" (١٤ / ٣٥) برقم: (١٤٦٢٢) (باب العين، أبو عبد الرحمن الحبلي) وصححه الألباني وقال الضعف الذي في حديث ابن لهيعة إنما هو في غير رواية العبادلة عنه وإلا فحديثهم عنه صحيح كما حققه أهل العلم في ترجمته، ومنهم عبد الله ابن وهب وقد رواه عنه، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٥٤)

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ٢٣٢).

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٢)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/٨٩١).

أو ردك" (١) (٢).

أورد المصنف رحمه الله حديث الفضل -رضي الله عنه-، والذي مناسبته أنه ذكر ضابطا آخر للطيرة، وحصر للطيرة التي وقع فيها النهي والتحريم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "هذا حد للطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله، فإن ذلك من الطيرة، وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به ورده عن حاجته، فإن ذلك أيضا من الطيرة" (٣)، ففي هذا الحديث جمع لما سبق بيانه والإشارة إليه في الأدلة السابقة، ففي حديث ابن عمر السابق، وفيه: "من ردته الطيرة عن حاجته" ، وهذا مراده بقوله،: "أو ردك" ، وأما قوله: "ما أمضاك" ، فيشهد له حديث عقبة السابق، وفيه: "ولا ترد مسلما" ، إشارة إلى أن الفأل لا يرد المسلم، وكذلك الطيرة، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله بقوله: "الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة" (٤). فأفاد هذا الحديث أن الحد المنهي عنه في الطيرة هو ما أوجبه بالمضي أو الرجوع بسبب تطيره، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦) برقم(١٨٤٩) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند الفضل بن عباس رضي الله عنهما، من حديث الفضل ابن عباس)

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ٢٣٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٨٩٢-٨٩٣).

(٤) كتاب التوحيد، (ص: ٢٣٤).

المبحث السادس: **باب ما جاء في التنجيم**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: "باب ما جاء في التنجيم" [1]، ويحتوي على حديثين، وأثر.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في التنجيم) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٣٥).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في التنجيم للباب السابق.

افتتح المصنف رحمه الله بهذه الترجمة، فقال: "باب ما جاء في التنجيم" أي ما جاء في التنجيم من أقسامه، والقصد منها، وذكر المحرم منها، وسبب كونه محرما، والخلاف الوارد فيها، والنجوم التي يتنجم بها، "وأما الأنواء فإنها ثمانيةٌ وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلةً نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلومٌ مسمى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة، فكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجمٌ؛ وطلع آخر، قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطرٌ ورياحٌ، فينسبون كل غيث يكون عند ذاك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذٍ، فيقولون: مُطرنا بنوء الثريا، والدبران والسماك، وما كان من هذه النجوم، فعلى هذا فهذه هي الأنواء" (١)، وهذا في الحقيقة نوع من أنواع التنجيم وعمل من أعمالهم، وسيأتي في المناسبة الثانية ذكر تفصيل للتنجيم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، ويبينه تعريف شيخ الإسلام للتنجيم حيث قال -رحمه الله-: "وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية" (٢).

وأما مناسبة الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم في الأبواب السابقة عن السحر والكهانة والطيرة، تكلم هنا أيضا عن التنجيم والتفصيل فيه، لأن هذه الأبواب تجتمع في كونها كلها منافية للتوحيد، أو لكماله، وسيأتي الكلام عن التنجيم المنافي للتوحيد.

ثانيا: أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب بعد باب السحر وشيء من أنواعه ثم الكهانة والطيرة، وهما من أنواع السحر كما سبق بيانه كل في بابه، أتى بهذا الباب ليبين نوعا آخر من

(١) غريب الحديث، لأبي عبيدة (٣/ ٣٢٠-٣٢١)

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)

أنواع السحر، وهو التنجيم، وقد أشار إلى هذا النوع في: "باب بيان شيء من أنواع السحر" ، عند ذكر حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد" (١)، فأتى المصنف به في باب مستقل، استكمالا لذكر أنواع السحر التي يقع فيها الشرك، والتي منها التنجيم، وبيان الإشكال الوارد فيها، والحديث صريح في كون التنجيم يدخل في السحر؛ فشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - شرح الحديث وبين السحر الذي هو من التنجيم وكيف يكون فقال -رحمه الله -: "النجوم التي من السحر نوعان، أحدهما: علمي وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث؛ من جنس الاستقسام بالأزلام، الثاني عملي وهو الذي يقولون إنه القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية: كطلاسم ونحوها وهذا من أرفع أنواع السحر. وكل ما حرمه الله ورسوله فضرره أعظم من نفعه" (٢)، فالتنجيم نوع من أنواع السحر، كما أنه يفهم من كلام شيخ الإسلام رحمه الله أن هناك نوع من أنواع التنجيم هو داخل في اسم العرافة، كما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -(٣)، فتكلم المصنف رحمه الله عن هذا النوع، وهو تعلم النجوم، وقد سبق ذكر المصنف للتنجيم أنه من أنواع السحر في مسائله المتعلقة بباب "بيان شيء من أنواع السحر" (٤).

---

(١) وقد تقدم تخريج في المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧١)

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣) قال: "العراف: قد قيل إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم" .

(٤) قال المصنف -رحمه الله - في كتاب التوحيد (ص: ٢٢١)، في مسائله:" الثالثة: أن علم النجوم من أنواع السحر".

أيضا لما تكلم المصنف في الباب السابق عن الطيرة والتي فيها حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، ولما ذكر فيها التنجيم كما في زيادة مسلم -رحمه الله-: "ولا نوء" [(١)]، ولما كان التنجيم من أنواع السحر، ناسب أن يبين ما ورد في هذا الحديث والذي هو نوع من أنواع السحر أيضا، والله أعلم.

ثالثا: لما تكلم في باب سابق عن الكهانة، وهي تحاكم إلى الإنس، ثم التطير وهو تحاكم إلى الطير، أتى بهذا الباب التنجيم، وهو تحاكم إلى النجوم، والاستدلال بها، فناسب أن يذكرها بعد ما سبق من الأبواب.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "قال البخاري في صحيحه: قال قتادة:" خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدي بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به "[(٢)] انتهى، وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق**[(٣)].

أورد المصنف رحمه الله هذا الأثر عن قتادة -رضي الله عنه-، ومناسبته للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: فيه التعريف بفوائد والحكمة من خلق النجوم التي تنحصر بها، وقد اقتبسها قتادة -رضي الله عنه- من كتاب الله -جل وعلا-، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٧ / ٣٠) برقم: (٢٢٢٠) (كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء).

(٢) أخرجه البخاري معلقا (١٠٧/٤) (كتاب بدء الخلق، باب النجوم)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٥)

﴿بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۝٥﴾ (١)، ويقول -سبحانه-: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ (٢)، فهذه النجوم تكون لهذه الأشياء ولا تكون لغيره، ولهذه قال المصنف رحمه الله في مسائله:" الأولى: الحكمة في خلق النجوم "(٣)، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب: حيث أفاد الأثر رأي قتادة أنه لا يجوز الاعتقاد في النجوم أكثر من الأمور الثلاثة المذكورة "(٤).

ثانيا: أن من تأول في هذه النجوم وظائف غير هذه الوظائف، فقد تجاوز الحد وتكلف، وتكلم على الله بغير علم، والتي منها التنجيم الذي هو" وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية "(٥)، ليس داخلا فيما سبق، فيكون حكمه رده، وإنكاره، ولهذا قال المصنف في مسائله:" الرد على من زعم غير ذلك "(٦)، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" حيث أنكر قتادة ما يدعيه أهل التنجيم من علم الغيب؛ لأن ذلك إشراك مع الله في علم الغيب "(٧).

ثالثا: أورد المصنف خلاف أهل العلم في القسم الثالث الذي أورده قتادة، وهو تعلم منازل النجوم الذي فيها معرفة القبلة والفصول، وغيرها، فمن بين كاره مخافة التشاؤم على متعلمها، وأن يتعدى ما رخص فيه، وبين من لم يرخص مخافة ما ذكرنا، وسدا للذريعة عن التوهم على متعلمها، وبين مجيز لها للحاجة إليها فيما ينفع، فإذا كان هذا اختلاف السلف في

(١) سورة الملك:٥.
(٢) سورة النحل:١٦.
(٣) كتاب التوحيد:(ص: ٢٣٦)
(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٦٤)
(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٥/ ١٩٢)
(٦) كتاب التوحيد:(ص: ٢٣٦)
(٧) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٦٤)

هذا القسم المباح، فما بالك بمن يقوم بالتنجيم، ويستدل بالنجوم على الحوادث الأرضية، لا شك أن هذا أعظم وأكبر [١]، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله في قوله في مسائله:" الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل "[٢].

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر"** [٣]. **رواه أحمد وابن حبان في صحيحه "**[٤].

ذكر المصنف رحمه الله هذا الحديث لمناسبته للباب من أمرين:

أولا: أن فيه وعيد بعدم دخول هؤلاء الجنة، وما ذاك إلا لعظيم ما صنعوا، ومنهم قوله:" ومصدق بالسحر "، فمن المعلوم أن التنجيم نوع من أنواع السحر كما سبق بيانه وتوضيحه في المطلب الأول من هذا المبحث، فمن صدق المنجم فيما يذكره من الحوادث الأرضية باستدلاله بالنجوم؛ فهو مصدق بالسحر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله: (٢/٩٠٧)، فتح الحميد، لعثمان بن منصور: (٣/١٢٩٠).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٦)

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٢ / ١٦٥) برقم: (٥٣٤٦) (كتاب الأشربة، ذكر البيان بأن الله جل وعلا يسقي مدمن الخمر من نهر الغوطة في النار نعوذ بالله منها) والحاكم في "مستدركه" (٤ / ١٤٦) برقم: (٧٣٢٧) (كتاب الأشربة، ذكر ثلاثة لا يدخلون الجنة) وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٢٩٧) برقم: (٦٢٢٢) (مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما،)، وصححه ابن حبان والحاكم، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٦٥٨).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٦)

:" قوله: "ومصدق بالسحر" مطلقًا ويدخل فيه التنجيم لحديث: "من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس علمًا من السحر" [1]، وهذا وجه مطابقة الحديث للباب "[2].

ثانيا: أن المصدق بالسحر، ليس معناه المصدق بالسحر كله فقط، وإنما معناه إذا صدق ساحرا أخبر خبرا، فاعتقد أن خبره حق وأنه يقول الحق، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في معنى قوله:" ومصدق بالسحر ":" وليس المراد أن يعتقد أنه حق، لكن إذا صدق ساحرا بما يخبر به ففيه الوعيد على ذلك، وإن كان يرى ويعتقد أنه حرام "[3]، وهذا الكلام منه رحمه الله تفسير جميل، وتوضيح بديع، لما نص عليه المصنف رحمه الله في مسائله فقال:" الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل "[4].

---

(١) سبق تخريجه في باب: ذكر شيء من أنواع السحر.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩١٢)

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٢٨)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٦)

المبحث السابع: باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء[1]، ويحتوي على آية، وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في الإستسقاء بالأنواء) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٣٧).

المطلب الأول: **مناسبة باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء للباب السابق**.

أتى المصنف بهذا الباب في كتاب التوحيد لعلاقته به؛ إذ إن من التوحيد الاعتراف بتفرد الله -جل وعلا- بالنعم ودفع النقم، فإذا كان كذلك؛ فإن الاستسقاء بالأنواء ونسبة الأمطار إليها، ينافي التوحيد [١]، وقد تقدم بيان معنى الأنواء وهي منازل القمر التي ثمان وعشرون منزلا[٢].

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب يعتبر نوعا من أنواع التنجيم، وهو الباب السابق، فالباب السابق عام، ثم أتى بهذا الباب ليخص نوعا من أنواع التنجيم، وذلك لأهميته يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "وهذا الباب يُعتبر نوعاً من أنواع الباب الذي قبله، وهو" باب ما جاء في التنجيم "، فالباب الأول عامٌّ في كلِّ ما يُعتقد في النجوم من الكفر والضلال والباطل من استسقاء وغيره، وهذا الباب خاصٌّ بمسألة واحدة، وهي الاستسقاء بالنجوم" [٣].

ثانيا: أفرده المصنف -رحمه الله-؛ لتفصيل الخفي فيه، والتفطن لما يقع بسببه من إيمان أو كفر، ولذلك لو رجعت إلى مسائل المصنف رحمه الله تجده كرر كلمة "التفطن" ، ثلاث مرات [٤]، مما يدل على أهمية إفراد هذا الباب.

ثالثا: لما بين المصنف الذين يستدلون بسير النجوم اجتماعا وافتراقا على الحوادث، فيتدخلون في علم الغيب، تكلم هنا في الذين ينسبون نزول المطر إلى النوء الفلاني، طلوعا أو

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن السعدي (ص: ١١٠)

(٢) انظر: غريب الحديث، لأبي عبيدة (٣/ ٣٢٠-٣٢١)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٣)

(٤) انظر: كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٣٩).

غروبا، فينسبون إليه إما إحداث المطر أو يستدلون بظهوره على وجوب نزول المطر [(١)]، فعلاقة الباب بما قبله هو أنه "لما ذكر المصنف في الباب السابق حكم الاستدلال لحدوث الأمور المستقبلية بالأحوال الفلكية، ذكر في هذا الباب حكم نسبة الحوادث الأرضية الماضية للأحوال الفلكية" [(٢)].

وهذا كله ينافي التوحيد، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله-: "القصد من هذا الباب بيان أن نسبة نزول المطر إلى وجود القمر في منزلة من منازله الثمانية والعشرين أو إلى طلوع نجم أو غروبه أمر يتنافى مع توحيد الله إذا اعتقد القائل بأن للقمر أو النجوم أي تأثير في نزول المطر" [(٣)].

رابعا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق من وظائف النجوم، وبين كلام عقبة -رضي الله عنه- في ذلك، ذكر هذا الباب ليؤكد أن النجوم ليس لها تأثير في غير وظائفها التي أخبرنا الله -جل وعلا- بها، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله-: "ولما ذكر -رحمه الله تعالى- باب التنجيم أعقبه بباب الاستسقاء، ليعلم أن من الأنواء، إنما هو عن أمره وتكوينه؛ إذ هو خالق الأسباب والمسببات، وكل حركة وسكون إنما تصدر عن أمره وقضائه -جل وعلا-، فالأنواء في ما يحدثه الله سبحانه عند سقوط كل نجم من المنازل وطلوع رقيبه مع الفجر، ولكل نجم منها عندهم أيام معلومة..." [(٤)].

---

(١) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/١٠٩).

(٢) منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد، لخالد الدبيخي (ص: ٤٣٨).

(٣) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ١٨٥)

(٤) فتح الحميد (٣/١٣١٣).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعالى:** ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ (١). (٢)

أتى المصنف رحمه الله بهذه الآية في بداية الباب والتي مناسبة ذكرها في هذا الباب ما يأتي:

أولا: أن المصنف رحمه الله أراد أن يبين أن المطر نعمة من الله، ويبين كذلك جحود وكفر بعض عباده في نعمه، وما هو حال أولئك الذين جحدوا نعمة الله، يقول الإمام الطبري -رحمه الله-:" وقوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ يقول: وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك إساءة منك إلي، بمعنى: جعلت: شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إلي... عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ قال: شكركم أنكم تكذبون، قال: ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا" (٣)، فتبين من تفسير الإمام الطبري رحمه الله أن هذه الآية تتكلم عمن كفر بنعمة المطر بنسبتها إلى الله، ونسبها إلى الأنواء ومنازلها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله بعدما ساق هذا الحديث: "وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية على الترجمة، فالمعنى على هذا: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون، أي: تنسبونه إلى غيره" (٤).

---

(١) سورة الواقعة:٨٢.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٧)

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٣-١٥٤)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩١٦)

ثانيا: أن المصنف رحمه الله بين في هذه الآية كفر من نسب النعم إلى غير الله -جل وعلا-، وكذلك فإن الآية كذبت من نسب المطر إلى الأنواء؛ فهو إشراك مع الله في أنعامه(1).

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة "وقال:" النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ". رواه مسلم(2)" (3)**

بين المصنف رحمه الله في هذا الحديث مناسبته للباب حيث إن مناسبته للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: استدل المصنف رحمه الله بهذا الحديث على حكم الاستسقاء في النجوم، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على تحريم الاستسقاء بالأنواء" (4)، حيث إنه خرج مخرج الذم، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أمر الجاهلية، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله-: "وفي هذا الحديث:" أربع في أمتي من أمر الجاهلية "، قصد به التنفير والنهي عن هذا السلوك... فالاستسقاء نسبة نزول المطر إليه، وهذا من أمر الجاهلية، وعرفنا أن أمر الجاهلية لا يجوز فعله؛ فإنه خرج مخرج الذم، والتحذير من الوقوع فيه"

---

(1) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد القرعاوي (ص: ٢٦٨-٢٦٩)

(2) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٤٥) برقم: (٩٣٤) (كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة)

(3) كاب التوحيد (ص: ٢٣٧)

(4) نفس المصدر: (ص: ٢٧١)

[1]، وهذا تفسير لما ذكره المصنف رحمه الله في مسائله فقال: "الثانية: الأربع التي من أمر الجاهلية"[2].

ثانيا: أن هذا الحديث فيه قوله: "في أمتي" أي هذه الأربع في أمته -ﷺ-، والمقصود بأمته هم أمة الإجابة [3]، فقد يرد على حكم الاستسقاء بالنجوم إشكال، وهو كيف يكون كفرا ويبقى في أمته -ﷺ -، وهذا الحديث يوضحه الحديث التالي، فقد قال في حديث زيد بن خالد -رضي الله عنه -: "مؤمن بي وكافر" ، وهذا يدل على كفر من استسقى بالنجوم، أي نسب نزول المطر إلى النوء مع اعتقاده بأن الله هو المتصرف، لكنه نسب التأثير إلى هذا النجم، وهذا يوضح أمرا آخر وهو أن الذي يستسقي بالنجوم يسمى كافرا لكنه ليس كفرا مخرجا من الملة، بل هو كفر أصغر، إلا إذا اعتقد أن النجم يؤثر بذاته فيتوجه إليه ويسأله، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله في قوله في مسألتين من مسائله: "الثالثة: ذكر الكفر في بعضها، الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة" [4]، فتبين أن تفسير المسألتين إنما بالنظر إلى حديث أبي مالك الأشعري، وحديث زيد بن خالد -رضي الله عنهما - الآتي.

ثالثا: الحديث فيه قوله: "لا يتركونهم" ، والمقصد من هذا الاستمرار، فهذه الأربع والتي منها الاستسقاء بالنجوم، مستمرة في هذه الأمة، ففيه التحذير من الوقوع فيها، والانخداع بها، وإن اختلفت المسميات، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله -: "ثم أخبر صلى الله عليه وسلم في هذه الأربع أن أمته" لا يتركونهن "، بحيث أن الأمة لا تخلو منها مع العلم بتحريمها" [5].

---

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد:(٢/ ٧١٦، ٧٢١).

(٢) كتاب التوحيد:(ص:٢٣٧).

(٣) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور:(١٣١٦/٣).

(٤) كتاب التوحيد: (ص:٢٣٨-٢٣٩).

(٥) فتح الحميد،:(١٣٢١/٣).

- **وقال المصنف رحمه الله "ولهما عن زيد بن خالد الجهني قال:" صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس قال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "**(١)" (٢).

هذا الحديث صريح في بيان الاستسقاء بالأنواء ونسبة نزول المطر إليها، فمناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: قوله: "وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب" ، وهذا هو الاستسقاء بالأنواء، فمن قال بذلك، فقد كفر بالله -جل وعلا-؛ لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله:" وأما من قال: مطرنا بنوء كذا "، إلى أخره،... المراد نسبة ذلك إلى غير الله، وإن كان يعتقد أن المنزل للمطر هو الله" (٣)، وقد بين الشيخ سليمان-رحمه الله— أن الكفر المراد به هنا هو الكفر الأصغر (٤).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله التنبيه على ما يختاره العبد من ألفاظ، وأن ألفاظه قد تؤول به إلى الكفر، كما حصل في هذا الحديث، عندما نسب بعضهم نزول المطر إلى النوء، فكأنه أراد أن يتفطن الإنسان ولا يتهاون أو يتساهل؛ حتى لا يقع في المحظور والشرك، وعليه أن ينسب النعمة إلى الله وحده -جل وعلا-، ويشكروه على نعمه، وقد بين هذه المناسبة المصنف

---

(١)أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦٩) برقم: (٨٤٦) (كتاب الأذان ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم).

(٢) كتاب التوحيد:(ص:٢٣٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٣٠)

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/ ٩٢٧)

في مسائله فقال: "السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع، السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع"[1]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله مفسرا هاتين المسألتين: "وفيه التفطن للإيمان في هذا الموضع، ذكره المصنف، يشير إلى أن المراد به هنا نسبة النعمة إلى الله وحمده عليها... قال المصنف: وفيه التفطن للكفر في هذا الموضع، يشير إلى أن المراد بالكفر هنا هو نسبة النعمة إلى غير الله كالنوء ونحوه على ما تقدم..." [2].

ثالثا: أن حصول النعم والبركات تجعل الإنسان يغفل عن ذكر ربه، فينسب إلى غيره ما لا يستحقه إلا الله -جل وعلا-، كما حصل في الاستسقاء بالأنواء هنا، فالمصنف أراد أن يحذر العبد عند نزول النعم بعدم الغفلة عن ذكر الله وشكره، ونسيان شكر نعمه، وهذا هو تفسير كلام المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال: "الخامسة: قوله:" أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر "بسبب نزول النعمة" [3].

- **وقال المصنف رحمه الله "ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه:" قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية. ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [4] إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ "[5] [6].**

هذه الآية تتكلم عن النجوم ومساقطها، ومغايبها وغيرها، يقول الله تعالى:

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٩)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٢٩-٩٣٠)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٩).

(٤) سورة الواقعة:٧٥.

(٥) كتاب التوحيد:(ص:٢٣٨).

(٦) االحديث انفرد به مسلم في "صحيحه" (١ / ٦٠) برقم: (٧٣) (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قَالَ مطرنا بالنوء)

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ (١).

وقد ذكر ابن جرير الخلاف في تفسير القسم بمواقع النجوم، ورجح أن المقصد هو مساقط النجوم أو مطالعها أو مغاربها، يقول -رحمه الله-:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعل، من وقع يقع موقعا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به "(٢)، ثم بعد القسم أكد الله -جل وعلا- بأهمية هذا القسم وعظمه، يقول ابن جرير-رحمه الله-:" وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ (٣)، يقول تعالى ذكره: وإن هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ما هو، وما قدره، قسم عظيم من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: وأنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمه، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧﴾ (٤) يقول تعالى ذكره: فلا أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريم "(٥)، ثم ذكر أوصاف القرآن وبينها، ثم شرع في التوبيخ فقال -جل

(١) سورة الواقعة:٧٥-٨٢.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)

(٣) سورة الواقعة:٧٦.

(٤) سورة الواقعة:٧٧.

(٥) نفس المصدر (٢٣/ ١٤٩)

وعـلا-:" ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١).، يقول الإمام الطبري-رحمه الله -: "يقول تعالى ذكره: أفبهذا القرآن الذي أنبأتكم خبره، وقصصت عليكم أمره أيها الناس أنتم تلينون القول للمكذبين به، ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر... وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل الآخر: جعلت إحساني إليك إساءة منك إلي، بمعنى: جعلت: شكر إحساني، أو ثواب إحساني إليك إساءة منك إلي...... عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال" ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (٢) قال: شكركم أنكم تكذبون، قال: ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا "(٣)، فتبين من تفسير الآيات أن مناسبة الحديث للباب ما يأتي:

أولا: أن الآية نزلت في قوم نسبوا نزول المطر إلى الأنواء، وهذا مطابق للترجمة، فرد الله عليهم بهذه الآيات، فأقسم الله -جل وعلا- بمواقعها، وبين أن هذا القسم عظيم، مما يدل على عظم صنيع من جعل من وظائفها ما ليس منها.

ثانيا: أن الحديث دل على أنهم صدقوا نزول المطر في وقت هذا النجم، فهو نجم محمود عندهم، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله -:" كما كانت العرب في جاهليتها تقول إذا نزل المطر بأمر الله -تعالى- عند سقوط النجم مع الفجر، أو طلوعه على القول الآخر لهم: صدق نوء كذا وكذا، فإذا لم ينزل مطر حينئذ قالوا: أخطأ أو أخلف أو خوى نوء كذا وكذا، فنسبوا ذلك إلى النجم "(٤)، فهم لا يقصدون به أن النوء أنزل المطر، أو أن له تأثيرا بذلك،

---

(١) سورة الواقعة: ٨١-٨٢.

(٢) سورة الواقعة: ٨٢.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢-١٥٤)

(٤) فتح الحميد (٣/١٣٤٨).

وإنما مجرد إضافة، فيقولون نوء محمود أو منحوس، فيضيفون الخير والشر إليه [١]، وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله عندما قال:" الثامنة: التفطن لقوله: "لقد صدق نوء كذا وكذا" [٢].

ثالثا: أن في الحديث والآيات التي فيه رد على من ينسب نزول الأمطار إلى هذه الأنواء، ويحمدها أو يسبها لأجل ذلك؛ أن هذا كذب وبهتان، فقد قال في نهاية الآيات: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٣]، وقد تقدم تفسير الطبري لهذه الآية، وهي في قوم يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، يقول الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-: "وفي هذا الأثر الذي رواه ابن عبّاس- مثل ما سبق-: الرد على الذين ينسبون الأمطار إلى الأنواء، وأن هذا كذبٌ محْض، حيث أقسم الله سبحانه- وهو الصادق- أن هذا كذب، فدلّ على بُطلان الاستسقاء بالأنواء، وأنه يجب نسبة المطر إلى الله سبحانه وتعالى، لا إلى الأنواء، ومن نسبها إلى الأنواء فقد كفر بالله" [٤].

---

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله الغنيمان (٢/٧٣٥).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٣٩)

(٣) سورة الواقعة:٨٢.

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٥)، وانظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٧٦).

الفصل السادس: **مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببعض العبادات القلبية**

المبحث الأول: باب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشـــيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين

المبحث الثالث: باب قول الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

المبحث الرابع: بـاب قول الله تعـالى: ﴿أفـأمنوا مكر الله فلا يـأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

المبحث الخامس: باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.

المبحث الأول: باب قول الله تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله}.

تمهيد

هذا الباب والأبواب التي بعده شروع من المصنف -رحمه الله- في ذكر العبادات القلبية، وما يجب أن تكون عليه تلك العبادات من الإخلاص لله- جل وعلا-، فهو في ذكر واجبات التوحيد ومكملاته، وبعض العبادات القلبية، وكيف يكون إفراد الله- جل وعلا- بها، وابتدأها بباب المحبة، وأن العبد يجب أن يكون الله- جل وعلا- أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه، وهذه المحبة المراد منها محبة العبادة، وهي المحبة التي فيها تعلق بالمحبوب، بما يكون معه امتثال للأمر رغبا إلى المحبوب واختيارا، واجتناب النهي رغبة واختيارا. (١)

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ (٢)" (٣)، ويحتوي على آيتين، وحديثين وأثرين، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦٠)

(٢) سورة البقرة:١٦٥.

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٤٠).

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله} (١). للباب السابق.

استفتح المصنف رحمه الله هذا الفصل الذي يتكلم عن بعض العبادات القلبية، فهذ الفصل هو في العبادات القلبية، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "هذا الباب والأبواب التي بعده شروع من الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في ذكر العبادات القلبية، وما يجب أن تكون عليه تلك العبادات من الإخلاص لله- جل وعلا-، فهذا في ذكر واجبات التوحيد ومكملاته، وبعض العبادات القلبية، وكيف يكون إفراد الله- جل وعلا- بها. وابتدأها بباب المحبة، وأن العبد يجب أن يكون الله- جل وعلا- أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه..."(٢).

فابتدأ المصنف رحمه الله أعمال القلوب بمحبة الله وأكد على وجوبها لأسباب منها:

لأنها هي أصل الدين كله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "لما كانت محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان، نبه المصنف رحمه الله على وجوبها على الأعيان" (٣).

وقد سوى المشركون بين الله وبين آلهتهم في المحبة، كما هو واضح في الآية، فجعله الله شركا؛ يقول ابن كثير-رحمه الله -: "يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه... وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا

---

(١) سورة البقرة:١٦٥.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦٠)

(٣) تيسير العزيز الحميد، (٢/٩٤٢).

لِلَّهِ ﴾ [١] ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشـــركون به شـــيئا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه." [٢]، فالمشركون يحبون الله –جل وعلا– حبا شديدا، ولكنهم يتخذون أندادا يسوون محبتهم بمحبة الله، وقد بين المصنف أن هذا هو الشـرك الأكبر، يقول المصـنف –رحمه الله–: "التاسـعة: أن من المشـركين من يحب الله حبا شديدا... الحادية عشرة: أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر" [٣]، فهذه الآية تتكلم عن الشرك الأكبر.

وهذا الآية ظاهرة في معنى المحبة وأنها عبادة من العبادات التي يجب أن تكون لله –جل وعلا–، يقول الشيخ صالح الفوزان–حفظه الله–: "فدلت هذه الآية الكريمة على أن المحبة نوعٌ من أنواع العبادة، بل هي أعظم أنواع العبادة، وأن من أحب مع الله غيره فيها فقد أشـرك بالله الشـرك الأكبر واتّخذ هذا المحبوب نِدًّا، أي: شـريكاً مع الله ومعادِلاً لله ومسـاوِياً لله" [٤]، فلا شـــك أن المحبة المرادة هي محبة العبادة التي يكون فيها التعلق بالمحبوب وامتثال أمره رغبة إلى المحبوب، واجتناب نهيه رغبة إليه كذلك واختيارا [٥]، وقد بين الشـيخ سـليمان بن عبد الله –رحمه الله– مراد المحبة المقصـــودة في هذا الباب، والتي لا تكون إلا لله –جل وعلا– وهي: "محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعليقها بغير الله أصلا"[٦].

---

(١) سورة البقرة:١٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٣).

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٨)

(٥) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٥٧)

(٦) تيسير العزيز الحميد: (٢/٩٤٥).

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الباب السابق عن الاستسقاء بالأنواء، وأن سبب كفرهم هو نسبة نعمة المطر إلى غير الله، بين في هذا الباب معنى المحبة التي لا تكون إلا لله؛ لأن من طبيعة النفوس أنها تحب من أنعم إليها، وتتعلق به وتمتثل بأمره؛ فناسب أن يذكر هذا الباب حتى يبين المصنف من الذي هو مستحق لهذه المحبة التي يكون معها خضوع وامتثال، وحتى يحذر من تعلق قلبه بغير الله ألا يؤول به هذا إلى محبته محبة تجعله مشركا شركا أكبر بالله -جل وعلا-، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "لما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- باب الاستسقاء، وأن النعمة لا توجد إلا من الله -تعالى-، وأنه المشكور عليها؛ أعقبه ببيان المحبة؛ إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، ولا أعظم إحسانا على العبد من الله، وبين أن هذه المحبة لا تصلح إلا لله..." (١)، فلما ذكر المصنف رحمه الله سببا من الأسباب الموجبة للمحبة وهو نزول النعم على العباد، ذكر المستحق لهذه المحبة؛ وتفرده بها وعدم مساواة غيره به.

ثانيا: لما ذكر المصنف رحمه الله معنى الشهادتين بذكر ما ينافيها من أنواع الشرك؛ ذكر في بداية هذا الباب والأبواب التي بعده مقتضى الشهادتين، وهو أن يعبد الله -جل وعلا- محبة وخوفا وتوكلا عليه وإخلاصا ومتابعة (٢)، وقد بين المصنف عند تفسير التوحيد أن شرحها ما بعدها من الأبواب، وهذا من شرح التوحيد وتفسيره، ثم إن المصنف ذكر هذه الآية -التي جعلها ترجمة للباب - في باب "تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله" ، فهي مفسرة للتوحيد كما سبق بيانه، وهي هنا مفسرة للمحبة التي تؤثر في توحيد العبد وتنقصه أو تنفيه.

---

(١) فتح الحميد (٣/١٣٥٩).

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٤٥٦).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ (1) إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (2)" الآية "(3).**

أورد المصنف هذه الآية ليبين محبة الله ودينه وأنها فوق كل شيء، يقول الإمام الطبري – رحمه الله – عن هذه الآية:" يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل﴾ يا محمد، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت ﴿أموال اقترفتموها﴾، يقول: اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾، بفراقكم بلدكم ﴿ومساكن ترضونها﴾، فسكنتموها ﴿أحب إليكم﴾، من الهجرة إلى الله ورسوله، من دار الشرك ومن جهاد في سبيله، يعني: في نصرة دين الله الذي ارتضاه ﴿فتربصوا﴾، يقول: فتنظروا ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾، حتى يأتي الله بفتح مكة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾، يقول: والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته "(4)، وإذا تبين لنا مراد الآية فمناسبتها للباب من عدة أمور:

أولا: دلت الآية على وجوب محبة الله –جل وعلا– ومحبة رسوله –ﷺ– على كل شيء، وتقديمهما على جميع ما يحبه العبد ويميل قلبه إليه، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" حيث دلت الآية على وجوب حب الله ورسوله؛ لذا يكون الحب نوعا من العبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك "(5)، وهذا مراد المصنف رحمه الله عندما قال:" الثالثة: وجوب محبته صلى الله

---

(1) سورة التوبة:24.

(2) سورة التوبة:24.

(3) كتاب التوحيد (ص: 240)

(4) تفسير الطبري (14/ 177)

(5) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: 280)

عليه وسلم على: النفس، والأهل، والمال "[1]، وخصت هذه المحاب الثمانية بالذكر؛ لأنها أعظم محاب الإنسان، ومع ذلك لا يجوز أن يقدم محبتها على محبة الله -جل وعلا-، بل الواجب أن يقدم محبة الله تعالى عليها كلها.

ثانيا: أورد المصنف هذه الآية للإنكار على الذين يوالون الكفار ويحبونهم ويقربونهم، ويقدمون رضاهم على رضا الله -جل وعلا- ورضا رسوله -ﷺ-، وأنه مهدد بالعذاب وهو من الفاسقين [2]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-:" ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [3]، أي: انتظروا ماذا يحل بكم [4] من عذاب الله، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾، أي: الخارجين عن طاعة الله، وهو تنبيه على أن من فعل ذلك، فهو من الفاسقين فهذا تشديد، ووعيد عظيم، ولا يخلص منه إلا من صح إيمانه فخلص لله سره وإعلانه، وعلى أن المحبة الصادقة تستلزم تقديم مراضي الله على هذه الثمانية كلها، فكيف بمن آثر بعضها على الله ورسوله، وجهاد في سبيله "[5]، وهذا مراد المصنف رحمه الله بقوله:" العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية عنده أحب من دينه "[6].

ثالثا: أن هذه الأصناف الثمانية التي ذكرها الله -جل وعلا- في كتابه، هي الأشياء التي تشمل أمور الدنيا كلها، فإذا كانت الدنيا أحب إليكم من أمر الله -جل وعلا- وأمر

---

(١) كتاب التوحيد: (ص: ٢٤٢)

(٢) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (١٣٧،١٣٩/٢)

(٣) سورة التوبة:٢٤.

(٤) هناك سقط في الطبعة التي اعتمدت عليها، ولعلها سقطت سهوا، وهي من قوله:" ﴿ومساكن ترضونها﴾، إلى قوله:" أي انتظروا ماذا يحل بكم". انظر: تيسير العزيز الحميد، (ص: ٤٠٥) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٤٨-٩٤٩)

(٦) كتاب التوحيد: (ص:٢٤٣)

رسـوله -ﷺ -، فهاكم الوعيد الذي تسـتحقونه [١]، ولا شـك أنها مناسـبة للباب، ووجوب تقديم محبة الله -جل وعلا- على جميع الخلق.

رابعا: أراد المصـنف رحمه الله أن يبين أن هذه الأشـياء الثمانية لابد أن تكون تابعة لمحبة الله -جل وعلا- ومحبة رسوله -ﷺ -، لأجل أن تكون أعمال الإنسـان وأقواله كلها طاعة لله -جل وعلا- ولرسوله صلى الله عليه وسلم [٢].

- **وقال المصنف رحمه الله" عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"** [٣] [٤]. **أخرجاه**

هذا الحديث تكلم عن محبة النبي -ﷺ -، ومناسبتها للباب من عدة أمور:

أولا: أن الحديث في محبة النبي -ﷺ -، وأنه لا يكون الإنسـان مؤمنا حتى يكون النبي صـلى الله عليه وسـلم أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فإذا كانت هذه هي محبة النبي صـلى الله عليه وسـلم فما بالك بمحبة الله -جل وعلا- [٥]، يقول الشـيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله -: "مناسبة هذا الحديث ظاهرة؛ إذ محبة الرسول -ﷺ - من محبة الله، ولأنه إذا كان لا

---

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله الغنيمان، (٢/٧٤٤).

(٢) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٣/١٣٦٠)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٣) (كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٩) برقم: (٤٥) (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٠)

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله، (٢/٩٥٥)

يكمل الإيمان حتى يكون الرسول -ﷺ- أحب إلى الإنسان من نفسه والناس أجمعين؛ فمحبة الله أولى وأعظم" (١).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله أن يوضح من خلال هذا الحديث أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم عبادة وأنها من الإيمان، فكما أن محبة الله -جل وعلا- عبادة فكذلك محبته -ﷺ-، بل هي من لوازم محبة الله -جل وعلا-، يقول الشيخ عبد الله الجار الله -رحمه الله-: "ومناسبة هذا الحديث للباب: أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها تزيد بزيادتها وتنقص بنقصها" (٢).

- **وقال المصنف رحمه الله "ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ". وفي رواية:" لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى "إلى آخره"** (٣)، (٤).

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي فيها مزيد بيان وإيضاح للمحبة التي أرادها في هذا الباب، فمناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: التأكيد على محبة الله ورسوله، وأنها فوق كل محبة سواهما، بل إن حلاوة الإيمان تحصل بتقديم هاتين المحبتين، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "والاستدلال به

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٣)

(٢) الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد (ص: ١٣٥)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٤١)

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٢) برقم: (١٦) (كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٨) برقم: (٤٣) (كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

ظاهر على أن محبة الله ورســـوله يجب أن تكون مقدمة على محبة ما ســـواهما، وأنها من كمال الإيمان، وأن العبد لن يجد كمال الإيمان إلا بذلك" (١).

ثانيا: أورد المصـــنف هذا الحديث والذي يفيد كمال محبة العبد لله، فبين محبة الله ورسـوله، ثم بين محبة العبد للعبد وأنها تكون تابعة لمحبة الله -جل وعلا-، ثم بين الكفر وكراهية العودة إليه؛ مما يدل على كفر من لم يكن في قلبه محبة لله -جل وعلا- ولرســـوله -ﷺ-، يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضـــدها، فتكميلها: أن يكون الله ورســـوله أحب إليه مما ســـواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم، وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضـــدها: أن يكره ضـــد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار"(٢).

ثالثا: أن في الحديث إشارة إلى تفاضل المؤمنين في محبة الله ورسوله، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "وفي الحديث تلميح بأن المؤمنين يتفاضلون في محبة الله ومحبة رسوله -ﷺ-؛ إذ قد علم بالاضطرار من أصل الإيمان أنهم فيه على مراتب؛ فأكثرهم له محبة أعظمهم له طاعة..." (٣).

رابعا: أورد المصـــنف الرواية الأخرى ففيها معنى آخر، وهو تفســـير للرواية التي قبلها؛ فالرواية التي قبلها قال فيها: "من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان" ، وفي الأخرى قال: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..." ، فالأولى إثبات حلاوة الإيمان للمذكورين، والثانية نفي حلاوة

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦٤)

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٦)

(٣) فتح الحميد (٣/ ١٣٧٠)

الإيمان عمن لم يكن به هذه الأمور [١]؛ فالتصريح بالإثبات والنهي يدل على أهمية هذه الأمور للإيمان والتي منها المحبة لله -جل وعلا- ورسوله -ﷺ -، فإن سبب الفوز بحلاوة الإيمان والتي لا تكون لكل الناس، بل قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها؛ هو محبة الله ورسوله، والتي من لازمها محبة أوليائه وكره والبراءة من الكفر وما يوصل إليه، ولهذا أشار المصنف رحمه الله إلى حلاوة الإيمان بقوله: "أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها" [٢].

- **وقال المصنف رحمه الله: "وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:" من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا ". رواه ابن جرير**[٣]" [٤].

هذا الأثر أورده المصنف رحمه الله وفيه معنى من معاني المحبة، فمناسبة الأثر للباب ما يأتي:

أولا: أن المصنف ذكر هذا الحديث وفيه ضابط ولازم من لوازم المحبة؛ وهي الموالاة في الله، والبغض في الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -: "قوله: (ووالى في الله). هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة. فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لا بد

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله الغنيمان (٢/٧٦٠).

(٢) كتاب التوحيد: (ص: ٢٤٢)

(٣) لم أجده من رواية ابن جرير، لكن رواه ابن المبارك في كتابه الزهد لابن المبارك (١/ ١٢٠) برقم (٣٥٣)، وروى بن أبي شيبة بعضه في مصنفه (١٩/ ٢٤٠) برقم (٣٥٩١٥) (كتاب الزهد زهد الصحابة رضي الله عنهم، كلام ابن عباس رضي الله عنهما

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤١)

مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النصـــرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا، قوله: (وعادى في الله)، هذا بيان للازم البغض في الله وهو المعاداة فيه..." (١).

ثانيا: أن فيها تفسير وتوضيح لحلاوة وطعم الإيمان، التي سببها محبة الله، يقول الشيخ عثمان بن منصـور عن حلاوة وطعم الإيمان: "وبالجملة فقد استعير اسم الطعم والحلاوة؛ لما يجده المؤمن الكامل في القلب بسبب الإيمان من الانشراح والاتساع، ولذة القلب من الله —تعالى-" (٢)، فلا يحقق هذه الحلاوة وهذا الطعم إلا الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله، وهذه هي أعمال القلوب التي ذكرها المصنف رحمه الله في مسائله فقال: "الســادســة: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها"(٣).

ثالثا: أراد المصـــنف من هذا الحديث أن يبين العبادة الحقيقية التي لا ينفع معها كثرة الصلاة والصوم، ألا وهي المحبة في الله ولوازمها، وصرف هذه المحبة لغير الله شرك، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة هذا الأثر للباب وللتوحيد: حيث أفاد الأثر أن ابن عباس رضي الله عنه يرى أن المحبة عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك" (٤).

- **وقال المصنف رحمه الله "وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٦٢)

(٢) فتح الحميد (٣/ ١٣٩٥)

(٣) كتاب التوحيد:(ص:٢٤٢)

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٨٥)

ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ [(١)] قال: المودة" [(٢)] "[(٣)].

بين المصنف رحمه الله هذا الأثر الذي فيه تفسير للأسباب في هذه الآية؛ لمناسبتها للباب، من عدة أمور:

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله المحبة التي هي لله، وذكر لوازمها، وبين أن الإنسان لا يؤمن حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من كل شيء كما سبق، ومن جميع محابه؛ بين في هذا الأثر أن ما يحبه الإنسان من دون الله -جل وعلا-، أنه لا ينفعه إذا كان يوم الحساب والجزاء والعذاب، فالمحبة التي كانت بينهم في الدنيا تنقطع، وتخونهم مع أنهم أحوج ما يكونوا إليها في ذلك الموقف، بل ويتبرأ بعضهم من بعض [(٤)]، فإن المحبة الباقية وقت الشدة هي محبة الله وحده لا شريك له، المستلزمة لمحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله، يقول مقاتل بن سليمان-رحمه الله-:" إذ تبرأ الذين اتبعوا يعني القادة من الذين اتبعوا يعني الأتباع ورأوا العذاب يعني القادة والأتباع وتقطعت بهم الأسباب يعني المنازل والأرحام التي كانوا يجتمعون عليها من معاصي الله ويتحابون عليها في غير عبادة الله انقطع عنهم ذلك وندموا... "[(٥)]، فجميع المحاب التي هي لغير الله لا تبقى ولا تدوم، ولا تدفع عذابا ولا تجلب سعادة، يقول الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-:" فدلّت هذه الآية على أن المحبة التي لغير الله أنها تزول يوم القيامة، وتنقلب عداوة، وأن محبة التابعين على الضلال لأتباعهم وقادتهم ورؤسائهم تنقلب عداوة يوم القيامة فيما بينهم

(١) سورة البقرة:١٦٦.

(٢) رواه الطبري في تفسيره، (٣/ ٢٩٠)، والحاكم في مستدركه (٢/٢٧٢)، برقم (٣٠٩٤)، كتاب التفسير، سورة البقرة، وصححه.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٤١)

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/٩٦٧).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٥٤)

ويتلاعنون ويتلاومون فيما بينهم، من باب التحسُّر - والعياذ بالله- والتألُّم "[1]، فالمحبة إذا لم تكن لله فإن الإنسان سيتحسر عليها، ويخسرها صاحبها يوم القيامة؛ لأنها إشراك مع الله في المحبة [2].

ثانيا: أن المصنف أراد أن يبين أن الله -جل وعلا- أن كل سبب كان خاليا من الإخلاص لله في المحبة؛ أنه منقطع ولا بد، وإذا انقطعت عنهم الحيل وأسباب الخلاص والنجاة؛ فإن مصيرهم النار ولن يجدوا عنها مصرفا، نسأل الله السلامة والعافية [3].

فانتظم في هذا الباب ذكر محبة الله تعالى ووجوبها، وتحريم صرفها أو تقديم محاب الدنيا عليها، وأنها شرك، وبيان لوازم هذه المحبة، والتي منها محبة النبي - صلى الله عليه وسلّم -، وعقوبة من أحب غير الله -جل وعلا- أكثر من محبته إياه.

---

[1] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٤٨)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٨٥)

(٣) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٣/ ١٤٠٠)

المبحث الثاني: باب قول اللّه تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : "**باب قول الله تعالي**: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [١]" [٢]، ويحتوي على ثلاث آيات، وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة **باب قول الله تعالى**:: "﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [٣]

للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة آل عمران:١٧٥.

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٤٤).

(٣) سورة آل عمران:١٧٥.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} [١]. للباب السابق.

هذا الباب الثاني من الأبواب التي تتكلم عن أعمال القلوب، والخوف لابد أن يكون متعلقا بالله وحده، وهو خوف السر والعبادة، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-:" هذا الباب عقده المصنف -رحمه الله- لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك "[٢].

وصدر المصنف هذا الباب أيضا بآية من كتاب الله تعالى:" **باب قول الله تعالي:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [٣]، فذكر المؤلف - رحمه الله – هذا الباب في كتاب التوحيد من أجل أن من أقسام الخوف ما يكون شركا إن صرفه العبد لغير الله -جل وعلا-[٤]، يقول الإمام الطبري -رحمه الله- : "القول في تأويل قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [٥]، قال أبو جعفر: يقول: فلا تخافوا، أيها المؤمنون، المشركين، ولا يعظمن عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم، مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافون واتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري، فتهلكوا=" إن كنتم مؤمنين "، يقول: ولكن خافون دون المشركين ودون جميع خلقي، أن تخالفوا أمري، إن كنتم مصدقي رسولي وما جاءكم به من

---

(١) سورة آل عمران:١٧٥.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١١٧)

(٣) سورة آل عمران:١٧٥.

(٤)القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٦٦)

(٥) سورة آل عمران:١٧٥.

عندي" [١]، ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [٢] أي: فإذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا علي والجؤوا إلي، فأنا كافيكم وناصركم عليهم" [٣].

ومما سبق يتضح لنا مقصود المصنف - رحمه الله – من إيراد هذه الآية، حيث تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الخوف الواجب أن يصرف إلى الله -جل وعلا-، فهو علامة إيمان العبد، وتصديقه برسوله -ﷺ-، وما جاء به من عند الله -جل وعلا-، فالخوف من الله من أفضل مقامات الدين، التي يجب أن تكون لله -جل وعلا-، ولا تصرف لغيره، يقول الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم-رحمه الله-: "لما كان الخوف من الله أجل مقامات الدين وأشرفها وأفضلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، نبه المصنف بالترجمة بهذه الآية على وجوب إخلاص الخوف لله" [٤]، فالخوف وإخلاصه لله شرط في الإيمان الواجب، وهو من الفرائض، يقول الشيخ سليمان ابن عبد الله -رحمه الله-: "فأمر تعالى بإخلاص هذا الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب، ففيه أن إخلاص الخوف لله

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٤١٨)

(٢) سورة آل عمران:١٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٢)

(٤) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٤٤)، وقد شرح ما أجمله الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمهما الله -، فقد ذكر الشيخ ابن قاسم مثل كلامه وزيادة ولهذا ذكرته، انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/٩٧٠).

من الفرائض" (١)، وهذا شرح لمراد المصنف في مسائله عندما قال -رحمه الله-: "السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض" (٢).

ثانيا: أن الخوف من الشيطان وأوليائه يقدح في إيمان العبد، فالخوف عبادة، وصرفها لغير الله شرك، ففي الآية نهي عن إنزال عبادة الخوف بغير الله، فهو نهي عن أحد أفراد الشرك (٣)، يقول الشيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله-: "ويفهم من الآية أن الخوف من الشيطان وأوليائه مناف للإيمان، فإن كان الخوف يؤدي إلى الشرك؛ فهو مناف لأصله، وإلا؛ فهو مناف لكماله" (٤)، فخوف العبادة يجب أن يكون مقصورا على الله -جل وعلا-، فلا يتعداه إلى غيره.

إذا اتضح مراد المصنف من الآية، وأنها تتكلم عن وجوب الخوف من الله، وأن صرفه لغير الله شرك، تبين لنا مناسبة هذا الباب لباب المحبة قبله، من عدة أمور:

أولا: أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب بعد باب المحبة؛ لأن العبادة ترتكز على المحبة والخوف؛ يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "مناسبة الباب لما قبله: أن المؤلف رحمه الله أعقب باب المحبة بباب الخوف؛ لأن العبادة ترتكز على شيئين: المحبة، والخوف، فبالمحبة يكون امتثال الأمر، وبالخوف يكون اجتناب النهي وإن كان تارك المعصية يطلب الوصول إلى الله، ولكن هذا من لازم ترك المعصية، وليس هو الأساس... فالخائف والمطيع يريدان النجاة من عذاب الله والوصول إلى رحمته" (٥).

ثانيا: أن المحبة وحدها لا تكفي بالتعبد بها؛ بل لابد من الخوف مع المحبة؛ فإن هذا هو منهج الرسل -عليهم السلام- وأتباعهم، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "فلما ذكر

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٧٥).
(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٤٦).
(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٧٠)
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٧١-٧٠)
(٥) المصدر السابق (٢/ ٦٦)

المحبة في الباب السابق ذكر في هذا الباب الخوف؛ ليدلّ على أن المحبة لا تكفي وحدها، لأن التعبُّد بالمحبة وحدها منهج الصوفية الضُلاّل، أما منهج الرسل وأتباعهم فإنه ينبني على المحبة والخوف والرجاء..." [1].

ثالثا: الدلالة على أن من علامات الإيمان القوي الذي يتصف به خواص المؤمنين، هو الإيمان التام بالله تعالى وكمال محبته له -جل وعلا-، والأمن والطمأنينة بما عند الله وتقديم محبته على جميع المحاب، وانقلاب المخاوف في حقهم أمنا وطمأنينة، فـ "خواص المؤمنين وأقوياؤهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنا، وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم، ولهذا أتبعه بهذا الباب" [2].

رابعا: ذكر المصنف رحمه الله باب الخوف بعد باب المحبة؛ لأن من حقق المحبة وصرفها لله -جل وعلا- فيجب عليه أن يكون خائفا من فقدانها وراجيا بقاءها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "... المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه فلا يكون عبدا لله ومحبه إلا بين خوف ورجاء؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾ [3] (الإسراء: ٥٧)" [4].

فهذا الباب في بيان عبادة الخوف، ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة. وهي أن خوف العبد من الله - جل وعلا- عبادة من العبادات التي أوجبها الله- جل وعلا-، فالخوف والمحبة

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٤٩)

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن السعدي (ص: ١١٨)

(٣) سورة الإسراء:٥٧.

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٦)، انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص:٤٧٩).

والرجاء عبادات قلبية واجبة، وتكميلها تكميل للتوحيد، والنقص فيها نقص لكمال التوحيد(١).

خامسا: أنه كما أن المحبة متضمنة للرجاء؛ فكذلك الخوف متضمن للرجاء، فأتبعه المصنف رحمه الله بما قبله، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله-: "لما ذكر المصنف رحمه الله باب المحبة المتضمنة للرجاء؛ ذكر باب الخوف للمناسبة؛ فإن الخوف أيضا متضمن للرجاء..."(٢).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا الآية" (٤)

هذه الآية الثانية في هذا الباب والتي تتكلم عن الخوف من الله -جل وعلا-، يقول الإمام الطبري-رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾، المصدق بوحدانية الله، المخلص له العبادة ﴿واليوم الآخر﴾، يقول: الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة ﴿وأقام الصلاة﴾ المكتوبة، بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه في ماله إلى من أوجبها الله له ﴿ولم يخش إلا الله﴾، يقول: ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه، سوى الله ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾، يقول: فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم، أن يكونوا عند الله

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٦٨)

(٢) فتح الحميد (١٤٠١/٣).

(٣) سورة التوبة:١٨.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٤)

ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب" (1)، ويقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ (2) فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد... ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (3) أي: ولم يخف إلا من الله تعالى، ولم يخش سواه"(4)، فالآية تتكلم عن الخوف من الله -جل وعلا-.

ومناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الله -جل وعلا- أثبت العبادة في عمارة هذه المساجد بهذه الشروط المجتمعة، فدل ذلك على أن الخوف من الله عبادة كالإيمان والصلاة والزكاة، بل إن من صفات المؤمنين أنهم يخشون الله -جل وعلا-، وأن غيرهم مشرك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- : "لما نفى تبارك وتعالى عمارة المساجد عن المشركين بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ (5) الآية، إذ لا تنفعهم عمارتها مع الشرك،... أثبت تعالى في هذه الآية عمارة المساجد بالعبادة للمؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر، المقيمين الصلاة المؤتين الزكاة، الذين لا يخشون إلا الله، ولا يخشون معه إلها آخر. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا

(1) تفسير الطبري (14/ 167)

(2) سورة التوبة:18.

(3) سورة التوبة:18.

(4) تفسير ابن كثير (4/ 119، 121)

(5) سورة التوبة:17.

ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ [(١)] ٨، فهذه هي العمارة النافعة، وهي الخالصة من الشرك، فإنه نار تحرق الأعمال" [(٢)].

فأراد المصنف رحمه الله أن يبين أن الخوف من الله إنما هو إخلاص الخشية لله والهيبة له، فهي عبادة لا تصلح إلا له -جل وعلا-، يقول الشيخ عبدالرحمن بن قاسم -رحمه الله-: "وأخلصوا لله الخشية، أي المخافة والهيبة التي ينبني عليها أساس العبادة، والتي هي مخ عبودية القلب، ولا تصلح إلا لله وحده، وهي الشرط الذي هو وجه مناسبة الآية للترجمة" [(٣)]، فلا يخشى العبد إلا الله في كل ما يقول ويفعل، وهذه من علامات صدق الإيمان [(٤)].

ثانيا: أن الآية فيها نفي ثم إثبات، ومعلوم أن النفي ثم الإثبات يدل على الحصر والقصر، فهذه الآية تدل على أن الخشية من الله وحده، يقول الشيخ صالح آل الشيخ-حفظه الله-: "وجه الدلالة من الآية قوله ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [(٥)] [(٦)] وهذا نفي واستثناء، وتقدم أن مجيء أداة الاستثناء بعد النفي يدل على الحصر والقصر، فالآية دالة بظهور على أن الخشية يجب أن تكون من الله، وأن الله أثنى على أولئك لأنهم جعلوا خشيتهم لله وحده دون ما سواه، والخشية أخص من الخوف" [(٧)].

---

(١) سورة الأحزاب:٣٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٧٦)

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٤٥)

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن عثيمين (٢/ ٧٣)

(٥) سورة التوبة:١٨.

(٦) سورة التوبة: ١٨.

(٧) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧١)

ويقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله مؤكدا أهمية مقام الخوف في أبواب الدين: "ثم لم يكتف بالإيمان حتى قال ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (١) (٢) فأكد النفي بالإثبات، وعطف الخشية على الإيمان؛ لأن الخشية رأس الإيمان... وهو من عطف الخاص على العام، اهتماما وتخصيصا لمقام الخوف، وحضا عليه في أبواب الدين، فإن الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الإنسان يتمالك عنها..." (٣).

- **وقال المصنف رحمه الله "وقوله:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ (٤)، **الآية"** (٥).

أراد المصنف رحمه الله أن يبين حال من أحوال من لم يخاف الله، وخاف غيره، يقول الإمام البغوي رحمه الله في تفسير الآية: "قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ (٦) أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ (٧) أي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي: جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالا هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر" (٨).

---

(١) سورة التوبة:١٨.

(٢) سورة التوبة: ١٨.

(٣) فتح الحميد (١٤٠٧/٣).

(٤) سورة العنكبوت:١٠.

(٥) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٤)

(٦) سورة العنكبوت:١٠.

(٧) سورة العنكبوت:١٠.

(٨) تفسير البغوي (٦/ ٢٣٤)

ومناسبة الآية للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف أن يبين نوعا من أنواع الخوف من غير الله -جل وعلا- وحالا من أحوالهم، وهو أنهم يخافون من الناس أن يؤذوهم بسبب أنهم آمنوا بالله -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قلت: وإنما حمل ضعيف البصيرة على أن ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ (١)، هو الخوف منهم أن ينالوه بما يكره بسبب الإيمان بالله، وذلك من جملة الخوف من غير الله، وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة" (٢)، فيفر من إيذائهم بأن يوافقهم فيما يريدون؛ ويشبههم بعذاب الله؛ فيخشاهم كخشية عذاب الله ويخافهم (٣).

ثانيا: أراد المصنف أن يحذر من تشبيه الخوف من الله بالخوف من الناس، فهذا قدح في التوحيد، ودخول في الشرك، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على تحريم مساواة الخوف من الله بالخوف من المخلوق" (٤).

- **وقال المصنف رحمه الله "وعن أبي سعيد مرفوعا:" إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره "**(٥) (٦).

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث في هذا الباب والذي يتكلم عن عبادة الخوف من الله، ومناسبته للباب من عدة أمور:

---

(١) سورة العنكبوت: ١٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٨٠)

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٧٥)

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٩١)

(٥) أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (١٠/ ٤١)، والحديث قال عنه الألباني أنه موضوع كما في " السلسلة الضعيفة والموضوعة "(٣/ ٦٧٤)

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٤).

أولا: أن فيه إرضاء الناس بسخط الله، ولا يكون ذلك إلا لأحد أمرين؛ إما لأجل رجاء شيء عندهم، أو خوفا منهم وهذا هو الخوف المحرم، ولهذا أورده المصنف في هذا الباب، ففيه أن من علامات ضعف اليقين إرضاء الناس بسخط الله خوفا منهم، وقد بين هذه المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند تعليقه على هذا الحديث فقال:" فإن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه... فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم؛ وذلك من ضعف اليقين... "(١)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله بقوله:" علامة ضعفه، ومن ذلك: هذه الثلاث "(٢)، والتي منها إرضاء الناس بسخط الله خوفا منهم، والله أعلم.

ثانيا: أن الخوف قد يضعف وقد يقوى، وعلامته، ضعف اليقين وقوته، وهذا يتوجب على الإنسان أن يتنبه إلى علامات ضعف اليقين، يزيد من إيمانه، ويحرص على إرضاء الله ولو بسخط الناس، لأن إرضاء الناس بسخط الله منه ما هو خوف منهم، وذلك مناقض لما أمر الله -جل وعلا- به من الخوف من الله وحده، وتقديمه على جميع الخلق، فنبه المصنف رحمه الله إلى أن الخوف يقوى ويضعف، وهذا يجعله دائم المراقبة لنفسه، والتعلق بربه -جل وعلا-، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله بقوله:" الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى "(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٥١)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٦).

(٣) نفس المصدر.

ثالثا: دل الحديث على تحريم ترك شيء من الواجبات خوفا من الناس، وهذا يدل عليه في الحديث قوله -ﷺ -:" إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله "، وهذا ظاهر في أنه يجب على العبد أن يعبد الله ولا يخشى أحدا إلا الله (١).

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" (٢). رواه ابن حبان في صحيحه(٣).**

هذا الحديث الثاني في هذا الباب والذي يعطي معنى من معاني عبادة الخوف، ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه التماس رضا الناس بسخط الله، وما ذاك إلا لخوفه منهم، وضعف خوفه من الله -جل وعلا-، وهذا هو مناسبة إيراد الحديث بهذا الباب، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -: "وإنما يحمل الإنسان على إرضاء الخلق بسخط الخالق هو الخوف منهم، فلو كان خوفه خالصا لله لما أرضاهم بسخطه، فإن العبيد فقراء عاجزون لا قدرة لهم على نفع ولا ضر البتة، وما بهم من نعمة فمن الله، فكيف يحسن بالموحد المخلص أن يؤثر رضاهم على رضاء رب العالمين..." (٤).

---

(١) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٢٩٣)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٥١٠) برقم: (٢٧٦) (كتاب البر والإحسان، ذكر رضاء الله جل وعلا عمن التمس رضاه بسخط الناس) وقال الالباني والحديث صحيح لغيره، كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧١)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٥)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٨٧).

ثانيا: في الحديث عقوبة من يلتمس رضا الناس بسخط الله، والذي حصل ذلك بسبب خوفه منهم، وتقديم خوفهم على خوفه من الله -جل وعلا-، وكذلك ثواب من أرضى الله بسخط الناس وقدم خوفه من الله على جميع خلقه، فكان الجزاء من جنس عمله، بأن يسخط الله على الأول، ويسخط عليه الناس، ويرضى عن الثاني ويرضي عليه الناس، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله-: "قوله:" رضي الله عنه وأرضى عليه الناس ": لأن الله -جل وعلا- جعل من سنته أن الجزاء من جنس العمل..." رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس "، هذا هو الجزاء العاجل، يرضى الله عنه، ويرضي عنه الناس، وإن كان أسخطهم؛ لأن مقصوده رضا الله -جل وعلا-، والناس كلهم بل الخلق كلهم نواصيهم بيده -جل وعلا- يصرفهم كيف يشاء..." [(١)]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله: "السابعة: ذكر ثواب من فعله، الثامنة: ذكر عقاب من تركه" [(٢)]، فإذا سخط الله على العبد، فإن الإيمان انتفى عنه، والعكس بالعكس، يقول الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله- في السابعة: "أي هو حصول إيمان فاعله ولكونه سببا لرضى الله عن صاحبه"[(٣)]، وفي الثامنة يقول -رحمه الله-:"أي هو انتفاء الإيمان عنه وسخط الله عليه كما في حديث عائشة"[(٤)].

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٧٨٩/٢)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٦)

(٣) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٦٦)

(٤) نفس المصدر

المبحث الثالث: باب قول الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: ":" **باب قول الله تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [سـورة المائدة: ٢٣] "[١]، ويحتوي على آيات أربع، وأثر.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناســـبة باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [٢] للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٤٧).

(٢) سورة المائدة:٢٣.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين} (١). للباب السابق.

لا زال المصنف - رحمه الله – يتحدث عن أعمال القلوب، ووجوب صرفها لله -جل وعلا- دون ما سواه، وقد أورد المصنف - رحمه الله – هذا الباب في كتاب التوحيد والذي يدل على عمل من أعمال القلوب التي تكون لله -جل وعلا- وهو التوكل، يقول ابن الأثير رحمه الله في معنى التوكل:" يقال: توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان: أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلانا، إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه "(٢)، ويقول الإمام عبد الرحمن السعدي-رحمه الله – في حقيقة التوكل:" وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة، فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله "(٣).

إذا تبين معنى التوكل وأنه هو المقصود في الباب؛ فإن تفسير الآية كما يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله – في تفسيره:" متى توكلتم على الله واتبعتم أمره، ووافقتم رسوله، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم "(٤)، فالآية تتكلم عن التوكل

---

(١) سورة المائدة:٢٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١)

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٢٠)

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٧)

على الله وتفويض الأمر إليه -جل وعلا-، فمقصود المصنف - رحمه الله — من إيراد هذه الآية في الباب يتجلى من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف أن يبين فريضة التوكل على الله، وأن التوكل عليه -جل وعلا- هو علامة إيمان العبد، ينتفي الإيمان بانتفاء توكله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ومراد المصنف بهذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى لأنه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد. بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين... "[1].

ثانيا: الآية دلت على أن التوكل يجب أن يكون خاصا بالله -جل وعلا-، وخالص له — سبحانه-، ولا يجوز أن يكون توكل الإنسان على المخلوق، فيقول توكلت على فلان، ولهذا في الآية قدم الجار والمجرور على عامله الذي يعمل فيه وهو الفعل:" فتوكلوا "[2]، يقول الإمام عبد الرحمن بن حسن:" وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله؛ لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية "[3]، فقدم الجار والمجرور لإفادة الحصر، ثم أعقبها ب" إن "الشرطية للدلالة على أن التوكل شرط من شروط الإيمان [4].

إذا تبين معنى الآية فمناسبة هذا الباب للباب الذي قبله من عدة أمور:

أولا: لما ذكر الإنسان الخوف الذي لا بد أن يكون لله، -جل وعلا-، أعقبه بالتوكل؛ لأن الخائف يحتاج إلى من يؤويه ويقويه ويسانده، ويطمئن إليه، فأتى المصنف رحمه الله بالتوكل،

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/٩٩٣،٩٩٠)

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٦٢)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/٧٩٩).

(٣) قرة عيون الموحدين (ص: ٤٥٣).

(٤) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور:(٣/١٤٢٨).

يقول الشيخ عثمان بن منصور" لما ذكر المصنف رحمه الله الخوف أعقبه بالتوكل؛ إذ الخائف لا بد له من ملجأ يلجأ إليه، فاستفتح الباب بقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٣﴾ [1] "[2]، فالمتوكل على الله لا يخاف أحدا إلا الله، فهو يعتمد على الله في كل شيء، ويفوض الأمر إليه، ويعلم أن الأمر بيده -جل وعلا-، ولهذا أتى بباب التوكل بعد الخوف، لأن نتيجة الخوف من الله وحده؛ هو التوكل عليه، يقول الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله -:" مناسبة هذا الباب لما قبله: هي أن الإنسان إذا أفرد الله - سبحانه - بالتوكل؛ فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه وزوال مكروهه، ولا يعتمد على غيره "[3].

ثانيا: لما ذكر المصنف رحمه الله الخوف من الله -جل وعلا- ووجوب ذلك، وعدم الخوف من غيره، بين المصنف رحمه الله كيفية تحقيق هذا الخوف، بتمام التوكل على الله -جل وعلا-، وأن الأمر كله لله، فما شاءه الله كان وما لم يشأ لم يكن، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله -:" وإن كان هذا خوفا وهميا كالخوف الذي ليس له سبب أصلا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنا، وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم، ولهذا أتبعه بهذا الباب "[4].

---

(١) سورة المائدة:٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٨٧)

(٤) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١١٨)، ويقصد أتبعه بباب التوكل على الله -جل وعلا- .

ثالثا: أن التوكل عبادة وصرفها لغير الله شرك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – :" وفي الآية دليل على أن التوكل على الله عبادة، وعلى أنه فرض، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك "[1]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله فقال:" الأولى: أن التوكل من الفرائض "[2].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- قال المصنف رحمه الله" وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ الآية [3] "[4].

أورد المصنف هذه الآية والتي فيها معنى من معاني التوكل، يقول الإمام الطبري–رحمه الله– في تفسير الآية:" يقول تعالى ذكره: ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله، ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفا منه، وفرقا من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها، وأيقن أنها من عند الله، فازداد بتصديقه بذلك، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك، تصديقا. وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا "وعلى ربهم يتوكلون" ، يقول: وبالله يوقنون، في أن قضاءه فيهم ماض، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه

(١) تيسير العزيز الحميد (٩٩٣/٢،٩٩٠)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٤٨).

(٣) سورة الأنفال:٢.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٧)

"[1]، ويقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- في معنى التوكل في الآية:" ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب... "[2].

إذا تبين ذلك فمناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أنه ذكر فيها وصف المؤمنين، بأنهم على ربهم يتوكلون، ويعتمدون على الله لا على غيره، وهم مع ذلك يعملون الأسباب [3]، وهذا ظاهر في مناسبة الآية للباب، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وفي الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده "[4]، وإذا كان كذلك فهي عبادة يحرم صرفها لغير الله -جل وعلا-.

ثانيا: أن فيه حصرا بأن من اتصف بهذه الصفات الثلاث هم فقط المؤمنون؛ فالتوكل شرط من شروط الإيمان، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المعنى في مسائله فقال:" الثانية: أنه من شروط الإيمان "[5].

فالآية فيها تقديم المعمول على العامل، كما في الآية السابقة، مما يدل على التأكيد على وجوب التوكل بالله -جل وعلا-، يقول الشيخ صالح الفوزان:" ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذا محل الشاهد من الآية للباب، فهي مثل الآية التي قبلها: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾ [6]،

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٢).

(٣) انظر: القول المفيد، لمحمد بن عثيمين (٢/ ٩٢)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٩٥).

(٥) كتاب التوحيد (ص:٢٤٨).

(٦) سورة المائدة:٢٣.

وهنا يقول: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قدم المعمول أيضـــاً وهو الجار والمجرور على العامل وهو ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ ليُفيد الحصر "[1].

- **وقال المصنف رحمه الله" وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾** [2] "[3] الآية [4]

أورد المصـــنف رحمه الله هذه الآية والتي فيها معنى من معاني التوكل على الله -جل وعلا-، يقول الإمام السعدي-رحمه الله- في تفسيره:" ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [5] أي: كافيك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾ [6] أي: وكافي أتباعك من المؤمنين، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة على الأعداء، فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شـــرطها "[7]، وقد تقدم في معنى التوكل أن من معانيه الكفاية، وكل فلان فلانا إذا اســتكفاه أمره ثقة بكفايته[8]، وإذا تبين ذلك، فمناســبة الآية للباب من عدة أمور:

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٦٢)

(٢) سورة الأنفال:٦٤.

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٧)

(٤) الأنفال: ٦٤

(٥) سورة الأنفال:٦٤.

(٦) سورة الأنفال:٦٤.

(٧) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٥)

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٢٢١)

أولا: أن الله تكفل بكفاية النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنين به، فمن كان على منهج النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافيه، وهذا يبعث على كمال التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله -:" وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة، لأن الله تعالى أخبر أنه حسب رسوله، وحسب أتباعه. أي: كافيهم وناصرهم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [1]، [الحج: من الآية: ٧٨]، وفي ضمن ذلك أمر لهم بإفراده تعالى بالحسب، استكفاء بكفايته تبارك وتعالى وذلك هو التوكل "[2]، وهذا يوجب صدق التوكل على الله -جل وعلا- لا على غيره، والثقة بكفايته -جل وعلا- ونصرته لعباده المؤمنين.

ثانيا: أورد المصنف هذه الآية؛ ليبين أن من لم يكن على هدي النبي -ﷺ -، فإنه لن يكفيه ولن ينصره على أعدائه؛ لأنه لم يؤمن بالله -جل وعلا- فالتوكل شرط من شروط الإيمان بالله -جل وعلا-، ونصرته لعبده على أعدائه.

- **وقال المصنف رحمه الله" وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [3]** الآية "[4]

أورد المصنف هذه الآية والتي فيها ثمرة التوكل، يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه،

---

(١) سورة الحج:٧٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٩٩٨)

(٣) سورة الطلاق:٣.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٧)

وقيل: أي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه، فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية. ولم يرد الدنيا، لأن المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل" (١).

ومناسبة الآية للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: فيها ثمرة التوكل على الله -جل وعلا-، فمن توكل على الله فإن الله كافيه، وهذا يدل على أن التوكل جزاؤه عظيم؛ حيث إنه جعل جزاء المتوكل أن الله حو حسبه -جل وعلا-، ومن كان الله حسبه، فلن يضره أحد، فالله يكفيه كل ما أهمه (٢)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "المتوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره وكذلك الداعي والقرآن يدل على ذلك في مواضع كثيرة... قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ (٣) والحسب الكافي فبين أنه كاف من توكل عليه..." ثم بين رحمه الله وجه كون ثمرة التوكل شرطها التوكل فقال في معنى الآية أن الله: "علق هذه الجملة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع في مثل ذلك أن يكون وجود الشرط كعدمه ولأنه رتب الحكم على الوصف المناسب له" (٤).

ثانيا: أراد المصنف أن يبين أثر هذه الثمرة، وهذا الجزاء الذي أعده للمتوكلين عليه – جل وعلا-، فمن كفاه الله وكان حسبه، فإنه يطمئن ويقوى إيمانه، ويتعلق بربه ويصفي فكره وعقله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ":" لا ينفع في الحقيقة إلا الله ولا يضر غيره... فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم وأراح الناس من لومه وذمه إياهم وتجرد التوحيد في قلبه فقوي إيمانه وانشرح صدره وتنور قلبه ومن توكل على الله

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ١٦١)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/٨١٠).

(٣) سورة الطلاق ٢ – ٣.

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٨٨)

فهو حسبه "[1]، فالتوكل سبب في قوة إيمان العبد بربه، وانشراح صدره، ففي الآية" فضيلة التوكل، وفضيلة المتوكلين عليه "[2].

ثالثا: دلت الآية على وجوب التوكل، فالله يحفظ العبد الذي يتوكل عليه، وهذا يستلزم التوكل عليه سبحانه، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على وجوب التوكل على الله؛ لأن الله بالتوكل يحفظ عبده ويكفيه "[3].

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [4]. قالها إبراهيم -عليه السلام- حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [5] [6] [7]. رواه البخاري والنسائي**

أورد المصنف هذه الأثر وفيه بيان للتوكل أيضا، ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: في الأثر بيان لعظيم شأن هذه الكلمة وفضلها، فقد قالها أفضل الخلق في أشد المواقف عليهم مما يغلب على الظن هلاكهم فيه، مما يدل على أن التوكل لابد أن ينبني على

---

[1] مجموع الفتاوى (١/ ٩٣)

[2] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٧٩)

[3] الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٢)

[4] سورة آل عمران:١٧٣.

[5] سورة آل عمران:١٧٣.

[6] ذكره البخاري تعليقا في "صحيحه" (٦ / ٣٩) برقم: (٤٥٦٣) (كتاب تفسير القرآن، باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية).

[7] كتاب التوحيد (ص: ٢٤٧)

الثقة بالله -جل وعلا-، وصدورها من عبد مؤمن بالله موقن بأنه بيده كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله -جل وعلا-، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان-حفظه الله- عن الخليلين -عليهما الصلاة والسلام- أنهما: "قالا هذه الكلمة في أحرج المواقف، وأعظم ما وقع لهما... فالمقصود أن التوكل والاعتماد على الله في أحلك الأمور وأشدها يكون من أعظم الفرج وأقرب النصر..."[(١)]، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله بقوله: "السادسة: عظم شأن هذه الكلمة" [(٢)].

ثانيا: أن التوكل ليس معناه ترك الأسباب؛ بل لا بد من فعل الأسباب، فإنها من تمام التوكل على الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "القيام بالأسباب مع التوكل على الله لا يتنافيان، بل يجب على العبد القيام بهما، كما فعل الخليلان -عليهما الصلاة والسلام-" [(٣)]، فتبين أنها سنة الرسل -عليهم السلام-، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله بقوله: "السابعة: أنها قول إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلّم - في الشدائد" [(٤)].

---

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٢/٨١١-٨١٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٤٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٠٣)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٤٨).

المبحث الرابع: باب قول الله تعالى: {أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون}.

تمهيد

فالشيخ -رحمه الله- عقد هذا الباب لبيان وجوب أن يجتمع الخوف والرجاء في القلب، وقد مر بنا أن هذه أبواب متتالية لبيان حالات القلب والعبادات القلبية وأحكام ذلك[1].

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ":" **باب قول الله تعالى:** ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [2] "[3]، ويحتوي على آيتين، وحديث وأثر.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [4] للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٨٥)

(٢) سورة الأعراف:٩٩.

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٤٩).

(٤) سورة الأعراف:٩٩.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} (١). للباب السابق.

صدر المصنف رحمه الله هذه الترجمة بهذه الآية، والتي تدل على معنى من معاني هذا الفصل، وعمل من أعمال القلوب، وهو الأمن من مكر الله -جل وعلا-، يقول الإمام الطبري-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" أفأمن، يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله، ويجحدون آياته، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدرج الذين قص عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإن مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا، مع مقامهم على كفرهم، وإصرارهم على معصيتهم إلا القوم الخاسرون وهم الهالكون "(٢)، فبينت هذه الآية مقصود المصنف من عقد هذا الباب حيث يتجلى من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان وجوب الخوف من مكر الله -جل وعلا-، وأن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب والمعاصي؛ حيث إنه ينافي التوحيد؛ فالذي يأمن من مكر الله هالك لا محالة، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فمعنى الآية المترجم لها أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل، بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من عذاب الله، وعدم الخوف منه، كما قال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ثم بين أن ذلك بسبب الجهل والغرة بالله، فأمنوا مكره فيما ابتلاهم به من السراء والضراء، بأن يكون استدراجًا، فقال: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩٩﴾ (٣).

(١) سورة الأعراف:٩٩.

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٥٧٨)

(٣) سورة الأعراف:٩٩.

أي: الهالكون. فدل على وجوب الخوف من مكر الله "[1]، فالواجب على الإنسان أن يكون دائم الخوف من الله، فإن الأمن من مكر الله يستلزم تنقيص كمال الله المطلق، وذلك مناف لكمال التوحيد [2].

ثانيا: أنه جاء الأمن من مكر الله على سبيل الاستفهام الإنكاري، فهو إنكار على من يقع منه مثل ذلك؛ لأنه يجعل الإنسان لا يخاف من الله -جل وعلا- فيقع في المعاصي والاستمرار فيها والزيادة منها؛ وهذا يجعل الإنسان غافلا عن التوبة، وهذه هي حال الأشقياء الخاسرين، كما بين الله ذلك في آخر الآية [3].

ثالثا: أرد المصنف أن يبين في هذا الباب الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله؛ بدليل هذه الآية والآية التي بعدها، فالباب يتكلم عن تقلب العبد بين الخوف والرجاء، فكأن المصنف يقول: باب ذم الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" المراد بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين مقام الرجاء والخوف؛ ولذلك ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [4]..."[5]. فالمصنف - رحمه الله - عقد هذا الباب للآيتين جميعا؛ لاتصالهما [6]، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن-رحمه الله-:" قصد المصنف رحمه الله بهذه الآية التنبيه على أن

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٠٩)

(٢) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٣٠٧)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٧١ - ٧٢)

(٤) سورة الحجر:٥٦.

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٠٥)

(٦) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٨٠)

الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء "(١).

ثالثا: أراد المصنف أن يبين أن هذه الصفة هي من صفات المشركين، فهم يأمنون عقاب الله، كما هو واضح من سياق الآية فهي تتكلم عن المشركين على سبيل الذم؛ فهذا تنبيه منه أن يتشبه العبد بصفة من صفات المشركين (٢).

إذا تبين مراد المصنف من تبويب هذا الباب؛ فإن مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله التوكل على الله -جل وعلا-، بين في هذا الباب ثمرة من ثمرات التوكل على الله -جل وعلا-، فلما كان التوكل من أعظم ما يدفع عن المتوكل تخويف الشيطان إذا أراد أن يخوفه، فقد دخل في ولاية الرحمن وخرج من ولاية الشيطان، فلا سبيل له عليه، فكان من ثمرات هذا التوكل أن جعل العبد يتقلب بين الخوف من ربه -جل وعلا- والرجاء فيه؛ فناسب أن يورد هذا الباب بعد باب التوكل (٣)، فالمصنف رحمه الله جمع في هذا الباب بين الخوف والرجاء؛ فلا ينفرد العبد بأحدها عن الآخر بل لا بد أن يجمعهما جمعا لا يجعله يأمن من مكر الله، ولا يقنط من رحمة الله.

ثانيا: لما تكلم المصنف رحمه الله عن الخوف من الله، ووجوب الخوف منه -جل وعلا-، ثم بين بعد ذلك التوكل عليه -سبحانه-، وتفويض الأمر إليه، وأنه هو حسب الإنسان وكافيه، وهو متعلق بالخوف كما سبق بيانه؛ أراد المصنف رحمه الله من العبد ألا يجره الخوف إلى القنوط من رحمة الله -جل وعلا-، كما أنه لا يتوكل الإنسان بلسانه فقط؛ فيجعله يأمن من مكر الله؛ فأورد المصنف رحمه الله هذا الباب؛ حتى يتقلب المؤمن بين الخوف والرجاء، فيخاف

---

(١) فتح المجيد (ص: ٣٥٨)

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٨٢)

(٣) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٢٢٤٧/٦).

من الله خوفا لا يذهب به إلى اليأس من رحمته، ويتوكل عليه ويرجوا ما عنده رجاء لا يجعله يغفل ويأمن من مكر الله -جل وعلا-.

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق كيفية دفع الخوف من غير الله بالتوكل؛ بين في هذا الباب كيفية دفع الإفراط والتفريط في الخوف من الله المؤدي إلى القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، يقول صاحب منحة الحميد -حفظه الله-:" علاقة الباب بالباب السابق: لما بين المصنف في الباب السابق أن دفع المؤثر الأول -الخوف من غير الله- المخل بتحقيق الخوف من الله، يكون بالتوكل عليه -جل وعلا-، بين المصنف في هذا الباب كيفية دفع المؤثر الثاني -الإفراط في الخوف المؤدي إلى القنوط من رحمة الله، والتفريط في الخوف بترك الواجبات، وارتكاب المحرمات الناتجة عن الأمن من مكر الله- المخل بتحقيق الخوف، وأنه يكون بالجمع بين الخوف؛ لكي يندفع الأمن من مكر الله، وبالرجاء؛ لكي يندفع القنوط من رحمة الله "(١).

رابعا: لما بين المصنف رحمه الله وجوب الخوف من الله والتحذير من تركه، وعرفنا السبيل إلى ذلك بالتوكل عليه -جل وعلا-، بين في هذا الباب آثار عدم الخوف من الله -جل وعلا-، فهو علامة ضعف الإيمان وعدم الخوف منه والأمن من مكره -سبحانه-، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله-:" أراد المصنف رحمه الله تعالى أن الأمن من مكر الله يدل على ضعف الإيمان، فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات وفعل من المحرمات، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك، وهذا من أعظم الذنوب وأجمعها للعيوب "(٢).

---

(١) خالد الدبيخي (ص:٥٠٢).

(٢) قرة عيون الموحدين (ص: ٤٥٩)

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- قال المصنف رحمه الله" وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾ [(١)] "[(٢)].

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية والتي تتكلم عن المقصد الثاني من هذا الباب وهو القنوط من رحمة الله، يقول الإمام الطبري-رحمه الله— في تفسيرها:" يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف: ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله "[(٣)]، والقنوط هو اليأس، بل هو أشد اليأس [(٤)].

وأما مناسبة الآية للباب فمن عدة أمور:

أولا: أنها التفسير الثاني لهذا الباب، فهي متصلة بالآية المترجمة لها؛ فالمصنف رحمه الله أراد أن ينبه على الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله -جل وعلا-، ولهذا فإن مراد المصنف رحمه الله من إيراد هذه الآية مرتبط بالآية التي قبلها، وقد بينا مناسبة ذكرها كما في الآية السابقة، فمناسبتهما متوافقة ومتصلة ببعضهما.

ثانيا: أراد المصنف أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء، فلما حذر من الأمن من مكر الله، فإن هذا يجعله يخاف، فأتى المصنف رحمه الله بهذه الآية ليحذره من القنوط من رحمة الله كذلك، وهذا يجعل العبد يرجوا رحمة ربه مع عبادته، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -:" نبه المصنف رحمه الله بهذه الآية على الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا

---

(١) سورة الحجر:٥٦.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٩)

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١١٣)

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٣٨٦)، تاج العروس، للزبيدي (٢٠/ ٥٧).

يقنط من رحمة الله، بل يرجوها مع العمل الصـالح... فأما الرجاء مع الإصـرار على المعاصـي، فذاك من غرور الشيطان "(١).

ثالثا: جمع المصـنف رحمه الله هاتين الآيتين ليبين ما يقدح في الخوف وما يقدح في الرجاء، فالأمن يقدح في الخوف، والقنوط يقدح في الرجاء، فأوردها ليتنبه العبد لذلك، يقول الشـيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله-:" فالأمن من مكر الله ثلم في جانب الخوف، والقنوط من رحمته ثلم في جانب الرجاء "(٢).

رابعا: أن فيها بيان حكم من يقنط من رحمة ربه وأنه من القوم الضـالين، وقد تقدم في تفسـير الطبري -رحمه الله-، أن من يقنط من رحمة ربه أنه ضـل عن دين الله، مما يدل على أنه يقدح في إيمان العبد، وينقصـه، فصـفة الضـالين القنوط من رحمة الله، كما أن صـفة المهتدين المتقين هو رجاء رحمة الله -جل وعلا- (٣)، فدلت الآية على تحريم القنوط من رحمة الله (٤).

فأراد المصـنف أن يبين أنه كما أن الأمن من مكر الله -جل وعلا- هو من كبائر الذنوب، فإن القنوط كذلك هو من كبائر الذنوب، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" قصـد المصـنف رحمه الله بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء "(٥).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠١٠)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٠٤)

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٨٤)

(٤) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٣٠٨)

(٥) فتح المجيد (ص: ٣٥٨)

وقال المصنف رحمه الله" وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "سئل عن الكبائر فقال: الإشراك بالله، واليأس من روح الله والأمن من مكر الله"(١)"(٢).

وقال المصنف رحمه الله" وعن ابن مسعود قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله" . (٣) رواه عبد الرزاق(٤)

أورد المصنف رحمه الله الحديث والأثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما — واللذان يتكلمان عن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، ومناسبتهما للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين وجه الشبه بين اليأس والقنوط، وأنهما من بعض؛ إلا أن اليأس أشد من القنوط، كما ذكر ذلك صاحب التيسير -رحمه الله -؛ وذلك لظاهر القرآن، يقول رحمه الله بعد أن ذكر كلام ابن الأثير رحمه الله السابق ذكره في أن القنوط أشد اليأس: "فعلى هذا يكون الفرق بينه وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء، فيكون القنوط من اليأس، وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه حكم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال" (٥)، فرجح رحمه الله أن القنوط أشد من اليأس لظاهر القرآن على قول ابن الأثير، وهذا هو

---

(١) رواه الطبراني مطولا في المعجم الكبير (١٢/ ٢٥٢) برقم (١٣٠٢٣) (باب العين، من اسمه عبدالله،أحاديث عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، باب علي بن أبي طلحة عن ابن عباس)، وحسنه الألباني كما في صحيح وضعيف الجامع الصغير - الألباني (ص: ٨٧٤).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٩)

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (١٠ / ٤٥٩) برقم: (١٩٧٠١) (كتاب الجامع، باب الكبائر) والطبراني في "الكبير" (٩ / ١٥٦) برقم: (٨٧٨٣) (باب العين، باب) والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف الجامع الصغير - الألباني (ص: ٨٧٤)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٩)

(٥) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/ ١٠١٤)

الأولى والأرجح يقول أبو هلال العسكري رحمه الله في الفرق بين اليأس والقنوط والخيبة: "أن القنوط أشد مبالغة من اليأس... فأما اليأس فقد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده والرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر والخائب المتقطع عما أمل" (١)، فذكر المصنف رحمه الله الحديث والأثر، للتفريق بين القنوط واليأس وبيان الشبه الكبير بينهما، وأن حكمهما واحد في أنهما من أكبر الكبائر، والذي يظهر أن من أسباب إيراد الحديث والأثر معا -والله أعلم-، أن المصنف رحمه الله أراد أيضا بيان أن اليأس والقنوط اذا اجتمعا في المتن افترقا في المعنى، وإذا افترقا في المتن اجتمعا في المعنى، والله أعلم.

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله من الحديث والأثر بيان الوعيد الشديد فيمن قنط من رحمة الله أو أمن مكر الله، ولهذا ذكر أنهما من أكبر الكبائر، فهما ليسا من الكبائر فقط، وإنما من أكبر الكبائر، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -رحمه الله-: "فدل الحديث على أن اليأس من رحمة الله من أشد الذنوب وأعظمها التي تقدح في التوحيد" (٢)، وقد بين هذا المعنى المصنف رحمه الله في مسائله، فقال: "الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله، الرابعة: شدة الوعيد في القنوط"(٣)، وهذا وجه آخر من أوجه جمع الحديث مع الأثر، وهو أن أثر ابن مسعود فيه التصريح بأن أكبر الكبائر هذه الأشياء الثلاث والتي منها الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله- عند ذكر أثر بن مسعود -رضي الله عنه-: "هذا الحديث فيه التصريح أن هذه المذكورة هي أكبر الكبائر" (٤).

ثالثا: أراد المصنف بيان جمعهما في حديث وأثر واحد، فاليأس والقنوط كلامهما ذكرهما النبي -ﷺ-، في الحديث، وكذلك أثر بن مسعود، مما يدل على أنه يجب على المؤمن أن

---

(١) الفروق اللغوية (ص: ٢٤٥)

(٢) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٨٣١/٢).

(٣) كتاب التوحيد:(ص:٢٥٠).

(٤) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٨٣٢/٢).

يكون متنبها لهما جميعا، يتقلب بين الرجاء والخوف؛ ولا يطغى أحدهما فيهلك، ولا يجمع بين اليأس والقنوط فيكون هلاكه أشد وأكبر، يقول الشيخ صالح آل الشيخ-حفظه الله-: "وجه الشاهد من ذلك: أنه جعل اليأس من روح الله، وهو ذهاب الرجاء من القلب، وترك الإتيان بعبادة الرجاء جعله من الكبائر، وجعل الأمن من مكر الله، وهو ذهاب الخوف من الله – جل وعلا – من القلب جعله من الكبائر، فعدم الرجاء في الله من الكبائر، وعدم الخوف من الله – جل وعلا – من الكبائر، وهي كبائر من جهة أعمال القلوب، واجتماع الكبيرتين معا بأن لا يكون عنده رجاء ولا خوف، أعظم من كبيرة ترك الخوف وحده من الله، أو ترك الرجاء وحده من الله – جل وعلا –؛ ولهذا قرن بينهما في هذا الحديث... وبهذا يتبين لك الفرق بين اليأس من روح الله أو القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله، لأن اليأس راجع إلى ترك عبادة الرجاء، والأمن من مكر الله راجع إلى ترك عبادة الخوف، واجتماعهما واجب من الواجبات، وذهابهما أو الانتقاص منهما نقص في كمال توحيد من قام ذلك بقلبه" [1].

رابعا: قرنهما بالشرك مما يدل على شنيع هذين الأمرين وشدتهما، مما يدل على أنهما أقرب ما يكون من الشرك وذهاب التوحيد، والله أعلم.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٣٨٦)

المبحث الخامس: باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ":" **باب من الإيمان بالله، الصبر على أقدار الله** "[1]، ويحتوي على آية، وأربعة أحاديث، وأثر.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (**باب من الإيمان بالله، الصبر على أقدار الله**) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٥١).

المطلب الأول: مناسبة باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب وهو باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، -جل وعلا-، فالقصد من هذا الباب الصبر، فكأنه قال: باب بيان الصبر، وحال من لا يصبر، وهذا ظاهر من أدلة الباب، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-:" أراد المصنف -رحمه الله- بيان وجوب الصبر على الأقدار وبيان فضله، وتحريم ضده المنقص لكمال التوحيد"(١).

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم في الباب السابق عن اليأس والقنوط وهما عملان قلبيان يهلكان الإنسان، تكلم عن أمر آخر قاتل وهو الجزع مما قدره الله -جل وعلا-، فكما أن القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله منقص للإيمان، فكذلك الجزع.

ثانيا: لما ذكر في الباب السابق من وجوب الجمع بين الرجاء والخوف، ذكر في هذا الباب الصبر؛ وهو إشارة منه رحمه الله إلى أن الرجاء ينبغي أن يغلب عند المصائب والأقدار فهو سبب في صبر الإنسان على أقدار الله -جل وعلا- المؤلمة (٢)، وتحملها، وذلك يكمل الإيمان، ويحمي إيمان العبد وتقلبه بين الرجاء والخوف على ما أمر الله -جل وعلا-، وبينه نبيه -صلى الله عليه وسلم-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" لما كان الله ببديع حكمته، ولطيف رحمته، قضى أن يبتلي النوع الإنساني بالأوامر والنواهي والمصائب التي قدرها عليهم، أمرهم بالصبر على ذلك، وافترضه عليهم تسلية لهم وتقوية على ذلك، ووعدهم عليه الثواب بغير

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٥٨)

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٥١٦).

حساب كما قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ (١)[الزمر: ١٠] "(٢)، وبهذه الإشارة منه رحمه الله يتضح لنا مناسبة هذا الباب للذي قبله.

ثالثا: لما ذكر في الباب السابق الجمع بين الخوف والرجاء، وهما من ثمرات التوكل، ذكر الصبر في هذا الباب والذي هو أيضا ثمرة من ثمرات التوكل، بل إنه حقيقة التوكل، فناسب أن يذكر المصنف رحمه الله هذا الباب بعد الأبواب السابقة (٣).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله" وقول الله تعالى:** ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (٤).

قال علقمة: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم"(٥)"(٦)

هذه الآية تتكلم عن الصبر عند المصائب، يقول الله -جل وعلا-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠١٧)

(٣) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٦/٢٢٦٨).

(٤) سورة التغابن: ١١.

(٥) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" (٤/٦٦)، برقم: (٧٢٣٣) (كتاب الجنائز، باب الرغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع).

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٥١)

عَلِيمٌ ﴿١١﴾ (1)، يقول الإمام الطبري -رحمه الله-:" يقول تعالى ذكره: لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله، يقول: إلا بقضاء الله وتقدير ذلك عليه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يقول: ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه: يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه "(2).

إذا تبين معنى الآية، فمناسبة إيرادها في الباب من عدة أمور:

أولا: أن الله -جل وعلا- سمى الرضا بقضاء الله وقدره إيمانا، مما يدل على أن الصبر على أقدار الله من الإيمان، يقول الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-:" وقد سمّى الله هذا التسليم وهذا الرضى إيماناً، فقال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يعني: يرضى بقضاء الله ويسلِّم له، وهذا هو الشاهد: إن الله سمى الصبر على المصيبة والرضى بقضاء الله وقدره إيماناً "(3)، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله:" الثانية: أن هذا من الإيمان "(4)، بل إن الإيمان بالله والتسليم لقضائه والصبر على بلائه؛ شرط لهداية القلب إلى ما يرضي الله -جل وعلا- (5).

ثانيا: أن الصبر على أقدار الله هو الرضى والتسليم عند المصيبة، وهذا يوضح معنى قوله: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله، فمن كانت هذه حاله، فهو مؤمن صابر على أقداره -جل وعلا-، وهذا يدل له كلام علقمة-رحمه الله-، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب: حيث دل الأثر على أن علقمة -رحمه الله تعالى- يرى أن الصبر على المصائب والتسليم من علامات الإيمان "(6).

---

(1) سورة التغابن:11.

(2) تفسير الطبري (23/ 421)

(3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (2/ 82)

(4) كتاب التوحيد:(ص:253).

(5) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور(3/1477).

(6) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: 315)

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله أن يوضح فضل الصبر على أقدار الله -جل وعلا-، وأن هداية القلوب سببها الإيمان بالله والصبر على أقداره -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وفي الآية بيان أن الصبر سبب لهداية القلب، وأن من ثواب الحسنة الحسنةُ بعدها "[1]، فالإيمان مرتبط بالصبر، والصبر سبب لهداية القلب.

- **وقال المصنف رحمه الله" وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن فى النسب، والنياحة على الميت"** [2] [3].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث؛ ليبين ويضح ما هو نقيض الصبر على أقدار الله -جل وعلا-، والمراد بقوله: "هما بهم كفر" ، أي أن هذين الأمرين هما بالناس كفر، فهي من أعمال الكفار وشعبة من شعب الكفر، وليس معناه أن من قام بشعبة من شعب الكفر أنه كافر، لكنه اتصف بصفة هي من أعمال الكفار [4].

إذا تبين ذلك فمناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: فيه أن من شعب الكفر النياحة على الميت، والجزع عند حصول المصيبة، والذي هو خلاف الصبر على أقدار الله، وهذا يدل على تحريمها، ووجوب الصبر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وفيه دليل على أن الصبر واجب، لأن النياحة منافية له، فإذا حرمت دل على وجوبه" [5].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٠٢٢/٢).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (١ / ٥٨) برقم: (٦٧) (كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن فِي النسب والنياحة على الميت)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٥١)

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٣٧).

(٥) تيسير العزيز الحميد (١٠٢٣/٢).

ثانيا: لما بين المصنف في الآية أن الرضى والصبر من خصال الإيمان، وكما هو تفسير علقمة السابق؛ بين في هذا الحديث ما هو ضد الرضى والإيمان، وهو الجزع والسخط والذي هو من خصال الكفر [(١)]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله: «والنياحة على الميت» أي رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله؛ لما في ذلك من التسخط على القدر، والجزع المنافي للصبر" [(٢)].

ثالثا: أن النياحة على الميت، هي في الناس، ولا زالت، فهو تحذير من النبي صلى الله عليه وسلم من الوقوع فيها؛ فهي من خصال الكفر، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله-: "وفيه أن الطعن في الأنساب والنياحة على الميت أمران من أمور الجاهلية يجب الابتعاد عنهما" [(٣)].

رابعا: ذكر المصنف هذا الحديث والذي فيه النياحة على الميت، والتي سبب كونها محرمة وهي من خصال الكفر؛ أنها قدح في خلق الله -جل وعلا-؛ فالنائح أو النائحة إنما هي تجزع وتعترض على قضاء الله وقدره، وتتسخط على مصيبة فقد الميت؛ ولهذا السبب كانت قدحا في الإيمان [(٤)].

- **وقال المصنف رحمه الله "ولهما عن ابن مسعود مرفوعا:" ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية "[(٥)] [(٦)].**

وهذا الحديث أيضا فيه معنى من معاني عدم الصبر على أقدار الله -جل وعلا-، والتي تدل على الجزع والتسخط، يقول الإمام ابن حجر -رحمه الله-:" قوله لطم الخدود خص الخد

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ٨٣)

(٢) تيسير العزيز الحميد (١٠٢٣/٢)

(٣) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ٢٠٦)

(٤) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٨٤٠/٢).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٨٢) برقم: (١٢٩٧) (كتاب الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود)

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٢)

بذلك لكونه الغالب في ذلك وإلا فضرب بقية الوجه داخل في ذلك قوله وشق الجيوب جمع جيب بالجيم والموحدة وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس والمراد بشقه إكمال فتحه إلى آخره وهو من علامات التسخط قوله ودعا بدعوى الجاهلية... أي من النياحة ونحوها وكذا الندبة كقولهم واجبلاه وكذا الدعاء بالويل والثبور "(١).

ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه طردا وإبعادا عن ملة النبي -ﷺ-، وهذا يدل على أنه من الكبائر، والذي منه ضرب الخدود وشق الجيوب، والنياحة والندبة وغيرها، ولا يكون ذلك إلا بسبب التسخط والجزع وعدم الصبر على أقدار الله؛ فهو وعيد شديد على من فعل ذلك؛ ولهذا أتى به المصنف في هذا الباب، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، لأنها مشتملة على التسخط على الرب وعدم الصبر الواجب، والإضرار بالنفس من لطم الوجه، وإتلاف المال؛ بشق الثياب وتمزيقها وذكر الميت بما ليس فيه، والدعاء بالويل والثبور والتظلم من الله تعالى، وبدون هذا يثبت التحريم الشديد "(٢)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة في مسائله بقوله:" الرابعة: شدة الوعيد فيمن: ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية "(٣).

ثانيا: أن عدم الصبر على أقدار الله والنياحة، والندبة، أنها من أعمال أهل الجاهلية، وهذه يؤكد تحريمها، فلطم الخدود، وشق الجيوب كانت من عادات الجاهلية، وكل فعل يفعله الإنسان يدل على التسخط، وعدم التسليم لله -جل وعلا-، فهو داخل في هذا وهو من كبائر الذنوب، كنتف الشعر وضرب النفس وغيره (٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٦٤)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٢٦)

(٣) كتاب التوحيد:(ص:٢٥٣).

(٤) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/٨٤٣)

ثالثا: أن من يفعل مثل هذه الأفعال، فهي ليست من صفات أهل الإسلام، لقوله:" ليس منا "، فهي تنقص الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد وينقص بالطاعة والمعصية، ونقص الإيمان قد ينقص التوحيد[1].

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة"** [2] [3].

هذا الحديث فيه بيان لترجمة الباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه بيان للحكمة من إرادة الله بالعبد الخير أو الشر، فمن وقع في المصائب، فهذه بشارة خير له، فالله أراد أن يعجل العقوبة له في الدنيا، وهذا فيه تسلية للعبد، وحث على صبره على أقدار الله -جل وعلا-، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله -: "وفي هذا تسلية للمؤمن إذا علم أن كل ما أصابه تكفير من خطاياه، مع أنه ينبغي أن يرضى عن الله — تعالى"[4]، كما أن تأخر المصائب والبلايا، قد تكون علامة شر للإنسان؛ وذلك بتأخير العقوبة إلى يوم القيامة؛ وهذا مراد المصنف رحمه الله في مسائله عندما قال: "الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير، السادسة: علامة إرادة الله به الشر" [5].

ثانيا: أن من أسباب الجزع والتسخط، خوف الإنسان من كثرة المصائب عليه، من أنها عقوبة إلهية، فأتى هذا الحديث؛ ليبشر ويطمئن المبتلى بأن كثرتها من الخير لك، يقول الشيخ

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٩٤)

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠٢) برقم (١٢٩٤) والحديث صحيح عند الألباني كما في صحيح وضعيف الجامع الصغير - الألباني (ص: ٣١)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٢)

(٤) فتح الحميد (١٥٠٥/٣)

(٥) كتاب التوحيد (ص:٢٥٣).

عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: "فكثرة المصائب قد يمحى بها جميع المعاصي والسيئات فعليه بالصبر"(١)، وهذا يجعله أيضا يصبر على أقدار الله -جل وعلا-، ويعلم أن ما أصابه إنما هو من عند الله تعالى، وهي علامة خير، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وفيه من الفوائد أن البلاء للمؤمن من علامات الخير خلافًا لما يظنه كثير من الناس" (٢)،

ثالثا: أنه لما كان سوء الظن من أسباب السخط وعدم التسليم والصبر على أقدار الله -جل وعلا-، أتى المصنف بهذا الحديث والذي فيه الحث على حسن الظن بالله -جل وعلا-، فإنه سبب من أسباب الرضا والصبر على المصائب، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وفيه تنبيه على رجاء الله وحسن الظن به فيما يقضيه لك مما تكره" (٣).

رابعا: أن من علامة المؤمن أنه يصبر على ما قدر عليه؛ لأنه يعلم سبب وقوع المصيبة ويؤمن بذلك، فهي خير له، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على أن من اتصف بالإيمان صبر على ما قدر عليه من المصائب؛ لأنها خير له" (٤).

- **وقال المصنف رحمه الله "وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط "(٥). (٦) حسنه الترمذي.**

مناسبة هذا الحديث للباب تتجلى من عدة أمور:

(١) شرح كتاب التوحيد (ص:١٨٤)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٣٣)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٣٣)

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٠)

(٥) أخرجه الترمذي (٢٠٢/٤) برقم (٢٣٩٦) وحسنه. وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٧٦).

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٢)

أولا: فيه فضل الصبر على المصائب، وأنه كلما عظم البلاء عظم معه الجزاء، وأنه علامة على محبة الله -جل وعلا-، فكلما عظم البلاء أيضا فهو علامة على عظيم محبة الله -جل وعلا-، والأنبياء أعظم الناس بلاء؛ لأنهم أفضل الخلق عند الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" قوله: "وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم" . صريح في حصول الابتلاء لمن أحبه الله، ولما كان الأنبياء عليهم السلام أفضل الأحباب كانوا أشد الناس بلاء، وأصابهم من البلاء في الله ما لم يصب أحدا لينالوا بذلك الثواب العظيم والرضوان الأكبر وليأتسي بهم من بعدهم، ويعلموا أنهم بشر تصيبهم المحن والبلايا فلا يعبدونهم "[1]، فالبلاء ينال به محبة الله والأجر العظيم؛ فهو دليل على وجوب الصبر؛ لأن الساخط يغضب الله، ويأثم بعدم صبره [2]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" السابعة: علامة حب الله للعبد "[3].

ثانيا: أن الحديث فيه دليل على أن الصبر على المصائب ليس فيه تكفيرا للسيئات فحسب؛ وإنما رفعة في الدرجات، وزيادة في الحسنات كذلك، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث:" إن عظم الجزاء مع عظم البلاء "[4]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء "[5].

ثالثا: أن فيها دليلا على الرضا بالقضاء، فالله يرضى على الصابرين على أقداره، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله-:" في هذا الحديث دليل من جهة الرضا بالقضاء، أن كل ما ليس من فعل العباد وإنما هو إحداث الرب تبارك وتعالى-، للحكمة التي يحبها ويرضاها، فهو

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٣٥)

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٥٢٩)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٣)

(٤) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/٨٤٩).

(٥) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٣)

يجب الرضا به؛ لأنه رضى لله بما رضيه لنفسه، فيرضاه الإنسان ويحبه مفعولا مخلوقا لله، ويبغضه ويكرهه فعلا للمذنب المخالف لأمر الله... "(١).

رابعا: فيه دلالة على أن كل ما يصيب الإنسان من المصائب أنها بتقدير الله -جل وعلا-؛ فيجب على العبد أن يؤمن به، ثم يصبر عليها، وهو داخل في قوله في الترجمة: من الإيمان بالله -جل وعلا- الصبر على أقدار الله (٢).

خامسا: الحديث فيه دليل على تحريم السخط والجزع من المصائب، وأن هذا بقدر الله، فمن جزع فقد اعترض على أقداره -جل وعلا-، ولذلك فإن فيه وعيد على من سخط من أقداره -جل وعلا-، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب: حيث حرم الحديث الجزع من أقدار الله، وهذا يدل على أن الصبر على أقدار الله من الإيمان "(٣)، ولهذا أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" الثامنة: تحريم السخط "(٤).

الفصل السابع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بالشرك الخفي

المبحث الأول: باب ما جاء في الرياء.

المبحث الثاني: باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

---

(١) فتح الحميد (١٥٠٧/٣)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٨٥١/٢).

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٢)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٣)

المبحث الأول: **باب ما جاء في الرياء**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله:" : "**باب ما جاء في الرياء**"[١٦٦٤]، ويحتوي على آية، وحديثين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب (ما جاء في الرياء) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١٦٦٤) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٥٤).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في الرياء للباب السابق.

ابتدأ المصنف رحمه الله هذا الفصل والذي يتكلم عن الشرك الأصغر، ابتدأه بالتعريف بالشرك الأصغر، والذي هو الرياء، فقال -رحمه الله-: "باب ما جاء في الرياء" ، أي الوعيد فيه، وقد نبه على أن الرياء من الوعيد الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله وقال بعد ذلك: "ولما كان خلوص العمل من الشرك والرياء شرطا في قبوله، لمنافاة الشرك والرياء للتوحيد، نبه عليه المصنف تحقيقا للتوحيد" (١٦٦٥)، أي لما كان من شرط قبول الأعمال أن تكون خالصة لله، ليس فيها الرياء الذي ينافي التوحيد؛ فإن المصنف نبه على الرياء -الذي هو من الشرك- حتى لا يؤثر في التوحيد، ويصبح العبد محققا للتوحيد.

والرياء قال عنه الإمام الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: "الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد وهو مشتق من الرؤية والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها" (١٦٦٦)،

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - :" وهو أن يري الناس أنه يعمل عملا على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى"(١٦٦٧)، فالعمل إذا لم يكن خالصا لله وخالطه الرياء؛ فهو مناف للتوحيد.

وأما مناسبة هذا الباب للذي قبله؛ فتتجلى من عدة أمور:

أولا: لما بين المصنف أن من الإيمان الصبر على أقدار الله -جل وعلا-، ذكر هذا الباب ليوضح أن من أسباب عدم الإيمان والجزع هو الرياء، فحذر منه وعاقب صاحبه بإحباط العمل، وأعلمه بوقوعه في الشرك مع الله -جل وعلا-، يقول صاحب مغني المريد: "الرياء من أعظم الأسباب للجزع وعدم الصبر على أقدار الله؛ ذلك لأن المنافق المرائي إنما

(١٦٦٥) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٤٤).

(١٦٦٦) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٦)

(١٦٦٧)تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٤٤).

قصـــد بعمله غير وجه الله –تعالى- من وجاهة وشـــرف أو غير ذلك، فإذا لم يجد ذلك بل وجد ضده، من زلازل وفتن ومحن؛ تزلزل..." (١٦٦٨).

ثانيا: لما ذكر المصنف رحمه الله أنواع التعلق الصحيح بالله -جل وعلا-؛ ناسب أن يذكر هذا الباب التعلق الخاطئ؛ لينبه القارئ عن الوقوع فيه وهو الرياء والذي خالط تعلقه بربه تعلقه بغيره؛ فكان سببا في إحباط عمله.

ثالثا: لما ذكر المصـــنف رحمه الله أعمال القلوب من الخوف والتوكل والصـــبر، وهي ليست ظاهرة بل خفية في قلب الإنسان، ذكر هنا عملا قلبيا آخر، لكنه محبط، فذكره على سبيل التحذير والوعيد من الوقوع فيه؛ فهو محبط للعمل.

رابعا: لما حث المصنف رحمه الله العبد على تعلقه بربه وبين له الطريق إلى ذلك، ذكر هذا الباب لينبه العبد على أن العمل وإن كان أوله خالصا، متعلق صاحبه بربه -جل وعلا-، فإنه قد يأتيه بعد ذلك ما يشـــوبه ويؤثر فيه، وهو لا يشـــعر، والذي هو الرياء الذي بينه المصنف رحمه الله من خلال الأدلة التي ساقها.

خامسا: لما بين المصنف رحمه الله أن التوحيد يتحقق بالمحبة والتوكل والخوف والرجاء؛ ذكر المصنف رحمه الله هذا الباب والباب الذي بعده (١٦٦٩)، ليبين أن هذه الأشياء لا تقبل إلا إذا كانت خالصـــة له، ومتابعة لشـــريعته وحكمته، كما دل عليه باب من أطاع العلماء (١٦٧٠)، وهذه المناسبة هي مناسبة الباب لما قبله ومناسبة الباب بعده، يقول الشيخ عثمان بن منصـــور-رحمه الله -: "لما ذكر -رحمه الله تعالى – ما يحض على محبة الله والإخلاص فيها، وذلك أيضـا هو متضـمن للرجاء، وأعقبه بباب الخوف ثم التوكل، والبابين بعدهما، فلما علم أن مدار التوحيد في الأقوال والأعمال والأحوال على هذه الأشياء؛ أعقبها بذكر الرياء؛ إشارة أنها لا تصـلح الأعمال معه، ثم أعقبه بالباب الذي قد تضـمنه وهو باب الإرادة؛ تحذيرا عن ذلك؛ لئلا يفســد عليه بذلك ما تقدم" (١٦٧١)، ثم أعقبه -رحمه الله - أيضـــا بالبابين اللذين

(١٦٦٨) مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٦/٢٢٩٩)

(١٦٦٩) وهو باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

(١٦٧٠) وسيأتي بيانه.

(١٦٧١) فتح الحميد (٣/ ١٥١١)، وانظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص:٥٣٦).

بعدهما، للدلالة على وجوب موافقة العمل لشريعة الله -جل وعلا- ودينه، ولسنة نبيه -ﷺ-، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف رحمه الله "وقول الله تعال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(١٦٧٢) لآية.**

ابتدأ المصنف رحمه الله هذا المبحث بهذه الآية التي، فيها أمر من الله -جل وعلا- لنبيه أن يخبر المشركين أنه إنما هو بشر ويعبد الله -جل وعلا- ولا يشرك معه غيره، فهذه الآية تتكلم عن الشرك، يقول الإمام ابن كثير-رحمه الله-:" يقول لرسوله محمد -ﷺ-: ﴿قل﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم: ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾ فمن زعم أني كاذب، فليأت بمثل ما جئت به،... وأنا أخبركم ﴿أنما إلهكم﴾ الذي أدعوكم إلى عبادته، ﴿إله واحد﴾ لا شريك له، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ (١٦٧٣) أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ (١٦٧٤)، ما كان موافقا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ (١٦٧٥) وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل. لا بد أن يكون خالصا لله، صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١٦٧٦).

إذا تبين لنا معنى الآية فمناسبتها للباب من عدة أمور:

(١٦٧٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٤)

(١٦٧٣) سورة الكهف: ١١٠.

(١٦٧٤) سورة الكهف: ١١٠.

(١٦٧٥) سورة الكهف: ١١٠.

(١٦٧٦) تفسير ابن كثير(٥/ ٢٠٥)

أولا: هذه الآية هي كالقاعدة لهذا الباب والأبواب الثلاثة بعده؛ فقد تكلمت عن شرطي قبول الأعمال، وهي الإخلاص لله -جل وعلا-، وقد فسره هذه الباب والباب الذي بعده، والموافقة والمتابعة لشريعة الله -جل وعلا- وسنة نبيه -ﷺ -، وقد فسرهما البابين بعدهما، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله -:" وحاصل المعنى في ذلك: هو أن تكون أفعال العبد وأقواله متمحضة لإرادة التقرب إلى الله —تعالى-، على ما شرع في كتابه أو على لسان رسوله -ﷺ -، وهذان ركنا العمل المتقبل... فهذان الركنان قائدهما وسائقهما الخوف والرجاء؛ لأن مشاهدة التوحيد في ذلك تفتح لصاحبها باب الخير، وتغلق عنه باب الشر... "(١٦٧٧)، فمن رجا غير الله أو خافه وزين العمل لأجله؛ فإنه قد دخل في الرياء.

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في ترجمة الباب أن كلامه عن الرياء، أتى بهذه الآية ليبين أن العمل إذا لم يكن خالصا لله -جل وعلا-، وخالطه تزيين لذلك العمل ليحمده الناس عليه؛ فإنه يصبح في هذه الحالة شركا، وهذا هو الرياء، فمن دلالات الآية أنها تدل على معنى الرياء، يقول الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-:" ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ (١٦٧٨) ومن ذلك: أن يرائي بعمله، أو يسمِّع بعمله، فإنه إذا راءى بعمله، أو سمّع به، أبطله الله وردّه عليه... تدُلُّ الآية الكريمة على وجُوب الإخلاص في العمل لله، وهذا محل الشاهد منها للباب. "(١٦٧٩).

ثالثا: لما كان من معاني الرياء تزيين العمل للناس رجاء أن يحمدوه عليها، أتى المصنف رحمه الله بهذه الآية، والتي فيها الدلالة على أن الرجاء الحقيقي هو لله -جل وعلا-، فمن كان يرجوا لقاء ربه، لا لقاء الناس ومدحهم، فشرط ذلك العمل الصالح وعدم الإشراك بالله أحدا، سواء كان في العبادة كتزيينها للخلق رجاء مدحهم، أم في ربوبية الله -جل وعلا- أو غير ذلك، يقول الشيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله -:" فقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

(١٦٧٧) فتتح الحميد (١٥١٢/٣).

(١٦٧٨) سورة الكهف: ١١٠.

(١٦٧٩) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٩٣، ٩٧)

﴿صَٰلِحٗا﴾ (١٦٨٠): الفاء رابطة لجواب الشرط، والأمر للإرشاد؛ أي: من كان يريد أن يلقى الله على الوجه الذي يرضاه سبحانه؛ فليعمل عملا صالحا، والعمل الصالح: ما كان خالصا صوابا، وهذا وجه الشاهد من الآية... والشاهد من الآية: أن الرياء من الشرك، فيكون داخلا في النهي عنه "(١٦٨١).

رابعا: أن الآية دلت على النهي عن الشرك قليله وكثيره، والرياء يدخل في هذه الآية، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله قليله وكثيره"(١٦٨٢)، فقد قال الله -جل وعلا-: ﴿أحدا﴾، مما يدل على النهي من جميع أنواع الشرك، فمن كان يرجوا لقاء الله؛ فمن شروط قبول العمل عدم الإشراك بالله -جل وعلا- ومن ذلك الرياء(١٦٨٣).

خامسا: لما كان الغرض من الرياء حصول السعادة والفرح بمدح الناس للرجل المرائي؛ أتى المصنف رحمه الله بهذه الآية ليبين أن السعادة الحقيقية والفرح الحقيقي هو لقاء الله -جل وعلا، فمن كان يرجوا لقاءه فعليه بشروط قبول الأعمال، وعدم الإشراك به -جل وعلا- (١٦٨٤).

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن أبي هريرة مرفوعا: "قال الله تعالى: أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"** (١٦٨٥) "(١٦٨٦). **رواه مسلم**

(١٦٨٠) سورة الكهف: ١١٠.

(١٦٨١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٢٨-١٢٩)

(١٦٨٢) قرة عيون الموحدين (ص: ١٨٢)

(١٦٨٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٣٩٩)

(١٦٨٤) انظر: الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله (ص: ١٥٧)

(١٦٨٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٣) برقم: (٢٩٨٥) (كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله)

(١٦٨٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٤)

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث الذي يتكلم عن الشرك، والتحذير منه، ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: لما كان الرياء حقيقته أن يعمل العبد عملا لله -جل وعلا- صالحا، لكنه دخل فيه شيء لغير الله -جل وعلا- بأنه زينه ليمدحه من يراه؛ كان ذلك شركا في العبادة، فقد أشرك مع الله غيره في العبادة، والحديث عام في كل إشراك مع الله في عبادته، فيدخل فيه الرياء، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" لما كان المرائي قاصدًا بعمله الله تعالى وغيره، كان قد جعل الله تعالى شريكًا "(١٦٨٧).

ثانيا: بين المصنف رحمه الله أن الله -جل وعلا- رد هذا العمل الصالح، لأمر كبير؛ وهو أنهم لم يخلصوا العلم لله -جل وعلا-، بل أشركوا معه غيره، فدخلوا في الرياء، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان-حفظه الله-:" وجه الاستدلال على أن الرياء محبط للعمل: أن العمل إذا وقع فيه شيء من الرياء أن الله لا يقبله بل يمقت عليه، وهذا الذي ساق المؤلف الحديث من أجله "(١٦٨٨). وقد بين المصنف رحمه الله هذا المعنى بقوله:" الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله "(١٦٨٩)، يقول الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-:" أي لفقده شرطه المصحح له وهو الإخلاص "(١٦٩٠).

ثالثا: لما كان حال المرائي، كحال من ذكرهم الله -جل وعلا- في الحديث القدسي ممن يعبدون الله -جل وعلا- ويعبدون غيره معه؛ فإن الله -جل وعلا- هو خير الشركاء، وأنهم كلهم مفتقرون إليه، لا غنى لهم عنه، بل هو غني عنهم، وعمن أشركهم معه، وعن شركهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" لما كان المرائي قاصدا بعمله الله تعالى وغيره، كان قد جعل الله تعالى شريكا، فإذا كان كذلك، فالله تعالى هو الغني على الإطلاق، والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار، فلا يليق بكرمه وغناه التام أن يقبل العمل

(١٦٨٧) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٤٨)

(١٦٨٨) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٢/٨٥٩).

(١٦٨٩) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٥)

(١٦٩٠) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٧٧)

الذي جعل له فيه شـــريك، فإن كماله تبارك وتعالى وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك "[١٦٩١]، وهـذا حـديث عظيم يدل على غنى الله -جل وعلا- عن خلقـه، وأنهم محتاجون إليه، فكيف يميل بعضـــهم إلى مدح الآخر، وقد بين المصـــنف رحمه الله هذا المعنى بقوله:" الثالثة: ذكر السـبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى، الرابعة: أن من الأسـباب، أنه تعالى خير الشركاء "[١٦٩٢].

- **وقال المصنف رحمه الله" وعن أبي سعيد مرفوعا: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يارسول الله؛ قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل"** [١٦٩٣]. **رواه أحمد.** [١٦٩٤]

أتى المصـنف رحمه الله بهذا الحديث والذي في التصـريح بالكلام عن الرياء، ومناسـبة ذكره في هذا الباب من عدة أمور:

أولا: أنه ذكر اسما من أسماء الرياء، وهو الشـرك الخفي، وقد سماه النبي صـلى الله عليه وسلم بالشرك الخفي؛ وذلك لأنه في الظاهر فيما يراه الرائي أنه لله، لكنه في قلبه خالطه شرك مع الله -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "سمي الرياء شركا خفيا، لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزين بإظهاره أنه لله" [١٦٩٥].

ثانيا: أن فيه تفسـيرا للرياء، وتوضـيحا لمعناه، فالرياء هو أن يزين الرجل العبادة ويأتي بها على أكمل وجه؛ لأجل أن يمدحه من يراه من الناس، ويصفونه بما يرونه ظاهرا، وقد أشار

(١٦٩١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٤٨)

(١٦٩٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٦)

(١٦٩٣) كتاب التوحيد (٢٥٥)

(١٦٩٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥ / ٢٣٤٩) برقم: (١١٤٢٤) (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،) والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٨

(١٦٩٥) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٥٨)

المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة في مسائله بقوله: "السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه" (١٦٩٦).

ثالثا: أن فيه خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، وأمته من الرياء، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك بقوله: "الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء" (١٦٩٧)، وقد دل خوفه صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء على عدة معان:

الأول: أنه إذا كان ذلك في عهد الصحابة -رضي الله عنهم- فما بالك بمن بعدهم، لا شك أن هذا يزيد من شدة الرياء وخطره على أمته -صلى الله عليه وسلم-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال، والحذر من الرياء ومن الشرك الأكبر، إذ كان -صلى الله عليه وسلم- يخاف الرياء على أصحابه مع علمهم وفضلهم، فغيرهم أولى بالخوف" (١٦٩٨).

الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ذكر المسيح الدجال، والتحذير منه في مواضع كثيرة، بل إنه ذكر صفاته التي يعرف به، بل إنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما من نبي إلا وحذر منه؛ لشدة فتنته (١٦٩٩)، فإذا كان هذا هو حال المسيح الدجال، فما بالك بالشرك الخفي الذي هو الرياء، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخافه علينا أشد من خوفه من المسيح الدجال.

الثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم خافه علينا، لشدة خفائه، وقوة الرغبة إليه، وصعوبة التخلص منه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله:" ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال "إنما كان الرياء كذلك، لخفائه وقوة الداعي إليه،

(١٦٩٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٦)

(١٦٩٧) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٦)

(١٦٩٨) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٦١)

(١٦٩٩) انظر: البخاري في "صحيحه" (٩ / ٦٠) برقم: (٧١٢٨) (كتاب الفتن، باب ذكر الدجال) ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٠٧) برقم: (١٦٩) (كتاب الإيمان، باب فِي ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- .

وعســر التخلص منه لما يزينه الشـيطان، والنفس الأمارة في قلب صـاحبه" [١٧٠٠]، بخلاف المسيح الدجال، فإن أمره ظاهر وبين، وصفاته أخبر بها النبي -ﷺ -.

(١٧٠٠) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٥٧)

المبحث الثاني: **باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "**باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**" [1701]، ويحتوي على آية، وحديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (**باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١٧٠١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٥٧).

المطلب الأول: مناسبة باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، للباب السابق.

هذا المبحث الثاني من الفصل السابع، وهو متعلق أيضا بالشرك الخفي، وهذا المبحث ليس مطابقا للباب السابق من كل وجه، وإن كان متعلقا به من حيث صرف العبادة لكن اختلف المتعلق به، لأن المبحث السابق في الرياء والذي هو تزيين العمل لأجل مدح الناس، أما هذا الباب فهو تزيين العمل لأجل متاع الدنيا، وقد بين الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله أوجه التفريق بينهما فقال: "قد ظن بعض الناس أن هذا الباب داخل في الرياء، وأن هذا مجرد تكرير فأخطأ، بل المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحًا يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك، ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدًا لذلك بخلاف المرائي، فإنه إنما يعمل ليراه الناس ويعظموه، والذي يعمل لأجل الدراهم والقطيفة ونحو ذلك أعقل من المرائي، لأن ذلك عمل لدنيا يصيبها، والمرائي عمل لأجل المدح، والجلالة في أعين الناس، وكلاهما خاسر نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه" (١٧٠٢)، وقد ذكر الشيخ محمد بن عثيمين الاحتمالات الثلاثة في العلاقة بين هذا الباب والباب قبله، فبين أن احتمال كونه مكررا مع ما قبله أنه بعيد أن يفعل المصنف رحمه الله ذلك، وأما الاحتمال الآخر: هو أن الباب الذي قبله أخص من هذا الباب، وذكر أنه محتمل، ثم ذكر الاحتمال الثالث وهو: أنه مستقل عن الباب السابق، ورجح رحمه الله هذا الاحتمال؛ لأنه في هذا الباب يريد النفع المادي ولا يريد مدحا بعبادته ولا مراءاة، أما الباب السابق فإنما هو يريد أن يمدح في العبادة (١٧٠٣).

ومما سبق يتبين لنا مناسبة هذا الباب لما قبله حيث يتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الرياء وهذا الباب كلاهما يشتركان في تزيين العبادة، ويراه الناس عملا صالحا في الظاهر، لكنهم يخفون في قلوبهم إشراكهم مع الله في مقصدهم من العبادة، فكلاهما شرك خفي؛ لاشتراكهم في كونهم شركا، وأيضا خفيا، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله

(١٧٠٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٦٣)

(١٧٠٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٣٦)

-: "بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين. وهو أيضا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام" (١٧٠٤).

ثانيا: لما تكلم في الباب السابق عن الرياء والذي الهدف منه النفع المعنوي بالمدح والثناء، انتقل إلى هذا الباب، والذي الهدف منه النفع المادي، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم سماه عبدا لما يريده، فإن هذا الباب والذي قبله إنما هما استغلال للأعمال الأخروية لأجل مصالح دنيوية، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين-رحمه الله -: "فالحاصل أن هذين البابين، فيمن يعمل الأعمال الأخروية من أجل مصالح عاجلة، إما مخصوصة كالأموال ونحوها، وإما معنوية كالجاه والمنصب، ويعمل للشهرة بين الناس..." (١٧٠٥).

ثالثا: لما ذكر المصنف أن الرياء يبطل قبول العمل الصالح ويحبطه، بين في هذا الباب صورة أخرى لبطلان قبول العمل الصالح وإحباطه، والوعيد الشديد لمن فعل ذلك، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله -: "أراد المصنف -رحمه الله - بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه" (١٧٠٦).

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف رحمه الله "وقوله تعالى:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ (١٧٠٧) **الآيتين"** (١٧٠٨).

(١٧٠٤) فتح المجيد (ص: ٣٧٢)

(١٧٠٥) السبك الفريد (٢/ ٢٤٥-٢٤٦).

(١٧٠٦) قرة عيون الموحدين (ص: ٤٧٧)

(١٧٠٧) سورة هود:١٥.

(١٧٠٨) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٧)

ذكر المصنف هذه الآية وبين أن الآية التي بعدها مقصودة كذلك، يقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ (١٧٠٩).

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير الآيتين: "يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإياها وزينتها يطلب به، نوف إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها (وَهُمْ فِيهَا) يقول: وهم في الدنيا، (لَا يُبْخَسُونَ)، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها... يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا (لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ)، يصلونها (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا)، يقول: وذهب ما عملوا في الدنيا، (وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)، لأنهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله وأحبط عامله أجره" (١٧١٠).

ومراد المصنف رحمه الله من هذه الآية، يتبين من خلال ذكر مناسبتها للباب، فمناسبة الآية للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين أن هذا العمل من الشرك؛ لأنه عمِلَ عمَلَ الآخرة؛ لأجل متاع الدنيا، فهو لم يخلص العمل لله؛ فوقع في الشرك، فإن الله -جل وعلا- أذهب عمن يريد الدنيا أعمالهم التي عملوها في الدنيا وأبطلها، وأحبط ما عملوا فيها، وهذا ظاهر من خلال الآية، ومن خلال تفسير الإمام الطبري-رحمه الله- لها (١٧١١)، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله-رحمه الله-: "وفي الآية من الفوائد أن الشرك محبط للأعمال، وأن إرادة

(١٧٠٩) سورة هود:١٥-١٦.

(١٧١٠) تفسير الطبري (١٥/ ٢٦٢، ٢٦٩)

(١٧١١) انظر: الصفحة السابقة.

الدنيا وزينتها بالعمل كذلك" (١٧١٢)، ولهذا فإن المصنف صور هذه المناسبة في مسائله بأوضح عبارة وأتمها فقال -رحمه الله-: "الأولى: إرادةُ الإنسانِ الدنيا، بعمل الآخرةِ" (١٧١٣)، فكأن المصنف رحمه الله أراد أن يبين من خلال هذه الآية، شناعة هذا العمل، ودناءة من قام به؛ فإن صاحبه عمل عملا يتسابق إليه المتسابقون، ويشمر له المشمرون، ويتسارعون للوصول إلى رضى الله -جل وعلا- والعدة لليوم الآخر، والفوز بالجنة، وهذا الرجل استغل هذا العمل العظيم، لأجل حطام الدنيا وزينتها، نسأل الله السلامة والعافية؛ ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الآتي، بأنه عبد لما أراده، بل ودعا عليه بالتعاسة، وسيأتي، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآيتين للباب: حيث دلت الآيتان على أن طلب الدنيا بعمل الآخرة مبطل لثوابها" (١٧١٤).

ثانيا: أن هاتين الآيتين دلتا على حال من أراد بعمله الدنيا، وهو أنه سيعطى حقه ويوفى في الدنيا، أما في الآخرة، فليس له إلا النار؛ لأنه قد أحبط صنيعه، وأبطل ثواب ما كان يعمله في الدنيا، يقول الشيخ سعيد الجندول-رحمه الله-: "ففي الآية الكريمة إخبار بأن من كان همه من الأعمال الصالحة التي يعملها التمتع بزخارف الدنيا وما بها من نعيم، دون اهتمام بالآخرة، أو استعداد للجنة بالأعمال الصالحة الخالصة لله فإن الله يعجل لهم جزاء أعمالهم في الدنيا بتوفير أسباب السعادة لهم فيعطيهم من الأموال والأولاد ما يشعرون معه بنعيم الحياة حتى إذا جاء يوم القيامة لم يجدوا لهم رصيد من الأعمال الصالحة" (١٧١٥).

ففيها وعيد لمن قصد الدنيا بأن يحبط عمله ويدخل النار، وهذه مناسبة من مناسبات ذكر الآيتين في الباب (١٧١٦).

(١٧١٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٦٩)

(١٧١٣) كتاب التوحيد (ص:٢٥٨).

(١٧١٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٢٩)

(١٧١٥) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٢١١)

(١٧١٦) انظر: الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله (ص: ١٥٩)

ثالثا: أن الآية دلت على أن من عمل أعمالا من الطاعات وكذلك التروك ترك المنهيات؛ من أجل الدنيا؛ أنه داخل في عموم هذه الآية [١٧١٧].

- **وقال المصنف رحمه الله "في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تعس [١٧١٨] عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة [١٧١٩]، تعس عبد الخميلة [١٧٢٠]، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس [١٧٢١]، وإذا شيك فلا انتقش [١٧٢٢]، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع "**[١٧٢٣] [١٧٢٤].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي فيه من الوعيد الشديد ما يجعل الإنسان يحذر من هذا الفعل الكبير، فمناسبته للباب من عدة أمور:

(١٧١٧) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٨٧٢/٢).

(١٧١٨) يقول ابن الأثير -رحمه الله- النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٠):"يقال تعس يتعس، إذا عثر وانكب لوجهه، وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بالهلاك".

(١٧١٩) يقول ابن الأثير -رحمه الله- المصدر السابق(٢/ ٨١):"وهي ثوب خز أو صوف معلم. وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديما، وجمعها الخمائص".

(١٧٢٠) يقول ابن الأثير -رحمه الله- المصدر السابق (٢/ ٨١):"الخميل والخميلة: القطيفة، وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان. وقيل: الخميل الأسود من الثياب".

(١٧٢١) يقول ابن الأثير -رحمه الله- المصدر السابق (٥/ ١١٥):"أي انقلب على رأسه. وهو دعاء عليه بالخيبة؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر".

(١٧٢٢) يقول ابن الأثير -رحمه الله- المصدر السابق (٢/ ٥١٠):"أي إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها، وهو إخراجها بالمنقاش".

(١٧٢٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٣٤) برقم: (٢٨٨٦) (كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله)

(١٧٢٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٧)

أولا: أن الحديث بين وأوضح أن من أراد بعمله الدنيا واللهث وراءها، فإنه يستحق هذه الأوصاف وهذا الدعاء والوعيد، فهو في تعاسة وانتكاسة وخيبة خسارة، وهو عبد لها، ولو أخذ الدنيا بما فيها، وهذه هي حقيقة من أراد الدنيا وترك الآخرة، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب وللتوحيد: حيث دل الحديث على أن من كانت الدنيا غاية أمره ومنتهى قصده، فقد عبدها واتخذها شريكا مع الله "(١٧٢٥).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين أوصاف من أراد الدنيا بعمل الآخرة، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم وصفه بما يستحقه: فسماه عبدا لهذه الأشياء، وبين أن سبب كونه عبدا أنه يرضى عند العطاء ويسخط عند المنع، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله بقوله:" الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط "(١٧٢٦)، فاستحق إضافة عبوديته إلى هذه الأشياء التي تعلق بها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -:" فإن قيل: لم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم؟ قيل: لما كان ذلك هو مقصوده ومطلوبه الذي عمل له، وسعى في تحصيله بكل ممكن حتى صارت نيته مقصورة عليه يغضب ويرضى له صار عبدًا له "(١٧٢٧)، بل ودعا عليه بالتعاسة، بل والانتكاسة أيضا، ودعا عليه بعدم خروجه من الشدائد التي تحل به والمضائق التي يقع فيها، كما لا تخرج الشوكة من جلد صاحبها (١٧٢٨)، ولولا الدينار والدرهم والخميصة وغيرها؛ لما تحركت همته في العمل (١٧٢٩)، يقول الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-:" وهذا هو الشاهد من الحديث: أنه سمّاه عبداً لهذه الأشياء مع أنه مسلم مؤمن، ولكن لَمّا كان يعمل ويريد هذه الأشياء صار عبداً لها، وهذه عبودية شرك، لكنه شركٌ أصغر لا يُخرِجه من الإيمان،

(١٧٢٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٣٢)

(١٧٢٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٨)

(١٧٢٧) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٧٢)

(١٧٢٨) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/٢٥٠).

(١٧٢٩) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٤٠٩)

ولكنه ينقِّص توحيده وينقِّص إيمانه "(١٧٣٠)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله بقوله:" الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار والدرهم والخميصة "(١٧٣١).

ثالثا: لما ذكر حال من أراد الدنيا، وذكر الدعاء والوعيد عليهم، أعقبهم بذكر من ترك الدنيا، وعمل الأعمال مريدا بذلك ما عند الله، فمدحهم وأثنى عليهم بما هم أهل له، يقول الشيخ عثمان بن منصور-رحمه الله — في بداية ذكره للمؤمن الذي يريد ما عند الله -جل وعلا-،:" ثم رغب أهل الإخلاص فيه، بما حصل لهم عند الله تعالى "(١٧٣٢)، ثم قال -رحمه الله -:" ففرق بين العبدين، فذاك عبد الدرهم والدنيا والخميصة والخميلة؛ لإرادته الدنيا، فلما أعرض عن إرادته الله والدار الآخرة، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعس والانتكاس... والآخر عبد الله المقاتل في سبيل الله من كفر بالله؛ فلإرادته الله والدار الآخرة؛ أثنى عليه رسول الله -ﷺ -... فانظر لما بين الإرادتين والعبدين من الفرق تجده أبعد ما بين المشرق والمغرب جهةً ومسافةً، فأين ولي الرحمن من ولي الشيطان... "(١٧٣٣).

رابعا: أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث لما فيه من المقارنة بين مريد الدنيا ومريد الآخرة، وهي في عدة نقاط:

أولها: بين الحديث تعلق المريد للدنيا بمتاعها وإرادتها بما يعمله من أعمال، وفي المقابل ذكر من أراد ما عند الله وجاهد في سبيله بماله ومتاعه.

ثانيها: الأول أراد الدنيا بعمله، والثاني أراد الآخرة بمتاعه وماله ونفسه.

ثالثها: الأول قد يحصل له من مدح الناس وثنائهم ورفعتهم له، والآخر هو حقير عند الناس لكنه ليس حقيرا عند الله -جل وعلا-.

(١٧٣٠) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٠١)

(١٧٣١) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٨)

(١٧٣٢) فتح الحميد (١٥٣٦/٣)

(١٧٣٣) فتح الحميد (١٥٣٩/٣)

رابعها: الأول اهتم بالمظهر وأغفل المخبر والقلب، أما الثاني فإنه اهتم بقلبه وباطنه، وغفل عن ظاهره، وشكله؛ إما لانشغاله بالجهاد أو لتواضعه، ولعدم تفرغه للعناية بنفسه؛ فكان ذلك دليلا على عمله وإخلاصه (١٧٣٤).

(١٧٣٤) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/٢٥٤).

الفصل الثامن: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بتحكيم الشرع

المبحث الأول: باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[1].

---

(١) سورة النساء:٦٠.

المبحث الأول: باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله.

تمهيد

ابتدأ المصنف رحمه الله في هذا الفصل بالكلام على مقتضيات التوحيد، ولوازم تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، يقول الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله–:" هذا الباب والأبواب بعده في بيان مقتضيات التوحيد، ولوازم تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي وتستلزم أن يكون العبد مطيعا لله – جل وعلا – فيما أحل وما حرم، محلا للحلال محرما للحرام، لا يتحاكم إلا إليه – جل وعلا – ولا يحكم في الدين إلا شرع الله – جل وعلا– "(١).

فالمصنف –رحمه الله – أراد:" بهذه الترجمة تحقيق التوحيد واتباع الشريعة وتعظيم أمر الله ونهيه والحذر من تقليد الشيوخ والأمراء فيما يخالف شرع الله وهو التقليد الأعمى "(٢)

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : "**باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد أتخذهم أربابا من دون الله**" (٣)، ويحتوي على حديث، وأثر، وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (**باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد أتخذهم أربابا من دون الله**) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٢)

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١٩٢)

(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٥٧).

المطلب الأول: **مناسبة باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله، للباب السابق**.

هذا المبحث هو بداية الفصل الثامن في البحث، والذي يتكلم عن تحكيم الشرع، وأن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "لما كانت الطاعة من أنواع العبادة بل هي العبادة فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام؛ نبه المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام" (١)، فالتحليل والتحريم من خصائص الله -جل وعلا-، لا يجوز لأحد أن يحلل أو يحرم إلا الله -جل وعلا-، فإن فعل ذلك فقد نازع الله -جل وعلا- في شيء من خصائصه، ومن أطاعه فقد اتخذه إلها وربا من دون الله -جل وعلا- (٢)، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله-: "قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب بيان أن مصدر التشريع هو الله وحده وأن من أطاع العلماء والأمراء والعباد وغيرهم في تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرمه الله فقد جعلهم أربابا من دون الله، والربوبية تستلزم الألوهية" (٣).

ومناسبة هذا الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله في البابين السابقين الشرط الأول من شروط قبول الأعمال وهو الإخلاص، ذكر في هذا الباب والذي بعده الشرط الثاني وهو: الموافقة والمتابعة

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٨١)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/٨٨٤).

(٣) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ٢١٥)

لشريعة الله -جل وعلا- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم [1]. يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "ولما ذكر المصنف رحمه الله باب الإرادة، وأن الأعمال لا تنفع صاحبها حتى توافق إرادة الله سبحانه الشرعية، وهو أن يقصد العبد بعمله الله والدار الآخرة، بين أن الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله ورسوله -ﷺ-، وأن من أطاع أحدا من أولياء الأمر في غير ما تضمن تحليله أو تحريمه الكتاب والسنة، فقد اتخذهم أربابا من دون الله تعالى، فإن هذا فيه نوع شرك... فهذان البابان قد دخل معناهما فيما قرن في آية واحدة في قول الله تعالى﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [2]، فالباب الأول من باب الكلم الطيب، وهذا الباب من باب العمل الصالح..." [3].

ثانيا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الباب السابق عن إرادة الإنسان بعمله الدنيا، أتى بهذا الباب وهو أيضا طاعة العلماء والأمراء في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وما ذاك إلا لأجل الدنيا، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله عند كلامه في الباب السابق: "أراد المصنف -رحمه الله- بهذه الترجمة (يقصد الباب الذي قبله)، وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء، لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرا من هذا وهذا" [4].

ثالثا: لما ذكر المصنف رحمه الله البابين السابقين، وأنهما يجتمعان في كونهما تزيين وتصنع بالأعمال، ذكر هذا الباب والذي فيه التحذير من طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله

---

(١) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٥٦٤)

(٢) سورة فاطر: ١٠.

(٣) فتح الحميد (٣/١٥٤٤)

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧٢-٣٧٣)

أو تحريم ما أحل الله؛ لأن غالب التزيين والتصنع يكون لمن لهم مكانة وجاه، كالعلماء والأمراء؛ بهدف طلب مدحهم، أوطلب منافع الدنيا منهم، فيؤدي هذا بهم أن يداهنوهم في الحرام والحلال، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله [1].

المطلب الثاني: ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقال ابن عباس:" يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر** [2] "[3].

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب وفيه هذا الأثر، والذي يتكلم عن مراد الباب في تحريم طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ومناسبة هذا الأثر للباب من عدة أمور:

أولا: أورده المصنف رحمه الله وفيه كلام قوي لمن عارض كلام النبي صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وأبو بكر عمر هما أفضل الصحابة وأفضل رجلين في هذه الأمة بعد رسول الله -ﷺ-، فإذا كان هذا الكلام فيمن هم أعرف بالحلال والحرام من غيرهم، وأعلم بذلك، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" فالحاصل أنه إذا كان هذا قول ترجمان القرآن حبر هذه الأمة بلا مدافع، المفقه في الدين، المفهم للتأويل، فيمن عارض قول رسول الله -ﷺ-، بقول من قد أمرنا باتباعهما والاهتداء بهديهما... "[4]. ومع ذلك فالوعيد الشديد لمن قدم كلامهما على كلام رسول الله -ﷺ-، فما بالك بمن عارض كلام

---

(١) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٦/٢٣٧٧).

(٢) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٥٩)

(٤) فتح الحميد (٣/١٥٥٧)

الله -جل وعلا- ورسـوله -ﷺ-، بمن هو أدنى منهما في المكانة والمنزلة، بل وربما كان من أهل الضلال والفساد، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فإذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بأبي بكر وعمر وهما هما، فماذا تظنه يقول لمن يعارض سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه؟ ويجعل قوله عيارا على الكتاب والسنة، فما وافقه قبله، وما خالفه رده، أو تأوله فالله المستعان "(١).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن هذا الأثر فيه الإشارة إلى التحذير من طاعة من يخالف أمر الله -جل وعلا-، أو أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيما شرعه، وأن من فعل ذلك فإنه خليق العذاب العاجل الذي يكون في الدنيا قبل الآخرة (٢)، ولهذا قال ابن عباس -رضي الله عنه-:" يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء "، مما يدل على قرب العذاب ممن خالف حكم الله ورسوله في الحلال والحرام.

ثالثا: أن المصنف أراد بيان عدم تقديس العلماء والأمراء، ووجوب عرض أحكامهم على حكم الله ورسوله، فإن أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما-، على جلالة قدرهما ومكانتهما، فإنهما عرضة للخطأ؛ فهما ليسا معصومين، فكذلك غيرهم من باب أولى (٣).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله الاستدلال بهذا الأثر على أن أخذ رأي المخلوقين في الحلال والحرام أنه شرك في الطاعة، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب وللتوحيد: حيث دل الأثر على أن رأي ابن عباس تحريم تقديم رأي المخلوقين على سنة رسول الله -ﷺ-، وإنما حرم ذلك ابن عباس؛ لأنه شرك مع الله في الطاعة "(٤).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقال الإمام أحمد: ((عجبت لقوم عرفوا الإسناد**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٠٨٣)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٨٨٨/٢)

(٣) انظر: المصدر السابق (٨٨٧/٢).

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٣٤)

وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾[النور: ٦٣]الآية، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك "[١]" [٢].

وهذا استدلال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في الآية التي أرادها المصنف، واستشهاده بما يوافق الباب، فمناسبة الأثر للباب من عدة أمور:

أولا: الرد على الشبهة التي أوردها بعض الناس الذين يعرفون الحديث وإسناده وصحته، ولا يأخذون بالحديث، وإنما يقلدون سفيان وغيره ويعتذرون بأن أخذ الحديث إنما هو اجتهاد، وأنه قد انقطع، أو ادعاء علم من قلدته ومعرفته بالحديث وغيره، ولا يقول إلا عن علم، ولم يتركه إلا وله عنده مخرج، أو غيرها من الأعذار، فأتى المصنف رحمه الله بقول الإمام أحمد وتعجبه واستشهاده بالآية؛ ليرد على هؤلاء، وقد ذكر هذه الشبهة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسائله [٣]، فتبين لنا: "أنه لا يجوز أن يدع الإنسان ما عنده من الشرع لقول أحد" [٤]، وهذا الأثر والذي قبله هما مراد المصنف رحمه الله في مسائله عندما قال: "تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وتمثيل الإمام أحمد بسفيان" [٥].

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن من يقوم بهذا الأمر أنه خالف أمر الله -جل وعلا-، فيخشى عليه من الفتنة والعذاب الأليم، وقد ساق الإمام أحمد -رحمه الله-، الآية

---

[١] ذكره ابن تيمية في الصارم المسلول (ص: ٥٧).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٠)

[٣] انظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (٣٩٦/١)تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) فتح الحميد، لعثمان بن منصور (١٥٨٢/٣).

(٥) كتاب التوحيد (ص:٢٦١).

للاستشهاد بما قاله، والمراد بالفتنة كما ذكر الإمام أحمد -رحمه الله- أنها الشرك؛ ولهذا ساق المصنف رحمه الله هذه الآية؛ لأنه خالف أمر الله -جل وعلا- ورسوله صلى الله عليه وسلم فاستحق الكفر والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان... أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك" (١)، فهذا الذي يخالف أمر الله -جل وعلا- فهو فإنه يستحق العذاب الأليم وهذا سبب للشرك، فإذا كان كذلك، فمن خالف قول الله -جل وعلا- أو رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يستحق ذلك أيضا، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-: "وقد وإذ علمت أن مخالفة أمره سبب للشرك، علمت أن من رد قوله وخالف أمره لقول أحمد أو غيره له النصيب الكامل، والحظ الوافر من هذه الآية" (٢)، فمناسبة الأثر أن الإمام أحمد يرى أن من ترك الحديث وعدل إلى أقوال غير النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا شرك في الطاعة؛ لاستدلاله بالآية (٣).

ثالثا: أن هذا الأثر الذي أورده المصنف يدل على وجوب الأخذ بما صح عن النبي -ﷺ-، وأن جميع الأقوال أنها ترد إذا خالفت الدليل الواضح، وهو إشارة إلى تحريم التعصب لأقوال العلماء وغيرهم، ويخشى على من تعصب أن يقع في هذا الإثم، يقول الشيخ صالح الفوزان -رحمه الله-: "هذه مقالاتهم-رحمهم الله- تدل على أن الواجب هو الأخذ بما صح عن رسول الله -ﷺ-، وأن اجتهادات العلماء يستفاد منها وتدرس، ولكن إذا خالف الدليل، شيء

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٨٩-٩٠)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٨٠)

(٣) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، لمحمد القرعاوي (ص: ٣٣٥)

منها فيجب الأخذ بالدليل، ولا يجوز التعصب لقائله، فإن تعصب أحد لقول يخالف الدليل وقع في هذا المحظور، وصار من الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله" (١).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان ما يسببه رد قول النبي -ﷺ-، بتقديم قول غيره على قوله، وأنه يسبب زيغ القلب الذي يكون به المرء كافرا، وهذا هو الهلاك في الدنيا والآخرة (٢).

- **قال المصنف -رحمه الله-: "عن عدي بن حاتم رضي الله عنه" أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية ": ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣١][الآية،" فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم "رواه أحمد والترمذي وحسنه"** (٣).

ومناسبة هذا الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث ليبين مراد ترجمته التي وضعها، فالمؤلف كما ذكر الشيخ عبد الله الغنيمان رحمه الله أنه اقتبس هذه الترجمة من الآية (٤).

ثانيا: أن الحديث فيه الآية والتي كما بينا أنه اقتبس منها المصنف رحمه الله هذه الترجمة، وبين أن من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله؛ أنه اتخذهم أربابا من دون الله -جل وعلا-، فالمصنف أوضح من الآية وشرحها الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم من أن طاعتهم في التحليل والتحريم تلك عبادتهم، وهذا واضح وبيّن.

ثالثا: أن فيه التصريح بمعنى العبادة للعلماء والأمراء، وأنها هي طاعتهم في الحلال والحرام، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "صرح صلى الله عليه وسلم في هذا

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١١١-١١٢)

(٢) انظر: الجامع الفريد، لعبد الله الجار الله (ص: ١٦٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٠)

(٤) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/٨٨٤)

الحديث بأن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله" (١)، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله في مسائله حيث قال: "الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي" (٢).

رابعا: التصريح بأن من فعل ذلك أنه مشرك، كما هو واضح في آخر الآية، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- عن الآية: "﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فسمّاه شركاً، ونزّه نفسه عنه، فدلّ على أنّ طاعة الأحبار والرُّهبان في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله أنه يُعتبر شركاً بالله عز وجل، ويعتبر حديث عديّ هذا تفسيراً للآية" (٣).

خامسا: لما بين المصنف رحمه الله حديث عدي، وما فيه من طاعة الأحبار والرهبان في الحرام والحلال، بين المصنف رحمه الله في مسائله ما يريد أن يستدل به على أن حال الأمة ذهب إلى أبعد من ذلك وأسوأ، فالمصنف رحمه الله أورد الحديث؛ ليبين أن الآية وما فيها من طاعة الأحبار والرهبان واتخاذهم أربابا من دون الله، وما فيها من عمل كبير وفعل شنيع؛ أن الأحوال تغيرت إلى أسوأ من ذلك وأقبح، فقد قال رحمه الله في مسائله: "الخامسة: تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين" (٤).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٠٩٤/٢)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٦١)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١١٦)

(٤) كتاب التوحيد:(ص:٢٦١).

وقد فسر هذه المسألة الشيخ سليمان أفضل تفسير في كتابه التيسير [1]، ومن أوضح ما فسر هذا المعنى وأخصره هو تفسير الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله حيث قال: "أي أن الأمر صار أعظم مما ذكر ابن عباس وأحمد حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان - يعني العباد - وهو الأخذ بقولهم مطلقا هو أفضل الأعمال ولو خالف قول الله ورسوله ويسمونها الولاية وعبادة الأحبار وهم العلماء وهو الأخذ بقولهم مطلقا ولو خالف قول الله ورسوله هو أفضل الأعمال ويسمون ذلك العلم والفقه، ثم ازداد الأمر شناعة إلى أن أخذ بقول أناس غير صالحين وهذا أقبح من الأول، وعبد بالمعنى الثاني - وهو الاقتداء بالعلماء وعبادتهم - من هو من الجاهلين أي أخذ بأقوال أناس جاهلين وقدمت على الشرع وسميت علما وفقها وهذا أقبح من تقديم قول من هو من العلماء على الشرع وإن كان جميع ذلك قبيحا. فالمعنى الأول من جهة الولاية والثاني من جهة العلم والفقه." [2]، فبين أن التغير والحال الأولى التي صارت هي طاعة الرهبان العباد في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وهذا واضح وموجود عند المتصوفة؛ فإنهم أطاعوا مشايخهم وأولياءهم، فهم يعلمون أن السنة بخلاف ذلك، لكنهم أطاعوهم تعظيما لهم وتقديسا للولي [3]، وكذلك العلماء وأهل الفقه يؤخذ منهم كل شيء، ولو علموا أنه يخالف حديثا أو آية، لكنهم يعرضون عنها ويتغافلونها، ويزعمون أن العالم ما قال هذا القول إلا لعلمه، ثم بين المصنف رحمه الله إلى ما هو أشد من ذلك، وهو أن الحال تغيرت إلى ما هو أعظم، فأصبح الناس يطيعون من ليس من الصالحين، والأخذ ممن ليس لديه علم بل هو من الجاهلين، فما هو حال هؤلاء، وما الوعيد المترتب على فعلهم؛ لا شك أنه أعظم وأكبر، وأولى بأن يوصفوا بالشرك، وأنهم اتخذوها أربابا من دون الله -جل وعلا-.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/١٠٩٦-١٠٩٨).

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٨٣).

(٣) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٤٢١)

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ (١)، **الآيات**" (٢)، ويحتوي على أربع آيات، وحديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآية (٣) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٦٢).

(٣) سورة النساء: ٦٠.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك} . للباب السابق.

صدر المصنف رحمه الله هذا الباب بهذه الآية التي تتكلم عمن يدعي الإيمان، لكنهم يتحاكمون إلى غير الله، يقول الإمام الطبري -رحمه الله-: "قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه:" ألم تر "، يا محمد، بقلبك، فتعلم إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت يعني إلى: من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله،" وقد أمروا أن يكفروا به "، يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكون إليه، فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان" ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا "، يعني: أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالا بعيدا يعني: فيجور بهم عنها جورا شديدا" (١)، فهذه الآية إنكار على من يدعي الإيمان ويتحاكم إلى غير الكتاب والسنة، يقول الشيخ سيلمان بن عبد الله – رحمه الله -: "فمعنى الآية المترجم لها: أن الله تبارك وتعالى أنكر على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر المصنف في سبب نزولها" (٢).

وقد بين ابن كثير رحمه الله معنى الطاغوت في هذه الآية فقال: "أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٧)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٠٢)

والســـنة، وتحاكموا إلى ما ســـواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا..." (١)، فكل من عدل عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فهو داخل في الآية.

إذا تبين معنى الآية فإن المراد بها والمقصد من إيرادها بهذا الباب وتصديرها عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية نفت الإيمان بل كذبت إيمان من يتحاكم إلى غير الله -جل وعلا- وسـنة نبيه -ﷺ-، لأنهم أمروا أن يتركوا حكمهم، ومع ذلك يتحاكمون إليهم، فمعنى الباب هو ما جاء في التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وتأمل تصديره سبحانه الآية منكرا لهذا التحكيم على من زعم أنه قد آمن بما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى من قبله ثم هو مع ذلك يدعو إلى تحكيم غير الله ورســـوله -ﷺ-، ويتحاكم إليه عند النزاع وفي ضـــمن قوله:" يزعمون "نفي لما زعموه من الإيمان، ولهذا لم يقل: ألم تر إلى الذين آمنوا، فإنهم لو كانوا من أهل الإيمان حقيقة لم يريدوا أن يتحاكموا إلى غير الله تعالى ورسـوله -ﷺ-، ولم يقل فيهم" يزعمون "(٢)، فإن هذا إنما يقال غـالبـا لمن ادعى دعوى هو فيهـا كـاذب، أو منزل منزلـة الكـاذب، لمخـالفتـه لموجبهـا وعملـه بمـا ينافيها" (٣).

ثـانيـا: أن هـذه الآيـة فيهـا مجرد الإرادة فقط دون العمـل، ومع ذلـك وقع فيهم الوعيـد والضـلال ونفي الإيمان عنهم، فكيف بمن فعل وتحاكم إلى غير الله -جل وعلا-، يقول الشـيخ صـالح الفوزان -حفظه الله-: "فدلّ هذا على أن إرادة التحاكُم إلى غير كتاب الله وسنة رسـول الله- مجرّد الإرِادة- يتنـافى مع الإيمـان، فكيف إذا فَعـل؟، كيف إذا تحـاكَم إلى غير كتـاب الله وسنّة رسوله؟، إذا كان مَن نوى بقلبه واستباح هذا الشيء ولو لم يفعل أنّه غير مؤمن، فكيف

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٦)

(٢) أي لو كانوا مؤمنين حقيقة لما قال عنهم "يزعمون"، وإنما يصرح بإيمانهم، وهذا يدل على نفي الإيمان عنهم. انظر: كلام: محقق "تيسير العزيز الحميد" في نفس الصفحة.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٠٣)

بمن نفّذ هذا وتحاكَم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله في أموره كلها، أو في بعضها؟" (١)، فالآية فيها فيها وعيد وتهديد لمن يدعي الإيمان ويتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ.

ثالثا: صدر المصنف رحمه الله الباب بهذه الآية؛ لأنها كالقاعدة العامة للباب، فالمصنف رحمه الله أورد الآية لما فيها من الإنكار لهذا التحكيم على من زعم الإيمان بما أنزله الرسول -ﷺ -، والأنبياء من بعده، ثم يتحاكم إلى غيره، وساق بعدها الأدلة التي تؤكد هذا المعنى، وتفسر الآية.

رابعا: أن هذه الآية دلت على وجوب تحكيم الشريعة، وأن ذلك من توحيد الله -جل وعلا-، ومن ترك ذلك فقد وقع في الشرك، واتصف بصفات المنافقين (٢)، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] يعني أن يكفروا بالطاغوت، وأن يكفروا بكل تحاكم إلى غير شرع الله - جل وعلا -، فالأمر بالكفر بالتحاكم إلى الطاغوت أمر واجب، ومن إفراد التوحيد، ومن إفراد تعظيم الله - جل وعلا - في ربوبيته، فمن تحاكم إلى الطاغوت بإرادته، فقد انتفى عنه الإيمان أصلا، كما دلت عليه الآية" (٣).

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق الشرط الثاني من شروط قبول الأعمال، وهو أن يكون موافقا ومتابعا للشريعة، وسنة النبي -ﷺ -، ذكر المصنف رحمه الله أن من لوازم هذه المتابعة والموافقة لسنة النبي -ﷺ -، هو تحكيمه في الخصومات، فهذا هو الواجب على من يدعي تطبيق هذا الشرط(٤).

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٢١)

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ١٢٨)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٧)

(٤) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٥٧٨)

ثانيا: لما تكلم في الباب السابق عن حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله الله، ذكر المصنف الإنكار على من أراد التحاكم إليهم أيضا وترك ما جاء به الله -جل وعلا- في كتابه، وما أوحاه في سنة نبيه -ﷺ -، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله -: "هذا الباب له صلة قوية بما قبله؛ لأن ما قبله فيه حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، وهذا فيه الإنكار على من أراد التحاكم إلى غير الله ورسوله" (١).

ثالثا: ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله أنه لما ذكر المصنف - رحمه الله - في الأبواب السابقة معنى شهادة أن لا إله إلا الله، بين في هذا الباب معنى شهادة أن محمدا رسول الله؛ وذلك لتلازمهما، يقول الشيخ -رحمه الله -: "لما كان التوحيد مبنيا على الشهادتين، إذ لا تنفك إحداهما عن الأخرى لتلازمهما، وكان ما تقدم من هذا الكتاب في معنى شهادة أن لا إله إلا الله التي تتضمن حق الله على عباده، نبه في هذا الباب على معنى شهادة أن محمدا رسول الله، التي تتضمن حق الرسول صلى الله عليه وسلم فإنها تتضمن أنه عبد لا يعبد، ورسول صادق لا يكذب، بل يطاع ويتبع، لأنه المبلغ عن الله -تعالى-... ومن لوازم ذلك متابعته وتحكيمه في موارد النزاع، وترك التحاكم إلى غيره، كالمنافقين الذين يدعون الإيمان به، ويتحاكمون إلى غيره، وبهذا يتحقق العبد بكمال التوحيد وكمال المتابعة، وذلك هو كمال سعادته، وهو معنى الشهادتين" (٢).

رابعا: أن هذا الباب والذي قبله كلاهما فيهما محظور تغيير شرع الله، لكن الباب السابق في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، وهذا الباب في التحاكم في الخصومات، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "هذا الباب من جنس الباب الذي قبله كلاهما في تغيير شرع الله،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٦٧)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٠٢)

لكن هذا الباب يخص التحاكم في الخصومات خاصة والباب الذي قبله في التحليل والتحريم عموماً" (١).

خامسا: أن هذا الباب والذي قبله بينا أن الله -جل وعلا- هو الذي يستحق أن يعبد ويؤله، وهو الذي له حكم كل شيء، فكما أنه هو الذي يطاع فإنه له الحكم كله، فمن اتخذ طاعة الأمراء والعلماء هي الأصل، وقدم حكمهم وطاعتهم على حكم وطاعة الله -جل وعلا-، ورسوله -ﷺ-، فإنهم اتخذوهم آلهة وأربابا من دون الله؛ لأنهم جعلوا لهم ما هو من الله -جل وعلا-، فلا تصرف لأحد إلا بإذنه، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: "ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب والإله هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له، ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى، بحيث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته، فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هي الأصل، وطاعة الله ورسوله تبعا لها فقد اتخذهم أربابا من دون الله يتألههم ويحاكم إليهم، ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه؛ فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله." (٢).

سادسا: أن المصنف رحمه الله لما بين في الباب السابق حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله -جل وعلا-، أن الإقرار بالحكم لا يكفي بالقول، وإنما لابد من الإقرار بالقلب، وظهور ذلك على أفعال العبد كذلك، وإلا فإنه يكون مخادعا كذابا اتصف بصفة من صفات المنافقين، فأورد المصنف رحمه الله هذا الباب لبيان ذلك، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله "" ولما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى - الزجر عن طاعة الأمراء والعلماء فيما يخالف أمر الله -جل وعلا- ورسوله -ﷺ-، أعقبه بهذه الترجمة ليعلم بهذا أن لكل قول حقيقة، لمن ادعى متابعة أمر الله ورسوله في ذلك، وأن حقيقة الدعوى الامتثال

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١١٨)

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٣٥-١٣٦)

بالفعل بالأركان والجنان، لا دعوى القول باللسان؛ إذ دعوى القول لم تنفع المنافقين حيث أضمروا خلاف قولهم، فحينئذ يكون القائل قد قال بلسانه ما ليس في قلبه، فيكون بذلك مخادعا لله تعالى، ومن يخدع الله يُخدع، ولهذا قال المصنف –رحمه الله تعالى – منبها على ذلك الخلق الذميم، الذي لا يسلكه إلا أهل المخالفة والمخادعة:" [1]، ثم ذكر رحمه الله ترجمة هذا الباب.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

قال المصنف –رحمه الله–: "وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾ [2]، وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [3]" [4].

أورد المصنف رحمه الله هاتين الآيتين ليوضح ويبين حقيقة التحاكم إلى غير الله، وقد ذكر الإمام الطبري الخلاف في تأويل الآية الأولى ثم رجح أنها في المنافقين، يقول –رحمه الله–: "وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: إن قول الله تبارك اسمه:: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾، نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين

---

(١) فتح الحميد: (١٥٩٦/٣،٤-١٥٩٧).

(٢) سورة البقرة:١١.

(٣) سورة الأعراف:٥٦.

(٤) كتاب التوحيد:(ص:٢٦٢)

بعدهم إلى يوم القيامة" (١)، ويقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية الأخرى: "وقوله تعالى:: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾، ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد. فنهى الله –تعالى– عن ذلك، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه، فقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (٢)، أي: خوفا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب" (٣).

وإذا تبين لنا معنى الآيتين، فمناسبتهما للباب تتجلى من عدة أمور:

أولا: أن الآية الأولى تتكلم عن المنافقين، فمن صفاتهم الإفساد في الأرض، فهذه الآية نزلت في المنافقين في عهد النبي –ﷺ–، وهي عامة لكل مفسد في الأرض، ومن اتصف بمثل صفاتهم فهو منافق، ومنهم الذي يتحاكم إلى الطاغوت، فهو من المفسدين كما سبق بيانه في معاني الآية السابقة من أن التحاكم على غير الله –جل وعلا– ورسوله –ﷺ–، من علامات المنافقين، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن –رحمه الله–: "ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض" (٤)، فمن تحاكم إلى غير الله فقد وقع في صفة من صفات المنافقين، وهي الفساد في الأرض، لأن التحاكم إلى غير الله ورسوله –ﷺ–، هو فساد في الأرض، وتوكيل الأمور إلى غير أهلها.

ثانيا: أراد المصنف بيان ما يفعله التحاكم إلى غير الكتاب السنة، فالتحاكم إلى غير الكتاب والسنة إنما هو إفساد في الأرض، كما أن التحاكم إلى الله –جل وعلا– وسنة رسوله –ﷺ–، أنه هو الإصلاح، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–: "ومطابقة الآية

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٨٩)

(٢) سورة الأعراف:٥٦.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٩)

(٤) قرة عيون الموحدين (ص: ٥٠٠)

للترجمة ظاهر، لأن من دعا إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقد أتى بأعظم الفساد" (١)، فالآية فيها النهي عن الفساد في الأرض ومن الفساد التحاكم إلى غير الله -جل وعلا-، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله-: "وفي الآية الثانية نهي عن الفساد بكل أنواعه وصوره وتصويره لواقع المفسدين في الأرض في كل مكان وزمان ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ بمحاربة التوحيد، والدعوة إلى الفتنة، وعدم الرضا بالتحاكم إلى شريعة الله" (٢)، فأراد المصنف بيان أنه إذا كان التحاكم إلى غير الله هو من الإفساد في الأرض؛ فإن فساد الأرض بعد إصلاحها أشد ضررا وأعظم خطرا، من فسادها قبل الإصلاح، وكذلك التحاكم إلى غير الله بعد الإيمان، فإنه أعظم إثما وجرما من التحاكم إلى غير الله قبل الإسلام والإيمان، وهذا يتضح من خلال تفسير ابن كثير رحمه الله للآية.

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله من خلال هذه الآيات أن الذي يتحاكم إلى غير الله ورسوله، يزعم أنه ما أراد من ذلك إلا الإصلاح، وهذه هي عادة المنافقين وديدنهم، فكل من فعل ذلك فهو مفسد وإن ادعى الإصلاح، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله-: "ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من أعظم الفساد في الأرض، ولغرورهم المؤمنين بقولهم الذي لا حقيقة له، وموالاتهم الكافرين، يقولون: نريد أن نداري الفريقين، ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء" (٣).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان ما يفعله التحاكم إلى غير الله -جل وعلا-، فهو إنما هو فساد للأرواح والحقوق بتضييعها وإعطائها غير أهلها، وكذلك فساد للعقول بالكفر بعد إيمانها، وإفساد للنفوس بالفجور بعد صلاحها وتقواها، وفساد للأرض بقحطها ونقص خيراتها وزروعها، وإفساد لتعاليم الخالق -جل وعلا-، باستبدالها بآراء المخلوقين، وترك حكمه -جل

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١١٨)

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ٢١٩)

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٨٥)

وعلا- [١])، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله عن الآية الثانية: "فمعناه: لا تشرعوا فيها شرعا يفسد أهلها بعدما أصلحهم الله بهذا الشرع المطهر" [٢].

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية** [٣]."[٤].

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية والتي فيها بيان للحكم بغير ما أنزل الله -جل وعلا-، يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم،... ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون، ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين..." [٥].

ومناسبة الآية للباب من عدة أمور:

---

(١) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص: ٢٢٠)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (١٢٨/٢)

(٢) السبك الفريد (٢٧٥/٢).

(٣) سورة المائدة: ٥٠.

(٤) كتاب التوحيد:(ص:٢٦٢)

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١)

أولا: أن هذه الآية دلت دلالة واضحة أن من ابتغى غير حكم الله -جل وعلا- وحكم نبيه -ﷺ-، فإنه قد أخذ بحكم الجاهلية، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وفي الآية إشارة إلى أن من ابتغى غير حكم الله ورسوله، فقد ابتغى حكم الجاهلية كائنًا ما كان" (١)، والجاهلية هي ما كانت قبل الإسلام، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "المراد بالجاهلية: ما كان قبل الإسلام، كان أهل الجاهليّة على ضلالة، ومن ذلك: التّحاكم، كانوا يتحاكمون إلى الكُهّان، وإلى السحرة، وإلى الطّواغيت، وإلى العوارِف القَبَليّة" (٢).

ثانيا: أن في الآية ذم لمن يبتغي حكم الجاهلية؛ فإن أهل الجاهلية يحكمون بعاداتهم التي اتخذوها عن الآباء والأجداد، فمن احتكم إليها فإنه يعتبر رضا منه بذلك، ومن رضي وفضّل حكم الجاهلية على حكم الله -جل وعلا- وسنة نبيه -ﷺ-، فإنه وقع في المخالفة الشرعية (٣)، يقول الشيخ سعيد الجندول رحمه الله عن هذه الآية: "فهي تنكر في شدة على الذين يختارون حكم الجاهلية القائم على الجور والهوى، على حكم الله المبني على العدل وعدم التحيز" (٤).

- **قال المصنف -رحمه الله-: "عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به "(٥) قال**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١١٩)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٢٩)

(٣) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين (٢/٢٧٥).

(٤) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ٢٢٠)

(٥) أخرجه أبن أبي عاصم (١/٤٦) برقم (١٥) في السنة والحديث سنده ضعيف عند الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٣٦)، لكن معناه صحيح؛ فقد ورد معناه في القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء:٦٥].

النووي:" حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح "" [١].

أورد المصنف - رحمه الله - هذا الحديث والذي يزيد هذا الباب بيانا لما أراده -رحمه الله-، فمناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن العبد لا يكون مؤمنا حتى يكون هواه متابعا لما جاء به النبي -ﷺ-، فلا يعدل به عن غيره، فإذا حكم فإنه يحكم بما جاء في سنة رسوله -ﷺ-، فنفى الإيمان عمن يحكم بغير ذلك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ومطابقة الحديث للباب ظاهرة من جهة أن الرجل لا يؤمن حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء حتى في الحكم وغيره. فإذا حكم بحكم أو قضى بقضاء، فهو الحق الذي لا محيد للمؤمن عنه، ولا اختيار له بعده "[٢]، وقد بين المصنف هذا المعنى في مسائله بقوله:" الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول -ﷺ- "[٣].

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم بين العلامة الواضعة بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر والنفاق، فإن المؤمن لا يخالف هديه صلى الله عليه وسلم ولا يحيد عنه، وهذا يفهم منه أن من صفات المنافق أن هواه يخالف ما جاء به النبي -ﷺ-، فيتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ-، فنفى النبي صلى الله عليه وسلم عنه الإيمان ولو ادعى الإيمان والصلاح، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" ومناسبة الحديث للترجمة: بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم "[٤]، وقد بين المصنف هذه المناسبة

---

(١) كتاب التوحيد:(ص:٢٦٢-٢٦٣)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٢٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٦٥)

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٩٩)

بقوله:" السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب "(١)، يقول الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-:" أي الصادق ما كان هوى صاحبه تبعا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم والكاذب بخلافه"(٢).

ثالثا: أن المصنف رحمه الله أراد أن يبين تحريم التحاكم إلى غير الله، فقد علق النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان على متابعته صلى الله عليه وسلم (٣)، وأن الإنسان يكون إيمانه بقدر ما يكون في نفسه من الرضا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأحام والأوامر والتوجيهات(٤).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن المؤمن هو الذي لا يكتفي بمعرفة الحق، وإنما يرضى به ويسلم له، ويقبل عليه ولو خالف ذلك هواه؛ لأن هذا هو الإيمان، وهذا يدل على كذب المنافق الذي في سبب نزول الآية التي رواها الشعبي وستأتي، وعلمه بأن النبي صلى الله عليه وسلم على حق لكنه عدل عنه لما في نفسه من معرفته أن الحق مع اليهودي، وأن الحكم لا يكون له، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الرشوة، فأراد أن يأخذ الحكم له، ويسلم لما يمليه عليه هواه من التحايل في الأحكام، والفرار من حكم النبي صلى الله عليه وسلم إلى حكم اليهود الذين قدم لهم الرشوة، فأتى المصنف -رحمه الله- بهذا الحديث ليبين أن من شروط الإيمان التحاكم إلى الله -جل وعلا-، ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولو خالف ذلك هواك (٥).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل**

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٢٦٥)

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٨٧)

(٣) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٣٤٧)

(٤) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، للجندول (ص: ٢٢٠)

(٥) وقد أشار الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله- في كتابه إلى هذا المعنى عند ذكر أثر الشعبي من غير تصريح بمناسبة الحديث انظر: السبك الفريد (٢/٢٧٩).

من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الآية" (١)**، وقيل: "نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله"** (٢) "(٣).

بين المصنف في الأثرين مناسبة الآية التي ترجم لها في هذا الباب، مما يدل مناسبتها للباب حيث تظهر مناسبتها من عدة أمور:

أولا: أن سبب نزول الآية إنما هو بسبب أحد المنافقين الذي لم يرض بحكم الله –جل وعلا– ورسوله –ﷺ–، وعدل عنه إلى حكم أهل الكتاب، كما هو صريح في قول الشعبي –رحمه الله–، فأراد المصنف رحمه الله أن يبين أن من فعل مثل ذلك فإنه قد اتصف بصفة من صفات المنافقين، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله–:" وفي القصة من الفوائد: أن الدعاء إلى تحكيم غير الله ورسوله من صفات المنافقين، ولو كان الدعاء إلى تحكيم إمام فاضل "(٤).

---

(١) رواه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٨٩٩)، والطبري في تفسير الطبري (٨/ ٥٠٨)، وصححه ابن حجر كما في فتح الباري لابن حجر (٥/ ٣٧)

(٢) رواه البغوي في تفسيره (٢/ ٢٤٣).

(٣) كتاب التوحيد:(ص:٢٦٣-٢٦٤)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٣٠)

ثانيا: أن مقصد هذا المنافق وذلك الرجل الذي عدل عن حكم النبي صلى الله عليه وسلم وذهب إلى حكم عمر -رضي الله عنه- واضح، وهو الفرار من حكم النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ ودليل ذلك أنه رضي بحكم الكاهن، والآخر رضي بحكم عمر -رضي الله عنه-، مما يدل على عدم رضاه وإيمانه بحكم الله -جل وعلا- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يدل على أن المؤمن الحق هو الذي يرضى بحكم الله -جل وعلا- ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسلم لذلك، ولا يعدل عنهما إلى أي أحد كائنا من كان، ومهما كانت الظروف والمقاصد، وإلا فقد وقع في الكفر والتكذيب لما جاء به الله -جل وعلا- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

ثالثا: أن الأثرين بينا تحريم العدول عن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى حكم غيره كائنا من كان، وأن من فعل ذلك فإنه يستحق القتل، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فيها أن من طعن في أحكام النبي صلى الله عليه وسلم أو في شيء من دينه قتل كهذا المنافق بل أولى "(١)، فمن لازم الإيمان بالله -جل وعلا-، الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب: حيث دل الأثر على تحريم التحاكم إلى غير رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مناسبة الأثر للتوحيد: حيث حرم الأثر التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن ذلك مناف للشهادتين المتلازمتين "(٢).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٣١)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٥١)

الفصل التاسع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بالأدب مع الله تعالى وتعظيمه جل وعلا والنهي عن كل ما ينافي ذلك

المبحث الأول: باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: باب قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون

المبحث الثالث: باب قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.

المبحث الرابع: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

المبحث الخامس: باب قول: ما شاء الله وشئت.

المبحث السادس: باب من سب الدهر فقد آذى الله.

المبحث السابع: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

المبحث الثامن: باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

المبحث التاسع: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

المبحث العاشر: باب قول الله تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا بعد ضراء مسته

المبحث الحادي عشر: قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾.

المبحث الثاني عشر: باب قول الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾.

المبحث الثالث عشر: باب لا يقال السلام على الله.

المبحث الرابع عشر: باب قول اللهم اغفر لي إن شئت.

المبحث الخامس عشر: باب لا يقول عبدي وأمتي.

المبحث السادس عشر: باب لا يرد من سأل بالله.

المبحث السابع عشر: باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

المبحث الثامن عشر: باب ما جاء في اللو

المبحث التاسع عشر: باب النهي عن سب الريح.

المبحث العشرون: باب قول الله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية..﴾.

المبحث الحادي والعشرون: باب ما جاء في منكري القدر.

المبحث الثاني والعشرون: باب ما جاء في المصورين.

المبحث الثالث والعشرون: باب ما جاء في كثرة الحلف.

المبحث الرابع والعشرون: باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.

المبحث الخامس والعشرون: باب ما جاء في الإقسام على الله.

المبحث السادس والعشرون: باب لا يستشفع بالله على خلقه.

المبحث السابع والعشرون: باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك.

المبحث الثامن والعشرون: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره...﴾.

المبحث الأول: باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات.

تمهيد:

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات "[1]، ويحتوي على آية وثلاثة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٦٢).

المطلب الأول: مناسبة باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات، للباب السابق.

هذا الباب هو بداية الفصل التاسع والذي يتكلم عن الأدب مع الله -ﷻ- وتعظيمه والنهي عن كل ما ينافي ذلك ويعارضه، ويتضح هذا المعنى من خلال ذكر مناسبات ومعاني الأبواب في هذا الفصل، مما يدل على عظمة الله -ﷻ- ونفي كل ما يتعارض مع حقوقه وعظمته وكبريائه وسلطانه وهيمنته على خلقه -سبحان الله وبحمده-.

وقد ابتدأ المصنف رحمه الله هذا الفصل بهذا الباب العظيم، وهو باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات، أي من أسماء الله وصفاته، فما حكمه؟ وهل هو ناج أو هالك (١)، وفي هذا الباب بين المصنف أهمية القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو إفراد الله بأسمائه وصفاته، فهو الغاية والحكمة بالخلق والأمر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ولما كان تحقيق التوحيد بل التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته، نبه المصنف على وجوب الإيمان بذلك وأيضا فالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة. والأولان وسيلة إلى الثالث، فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر. وكلها متلازمة فناسب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات "(٢).

ومناسبة هذا الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الباب السابق النهي عن التحاكم إلى الطاغوت، والأمر بالتحاكم إلى كتاب الله -ﷻ- وسنة نبيه -ﷺ-، بين في هذا الباب من جحد شيئا من الأسماء والصفات؛ ليبين أن أنه كما أن التحاكم إلى كتابه وسنة نبيه -ﷺ-، فإن ما سمى الله -ﷻ- نفسه به وما وصف نفسه به هو إنما يؤخذ كذلك منه -ﷻ- فيما أخبر به في كتابه -ﷻ- أو سنة نبيه -ﷺ-، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" ولما ذكر رحمه الله

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (١١٣٣/٢)

(٢) المصدر السابق (٢/ ١١٣٣)

باب التحاكم إلى الطاغوت، أعقبه بباب من جحد شيئا من الأسماء والصفات؛ ليعلم بذلك أن التحاكم في جميع الأشياء من شرعه، وما وصف به من الأسماء والصفات إنما بيانه إليه -عَجَلَّ-، فيما أخبر به في كتابه، أو على لسان رسوله محمد -ﷺ -، لا إلى ما سنح من الآراء والأهواء "(١).

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق التحاكم إلى غير الله -عَجَلَّ- وأنه من جنس اتخاذ الأنداد من دون الله؛ بين المصنف رحمه الله في هذا الباب أن من جحد شيئا من الأسماء والصفات أنه مشرك أيضا؛ لأنه في الحقيقة تحاكم لعقول الرجال وآرائهم وقدمها على ما شرعه الله ورسوله (٢)، بل هما متلازمان، فمن لم يكتف بحكم الله -عَجَلَّ- وما جاء به في كتابه وسنة نبيه -ﷺ -، فإنه لا يقف عند هذا الحد، بل تجده وقع في شيء من الشرك والجحود لأسماء الله وصفاته، يقول الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ -في رده أولئك الذين قدموا العقل على النقل؛ بحجة أن العقل هو الأصل والنقل هو الفرع وكيف أنهم شابهوا المشركين الذين اتخذوا لله ندا:" فهؤلاء (٣) جعلوا لله ندا يطيعونه ويعظمونه ويعبدونه كما يعظمون الله ويعبدونه وهؤلاء (٤) جعلوا لكتابه ندا يتحاكمون إليه ويقبلون حكمه ويقدمونه على حكم كتابه بل الأمران متلازمان فمن لم يكتف بكتابه لم يكتف به... فلا ترى من عارض الوحي برأيه وجعله ندا له إلا مشركا بالله قد اتخذ من دون الله أندادا، ولهذا كان مرض التعطيل ومرض الشرك أخوين متصاحبين لا ينفك أحدهما عن صاحبه فإن المعطل قد جعل آراء الرجال وعقولهم ندا لكتاب الله والمشرك قد جعل ما يعبده من الأوثان ندا له... "(٥)، وقد بين شيخ الإسلام ابن

---

(١) فتح الحميد (٤/١٦٢٠-١٦٢١).

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص:٥٩٤).

(٣) يقصد من أشرك بالله وجعل له الأنداد.

(٤) يقصد من قدم العقل على النقل.

(٥) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٣٥٣)

تيمية رحمه الله كيف أن نفات الصفات احتكموا إلى العقول بدعوى وشبهة منهم مضمونها أن القرآن والسنة ليس فيها ما يكفي، فقدموا أقوال الفلاسفة والصابئين وغيرهم على كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واحتكموا إليها، وكيف أنهم تركوا وأعرضوا عن دعوى الاحتكام إلى الكتاب والسنة في إثبات الصفات لله -عَزَّ وَجَلَّ- (١).

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق وجوب التحاكم بما أنزل الله؛ بين في هذا الباب كفر من لم يتحاكم إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ وذلك لأن من أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومن صفاته أنه -عَزَّ وَجَلَّ- خير الحاكمين، فمن لم يرض بحكم الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولم يسلم له وأعرض عنه فقد وقع في جحود اسم من أسماء الله وصفاته، ومن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته، ولو صفة واحدة؛ فهو كافر (٢).

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:" وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ (٣). الآية "(٤).**

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية في هذا الباب، وهي صريحة في حال أولئك الذين كفروا باسم الرحمن، الذي هو اسم من أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية:" قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٢٤)، تحقيق: د.حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص:٥٩٤).

(٣) سورة الرعد: ٣٠.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٦)

لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛... ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو﴾ أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو، ﴿عليه توكلت﴾ أي: في جميع أموري، ﴿وإليه متاب﴾ أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه "(١).

وإذا تبين تفسير الآية، فمناسبة إيراد المصنف لهذه الآية في الباب من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية ظاهر الدلالة للترجمة، فقد سمى من جحد اسما من أسماء الله وهو الرحمن، جعل من جحده كافرا مع أنهم مقرون بالله وربوبيته، لكنهم لما أنكروا اسما من أسمائه، وصفهم الله بأنهم كفروا به، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله:" ومطابقة الآية للترجمة ظاهرة، لأن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفرًا، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر، فمن جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة، والجهمية والمعتزلة ونحوهم، فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة، فإن الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء، لأن الأسماء عندهم أعلام محضة، لا تدل على صفات قائمة بالرب تبارك وتعالى وهذا وصف كفر الذين جحدوا اسم الرحمن "(٢)، فهذه الآية تدل على كفر من ينتسب لأهل الإسلام، يقوم بتأويل الأسماء والصفات أو شيء منها، بدليل أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- كفر المشركين الذين أنكروا اسم الرحمن، مع أنهم مقرون ومعترفون بالله ووجوده، وقد بين المصنف رحمه الله هذا المعنى بقوله في مسائله:" عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات "(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٠)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٣٥)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٦٧)، وقد أثبت محقق الكتاب الشيخ دغش بن شبيب -حفظه الله- هذه المسألة بقوله: عدم الإيمان بشيء من الأسماء والصفات، فذكرها بدون قوله:"جحد" ولم يذكر المحقق عنها شيئا في الحاشية، وقد رجعت إلى كتاب تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (١١٣٢/٢)، فوجدت أن محققه الشيخ أسامة بن عطايا العتيبي -حفظه الله- أثبت الكلمة في المتن، ولعل الكلمة سقطت سهوا؛ إذ لو كان مقصودا لذكره المحقق في حاشيته، والله أعلم.

ثانيا: أراد المصنف -رحمه الله- بيان أن جحود أسماء الله وصفاته وشيء منها، أنها صفة من صفات المشركين، فمن جحد شيئا منها، فقد اتصف بهم وتشبههم بفعلهم، فاستحق الحكم الذي أطلق عليهم، ففيه تحذير ووعيد.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله"** (١) "(٢).

مناسبة هذا الأثر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن بعض الصفات قد لا تحتملها العامة ولا تفهمها؛ فيحصل بسبب ذلك إنكارهم لها، وإنكارهم لها هو تكذيب لكتاب الله -عز وجل- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، ومعلوم أن من كذب بما جاء به الله -عز وجل- أو رسوله صلى الله عليه وسلم أنه كافر، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله -:" لأن السامع لما لا يفهم يعتقد استحالته، فلا يصدق وجوده، فيلزم التكذيب؛ إذ الإنسان عدو ما جهل، وفي المثل: من جهل شيئا أنكره "(٣)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" الرابعة: ذكر العلة؛ أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمدِ المنكرُ "(٤).

ثانيا: هذا الأثر دل على كفر من جحد شيئا من الأسماء والصفات، ولهذا فإن عليا -رضي الله عنه- خاف من كفر الناس، فأمر أن يحدثوهم بما يعلمونه، ولا يذكرون ما لا تحتمله عقول الناس حتى لا يقعوا في الكفر وينكروا شيئا من صفاته وهم لا يعلمون، وذلك بتحديث الناس بما لا يعقلون من الأسماء والصفات من الدخول في التفاصيل فيها، فالعامة عندهم إيمان مجمل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧/١) برقم (١٢٧) (كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٦)

(٣) فتح الحميد (١٦٤٨/٤).

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٦٨).

بأسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصفاته ويصح معهم توحيدهم وإيمانهم وإسلامهم، فلا تقال التفاصيل والدقائق إلا لمن يعقل ذلك ويعيه، وهذه مناسبة ظاهرة [1]، وقد نص عليها المصنف رحمه الله في مسائله فقال:" الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع "[2]، وسيتضح مراد المصنف رحمه الله من خلال ربط كلام علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بكلام ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

- **قال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ-:" وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه "رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه"** [3] "[4].

مناسبة هذا الأثر بالباب يتضح من خلال ربطه بالأثر السابق، فمناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: ذكر الشيخ في الأثر الذي قبله أن المتحدث يحدث الناس بما يعقلون حتى لا يكون هناك تكذيب واستنكار لكلام الله ورسوله، ثم بين في هذا الحديث وجوب التسليم للأحاديث التي تتكلم عن الصفات حتى وإن كانت لا تبلغ العقول، وحتى لا يتوهم متوهم أن السكوت عن ذكر هذه الأحاديث مطلقا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رَحِمَهُ اللَّهُ-:" وفي الأثر المشروح دليل على ذكر آيات الصفات، وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم، وأن من رد

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٤٣٩)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٩٤-١٩٥)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٤٢-١٤٣).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٦٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (١١ / ٤٢٣) برقم: (٢٠٨٩٥) (كتاب الجامع، باب صفة أهل النار) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢١ / ٤٣٧) برقم: (٣٩٠٥٧) (كتاب الجمل، ما ذكر في الخوارج) وصححه ابن رجب في فتح الباري،فتح الباري لابن رجب (٦/ ٤١)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٦)

شيئًا منها أو استنكره بعد صحته، فهو ممن لم يفرق بين الحق والباطل، بل هو من الهالكين وأنه ينكر عليه استنكاره "(١).

ثانيا: أن هذا الأثر فيه إشـارة إلى وجوب الإيمان بجميع ما أخبرنا الله -عز وجل- به وأخبرنا به رسوله صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته -عز وجل-، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب وللتوحيد: حيث دل الأثر على وجوب الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته، وذلك تحقيقا لتوحيد الأسماء والصفات "(٢). ولهذا فإن من جحد أو استنكر شيئا من أسماء الله وصفاته فإنه أهلك نفسه، ولهذا فإن ابن عباس -رضي الله عنهما- وصف من استنكر شيئا من الصفات، بأنه هلك بسبب استنكاره، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله في مسائله:" الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك، وأنه أهلكه "(٣).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾(٤) "(٥).**

أورد المصنف رحمه الله سبب النزول؛ ليبين كيف أن قريشا وقع عليهم مثل ما قاله ابن عباس -رضي الله عنهما-، فإنهم سمعوا ما لا يعرفونه وأنكروه، فهلكوا بوصفهم الله -عز وجل- بأنهم كفروا بالله -عز وجل-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وفيه دليل على أن من أنكر شيئًا من الصفات، فهو من الهالكين، لأن الواجب على العبد الإيمان بذلك، سواء فهمه أم لم يفهمه، وسواء قبله عقله أو أنكره "(٦).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٤٩)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٥٦)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٦٨).

(٤) رواه البغوي في تفسيره (٤/ ٣١٨)

(٥) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٧)

(٦) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٥١)

المبحث الثاني: **باب قول الله تعالى**: {**يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها**}

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" **باب قول الله تعالى**: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (١) **الآية** "(٢)، ويحتوي على آية وثلاثة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكروها﴾ للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة النحل:٨٣.

(٢) كتاب الوحيد (ص: ٢٦٩)

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾، للباب السابق.

صدر المصنف رحمه الله هذا الباب بهذه الآية، والتي تدل على عدم اعتراف المشركين بنعمة الله، وإنكار نسبتها إليه وأنه هو الذي تفضل عليهم، يقول ابن كثير -رحمه الله-:" أي: يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره "(١)، ويقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره:" فمعنى الآية: يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ يقول: وأكثر قومك الجاحدون نبوتك، لا المقرون بها "(٢).

فالمراد بهذه الترجمة عدة أمور:

أولا: التأدب مع الله -عز وجل- في ربوبيته وعدم الوقوع في إنكار النعم والكفر بها؛ لأنها من الشرك في الألفاظ، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" المراد بهذه الترجمة التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية، كنسبة النعم إلى غير الله، فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر "(٣).

ثانيا: التنبيه بأن من أضاف نعم الخالق إلى غيره فقد جعله شريكا معه في الربوبية وسبب ذلك؛ لأنه أضاف النعمة إلى السبب فجعله فاعلا، ولأنه لم يتعبد الله -عز وجل- بشكره على نعمه، فالشكر عبادة، وصرفها لغير الله شرك، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-:" مناسبة هذا الباب للتوحيد: أن من أضاف نعمة الخالق إلى غيره، فقد جعل معه شريكا في الربوبية؛ لأنه أضافها إلى السبب على أنه فاعل، هذا من وجه، ومن وجه آخر: أنه لم يقم

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٢)

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٤)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٥٣)

بالشـكر الذي هو عبادة من العبادات، وترك الشـكر مناف للتوحيد؛ لأن الواجب أن يُشْـكَر الخالق المنعم -سبحانه وتعالى- ، فصارت لها صلة بتوحيد الربوبية وبتوحيد العبادة؛ فمن حيث إضافتها إلى السـبب على أنه فاعل هذا إخلال بتوحيد الربوبية، ومن حيث ترك القيام بالشـكر الذي هو العبادة هذا إخلال بتوحيد الألوهية "(١).

ثالثا: بين المصـنف رحمه الله حال أولئك الذين ينسـبون النعم إلى غير الله -جل وعلا-، وأن أكثر من يفعل ذلك هم من الكافرين، ففيه تحذير من الاتصـاف بصـفات الكافرين، والوقوع في الكفر مثله، فالمصـنف -رحمه الله- قصـد ذم الذين ينسـبون نعم الله إلى غيره؛ وذلك لأنه ينافي كمال التوحيد (٢).

رابعا: بين المصـنف حالا أخرى من أحوال أولئك المشـركين، وهو أنهم يعرفون نعمة الله عليهم، لكنهم ينكرونها وينسـبونها إلى غيره جحودا وعنادا، وقد وضـحت الآية هذا المعنى وما تقدم من تفسـيرها، وهذا هو مراد المصـنف رحمه الله في مسـائله بقوله:" الأولى: تفسـير معرفة النعمة وإنكارها "(٣)، وهذا يدعوا إلى العجب، وهو كيف أن الإنسـان يعلم ويعرف أن الله هو المنعم والمتفضـل عليه بالنعم، ثم يجحد إنعام الله -جل وعلا- عليه وينسـبها إلى غيره؛ فكيف يجتمع الإنكار والمعرفة في قلبه، لا شك أن هذا مخالف للعقل، إذ كيف يجتمع الضدين في قلب واحد، وقد أشـار المصـنف رحمه الله إلى هذا الأمر العجاب بقوله في مسـائله:" الرابعة: اجتماع الضدين في القلب "(٤).

وأما مناسبة هذا الباب للباب السابق فمن عدة أمور:

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٠٢)

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٢٢٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٠)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٠)

أولا: أنه لما تكلم في الباب السابق عن جحد شيء من الأسماء والصفات؛ وأن هذا فيه تنقص للربوبية، أعقبه بهذا الباب؛ لأنه كذلك تنقص وجحد لربوبية الله -جل وعلا-؛ بإضافة النعم ونسبتها إلى غير الله -جل وعلا-، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" هذا الباب ذكره الشيخ رحمه الله بعد باب "مَن جحد شيئاً من الأسماء والصّفات" ، لأنّه مِن جنسه، فيه تنقُّصٌ للرُّبوبيّة، فالذي يجحد الأسماء والصّفات قد تنقَّص الربوبيّة، وكذلك الذي يُضيفُ النّعم إلى غير الله سبحانه وتعالى قد تنقّص الرّبوبيّة "(١).

ثانيا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الباب السابق وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته، وعدم إنكارها وجحودها، شرع المصنف رحمه الله بهذا الباب والأبواب التي بعده ببيان أنواع والإلحاد والجحود في أسماء الله وصفاته، وعدم الأدب معها واحترامها وتعظيمها (٢)، ومنها كفر النعمة فمن صفات الله -جل وعلا- المنعم، ومع هذا نُسبت النعم إلى غيره —سبحانه- وهذه جحود في صفة من صفاته -جل وعلا-، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله -:" ولما ذكر المصنف رحمه الله باب الأسماء والصفات، وعلم أن من صفاته المنعم، فهو الذي أنعم على عباده -جل وعلا- ظاهرا وباطنا؛ نبه بهذه الترجمة بأن من كفر نعمة الله بعد معرفتها، فقد تطرق بذلك لإنكار صفة من صفاته وجحدها، فأعقبه بهذا الباب، وكذا ما بعده من الأبواب، فإن فيها إشارة إلى نفي الإلحاد عن أسمائه وصفاته -جل وعلا- "(٣).

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٤٧).

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٦٠٣)

(٣) فتح الحميد (٤/١٦٨٠)

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

شرع المصنف رحمه الله ببيان معاني الآية المترجم بها للباب، والمصنف رحمه الله إنما ذكر هذه المعاني للآية واختارها؛ لأنها تفسر الآية وتبين مقصودها، فهي أمثلة تدل على مقصود الآية والغرض منها.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي "[1]، وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا[2]. وقال ابن قتيبة:" يقولون هذا بشفاعة آلهتنا "[3]، وقال أبو العباس [4] بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله قال:" أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر "الحديث. وقد تقدم: ((وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به)).**

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير" [5] "[6].

ومناسبة الآثار للباب من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآثار أفادت أن من نسب النعمة إلى غير الله فقد كفر بها؛ لأن ذلك شرك مع الله في إنعامه، وأن تعليق وجود النعم بقدرة المخلوقين كفر بها، ودلت هذه الآثار أن من

(١) رواه الطبري بنحوه في تفسيره (١٧/ ٢٧٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٣)، وابن ابي حاتم في تفسيره (٩/ ١٠٨) برقم (١٣٤٨١)

(٣) ذكره جمال الدين الجوزي، في تفسيره: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٧٧) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٤) وهو شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -.

(٥) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣٣).

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٢٦٩-٢٧٠)

نسـب النعمة إلى غير الله فقد كفر بها، وأشـرك مع الله غيره، ودل أثر ابن قتيبة أنه يرى أن إضافة النعمة إلى شفاعة الأصنام كفر[1]، مما يدل على أن نسبة النعمة إلى غير الله أو تعليق وجودها بقدرة المخلوقين أو نسبة النعم إلى شفاعة الأصنام أنها كلها كفر بالله -جل وعلا- وإشراك معه غيره فيما هو خاص به.

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله من خلال ذكر هذه الأوصاف أن الكفر يختلف باختلاف نية قائله، وقد يصل الكفر إلى الكفر الأكبر، كما هو تفسير ابن قتيبة -رحمه الله-، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله بعد الأثر عن ابن قتيبة:" ففسرها ابن قتيبة بالشرك الأكبر وهو ظاهرها "[2]، فهذا التفاسير التي أوردها المصنف إنما هي أمثلة لكفران النعمة، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" فما ذكره الشيخ رحمه الله في هذا الباب إنّما هو أمثلة لكُفران النعمة "[3]، وهي تختلف من حيث كونها داخلة في الشرك الأكبر والأصغر، ولهذا أتى بها المصنف -رحمه الله- في هذا الباب.

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن أثر مجاهد فيه إضافة الأمر إلى نفسه، وأما أثر عون فأضاف الشيء إلى السبب، وأما أثر ابن قتيبة، أنهم جعلوا ما يحصل لهم من سعادة ونعم إنما هو بشفاعة آلهتهم، وهذه الآلهة إنما هي أحقر وأصغر من أن تشفع، فهي دعوى لا أساس لها، أو أنهم غفلوا عن المنعم -جل وعلا-، ونسبوا الخير إلى السبب وغفلوا عن المسبب، كما أفاد ذلك أثر ابن تيمية -رحمه الله-، فأراد المصنف أن يبين طرق ووسائل من يضيف النعم إلى غير الله -جل وعلا- وأحوالهم [4]، فهم في الحقيقة منكرون للنعم على اختلاف أقوالهم وكلامهم.

---

(١) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٥٩-٣٦٢)

(٢) منحة الحميد (١٦٩١/٤).

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٤٩)

(٤) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٩٥٢/٢-٩٥٧).

رابعا: أورد المصنف في أثر ابن تيمية رحمه الله قوله عن بعض السلف:" ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير "، أي نسبة النعم إلى السبب، والغفلة عن المسبب، فالمقصد هو أن كثير من الناس لا يتحرز من هذا الكفر، ولا يتنبه له، فقليل من يتحرز، فليتنبه كيف جعل فسر السلف كما في الأثر كفران النعم بقولهم الملاح حاذق، والريح طيبة، مما يدل على التحذير التنبيه من ذلك وأنه يجب على العبد أن يعرف ربه -جل وعلا-، وأن كل خير يناله هو أو غيره إنما هو من الله -جل وعلا-، فيجب أن يضاف ذلك له ويشكر عليه [1]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة في مسائله بقول" الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير، الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة "[2].

خامسا: أن أثر ابن تيمية رحمه الله يدل على أن كل من نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلى غيره أنه من الشرك، وما ذكر إنما هو أمثلة لكفر النعمة [3].

(١) انظر: المصدر السابق: (٩٥٨/٢-٩٥٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٧٠)

(٣) انظر: قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن (ص: ٢٠٥).

المبحث الثالث: **باب قول الله تعالى**: {**فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب قول الله تعالى: **باب قول الله تعالى**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [١] "[٢]، **ويحتوي على آية وحديثين، وثلاثة آثار**.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة البقرة:٢٢.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٧١)

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} [1]. للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية والتي صدر بها هذا الباب، وتفسيرها كما سيأتي من كلام ابن عباس -رضي الله عنهما-، وأن المقصود به هو الشرك في الألفاظ، وعلاقته بالتوحيد ظاهرة، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" اعلم أن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد كما يجري على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها "[2]، فمقصد المصنف رحمه الله واضح، وهو التنبيه على الوقوع في هذا الشرك الذي قد لا يقصده قائله، كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، أو قلوله لولا كلبة فلان لصار كذا وكذا.

وهناك فرق بين هذا الباب وباب مضى وهو قوله:" باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [3] "[4]، وهو أن الباب السابق في الشرك الأكبر، فهو شرك في عبادة المحبة، أما هذا الباب فهو أن تجعل لله ندا في الألفاظ، فهو من الشرك الأصغر والمنافي للأدب مع الله -جل وعلا-، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:" الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ الآية، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات. وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ ك: لولا الله وفلان وهذا بالله وبك، وكإضافة

---

(١) سورة البقرة:٢٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد (١١٦١/٢)

(٣) سورة البقرة:١٦٥.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٤٠)

الأشـياء ووقوعها لغير الله كلولا الحارس لآتانا اللصـوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل فكل هذا ينافي التوحيد "(١)، والفرق كذلك بينهما وقد أوضحه كلام السعدي -رحمه الله -، وهو أن الباب السابق هو الشرك في الأفعال والاعتقادات، أما هذا الباب فهو الشرك في الأقوال، ومن الأقوال ما هو أكبر ومنها ما هو أصغر، فالمصنف رحمه الله أراد بيان أنه كما أن الأنداد تكون في الأفعال والقلوب، فإنها كذلك تكون في الألفاظ، ولهذا صدر المصنف رحمه الله هذه الآية بهذا الباب، وقد بين الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- أن الآية وإن كانت في الشرك الأكبر إلا أن مقصود الشيخ في إيرادها هو بيان الشرك الأصغر وسماه بالتنديد الأصغر (٢)، والأبواب الآية كذلك تدخل في هذا التنديد كما سيتضح بإذن الله -جل وعلا-.

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: لما شرع المصنف رحمه الله ببيان أنواع من الإلحاد في الأسماء والصفات، وذلك في الباب السابق من أن الإلحاد في أسماءه وصفاته يكون بإضافة النعم إلى غيره وإنكار نسبتها إلى الله -جل وعلا- مع معرفتهم بأنها من عند الله -جل وعلا-؛ بين في هذا الباب أن إضافة النعم إلى غير الله أو إشراكها مع الله أن هذا من التنديد وجعلها أنداد وشركاء يساوون الله -جل وعلا-، ولهذا أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب (٣)، وتتضح هذه المناسبة عند قراءة الآيات التي قبل هذه الآية في سورة البقرة فهي تتحدث عن نعم الله -جل وعلا- واختصاصه بخلقها وأنه أنعم على الإنسان بتسخيرها له، يقول الله تعالى:" ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٤٣)

(٢) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٥٤).

(٣) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص:٦١٢).

ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (1)، يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشا، أي: مهدا كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، ﴿والسماء بناء﴾ وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾ [الأنبياء: ٣٢] وأنزل لهم من السماء ماء -والمراد به السحاب هاهنا- في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد؛ رزقا لهم ولأنعامهم،... فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾" (2).

ثانيا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الباب السابق عن الشرك بالله وكفر النعمة، ونسبتها إلى غير الله -جل وعلا- سواء أضافها إلى نفسه أو إلى سببها، أو إلى غير ذلك مما ليس بسبب ولا ينفع ولا يضر، أفاد المصنف رحمه الله أن كفر النعمة كذلك يكون في الألفاظ التي تخرج من الإنسان وهو لا يشعر بها، ولا يعلم أنها من الشرك، فهذا من كفر النعم، فكيف يعلم الإنسان أن الله -جل وعلا- هو المنعم والمتصرف بكل شيء، والمتفضل على خلقه، ومع ذلك يشركون معه غيره في ألفاظهم وأقوالهم، فناسب أن يذكر المصنف هذا الباب بعد الباب السابق.

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله نوعا من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته في الباب السابق، وهو الكفر في صفة النعمة، شرع المصنف في هذا الباب بذكر نوع من أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وهو جعل الأنداد والشركاء مع الله -جل وعلا- في الألفاظ.

---

(١) سورة البقرة: ٢١-٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٤)

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "قال ابن عباس في الآية:" الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم[١] "[٢].**

أورد المصنف رحمه الله أثر ابن عباس والذي هو يفسر الآية ويبين معناها والمراد بها المناسب لهذا الباب،

فمناسبة الأثر للباب من عدة أمور:

أولا: أن ابن عباس -رضي الله عنهما- فسر الآية بالشرك في الألفاظ، وهذا هو الذي أراده المصنف -رحمه الله-.

ثانيا: أن المصنف أراد أن يبين أن الآية دالة على الشرك في الألفاظ، وأنها تدل على الشرك الأصغر، فالسلف كانوا يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر؛ بدليل تفسير ابن عباس لها؛ فقد فسرها بالشرك الأصغر وفسرها بشرك الألفاظ، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله:" الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر "[٣].

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن هذا الشرك يخفى على كثير من الناس ولا يتفطنون له، ولا يعرفه إلا القليل، فأتى بهذا الأثر لبيان ذلك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢/١) برقم (٢٢٩)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٧١)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٤)

-:" إن هذه الأمور من الشرك خفية في الناس، لا يكاد يتفطن لها ولا يعرفها إلا القليل، وضرب المثل لخفائها بما هو أخفى شيء وهو أثر النمل، فإنه خفي، فكيف إذا كان على صفاة؟ فكيف إذا كانت سوداء، فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟ وهذا يدل على شدة خفائه على من يدعي الإسلام، وعسر التخلص منه... "(١).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان الأمثلة على جعل الشريك لله -جل وعلا- من خلال ما أورده ابن عباس -رضي الله عنهما-، وهذه الأمثلة التي ذكرها ابن عباس كقول الرجل والله وحياتك يا فلانه أو والله وحياتي، أو لولا كلبة فلان أو البط في الدار، أو لولا الله وفلان لأتى اللصوص، أن هذا كله من شرك الألفاظ الذي هو كاتخاذ الأنداد لله -جل وعلا-، ولهذا قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في آخر كلامه،" هذا كله به شرك "، أي أن هذه الألفاظ كلها وأمثالها شرك بالله -جل وعلا- وهي خفية يجب على العبد أن يتفطن لها.

خامسا: أراد المصنف رحمه الله من خلال أثر ابن عباس بيان شيء من الأسباب التي جعلت هذه الأشياء شركا، وهي التعظيم فلما كان الحلف بالمخلوق تعظيما له يشبه تعظيم الرب -جل وعلا-، فإن الله -جل وعلا- سماه شركا، وذلك كالحلف بالله وبحياة نفسه أو حياة غيره، كذلك ما يشعر القارئ والمستمع لهذا اللفظ في كلام المتكلم بأن القضاء والقدر ممتنع عن الله -جل وعلا- إلا بوجود ذلك السبب، كقول الرجل لولا الله وفلان أو كليبة فلان أو البط لأتانا اللصوص، فأراد المصنف رحمه الله بيان أن الأسباب كلها من الله -جل وعلا- وهو الذي أوجدها وكونها، وهو الغالب على أمر -جل وعلا- (٢).

سادسا: أراد المصنف رحمه الله الاستدلال بالأثر على وجوب تجنب الشرك الظاهر والخفي، ومنه الأمثلة التي ذكرها ابن عباس -رضي الله عنهما- (٣).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٦٢)

(٢) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٤/١٧٠١-١٧٠٢)

(٣) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٣٦٤)

سابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان أنواع من الشرك في الألفاظ وهي كالقواعد لذلك، فمنها القسم بغير الله، أو القسم بالله ومعه غيره، وتعليق النفع على فعل مخلوق، وكذلك تعليق النفع على فعل الله ومعه غيره، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب وللتوحيد: حيث دل الأثر على أن ابن عباس يرى أن من الشرك الخفي القسم بغير الله كقولك: وحياتك، وكذا تعليق نفع على فعل مخلوق كقولك لولا الحارس لأتانا اللصوص، وكذلك تعليق نفع على فعل الله ومعه غيره كقولك: لولا الله وفلان لاحترق المنزل "(١).

- **قال المصنف -رَحِمَهُ اللهُ-:" وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" (٢)، رواه الترمذي وحسنه وصححه، الحاكم "(٣).**

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث، والذي يتكلم عن الشرك في الألفاظ، ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن الحلف بغير الله هو يعتبر من شرك الألفاظ واتخاذ الأنداد لله -جل وعلا- يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" والشاهد من الحديث للتّرجمة: أن الحلف بغير الله من اتّخاذ الأنداد لله سبحانه وتعالى، لأنّ النّد معناه: النّظير والشّبيه،

(١) المصدر السابق (ص: ٣٦٥)

(٢) لم يُروَ من طريق عمر بل جاء من رواية ابن عمر حيث أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٠ / ١٩٩) برقم: (٤٣٥٨) (كتاب الأيمان، ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله جل وعلا) والحاكم في "مستدركه" وقال الحديث صحيح على شرط الشيخين (١ / ١٨) برقم: (٤٦) (كِتَابُ الْإِيمَانِ، من حلف بغير الله فقد كفر)، والترمذي في "جامعه" (٣ / ١٩٤) برقم: (١٥٣٥) (أبواب النذور والأيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك) وقال حديث حسن.

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٧٢)

فالذي يحلف بغير الله يجعل المحلوف به نِدًّا لله وشبيهاً لله -سبحانه وتعالى- "[١]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة في مسائله بقوله:" الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك "[٢].

ثانيا: الحديث دليل على وجوب توحيد الله -جل وعلا- حتى في الألفاظ، وأن من حلف بغير الله -جل وعلا- فقد وقع في الشرك والكفر، وأن هذا الأمر عام في كل شيء، فمن حلف بأي شيء غير الله -جل وعلا- فقد وقع في الكفر والشرك.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا[٣] "[٤].**

مناسبة هذا الأثر للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان أهمية الوقوع في شرك الألفاظ، فهو وإن كان في الألفاظ؛ إلا أنه أعظم من الكبائر وأكبر منها [٥]، وهذا يجعل الإنسان لا يستهين بتلك الأمور، فكما أن الكذب والحلف بالله كذبا هو من الكبائر وعقابها كبير؛ فإن حلف الصادق بغير الله هو أعظم وأكبر جرما وإثما، ولهذا أتى به المصنف للتنبيه على خطر الشرك الأصغر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقا أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر "[٦]، وقد أشار المصنف رحمه الله

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٦٢)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٧٤)

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٨ / ٤٦٩) برقم: (١٥٩٢٩) (كتاب الأيمان والنذور، باب الأيمان ولا يحلف إلا بالله) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٧ / ٥٤٩) برقم: (١٢٤١٤) (كتاب الأيمان والنذور، الرجل يحلف بغير الله أو بأبيه) والطبراني في "الكبير" (٩ / ١٨٣) برقم: (٨٩٠٢) (باب العين، باب) وصححه الألباني كما في إرواء الغليل (١٩١/٨) برقم (٢٥٦٢).

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٧٢)

(٥) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٩٧١/٢)

(٦) تيسير العزيز الحميد (١١٧٥/٢).

إلى هذه المعنى بقوله في مسائله:" الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً، فهو أكبر من اليمين الغموس "(١).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله أن يبين أن" حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وأن سيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك؛ مع أن الكذب من أقبح المحرمات وأفحش العيوب والإجماع منعقد على تحريمه "(٢).

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن الحلف لما كان تعظيما للمخلوق كان فاعله مشركا؛ لأنه جعل لله ندا في قوله، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الأثر للباب وللتوحيد: حيث دل الأثر على أن ابن مسعود يرى أن الحلف بغير الله حرام؛ لأن ذلك تعظيم للمخلوق المحلوف به، والتعظيم عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك "(٣).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن مراد ابن مسعود من قوله:" أحب إليّ "أن المراد الوجوب وتحريم الحلف بغير الله -جل وعلا-، ويدل لذلك حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- السابق، من أن الحلف بغير الله شرك.

قال المصنف -رحمه الله-:" وعن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان" (٤)، رواه أبو داود بسند صحيح، وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٤)

(٢) فتح الحميد لعثمان بن منصور (١٧٣١/٤)، قلت: وهذا الكلام إنما هو لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما نسبه له ابن مفلح -رحمه الله- في الفروع انظر: الفروع لابن مفلح(١٠/ ٤٣٧)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦٧)

(٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٥٢) برقم: (٤٩٨٠) (كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي) والنسائي في "الكبرى" (٩ / ٣٦١) برقم: (١٠٧٥٥) (كتاب عمل اليوم والليلة، النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان) وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ٣٥).

وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان(١)"(٢).

أورد المصنف رحمه الله الحديث والأثر واللذان يدلان على مراد المصنف -رحمه الله-، فدلالتهما على مراد المصنف -رحمه الله- ومناسبتهما للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله التفريق بين" الواو "، و" ثم "، وأن بينهما فرقا، وكان ذلك سبب في تحريم أحدهما، وجواز ذكر الآخر في التشريك في الاستعاذة الجائزة وغيرها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وذلك والله أعلم؛ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع؛ فمنع منها للجمع، لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره، كما منع من جمع اسم الله، واسم رسوله في ضمير واحد، و"ثم" إنما تقتضي الترتيب فقط، فجاز ذلك لعدم المانع "(**٣**)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله فقال:" الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ "(**٤**).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن" ثم "لا تأتي في الحلف، لأن الحلف لا يجوز إلا بالله -جل وعلا- كما دل على ذلك أيضا دلالة صريحة حديث ابن عمر السابق ذكره، كذلك أثر ابن مسعود -رضي الله عنهما-.

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بإيراده أثر إبراهيم النخعي -رحمه الله- مع حديث حذيفة -رضي الله عنه-، الدلالة على أن الكراهة المقصودة في الأثر، إنما هو التحريم؛ بدليل حديث حذيفة -رضي الله عنه-، كما أن الكراهة المرادة في أثر ابن مسعود السابقة التحريم كذلك؛ بدليل حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قبله (٥).

(**١**) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢٧/١١) برقم (١٩٨١١) (كتاب الجامع، قول الرجل ما شاء الله وشئت)

(**٢**) كتاب التوحيد (ص:٢٧٣)

(**٣**) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٧٦)

(**٤**) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٤)

(**٥**) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٩٧٣/٢)

رابعا: أن الحديثين والترجمة إنما فسـرت كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- في أن ما ذكره من الشرك الأصغر، والتوجيه الصحيح لمن أراد الحلف أو نسبة النعم وغيرها، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله -رحمه الله-:" ومطابقة الحديثين والأثرين للترجمة ظاهرة على ما فسـر به ابن عباس رضـي الله عنهما الآية "[1]، ففيهما النهي عن الجمع بين الله وبين المخلوق في المشـيئة بحرف الواو؛ لأنك جعلتها صـادرة من الله ومن المخلوق، كذلك الاسـتعاذة فإنك تجعلها تطلب من الله والمخلوق بنفس الطلب والقدرة، كذلك تعلق المنفعة على فعل الله مع غيره وجمعهم بحرف الواو، وهذا شـرك في اللفظ، يقول الشـيخ محمد القرعاوي:" مناسـبة الحديث للباب وللتوحيد: حيث دل الحديث على تحريم عطف مشـيئة المخلوق على مشـيئة الله بالواو؛ لأن (الواو) تفيد التشـريك بين المتعاطفين، وذلك شـرك في الربوبية... مناسـبة الأثر للباب وللتوحيد: حيث دل الأثر على أن إبراهيم النخعي يرى تحريم عطف الاستعاذة بالمخلوق على الاستعاذة بالله بالواو؛ لأن (الواو) تقتضـي التشـريك بين المتعاطفين، وذلك يؤدي إلى الشـرك بالله، وهو محمول على الشـرك الأصـغر وكذا تعلق منفعة على فعل الله ومعه غيره، كقولك: لولا الله وفلان لما شـفيت "[2].

---

(1) تيسير العزيز الحميد (١١٧٦/٢).

(2) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦٨-٣٦٩)

المبحث الرابع: باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله "[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٧٥).

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب ليبين أن عدم الاقتناع بمن يحلف له بالله أنه يعد من عدم تعظيمه –جل وعلا–؛ فالحالف أكد صحة ما يقول بذكر الله –جل وعلا–؛ طالبا من المحلوف له تصديق كلامه بسبب أنه أكده بلفظ الجلالة والتعظيم، فكان من الواجب على السامع الاقتناع بما حلف لأجله؛ وإلا فإن هذا يكون فيه شيء من نقص تعظيم الله –جل وعلا–؛ فكان منافيا للتوحيد [1]، يقول الشيخ سعيد الجندول –رحمه الله–:" قصد الشيخ رحمه الله من هذا الباب إيضاح أن عدم الاقتناع بالحلف دليل على ضعف الإيمان وعدم استشعار النفس لعظمة الله وجلاله "[2]، كما أن الاقتناع بالحلف بالله –جل وعلا– دليل على تعظيم الشخص لله –جل وعلا–، ومعرفة قلبه بعظمة الله وعزته وكبريائه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في إيضاحه لترجمة الباب:" أي: من الوعيد؛ لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية، إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك "[3].

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فيتجلى من عدة أمور:

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله شرك من حلف بغير الله –جل وعلا–، أعقبه بهذا الباب؛ لأن قد يقع التعظيم إذا حلف الشخص بآبائه وأجداده أو بنفسه، فلما بين النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الحلف بغير الله، أعقبه بالتحذير من عدم الرضى بالحلف بالله –جل وعلا– وطلب الشخص بأن يحلف بغير الله –جل وعلا–، فإن الله –جل وعلا– أعظم محلوف به وأجل وأكبر.

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٢٤)

(٢) الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص: ٢٢٩)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٧٨)

ثانيا: أن المصنف رحمه الله ما زال يبين أنواعا من الإلحاد في الأسماء والصفات، فلما بين في الباب السابق نوعا من أنواع الإلحاد، وهو جعل لله ندا وشريكا في الألفاظ بالحلف بغير الله -جل وعلا-، وبين حكم من سوى بين أسماء الله وصفاته وبين أسماء وصفات غيره، بين في هذا الباب حال المخاطب بأنه يجب عليه ألا يقع في التهاون أيضا في تعظيم الله -جل وعلا- [(١)].

ثالثا: أن الباب السابق تكلم عمن حلف بغير الله -جل وعلا-، وكيف أنه لا يعظم الله -جل وعلا- في الحلف، وفي هذا الباب تكلم عن المخاطب والمستمع وكيف أنه لا يعظم الله -جل وعلا- عندما يحلف له به [(٢)].

رابعا: أن المصنف رحمه الله عقد الباب السابق للحث على تعظيم الله -جل وعلا- وذلك بالحلف به، وشرك من حلف بغيره، فإذا امتثل العبد لذلك وعظم ربه -جل وعلا-، عليه أيضا أن يقتنع به، بأن يرضى ويسلم إذا حُلِف له به [(٣)]، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" والظاهر في المراد منه أن الإمام المصنف -رحمه الله- ذكره تعظيما لله - جل وعلا -، وقد ذكر في الباب قبله من حلف بغير الله، وأن حكمه أنه مشرك، فهذا فيه أن الحلف بالله يجب تعظيمه، وأن لا يحلف المرء بالله إلا صادقا، وأن لا يحلف بآبائه، وأن لا يحلف بغير الله، ومن حلف له بالله فواجب عليه الرضا تعظيما لاسم الله، وتعظيما لحق الله - جل وعلا -، حتى لا يقع في قلبه استهانة باسم الله الأعظم، وعدم اكتراث به أو بالكلام المؤكد به "[(٤)].

---

(١) منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٦٢٦).

(٢) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٢٦٨٨/٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٦٨٨/٧).

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٦٠-٤٦١)

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله"** [١]. **رواه ابن ماجه بإسناد حسن**"[٢].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث في الباب ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه قوله:" ومن حُلف له بالله فليرضَ "هذا محل الشاهد من الحديث للباب، فهذا فيه وجوب الرضى والقناعة بمن حلف له بالله -جل وعلا-، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" حيث دل الحديث على وجوب رضا من حلف له بالله؛ له لأن ذلك تعظيم لله وذلك من كمال التوحيد "[٣]، وقد بين المصنف هذه المناسبة في مسائله بقوله -رحمه الله -:" الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى. "[٤]، وإذا لم يرض فإنه يكون بذلك محتقرا لأسماء الله -جل وعلا-، مستحقا للعقاب.

ثانيا: أن فيه وعيد لمن لم يرض بمن حلف له بالله فقال:" ومن لم يرض فليس من الله "، وهذا الحديث مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [٥]، يقول الإمام القرطبي رحمه الله في معناها:" (فليس من الله في شيء) أي فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء "[٦]، وقال الإمام الطبري -رحمه الله -:" يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله

---

(١) وابن ماجه في "سننه" (٣ / ٢٤٠) برقم: (٢١٠١) (أبواب الكفارات، باب من حلف لَهُ بالله فليرض) وحسنه ابن حجر كما في فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٣٦).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٧٥)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧١)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٧٥)

(٥) سورة آل عمران:٢٨.

(٦) تفسير القرطبي (٤/ ٥٧)

منه "[1]، فلا شك أن هذه البراءة وكون الإنسان يخرج من حزب الله بفعله هذا أنها تدل على أن هذه الأمر عظيم؛ لأنه استهانة وعدم تعظيم لله -جل وعلا-؛ فقد سمع أسماء الله -جل وعلا- تعظم، فلم يرضَ، ولم يقنع بها، فكأنه يريد من الحالف أن يحلف بغير الله -جل وعلا- ، وأن غير الله -سبحانه- أحق بالتعظيم من الله -جل وعلا- ولا شك أن ذلك كفر [2]، وقد بين المصنف هذا الأمر في مسائله بقوله -رحمه الله-:" الثالثة: وعيد من لم يرض "[3].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١٣)

(٢) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٢/٣١٣).

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٧٥)

المبحث الخامس: باب قول: ما شاء اللّه وشئت.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب قول: ما شاء الله وشئت "[1]، ويحتوي على ثلاثة أحاديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب قول: ما شاء الله وشئت) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٧٦).

المطلب الأول: مناسبة باب قول: ما شاء الله وشئت للباب السابق.

أفرد المصنف هذا النوع من أنواع الشرك وهو الشرك في الألفاظ بباب مستقل، وهو باب قول:" ما شاء الله وشئت "، ففيه مزيد بيان وتفصيل، ومناسبته لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن هذا من الشرك في الألفاظ، وهو نوع من أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وعدم تعظيمها، وقد سبق بيان أن المصنف رحمه الله شرع ببيان أنواع من الإلحاد وعدم الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته.

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق التسوية بين أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، بأسماء غيره وصفاته، وبين أن ذلك يكون من اتخاذ الأنداد؛ بين المصنف وأفرد في هذا الباب التسوية في المشيئة، وأنها كذلك من اتخاذ الأنداد، ومن الواضح أن هذا الباب داخل في الباب الذي قبل السابق (1)، لكن المصنف رحمه الله أفرده؛ ليبين حكمها، والبديل الصحيح عنها، ويذكر التفصيل في الآيات التي تكلمت عن التسوية في المشيئة وجعلها في باب واحد ليتبين المراد ويتضح الإشكال، وأن المنع إنما هو منع من الشرك، وليس مجرد التحريم فقط (2)، يقول الشيخ سليمان رحمه الله في بيان المراد بالترجمة، والذي يتضح من كلامه وجه إفراد الباب بفصل مستقل:" أي: ما حكم التكلم بذلك، هل يجوز أم لا؟ وإذا قلنا: لا يجوز؛ فهل هو من الشرك أم لا؟"(3).

---

(1) وقد بين كونه داخلا في الباب قبل السابق الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في كتابه القول السديد (ص: ١٤٧)

(2) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٦٣٣).

(3) تيسير العزيز الحميد (١١٨٤/٢)

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب قبل السابق التصريح في الترجمة بالنهي عن جعل الأنداد لله -جل وعلا-، ثم بين الآثار والأحاديث التي أفاد المصنف رحمه الله أنها داخلة في معنى الآية؛ والتي منها حديث حذيفة والذي فيه النهي عن التسوية في الشيئة، بين رحمه الله في هذا الباب أن النهي والتحريم المراد في حديث حذيفة إنما هو نهي عن الشرك واتخاذ الأنداد كما هو التصريح في هذا الباب، وكيف أن الكفار عرفوا أن هذا الأمر شرك، واتخاذ للأنداد مع الله -تعالى-.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن قتيلة "أن يهوديا أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت"** (١)**. رواه النسائي وصححه** "(٢).

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث في هذا الباب ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن اليهودي صرح للنبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا الأمر شرك، وهذا يؤول إلى عدة أمور، منها:

الأول: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ينكر عليه؛ مما يدل على أنه دليل على أن التسوية في المشيئة شرك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك،

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤ / ٢٩٧) برقم: (٧٩١٠) (كتاب الأيمان والنذور، تسبيح ديك رجلاه في الأرض وعنقه تحت العرش) والنسائي في "المجتبى" (١ / ٧٤٦) برقم: (٣٧٨٢ / ١) (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة) والحديث صححه النسائي كما في فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٤٠) وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٦٣) ، (١/ ٢٦٦) برقم (١٣٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٦)

لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديدًا أو شركًا. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك... "[١].

الثاني: أن اليهود يعرفون الشرك الأصغر، على خفائه ودقته ومنه ترجمة الباب وهي التسوية في المشيئة؛ فإن كان اليهود يعرفون الشرك الأصغر، فما بالك بمن لا يعرف هذا النوع من الشرك، وينكر أنه شركا؛ بل ما بالك بـ" كثير ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف الشرك الأكبر، فيصرف خالص العبادات من الدعاء والذبح لغير الله "[٢]، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله:" الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى "[٣]، فأراد المصنف بيان أن هذا الشرك معلوم حتى عند اليهود، وواضح وبين؛ لأنه وافق هواهم في الميل إلى استخراج ما يرونه قدحا في خصومهم من دقائق دينهم، وكذلك من لا يريد الحق ولا يبحث عنه ولا يوافق هواه من المسلمين؛ فإنه تخفى عليه ما هو أوضح من ذلك، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله فقال -رحمه الله-:" فهم الإنسان إذا كان له هوى "[٤]، وهذا يفيدنا ويناسب الباب من أن الإنسان لا يعذر بزعمه عدم فهمه بما ورد في الحديث، بل الحكم واضح، والعقاب واضح؛ وإنما الخلل في فهم الإنسان وعدم إدراكه؛ لعدم وجود هوى لذلك.

ثانيا: أن ما شاء الله ثم شئت، فيه ذكر القول الصحيح لمن أراد أن يذكر مشيئة أحد مع مشيئة الله -جل وعلا-، وهو تغيير الواو ب" ثم "، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عن الحديث أنه:" أرشد إلى استعمال اللفظ البعيد من الشرك، وهو قول: "ما شاء الله ثم

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٨٥-١١٨٦)

(٢) تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/ ١١٨٨)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٧٩)

(٤) المصدر السابق.

شـــئت" ، وإن كان الأولى قول: ما شـــاء الله وحده، كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره "[١].

ثالثا: أن هذا الحديث دليل على أن قول:" ما شاء الله وشئت "شرك أصغر، قال الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب وللتوحيد: حيث دل الحديث على أن قول ما شاء الله وشئت شرك أصغر "[٢].

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وله أيضا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- "أن رجلا قال: للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت. قال: أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده"** [٣] "[٤].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث ودلالته على الباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه التصـريح بكونه جعل لله ندا، وهذا دليل على أن التســوية في المشـيئة من جعل الأنداد لله -جل وعلا- كما سبق بيانه والإشارة إليه في الباب قبل السابق، فالتسوية في المشيئة من اتخاذ الأنداد مع الله -جل وعلا- بدليل هذا الحديث، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" وها هو الرّسـول صـلى الله عليه وسـلم في هذا الحديث يقول: "أجعلتني لله

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١١٨٦)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧٣)

(٣) أخرجه النســائي في "الكبرى" (٩ / ٣٦٢) برقم: (١٠٧٥٩) (كتاب عمل اليوم والليلة، النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان) وأحمد في "مسنده" (٢ / ٤٧٢) برقم: (١٨٦٤) (مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسـند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضـي الله عنهما عن النبي صـلى الله عليه وسـلم)، وحسـنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٦٦).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٩)

نِدًّا؟" ، فدلّ على أنّ قول: (ما شاء الله وشئت) اتّخاذ للنِدّ مع الله سبحانه وتعالى وإنْ كان من الشّرك الأصغر"(١).

ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل من ساوى في المشيئة أنه كأنه جعل لله -جل وعلا-، فكيف بمن قال ما هو أعظم وأفحش من القول، بل انظر إلى ما هو أكبر من ذلك مما هو داخل في الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار(٢)، ولهذا قال المصنف رحمه الله في المسائل:" الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم: "أجعلتني لله نداً؟" فكيف بمن قال:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك.... والبيتين بعده (٣) "(٤).

ثالثا: أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الأولى والأفضل عدم إتْباع مشيئة الله -جل وعلا- بمشيئة غيره بـــ" ثم "، بدليل هذا الحديث والحديث الذي قبله، فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الرجل إلى قول: ما شاء الله وحده، مما يدل على أنه الأولى، ويدل أيضا على التنبه لهذا الأمر وعدم التهاون به، وأن الله -جل وعلا- عظيم لا يشاركه أحد في ملكه ومشيئته وتصرفه، وهذا من عظيم الأدب مع الله -جل وعلا- (٥).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء**

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٧٠)، وانظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٣٧٤)

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/١١٩١-١١٩٢)

(٣) ديوان البوصيري (ص:٢٠٠)، تحقيق محمد سيد كيلاني طبع مصطفى الحلبي مصر، ١٣٧٤هـ.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٩)

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/ ١١٨٦)

محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده" (١) "(٢).

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث وفيه مزيد بيان وإيضاح لما سبق بيانه، فمناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن قول:" ما شاء الله وحده "، أكمل من قول:" ما شاء الله وشئت "، وقد سبق بيانه في الحديث السابق (٣)، وذلك لقوله -ﷺ -:" ولكن قولوا: ما شاء الله وحده "، وهو أعظم في الأدب مع الله -جل وعلا-.

ثانيا: أن هذا دليل آخر على معرفة اليهود بالشرك الأصغر، على خفائه ودقته؛ فإن كان اليهود يعرفون الشرك الأصغر، فما بالك بمن لا يعرف هذا النوع من الشرك، وينكر أنه شركا؛ فأراد المصنف بيان أن هذا الشرك معلوم حتى عند اليهود، وواضح وبين؛ لأنه وافق هواهم في الميل إلى استخراج ما يرونه قدحا في خصومهم من دقائق دينهم، وكذلك من لا يريد الحق ولا يبحث عنه ولا يوافق هواه من المسلمين؛ فإنه تخفى عليه ما هو أوضح من ذلك. وقد سبق هذه المناسبة.

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٩ / ٤٧٩٥) برقم: (٢١٠٢٥) (مسند البصريين رضي الله عنهم، حديث طفيل بن سخبرة رضي الله عنه) والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٢٦٤).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٧٧-٢٧٨)

(٣) وانظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/ ١١٨٦)

ثالثا: فيه تحريم التسوية بين مشيئة الله -جل وعلا- ومشيئة خلقه، وقد سبق بيانه أيضا، ففي الحديث مزيد تأكيد وبيان لذلك، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب وللتوحيد: حيث دل الحديث على تحريم عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الله بالواو؛ لأن الواو تقتضي التشريك بين المتعاطفين، وذلك يؤدي إلى الشرك بالله "(١).

رابعا: أن الحديث دل على أن التسوية بين مشيئة الله -جل وعلا- ومشيئة خلقه، من الشرك الأصغر؛ فلو كانت من الشرك الأكبر ما انتظر النبي صلى الله عليه وسلم ولا استقر إلا بعد بيانه؛ فالشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة، ويدل لذلك قوله -ﷺ-:" وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد "، والمقصود من المنع هو حياؤه صلى الله عليه وسلم من أن ينكرها وهو لم يؤمر بإنكارها (٢)، فدل ذلك على أنها من الشرك الأصغر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وفيه دليل على أنها من الشرك الأصغر، إذ لو كانت من الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوها "(٣)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة في مسائله، فقال:" الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله: "يمنعني كذا وكذا" "(٤).

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٧٧)

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/ ١١٩٨)

(٣) المصدر السابق.

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٧٩)

المبحث السادس: باب من سب الدهر فقد آذى اللّه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب من سب الدهر فقد آذى الله "[1]، ويحتوي على آية وحديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من سب الدهر فقد آذى الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٨١).

المطلب الأول: مناسبة باب من سب الدهر فقد آذى الله للباب السابق.

هذا الباب عقده المصنف في كتاب التوحيد لارتباطه بالتوحيد، فهو يقدح في التوحيد أو في كماله؛ فالدهر من خلق الله والمتصرف به هو الله -جل وعلا-؛ فمن سب الدهر فقد تنقص خلق الله -جل وعلا- وذلك ينافي كمال التوحيد، وسيأتي بيانه بإذن الله -جل وعلا- عند الكلام على الأدلة، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة، لأن سب الدهر يتضمن الشرك كما سيأتي بيانه "(١).

ومناسبته لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب هو كالأبواب السابقة التي تتكلم عن أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وعدم الأدب معها وتعظيمها، وهو سب الدهر الذي يصرفه ويسيره الله -جل وعلا-، وأنه لما بين المصنف أن من أنواع الإلحاد التسوية بين الله -جل وعلا- وخلقه في خصائصه، بين كذلك أن من الإلحاد التجاوز بأن منازعة الله -جل وعلا- بما هو من خصائصه وسب ما لا إرادة له ولا تصرف من المخلوقات التي خلقها الله وأمرها وسيرها -جل وعلا- كيفما شاء وأراد -جل وعلا-، يقول الشيخ خالد الدبيخي -حفظه الله-:" المصنف في هذا الباب يبين نوعا آخر من أنواع الإلحاد في الأسماء والصفات، فهو لما بين في الباب السابق أن من الإلحاد في أسمائه وصفاته التسوية بينها وبين خلقه، وهو من الشرك الأصغر، بين في هذا الباب أن من الإلحاد في أسمائه وصفاته منازعة الله فيما هو من خصائصه من كونه هو المريد لما في الكون والمدبر والخالق له، فسب من لا إرادة له ولا صنع هو في الحقيقة تنقص لله، وإشراك لغيره في خلق وتبير شيء مما هو من خصائصه -جل وعلا- "(٢).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٠١)

(٢) منحة الحميد (ص: ٦٤٨)

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة من التشريك ومساواة الله -جل وعلا- بخلقه في المشيئة وأنه من اتخاذ الأنداد لله -جل وعلا-، ناسب أن يذكر المصنف - رحمه الله -، نوعا آخر وشركا آخر غير التشريك والمساواة، وهو التنقص والإيذاء، فلما بين الشرك في المساواة انتقل إلى الشرك بالتنقص والإيذاء؛ لأنه أيضا من جعل الأنداد لله -سبحانه - يقول الشيخ محمد القرعاوي مشيرا إلى هذه المناسبة من خلال ذكره لمناسبة الباب لكتاب التوحيد:" مناسبة الآية للتوحيد: حيث ذمت الآية من نسب الحوادث إلى الدهر؛ لأنه قد جعل الدهر شريكا مع الله بفعله "(١).

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك في الألفاظ، ناسب أن يذكر شركا آخر من شرك الألفاظ والأقوال وهو سب الدهر، فهذا الباب والباب السابق هما جملة من الألفاظ المنهي عنها؛ لمنافاتها لكمال التوحيد، فناسب أن يأتي المصنف رحمه الله بهما على هذا الترتيب(٢).

رابعا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك الذي يقع في الناس وهم لا يشعرون به؛ لأنه ليس ظاهرا لهم بل خفيا؛ ناسب أن يذكر نوعا آخر من الشرك الخفي، والذي يقع من الناس من غير قصد منهم ولا معرفة. فلما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق معرفة اليهود للشرك الأصغر، وأنه لما وافق ذلك هواهم تعرفوا على دقائق الدين؛ ليقدحوا فيه ويدافعوا عما يروا أنه من عقيدتهم؛ أراد المصنف رحمه الله تعريف المسلم بما يقدح في عقيدته وليس بظاهر له، فيكون أعرف من غيره بما يخص دينه، ولهذا تجد المصنف رحمه الله في مسائله يذكر عدة عبارات تدل على أنه لابد أن يعرف المسلم هذه الأمور على لا يكون غيره أعرف منه،

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٨٠)

(٢) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٧/٢٧٢٠)

فيقع في الشرك وهو لا يعلم، ومنها قوله:" التأمل "[1]، وقوله:" ولو لم يقصده بقلبه "[2]، مما يدل على أن الناس يغفلون عن خطر سب الدهر وأنه قدح في التوحيد.

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف** -رحمه الله-:" **وقول الله تعالى**: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [3]، **الآية** "[4].

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية في هذا الباب، وأنها تدل على سب الدهر الذي من فعله فقد آذى الله، يقول الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسيره:" يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون الذين تقدم خبره عنهم: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات... وقوله (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا وتحيا أبناؤنا بعدنا... وقوله (وما يهلكنا إلا الدهر) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر، إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم "[5]، إذا تبين ذلك فمناسبتها للباب من عدة أمور:

أولا: أورد المصنف رحمه الله هذه الآية والتي تتكلم عن المشركين الذين أنكروا أن يكون لهم رب يفنيهم، ونسبوا الموت إلى الدهر المشتمل على الليالي والأيام؛ ليبين أن من سب الدهر فإنه شابههم في ذلك وأخذ خصلة من خصالهم، وإن لم يكن مثل اعتقادهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -:" فإن قلت: فأين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبرًا عن

(١) انظر: كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (ص:٢٨٢)

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) سورة الجاثية:٢٤.

(٤) كتاب التوحيد (ص٢٨١)

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٧٨)

الدهرية المشـركين؟ قيل: المطابقة ظاهرة، لأن من سـب الدهر فقد شـاركهم في سـبه، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد "(١).

ثانيا: أن في الآية نسبة الحوادث إلى الليالي والأيام والذي هو الدهر، ومن نسب الحوادث إلى الليالي والأيام؛ فإنه إذا وقع له ما لا يحبه فسوف يسب الدهر (٢).

ثالثا: أن المشـركين عندما نسـبوا الحوادث إلى الليالي والأيام؛ ذمهم الله -جل وعلا-؛ لأنهم في الحقيقة ذموا الله -جل وعلا- الذي بيده كل شـيء وهو الذي يصـرف الليل والنهار، فالدهر لا تصـريف له، ولا تصـدر منه هذه المجريات إلا بأمر الله -جل وعلا-، فمن ذم الدهر فقد ذم الله —سبحانه — (٣).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار" (٤). وفي رواية: "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" (٥) "(٦).**

أورد المصـنف رحمه الله هذا الحديث والذي يتكلم عما في الباب، ومناسـبته للباب من عدة أمور:

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٠٣)

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٤٣)

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ١٧٧)

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٣٣) برقم: (٤٨٢٦) (كتاب تفسير القرآن، باب وما يهلكنا إلا الدهر الآية)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٧ / ٤٥) برقم: (٢٢٤٦) (كتاب الْألفاظ من الْأدب وغيرها، باب النهي عَنْ سب الدهر)

(٦) كتاب التوحيد (ص:٢٨١)

أولا: أن فيه دلالة صريحة على المنع من سب الدهر مطلقا، وأنه لا عبرة باعتقاد الفرد أن الدهر هو الفاعل أم لا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقًا، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيرًا ممن يعتقد الإسلام "(١)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" الأولى: النهي عن سب الدهر "(٢)، ولا شك بأن سب الدهر فيه سوء أدب مع الله -جل وعلا-.

ثانيا: أن فيه قوله:" يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر "، وهذا صريح في دلالة الباب؛ من أن من سب الدهر فقد آذى الله -جل وعلا- في ذلك، وهذا هو الشاهد للباب يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" فجعل -سبحانه- صرفُهُمْ تدبيرَهُ في مخلوقاته إلى ما هو مُكَوَّنٌ مُدَبَّر، وسبُهُمُ الدهر أذىً له -سبحانه- "(٣)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" الثانية: تسميته أذى لله "(٤).

ثالثا: أن فيه قوله:" وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار "، وفي رواية" فإن الله هو الدهر "، وهذا يدل على أن الله -جل وعلا- من صفاته أنه يقلب الليل والنهار، وأن الفاعل هو الله -جل وعلا-، فمن سب الدهر الذي يصرفه الله -جل وعلا- كيفما أراد، فقد سب الله، وهذا هو الإيذاء، الدهر ليس محلا للسب، فيكون السب متوجها إلى الله -سبحانه-، لأن الله هو الذي قدر ما يكرهه العبد، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الأشياء ويصيبكم بهذه المصائب، فأنتم إذا فعلتم سببتم فاعلها، فإنما يقع السب

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٠٥)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٨١)

(٣) فتح الحميد (١٧٥٥/٤).

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٨٢)

على الله –تعالى–؛ لأنه الفاعل لها لا الدهر "(١)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة بقوله:" الثالثة: التأمل في قوله: "فإن الله هو الدهر" (٢).

رابعا: أراد المصنف رحمه الله أن الأذية لله –جل وعلا– قد تقع من الإنسان وهو لا يشعر، وذلك مثل سب الدهر، الذي إنما هو في حقيقته سب لله –جل وعلا–، وهذا يقدح في توحيد العبد، وقد أشار المصنف إلى هذا المعنى بقول –رحمه الله–: "الرابعة: أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصده بقلبه" (٣).

خامسا: أن من أسباب سب الدهر اعتقاد بعضهم أن الدهر فاعل مع الله –جل وعلا– وهذا شرك في ربوبيته، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على أن سب الدهر يؤذي الله –عز وجل–... حيث أخبر الباري –عز وجل– أن سب الدهر يؤذيه، وذلك لأن الذين يسبون الدهر يعتقدون أنه فاعل مع الله، وذلك شرك في الربوبية"(٤).

---

(١) فتح الحميد (١٧٥٨/٤)، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ١٧٨)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٨٢)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٨٢)

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٨١)

المبحث السابع: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه"[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٨٣).

المطلب الأول: مناسبة باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه للباب السابق.

هذا الباب عقده المصنف في كتاب التوحيد لارتباطه بالتوحيد، فهو يقدح في التوحيد أو في كماله، فالتسمي بها إنما هو دخول في الشرك، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن من تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله -سبحانه وتعالى-..." (١).

ومناسبته لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب هو كالأبواب السابقة التي تتكلم عن أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وعدم الأدب معها وتعظيمها، وهو التسمي بقاضي القضاة، وملك الأملاك، فهذه الأسماء إنما تنطبق على الله -جل وعلا-، فبين النهي عن التسمي بها، والوعيد المترتب على من تسمى بها، فلما بين المصنف أن من أنواع الإلحاد التسوية بين الله -جل وعلا- وخلقه في خصائصه، وأن من الإلحاد التجاوز بأن منازعة الله -جل وعلا- بما هو من خصائصه وسب ما لا إرادة له ولا تصرف من المخلوقات التي خلقها الله وأمرها وسيرها -جل وعلا- كيفما شاء وأراد -جل وعلا-، بين في هذا الباب نوعا من أنواع التجاوز أيضا وهو منازعة الله -جل وعلا- فيما يليق به وحده ولا يليق بخلقه، وأن من تسمى بها فقد تجاوز في التسمي بأسماء الله -جل وعلا- والاتصاف بصفاته التي يختص بها -جل وعلا- ولا تليق إلا به.

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة من التشريك ومساواة الله -جل وعلا- بخلقه في المشيئة، وكذلك الشرك بالتنقص والإيذاء بسب الدهر؛ ناسب أن يذكر بعدهما الشرك مع الله -جل وعلا- بالتسمي بما ينطبق على الله -جل وعلا- وحده، كقاضي القضاة

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٩)

وملك الأملاك، فمن تسمى بها، أو سمى غيره بها؛ فقد جعل لله أنداد –سبحانه-، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله عن مناسبة هذا الباب، وكذلك الباب الذي بعده: "باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه، وباب: احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك، وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق [1]، وهو أنه يجب أن لا يجعل لله ند في النيات والأقوال والأفعال، فلا يسمى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أو بأبي ونحوه، وكل هذا حفظ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته، ودفع لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يخشى أن يتدرج منها إلى أن يظن مشاركة أحد لله في شيء من خصائصه وحقوقه" [2].

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك في الألفاظ، ناسب أن يذكر شركا آخر من شرك الألفاظ والأقوال وهو التسمي بقاضي القضاة ونحوه، فهذا الباب والأبواب قبله إنما هي جملة من الألفاظ المنهي عنها؛ لمنافاتها لكمال التوحيد، فناسب أن يأتي المصنف رحمه الله بها على هذا الترتيب [3].

رابعا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك الذي يقع في الناس وهم لا يشعرون به؛ لأنه ليس ظاهرا لهم بل خفيا؛ ناسب أن يذكر نوعا آخر من الشرك الخفي، فيتسمون بأسماء توقعهم في الشرك وهم لا يعلمون. فلما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق معرفة اليهود للشرك الأصغر، وأنه لما وافق ذلك هواهم تعرفوا على دقائق الدين؛ ليقدحوا فيه ويدافعوا عما يروا أنه من عقيدتهم؛ أراد المصنف رحمه الله تعريف المسلم بما يقدح في عقيدته وليس بظاهر له، فيكون أعرف من غيره بما يخص دينه، ولهذا تجد المصنف رحمه الله في مسائله يذكر عدة عبارات تدل على أنه لابد أن يعرف المسلم هذه الأمور على لا يكون غيره أعرف

---

(١) ولعله يقصد –رحمه الله– باب " قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٥١-١٥٢)

(٣) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٧/٢٧٢٠)

منه، فيقع في الشرك وهو لا يعلم، ومنها قوله: "التفطن" (١)، وقد كررها في مسألتين، وقوله: "مع أن القلب لم يقصد معناه" (٢)، مما يدل على أن الناس يغفلون عن خطر التسمي بذلك وأنه قدح في التوحيد.

خامسا: لما بين المصنف في الباب السابق ما يؤذي الله -جل وعلا- بسب الدهر، ناسب أن يذكر في هذا الباب ما يغيض الله -جل وعلا- وذلك بالتسمي بقاضي القضاة ونحوه، فالأول فيما يؤذي الله -جل وعلا- والثاني فيما يغيض الله -جل وعلا- في أسمائه وصفاته، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "هذا الباب مشابهٌ للباب الذي قبله" باب من سبّ الدهر فقد آذى الله "؛ لأن الباب الذي قبله فيه النّهي عن مسبّة الدهر؛ لأنّ ذلك يؤذي الله -ﷻ-، وهذا الباب في النّهي عن التسمِّي بالأسماءِ الضخمة التي فيها العَظَمة التي لا تليق إلاّ بالله -ﷻ-؛ لأنّ هذا يغيظُ الله -ﷻ-، فسبّ الدهر يؤذي الله، وهذا يغيظ الله -ﷻ-، وكلا الأمرين محرّم شديد التحريم" (٣)ثم ذكر الشيخ صالح -حفظه الله- مناسبة الباب الذي يلي هذا الباب وأنه مشابه لهذين البابين فيقول -حفظه الله-: "ثم يأتي بعد هذا الباب:" باب احترام أسماء الله "، وهو كذلك يُشبِه هذين البابين، فهذه الأبواب الثلاثة بعضُها يشبه بعضاً، لكنّها لَمّا كانت متنوّعة نوّعها المؤلِّف -رحمه الله-، من أجل أن يُعرف كلُّ شيء على حِدَته مفصَّلاً، لأنّ أمور التّوحيد لا بدّ فيها من التّفصيل والبيان، ولا يكفي فيها الإجمال والاختصار" (٤).

---

(١) انظر: كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (ص:٢٨٤)

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٨٠)

(٤) المصدر السابق.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله ". قال سفيان: مثل شاهان شاه. وفي رواية:" أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه "[(١)]. قوله:" أخنع "يعني أوضع[(٢)]" [(٣)].**

أتى المصنف رحمه الله بهذا الحديث والذي يدل على ما أراده المصنف رحمه الله في هذا الباب، فمناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: في الحديث النهي عن التسمي بملك الأملاك، وبين النبي صلى الله عليه وسلم السبب في النهي، وذكر أنه لا مالك إلا الله -جل وعلا-، فمن تسمى بهذا الاسم ونحوه فقد كذب وفجر؛ فإنه قد تسمى بما ليس له أهل؛ فمالك الأملاك كلهم حقيقة هو الله -جل وعلا-، فمن تسمى بهذه الاسم فقد تسمى ما لا يليق إلا بالله -جل وعلا-، وهذا تجاوز وعدم أدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وإلحاد فيها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -: "ثم أكد النبي صلى الله عليه وسلم التشديد في تحريم التسمي بذلك بقوله:" لا مالك إلا الله "، فالذي تسمى بهذا الاسم قد كذب وفجر وارتقى إلى ما ليس له بأهل، بل هو حقيق برب العالمين، فإنه الملك في الحقيقة" [(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ١٧٤) برقم: (٢١٤٣) (كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك)

(٢) قال ابن الأثير -رحمه الله- في النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٤): " أي أذلها وأوضعها، والخانع: الذليل الخاضع".

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٨٣)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢١٣)

ثانيا: أن المصنف رحمه الله أراد من خلال ذكر أثر سفيان بن عيينه -رحمه الله-، مع الحديث، أن كل اسم في معنى هذا الحديث فإنه وقع عليه النهي ويستحق صاحبه العقوبة، ولهذا صدر المصنف رحمه الله هذا الباب بقوله: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه "، مما يدل على دخول الترجمة في الحديث، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله-:" وقول سفيان فيه التنبيه أنه ليس المقصود هذا الاسم فقط؛ يعني: أن كل ما جاء في اللغات معناه هذا أنه داخل في ذلك؛ لأن "شاهان شاه" هذا في اللغة الفارسية ومعناه ملك الملوك... "[1]، ثم إن السبب الآخر الذي من أجله صدر المصنف رحمه الله والله أعلم، هو أن أبا سفيان لما كثرت كلمة" شاهان شاه "، نبه إليها؛ والذي يظهر أن المصنف رحمه الله لما كثرت هذه الكلمة، بل وظهر من قال بجوازها كما نقل ذلك في كتابه [2] صدرها بالباب؛ للتنبيه من التسمي بها؛ كما فعل سفيان -رحمه الله-، يقول الإمام ابن حجر -رحمه الله-:" لفظ شاهان شاه كان قد كثر التسمية به في ذلك العصر فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو مراد بالذم "[3]، وقد بين المصنف رحمه الله هذا المعنى في مسائله فقال:" الثانية: إن ما في معناه مثله كما قال سفيان "[4].

ثالثا: الوعيد الشديد لمن تسمى بهذه الأسماء، فإن النبي صلى الله عليه وسلم بين أنه أوضع وأغيظ وأخبث رجل، هو من تسمى بهذا الاسم أو نحوه، فعاقبه اله -جل وعلا-

---

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٢/ ١٠٠٧)

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢١٥) وفيه: "وقال ابن أبي جمرة: "يلتحق بملك الأملاك قاضي القضاة، وإن كان قد اشتهر في بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة. ...وقد زعم بعض المتأخرين [هو ابن المنيّر] أن التسمي بقاضي القضاة ونحوها جائز..." ثم قال بعد أن أورد كلام أبي جمرة -رحمه الله-:" وقد تبين بهذا مطابقة الحديث للترجمة".

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٩٠)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٨٤)

بنقيض قصده، ووضعه عندما أراد الرفعة بما هو من خصائصه -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" ثم أكد النبي صلى الله عليه وسلم التشديد في تحريم التسمي بذلك بقوله: "لا مالك إلا الله" ، فالذي تسمى بهذا الاسم قد كذب وفجر وارتقى إلى ما ليس له بأهل، بل هو حقيق برب العالمين، فإنه الملك في الحقيقة، فلهذا كان أذل الناس عند الله يوم القيامة... فالذي تسمى بملك الأملاك، أو ملك الملوك قد بلغ الغاية في الكفر والكذب. ولقد كان بعض السلاطين المساكين يفتخر بهذا الاسم فأذله الله "(١).

رابعا: أن من تسمى بهذا الاسم أو نحوه كقاضي القضاة وغيره؛ فإنه وقع في الشرك مع الله -جل وعلا-، واتخاذ الأنداد، والاتصاف بما هو من خصائص الله -جل وعلا-، ولو كان لا يقصد ذلك؛ فإن الحديث عام في كل من تسمى بهذا الاسم؛ وسبب ذلك إنما لإجلال الله -جل وعلا- وتعظيمه بأن لا يتسمى الإنسان بشيء هو من خصائصه -جل وعلا- ولا يليق إلا به، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله مبينا إلى هذه المناسبة:" ويدخل في ذلك مجرد التلفظ به، ولو لم يعتقد المتلفظ به معناه؛ إجلالا لعظمة الله -جل وعلا- عن مضاهاة أسمائه وصفاته "(٢)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلا هاتين الفائدتين في مسائله فقال:" الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه، الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه "(٣)، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان رحمه الله مشيرا إلى ما ذكره المصنف رحمه الله في المسألة الرابعة:" ومعنى هذه أن الموحد يجب أن ينزه ألفاظه عما فيه قدح في توحيده، وكذلك أن يبتعد عن الأمور التي فيها دليل على التعدي على حق الله أو سوء الأدب مع الله... "(٤).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢١٣)

(٢) فتح الحميد (١٧٦٦/٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٨٤)

(٤) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١٠٠٥/٢)

المبحث الثامن: باب احترام أسماء اللّه تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك "[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٨٥).

المطلب الأول: مناسبة باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب لما فيه من منافاة للتوحيد، وأن احترام أسماء الله -جل وعلا- إنما هو من تعظيمها وتحقيق التوحيد بها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عند شرحه للترجمة:" أي: لأجل احترامها وهو تعظيمها وذلك من تحقيق التوحيد "(١)، فإذا تسمى الإنسان باسم من أسماء الله -جل وعلا- التي يختص بها؛ فإنه يجب عليه التغيير؛ لأنه تجاوز وتعد في أسماء الله -جل وعلا-، فيكون ذلك منافيا للتوحيد، سواء أفهم ذلك أم لا (٢)، وهذا هو معنى الباب.

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب هو كالأبواب السابقة التي تتكلم عن أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وعدم الأدب معها وتعظيمها، وزاد عليها بالتأكيد على وجوب الأدب معها واحترامها، والتغيير عنها لمن تسمى بها، فلما بين المصنف أن من أنواع الإلحاد التسوية بين الله -جل وعلا- وخلقه في خصائصه، وأن من الإلحاد التجاوز بمنازعة الله -جل وعلا- بما هو من خصائصه وسب ما لا إرادة له ولا تصرف من المخلوقات التي خلقها الله وأمرها وسيرها -جل وعلا- وبين كيف أن الإنسان يتسمى بما هو من خصائص الله -جل وعلا- ولا يليق إلا به -جل وعلا- كملك الأملاك ونحوها، بين في هذا الباب وجوب احترام هذه الأسماء وتغيير الأسماء وأن هذا من احترامها.

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة من التشريك ومساواة الله -جل وعلا- بخلقه في المشيئة وأنه من اتخاذ الأنداد لله -جل وعلا-، وكذلك التنقص والإيذاء، إما بنسبة الحوادث إلى المخلوقات وإيذائها، أو التسمي بما لا يليق إلا بالله -جل وعلا- وهذه

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٢٠)

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١٠٠٩/٢)

كلها من اتخاذ الأنداد لله -جل وعلا-، بين في هذا الباب نوعا آخر، وصورة أخرى من صور اتخاذ الأنداد، وهو التسمي بأسماء الله -جل وعلا-.

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك في الألفاظ، ناسب أن يذكر شركا آخر من شرك الألفاظ والأقوال وهو عدم احترام أسماء الله -جل وعلا- بالتسمي بها، فهذا الباب والباب السابق هما جملة من الألفاظ المنهي عنها؛ لمنافاتها لكمال التوحيد، فناسب أن يأتي المصنف رحمه الله بهما على هذا الترتيب (١).

رابعا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك الذي يقع في الناس وهم لا يشعرون به؛ لأنه ليس ظاهرا لهم بل خفيا؛ ناسب أن يذكر نوعا آخر من الشرك الخفي، والذي يقع من الناس من غير قصد منهم ولا معرفة، بل إن فيه تصريح بعدم قصد صاحبه، وحسن نيته، ومع هذا أرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى تغيير اسمه، وهذا يعتبر دليلا أيضا للأبواب السابقة بعدم قصد صاحبه، وحسن نيته، ومع ذلك لم يعذر وإنما أمر بأن يغيره، وهذا ظاهر وواضح.

خامسا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق قبح التسمي بملك الأملاك، وأنه أخنع اسم عند الله -جل وعلا-؛ لأنه ادعاء لمن لا يستحقه ولا يليق إلا بالله -جل وعلا-، بين في هذا الباب التسمي باسم هو أهون من السابق في كونه راجع إلى شيء يفعله فسمي لأجله؛ كما في حديث الباب، ومع هذا فإن الإنسان لا يعذر بالتسمي به، وأن من تحقيق التوحيد تغيير الاسم إلى غيره، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" والمقصود أن من الأدب ألا يسمى أحد بشيء يختص الله- جل وعلا- به ولذلك أورد المؤلف هذا الباب إثر الباب الذي قبله، لأجل هذه المناسبة، فتسمية "ملك الأملاك" مشابهة لتكنيه "أبي الحكم" من جهة أن في كل منهما اشتراكا في التسمية، لكن فيها اختلاف من جهة أن "أبا الحكم" راجع

(١) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٧/٢٧٢٠)

إلى شيء يفعله هو، وهو أنه يحكم فيرضون بحكمه وذاك "ملك الأملاك" ادعاء ليس له شيء؛ ولهذا كان أخنع اسم عند الله جل جلاله "[١].

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن أبي شريح، أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله هو الحكم، وإليه الحكم" فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال فأنت أبو شريح "[٢]. رواه أبو داود وغيره"** [٣].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث ليبين حرص النبي صلى الله عليه وسلم على توجيه أمته إلى تحقيق التوحيد، كما في احترام أسماء الله -جل وعلا-، ولو كان ذلك المسمى قد ينطبق على من تسمى به بعض معانيه من حيث الظاهر وأفعال الشخص؛ وذلك لأن التسمي بما هو من أسماء الله -جل وعلا- يوهم أن ذلك الشخص يستحق أن يوصف بما هو من خصائص الله -جل وعلا-، وهذا يقدح في تحقيق التوحيد [٤].

ومناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه النهي عن التسمي بأسماء الله -جل وعلا- وإن كان ذلك بغير قصد؛ وذلك لأن فيه منازعة الله -جل وعلا- في أسمائه وصفاته، ويوهم بعد الاحترام لها، يقول الشيخ

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٧٨)

(٢) والنسائي في "الكبرى" (٥ / ٤٠٣) برقم: (٥٩٠٧) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٤٤٤) برقم: (٤٩٥٥) قال الالباني والحديث إسناده جيد كما في مشكاة المصابيح (٣/ ٣٣)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٢٨٥)

(٤) انظر: السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٣٤٣/٢).

سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وفيه الدليل على المنع من التسمي بأسماء الله المختصة به، والمنع مما يوهم عدم الاحترام لها كالتكني بأبي الحكم ونحوه" (١)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذا المعنى في مسائله بقوله: "الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه" (٢)، أما إذا قصد المعنى فهذا كفر؛ لأنه منازعة لله -جل وعلا- (٣).

ثانيا: أن فيه الأمر بتغيير الاسم واستبداله باسم آخر، فالنبي صلى الله عليه وسلم وجهه إلى تغيير اسم كنيته إلى التكني بأكبر أبنائه، وهذا مطابق للترجمة كذلك، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "فيه: احترامُ أسماء الله سبحانه وتعالى، وإجلالُها، وتغيير الاسم من أجل إجلالها، لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم غيّر اسم (أبي الحَكَم) إلى (أبي شُريح) احتراماً لأسماء الله سبحانه وتعالى" (٤)، وهذا التغيير إنما هو للوجوب؛ لأنه يوهم مشابهة أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على وجوب تغيير الاسم إذا كان يوهم مشابهة أسماء الله وصفاته" (٥).

ثالثا: أراد المصنف بيان أن العبد غير معذور بذلك، ولو لم يجعل هو الاسم على نفسه، وإنما أتى من الناس مما يرون من استحقاقه لهذا الاسم، فيجب عليه أن ينهى عن ذلك ويغيره، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله- عندما ذكر اعتذار أبي شريح بأن قومه هم من جعلوا له هذه الكنية؛ لأنهم يحتكمون إليه عند اختلافهم: "يدل على أن الإنسان إذا وضع إلى شيء مما لا يستحقه وهو لا يرضى لا يكون ملوما، ولكن يجب أن ينهى عنه من الأسماء

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٢٢)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٨٦)

(٣) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١٠١٤/٢)

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٨٦)

(٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٨٧)

والكنى وغيرها" [1]، فإن تركهم يدل على رضاه بذلك، وعدم احترامه لأسماء الله -جل وعلا- وصفاته.

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١٠١٢/٢)

المبحث التاسع: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول" (١)، ويحتوي على آية وحديث.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٨٧).

المطلب الأول: مناسبة باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول للباب السابق.

هذا الباب واضح في دخوله في التوحيد، فمن هزل بشيء فيه هذه الأشياء التي ذكرها المصنف فإنه يكفر؛ وذلك لأنه لم يتأدب مع الله -جل وعلا- وانتقص منه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "أي: إنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد. ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك فمن استهزأ بالله، أو بكتابه أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعا" (١).

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب هو كالأبواب السابقة التي تتكلم عن أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وعدم الأدب معها وتعظيمها، الهزل بشيء فيه ذكر الله -جل وعلا- أو القرآن أو الرسول -ﷺ-، وأنه لما بين المصنف أن من أنواع الإلحاد ما يقع به الإنسان فيما ينافي كمال التوحيد، بالتنديد في أسمائه وصفاته، ولو كان ذلك بغير قصد منه؛ بين المصنف في هذا الباب أن الإنسان قد يقع فيما ينافي التوحيد المطلق المخرج من الملة إجماعا، مع أن الإنسان لم يقصد الطعن والعيب بالله ولا بأسمائه ولا صفاته، وإنما أراد اللعب والهزل (٢).

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق وجوب احترام أسماء الله -جل وعلا- وتغيير الاسم عنها، بين في هذا الباب ما يخالف الاحترام ويناقضه، وهو الهزل واللعب بأسماء الله -جل وعلا- وصفاته، أو كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم (٣).

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك في الألفاظ، ناسب أن يذكر شركا آخر من شرك الألفاظ والأقوال وهو الهزل بشيء فيه ذكر الله -جل وعلا- أو القرآن أو

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٢٦)

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٦٦٩)

(٣) انظر: المصدر السابق.

الرسـول -ﷺ-، فهذا الباب والأبواب السـابقة هي جملة من الألفاظ المنهي عنها؛ لمنافاتها لكمال التوحيد، فناسب أن يأتي المصنف رحمه الله بهما على هذا الترتيب.

رابعا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة الشرك الذي يقع في الناس وهم لا يشعرون به؛ لأنه ليس ظاهرا لهم بل خفيا؛ ناسب أن يذكر نوعا آخر، والذي يقع من الناس من غير جد منهم ولا حقيقة بل على سبيل اللعب والهزل، فلما بين المصنف رحمه الله عدم قصد من ألحد بأسماء الله -جل وعلا- أو صفاته، بين في هذا الباب عدم جد من ألحد بأسماء الله -جل وعلا- وصفاته، بل قالها هزلا ولعبا، وأن الجميع غير معذور، والوعيد وقع فيهم.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقول الله تعالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (١)، **الآية"** (٢).

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية وذلك لدلالتها على الباب، ويبين دلالة نزولها هو سبب نزولها المذكور بعد هذه الآية، يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيرها: "يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولئن سألت، يا محمد، هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب، ليقولن لك: إنما قلنا ذلك لعبا، وكنا نخوض في حديث لعبا وهزؤا يقول الله لمحمد -ﷺ-: قل، يا محمد، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون؟" (٣).

إذا تبين ذلك فمناسبة الآية للباب من عدة أمور:

---

(١) سورة التوبة:٦٥.

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٨٧)

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٢)

أولا: أن الآية مطابقة للباب؛ لأنها تتكلم عن الهزل والاستهزاء بالله -جل وعلا- وآياته ورسوله، وأن الاستهزاء بهذه الأشياء كفر، يقول الشيخ حامد بن محمد بن محسن: "دلت الآية على أنهم كفروا بعد الإيمان مع أنهم لم يأتوا بذلك جدًّا بل كانوا يتحدثون حديث الركب ليقطعوا عنهم الطريق كما في الحديث" ، فدلت الآية على أن من استهزأ بالله -جل وعلا- وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم أنه من المنافقين؛ لأنه لا يجتمع إيمان بالله -جل وعلا- وكتابه ورسوله مع الاستهزاء واللعب بها، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رَحِمَهُ الله-: "وهل يجتمع الإيمان بالله، وكتابه، ورسوله، والاستهزاء بذلك في قلب؟! بل ذلك عين الكفر فلذلك كان الجواب مع ما قبله ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾" (١)، وقد بين المصنف رحمه الله هذه المناسبة بقوله في مسائله: "الأولى: وهي العظيمة: أن من هزل بهذا فهو كافر" (٢).

ثانيا: أن من وقع في الاستهزاء بها، فإنه يكفر، ولو كان مازحا أو غير ذلك، فسواء كان قاصدا أو غير قاصد أو عالما أو غير عالم (٣)، وسواء كان في عبادة أو غير عبادة، مثل هؤلاء الذين كانوا في جهاد، فإنه يقع في الكفر، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله: "الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان" (٤)، فلا عبرة بجده وهزله، أو مقامه بين قومه أو يتعبد الله -جل وعلا- أو غير ذلك.

- **قال المصنف -رَحِمَهُ الله-: "عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه" قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك**

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٢٦-١٢٢٧)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٨٩)

(٣) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/١٠٣١).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٨٩)

منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾، ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه "(١)" (٢).

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي فيه من البيان والتوضيح للباب والآية ما يغني، فمناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أورده لأنه سبب نزول الآية التي صدر بها الباب.

ثانيا: أن فيه ذكر كفر من أراد مشقة الطريق أو طوله أو فراغه، أو راحته بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم ولو كان هذا على سبيل اللعب والهزل؛ لأن هذا من الإلحاد وعدم الأدب مع الله -جل وعلا-، فهم في الحقيقة تكلموا في القراء، يقصدون القراء وهم الذين يقرؤون القرآن ويعرفون معانيه (٣)، وهذا من الاستهزاء بآيات الله -جل وعلا- وذكره.

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله التنبيه عن دخول النفاق وضعف الإيمان، فهؤلاء كانوا مؤمنين، لكنهم لما استهزؤا ولعبوا بالله وآياته ورسوله -ﷺ-، أخرجهم الله -جل وعلا- من الإيمان وارتدوا عن الإسلام، وأدخلهم في الكفر والنفاق الأكبر، يقول الشيخ عبد الرحمن بن

---

(١) رواه الطبري في تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٣)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٨٧-٢٨٨)

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٢٣٤/٢).

حسن -رحمه الله-: "أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به، وأشدها خطرًا إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له" (١).

رابعا: فيه أنه ينبغي لمن سمع من هزل بشيء من آيات الله وذكره أو برسوله -صلى الله عليه وسلم-، أنه يخبر عنه وأن ذلك لا يعتبر نميمة؛ بل إنه من النصح للمسلم، والردع للمنافق والمستهزئ، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "قوله:" لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ". فيه أن هذا وما أشبهه لا يكون غيبة ولا نميمة، بل هو من النصح لله ورسوله، فينبغي الفرق بين الغيبة والنميمة، وبين النصيحة لله ورسوله، فذكر أفعال المنافقين والفساق لولاة الأمور؛ ليزجروهم، ويقيموا عليهم أحكام الشريعة ليس من الغيبة والنميمة" (٢)، وقد بين هذه المناسبة المصنف رحمه الله في مسائله فقال: "الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله" (٣).

خامسا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن من هزل بشيء من ذكر الله -جل وعلا- أو آياته أو رسوله، فإنه لابد أن يشدد عليه ويغلظ عليه ولا يتهاون بفعله ولا يعفى عنه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتهاون ولم يعفُ عنهم، وإنما أعرض عنهم وجعل يكرر الآية، وقد بين المصنف رحمه الله هذه المناسبة في مسائله فقال: "الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله، الخامسة: أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل" (٤).

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٧)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٣٥)

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٢٨٩)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٨٩)

المبحث العاشر: باب قول الله تعالى: {ولئن أذقناه رحمة منا بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ (1). الآية" (2)، ويحتوي على آيتين، وحديث، وأربعة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ (3)، للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(1) سورة فصلت: ٥٠.

(2) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٩٠).

(3) سورة فصلت: ٥٠.

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {ولئن أذقناه رحمة منا بعد ضراء مسته} للباب السابق.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [(١)]. الآية، قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به[(٢)]. وقال ابن عباس: يريد من عندي [(٣)]" [(٤)].**

صدر المصنف رحمه الله هذه الآية في الباب، والتي توضح مراد المصنف، وقد فسر المصنف الآية بذكر أثرين مفسرين لما يريده -رحمه الله -، وأما عن تفسير الآية من أقوال أهل التفسير فيقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره: ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضر، وشدة في معيشته وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضر. (ليقولن هذا لي) عند الله، لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم... يقول تعالى ذكره: فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي، واجترحوا من السيئات، ثم لنجازين جميعهم على ذلك جزاءهم" [(٥)].

إذا تبين ذلك فإن سبب تصدير المصنف رحمه الله بهذه الآية ومناسبتها للباب من عدة أمور:

---

(١) سورة فصلت: ٥٠.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٩١).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٣٢١/١٦).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٢٩٠).

(٥) تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٠-٤٩١).

أولا: أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب والذي فيه بيان لإنعام الله للعبد، وجحوده لذلك، ونسبة السبب إلى نفسه بالعلم والشرف وغيرها، وهذا لا شك أنه قدح في التوحيد، وجحود وإنكار وكفر بنعم الله -جل وعلا- وعدم نسبتها إليه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "المراد بهذه الترجمة بيان أن ما يحصل للعبد من النعم والفوائد مجرد فضل من الله وإحسان عليه من غير استحقاق من العبد لذلك، وإنما تفضل به الرب عليه جودا وكرما وإحسانا... وإذا علم ذلك من حيث الإجمال، فإنه يغيب عنه عند التفصيل كما يقع لكثير من الناس إذا حصلت له النعمة ظن أن ذلك بتحصيله وكده، فنسبها إلى نفسه واستكبر، ونسي فاطره ومولاه... الحذر من كفر النعم ونسبتها إلى تعبه وكده وتحصيله، كما فعل الأبرص والأقرع" (١)، ويدل لهذه المناسبة الأثران اللذان ذكرهما المصنف -رحمه الله- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومجاهد -رحمه الله-، وهو تفسير لما أراد المصنف رحمه الله في مسائله عندما قال: "الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾"(٢).

ثانيا: أراد المصنف أن يبين نوعا من أنواع الإنكار والجحود، وهو أن من طبيعة الإنسان وجبلته أنه إذا وقع في الشدة فإنه يرجع إلى الله -جل وعلا- ويتضرع بين يديه، ثم إذا كشف عنه الضر الذي وقع به، فإنه ينسى ذلك، بل ربما زعم أنه أهل لما أعطيه من رحمة وإنعام، وأن الله -جل وعلا- أعطاه لأنه يستحقه وهو أولى به، ولا شك أن هذا جحود لنعمة الله وعدم نسبتها إلى الله -جل وعلا- (٣).

ثالثا: أن الآية دلت على وجوب تعظيم الله -جل وعلا- في الألفاظ، ووجوب نسبة النعم إلى الله -جل وعلا-، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "هذا الباب كالأبواب التي قبله في بيان وجوب تعظيم الله- جل وعلا- في الألفاظ وأن النعم يجب أن تنسب إليه،

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/١٢٤٠-١٢٤١)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٩٣)

(٣) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/١٠٣٢-١٠٣٣)

وأن يشكر عليها فتعزى إليه، ويقول العبد: هذا أنعم الله علي به، والكذب في هذه المسائل، أو أن يتكلم المرء بكلام ليس موافقا للحقيقة، أو هو مخالف لما يعلمه من أن الله- جل وعلا- قد أنعم عليه بذلك فهذا قد يؤديه إلى المهالك، وقد يسلب الله- جل وعلا- عنه النعمة بسبب لفظه"(١).

وإذا تبين ذلك فمناسبة الباب لما قبله من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله ما زال يبين صورا من الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته وعدم تعظيمها، فلما ذكر أن الاستهزاء بها يدل على عدم تعظيمها ولو كان على سبيل الهزل واللعب، بيّن في هذا الباب أن من عدم تعظيم أسماء الله وصفاته وعدم احترامها، نسبة العبد الإنعام بعد الضر لغير الله -جل وعلا-، فينسبها إلى نفسه وفضله وشرفه (٢).

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق ما حصل من الاستهزاء بذكر الله وآياته ورسوله -ﷺ -، وكيف أن الله عاقبهم ولم يرض عنهم، فلا يستحقون التهاون والعفو لتجاوزهم؛ بين في هذا الباب أن إنعام الله -جل وعلا- للعبد ليس دليلا على رضاه، وأنه بلغ منزلة عند الله فاستحق الإنعام، وكان من العلم الذي عنده ما أهله إلى أن ينعم الله -جل وعلا- عليه، بل لابد أن يتنبه الإنسان ولا يغتر بما يكون له من الخير والنعيم في الدنيا، ولا ينسب السبب إلى نفسه بتكريم الله -جل وعلا- له وتمييزه عن غيره لفضله ومكانته؛ فإن من أضاف الإنعام لغير الله -جل وعلا- كفضله أو علمه أو شرفه، فقد جعل في ذلك نوع مشاركة لغير الله -جل وعلا- فيما هو من أوصافه، يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله أن: "الإنسان إذا أضاف النعمة إلى عمله وكسبه؛ ففيه نوع من الإشراك بالربوبية، وإذا أضافها إلى

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٨٥-٤٨٩)

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص:٦٧٧).

الله لكنه زعم أنه مستحق لذلك، وأن ما أعطاه الله ليس محض تفضل، لكن لأنه أهل؛ ففيه نوع من التَّعلِّي والترفع في جانب العبودية" [١].

وقد ذكر الشيخ خالد الدبيخي -حفظه الله- الفرق بين هذا الباب وباب قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [٢]، في أن بينهما شبها في أنهما في إثبات أن الله هو المنعم؛ لكن الباب السابق هو في إضافة النعم لغير الله؛ لكن بسبب لا يتعلق بالإنسان نفسه كنسبة الإنعام للآلهة، والريح والملاح ونحو ذلك، وأما هذا الباب فهو في إضافة النعم لغير الله؛ ولكن لسبب يتعلق بالإنسان نفسه، كفضله، وشرفه، ومكانته وعلمه [٣]، والمصنف رحمه الله أخر هذا الباب لعلاقته بما بعده كذلك، وقدم باب قوله: "يعرفون نعمة الله..." الآية، أيضا لعلاقته بما قبله ولاتصاله بما بعده وقد سبق ذكر المناسبات في ذلك وتناسقها.

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [٤]، قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب[٥] وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل[٦]. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على**

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٨٠)

(٢) سورة النحل:٨٣.

(٣) انظر: منحة الحميد (ص: ٦٧٧).

(٤) سورة القصص:٧٨.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٦٢٦)

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٣٠١٢)

شرف(١)"(٢).

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية لمناسبتها للآية المترجم بها للباب فتفسيرها كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله هو: "﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي فتقديره: إنما أعطيته لعلم الله في أني أهل له" (٣)، وهذا التفسير هو موافق لما نقله المصنف -رحمه الله-.

وأما مناسبتها للباب فمن عدة أمور:

أولا: أن فيها زيادة بيان وتوضيح لما أراده المصنف من الآية المترجم بها للباب، فإن فيها إنكار نسبة الإنعام إلى الله -جل وعلا- ونسبتها إلى نفسه وعلمه وذكائه، وشرفه وأهليته، وهذا لا شك أنه قدح في التوحيد، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "والمعنى أنه يقول: إنما أوتيته على علم عندي فضلت به الناس، واستوجبت به التفوق عليهم" (٤)، وهذا يوضح الآثار التي ذكرها المصنف رحمه الله تفسيرا للآية، فقد فسرت الآية بالعلم والمعرفة، وفسرت بالشرف والمكانة والمنزلة، وقد ورد تفسير الآية السابقة بمثل ذلك.

ثانيا: أن هذه الآية تبين نوعا آخر من أنواع الشدائد وهي الشدائد في الفقر، فلما كان في شدة من فقر وعوز إلى المال، أغناه الله -جل وعلا- فلما أغناه -جل وعلا- أنكر إنعام الله -جل وعلا- عليه، ونسب غناه إلى علمه ومعرفته بتصريف ماله، وهذا لا شك أنه كفر بالنعمة(٥).

ثالثا: أن فيه إشارة أن من يفعل هذا الفعل من المشركين، فهي صفة من صفاتهم، فمن اتصف بها، فقد تشبه بهم.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله**

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢١/٢٠)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٩٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٤)

(٤) فتح الحميد (١٧٨٩/٤).

(٥) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١٠٣٣/٢)

صلى الله عليه وسلم يقول:" إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا، وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، -أو البقر شك إسحاق - فأعطي ناقة عُشَرَاء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملا، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: ثم إنه أتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة

أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل. فقال: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك "(١). **أخرجاه"** (٢).

أورد المصنف رحمه الله هذه الحديث الطويل، والذي يدل دلالة واضحة على الباب، وذلك بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة عن ثلاثة من بني إسرائيل وحالهم مع نعم الله – جل وعلا– عليهم بعد شدتهم.

فمناسبة الحديث للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه إنكار إنعام الله –جل وعلا– عليهم بعد حاجتهم وشدتهم وفقرهم، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله في قوله: "إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر" : "فجمع بين إنكار نعم الله وكفرها، والكذب، وتغليب قوة جانب الميراث" (٣).

ثانيا: أن المصنف رحمه الله أورد الحديث لما فيه من بيان الوعيد الشديد على من فعل مثل فعلتهم، وأنكر نعم الله –جل وعلا– عليهم وإنعامه بالعافية بعد المرض والغنى بعد الفقر، فهذا الحديث هو في الحقيقة مناسب للآيتين السابقتين، فالآية الأولى تتكلم عن الإنعام بعد الشدة والضرر، والثانية تتكلم عن الإنعام بالغنى والمال بعد الفقر والعوز، وهذا الحديث جمع بينهما، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله مبينا وعيد من أنكر وشكر الله لمن اعترف بنعمة الله –جل وعلا– عليه وفضله: "وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر، فإن الأولين جحدا

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٧١) برقم: (٣٤٦٤) (كتاب أحاديث الأنبياء، حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٢١٣) برقم: (٢٩٦٤) (كتاب الزهد والرقائق)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٩١-٢٩٣)

(٣) فتح الحميد (١٧٩٩/٤).

نعمة الله، فما أقرا لله بنعمته، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أدّيا حق الله، فحل عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدّى حق الله فيها، فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب" (١)، ففيه أن من نسب النعم إلى الله -جل وعلا- واعترف بها فهذا هو التوحيد، وأن من أنكر وجحد ذلك فهو كافر مشرك؛ لأنه وقع في الإلحاد والجحود لإنعام الله -جل وعلا- عليه، وهو صفة من صفاته -جل وعلا-، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "حرم الحديث نسبة النعم إلى غير الله؛ لأن ذلك إشراك مع الله في
الربوبية" (٢).

(١) فتح المجيد (ص: ٤٢٠)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٩٨)

المبحث الحادي عشر: باب قول الله تعالى: {فلما ءاتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما ءاتاهما}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ (١) (٢)، ويحتوي على آية، وثلاثة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٠.

(٢) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، (ص: ٢٩٥).

المطلب الأول: مناسبة قول الله تعالى: {فلما ءاتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما ءاتاهما} للباب السابق.

صدر المصنف رحمه الله هذا الباب بهذه الآية ثم بين المقصود منها بذكر بعض الآثار، يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية:" يقول تعالى ذكره: فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما. ثم اختلف أهل التأويل في "الشركاء" التي جعلاها فيما أوتيا من المولود فقال بعضهم: جعلا له شركاء في الاسم.... وقال آخرون: بل المعني بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد... وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء) في الاسم لا في العبادة... "[(١)]، فتبين أن هذا الباب في التحذير من الشرك من جهة" بيان أنّ تعبيد الأسماء لغير الله شرك ينافي كمال التّوحيد، إنْ كان المقصود مجرّد التسمية، أما إنْ كان المقصود تعبيد التألُّه لغير الله فإنّه شرك أكبر ينافي التّوحيد "[(٢)].

ومناسبة الآية للباب وللتوحيد يتضح من خلال ذكر الآثار الواردة في الباب في المطلب التالي بإذن الله -جل وعلا-.

وأما مناسبة هذا الباب لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم في الباب السابق عن الابتلاء في الإنعام وكيف أن الله -جل وعلا- ابتلاهم؛ لينظر أيهم ينسب النعمة إليه ومن ينسب النعمة إلى فضله ومكانته وشرفه، بين في هذا الباب نوعا من أنواع الابتلاء، لكنه ابتلاء قبل الإنعام، فالإنعام مقيد بمعصية الله -جل وعلا- والقدح في التوحيد، وذلك بالتسمي باسم معبد لغير الله -جل وعلا- وإن كان لا يقصد ذلك.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٣٠٨-٣١٥)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ٢٠٠)

ثانيا: لما بين في الباب السابق أن من تمام تحقيق صفة الإنعام لله أن تنسب له -جل وعلا- ويشكر عليها، بين أن من تمام إثبات صفة الإنعام ألا تستعمل في معصية الله طاعةً لغير الله -جل وعلا- [1]، وذلك بأن يمسي الرجل ابنه ويعبّده لغير الله -جل وعلا-، ولو لم يكن ذلك على حقيقته، فإن هذا منافٍ للتوحيد.

ثالثا: لما بين المصنف في الباب السابق عدم شكر نعمة الله -جل وعلا- وذلك بنسبتها إلى غيره، وأن ذلك من كفران النعم، وأن من النعم نعمة الأولاد، فمن كفران النعمة بالأولاد أن يعبدوا لغير الله -جل وعلا- فناسب أن يذكره بعد السابق [2].

رابعا: أن هذا الباب والأبواب قبله كلها في معنى واحد، وهو أن شكر النعم لله -جل وعلا- يقتضي أن تنسب إليه -جل وعلا- وأن يحمد عليها، وأن تكون فيما يرضيه، وأن يتحدث الإنسان بها، وهنا من شكر النعم على الولد ألا يعبد بغير الله -جل وعلا- [3].

بالإضافة إلى ما تكرر سابقا من أن تلك الأبواب —مع هذا الباب- في التحذير من التنديد.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب "[4]" [5].**

---

(1) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٦٨٤)

(2) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٧/٢٨٢١).

(3) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٤٩٥- ٤٩٦)

(4) مراتب الإجماع (ص: ١٥٤)

(5) كتاب التوحيد (ص:٢٩٥)

أورد المصـــنف رحمه الله كلام ابن حزم رحمه الله في الآية والذي يدل على الإجماع على تحريم كل اســم معبد لغير الله –جل وعلا–، وهذا مطابق للترجمة، ومبين لها، ولقد أخرجوا عبد المطلب لأمور منها أنه في باب الإخبار وباب الإخبار أوســع من باب الإنشــاء، وقيل أنه من باب عبودية الرق، وقيل غير ذلك ورجح الشـــيخ عبد الله الغنيمان أن التحريم في كل ما عبد لغير الله –جل وعلا–، سـوء أكان عبد المطلب أو غيره، فلا يجوز التسـمي به [1]، بل إن هذا هو الذي تؤيده الأدلة التي تؤكد على حماية التوحيد، وسد كل الطرق الموصلة إليه، بل إن هذه هو الذي يوافق مراد المصـنف رحمه الله في مسـائله عندما قال: "الثالثة: أن هذا الشـرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها" [2].

- **قال المصنف –رحمه الله–: "وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أَيِّل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث. فذلك قوله تعالى ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾. رواه ابن أبي حاتم[3]، وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته [4]، وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً﴾قال: أشفقا أن لا يكون إنسانا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد**

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٢/١٠٥٦-١٠٥٧)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٩٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣٤) برقم (٨٦٥٤)

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣٤)برقم (٨٦٥٩)

وغيرهما[١]" [٢].

مناسبة الأثر للباب:

أولا: أن هذه الآثار توضح سبب نزول الآية، وأنها بسبب الشرك بالتسمي بعبد غير الله -جل وعلا- كعبد الحارث وغيره.

ثانيا: أنها دلت على أن التسمي بعبد الحارث ونحوه أنه شرك، فالآية دلت على نهي التعبيد لغير الله -جل وعلا-، كما اتضح ذلك من الآثار بعدها، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآية للباب وللتوحيد: حيث دلت الآية على تفسير ابن عباس أن التعبيد لغير الله في الأسماء شرك" [٣].

ثالثا: أن إبليس لم يطلب منهم الشرك في العبادة وإنما طلب الشرك في الطاعة، ولهذا قال: "لتطيعاني" ، ثم بعد الطلب خوفهم بقوله: "ولأفعلن ولأفعلن" ، وحصل لهم من الابتلاء بأن حصل ما هدد به، فرق قلبهم حبا للولد وليس عبادة له، بل إن إبليس لم يطلب منهم عبادته، وإنما طلب منهم طاعته في تسمية الولد؛ فدل ذلك على أنهم وافقوه وأطاعوا ما أمر به فوقعوا في الشرك في الطاعة[٤]، كما أن الأثر عن قتادة صرح بأن المراد هو شرك الطاعة، فمناسبة أثر قتادة للباب هو حمل ما فعله الأبوين أن مقصدهم ليس الشرك في العبادة وإنما الشرك في الطاعة، وهو أهون من الأول، ومع ذلك فإنه حصل التحريم، وكونه ينافي كمال التوحيد، ويسمى شركا، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "قال شيخنا [٥] -رحمه الله-:" إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم يقصدا حقيقته التي يريدها إبليس، وهو محمل

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٣/٥)برقم (٨٦٤٨)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٩٥-٢٩٦)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٠)

(٤) انظر: فتح الحميد: (١٨٢٣/٤-١٧٢٤)

(٥) يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وقد ذكر هذه في مسائله بقوله: "الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها"، انظر: كتاب التوحيد (ص:٢٩٧)

حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله. وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته "(١)، وقد أشار المصنف إلى هذا المعنى بقوله في مسائله -رحمه الله -:" الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة "(٢).

رابعا: أنهما رفضا الإنصات له لعلمهم بأن هذا شرك في الطاعة، فدل على مراد المصنف من أن الشرك هو في الطاعة.

خامسا: دل الحديث على الابتلاء في خروج الولد السوي، وكيف أن من شكر النعمة الصبر، وأن من كفر النعمة الانقياد لوساوس الشيطان وشركه، فكونه خرج الطفل ميتا فإنه لا يدل على تصرف غير الله -جل وعلا-، بل إن هذا من الابتلاء والاختبار (٣).

سادسا: أن أثر مجاهد رحمه الله دل على مقصدهما وهو ليس العبادة، وإنما شفقة وخوفا من ألا يكون ولدهما إنسانا، فأطاعوه في تسميته عبد الحارث، فوقعوا في شرك الطاعة، وهذا يبين مراد المصنف رحمه الله عندما قال في مسائله:" الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها "(٤)، ففيه استجلاب النعم وطلبها ممن ليس بأهل لها ولا تصرف له فيها، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" المعنى لهذا الأثر: يخبرنا مجاهد في هذا الأثر أن الذي حمل آدم وحواء على تسمية ابنهما عبد الحارث، هو خوفهما أن يولد غير بشر، وذلك عندما خدعهما إبليس لعنه الله "(٥).

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٦)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٩٧)

(٣) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١٠٦١/٢)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٩٧)

(٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٣)

المبحث الثاني عشر: باب قول الله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [1] **الآية** "[2]، ويحتوي على آية وثلاثة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٢٩٨)

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه} للباب السابق.

أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب، والذي فيه بيان أن أسماء الله -جل وعلا- حسنى فالدعاء يكون بها، ونهانا عمن يلحد في أسمائه وصفاته، يقول الإمام الطبري -رحمه الله-:" وكان إلحادهم في أسماء الله، أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها "اللات" اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو "الله" ، وسموا بعضها "العزى" اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو "العزيز" "(١)، فكل اسم من أسماء الله -جل وعلا- وصفاته تم العدول عنه بما ليس منه فهو إلحاد، وإذا تبين ذلك فهذا الباب متعلق في التوحيد، بل هو توحيد الأسماء والصفات، فمن لم يثبتها كما جاءت وأنكر شيئا منها أو أولها أو حرفها فإنه ملحد مشرك، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" حرمت الآية الإلحاد في أسماء الله وصفاته، ومن الإلحاد تسمية المخلوق بأسماء الله، وتسمية الله بأسماء المخلوقين، وهذا شرك في أسماء الله وصفاته "(٢).

وأمرنا بأن نبتعد كل البعد عمن ألحد في أسمائه -جل وعلا- مما يدل على خطر الإلحاد وخطر أصحابه الذين يعتقدونه، فهو وعيد لمن ألحد وتحذير لمن استمع لهم وناصرهم، وهذا من كمال التوحيد يقول الشيخ عبد الله المحسن -رحمه الله-:" والشاهد من الآية قوله تعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائه" . ووجه الدلالة في الآية أن الله أمرنا أن نترك الذين يلحدون في أسمائه ونبتعد عنهم "(٣)، وقد بين ذلك المصنف رحمه الله في

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٢)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٥)

(٣) الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد(ص: ٢١٧)

مسائله عندما قال:" الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين "[1]، وهو وعيد لمن ألحد في أسمائه -جل وعلا- وذلك عندما قال -سبحانه - في نهاية الآية:" ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [2]، يقول الإمام الطبري -رحمه الله-: "مهل الذين يلحدون، يا محمد، في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون، إذا جاءهم أجل الله الذي أجلهم إليه، جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه، وتكذيب رسوله" [3]، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله: "وعيد من ألحد" [4].

ومناسبة هذا الباب لما قبله تظهر من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب هو كالأبواب السابقة في بيان الإلحاد وأنواعه، فلما تكلم المصنف - رحمه الله - عن أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته وعدم الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وتعظيمها، بين في هذا الباب كيف يلحد المشركون في أسماء الله -جل وعلا-، فيقعون في الشرك فيها، ويأتي هذا الباب ضمن سلسلة يذكرها الشيخ - رحمه الله - في نبذ التنديد والتحذير منه، وأتى هنا بهذا النوع من التنديد وهو الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا-، ولذا صرح بعض العلماء بأن من مقصود هذا الباب هو بيان التوسل المشروع والممنوع [5].

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٢٩٩)

(٢) سورة الأعراف:١٨٠.

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٨٥)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٢٩٩)

(٥) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم (ص: ٣٣٧)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٢٠٧).

ثانيا: لما بين في الباب السابق والأبواب قبله أنواعا من الإلحاد، أثبت في هذا الباب أسماء الله -جل وعلا- وأنها حسنى، وحذرنا من الإلحاد فيها بما سبق بيانه من أنواع الإلحاد، فهذا الباب هو كالقاعدة العامة للإلحاد في أسماء الله -جل وعلا-.

ثالثا: لما تكلم في الباب السابق عن تحريم تعبيد اسم الولد لغير أسماء الله -جل وعلا-، بين في هذا الباب ما يدل على تحريم تسمية المعبودات بما هو مشتق من أسماء الله -جل وعلا-، كالعزى واللات وغيرها [1].

وقد زعم بعض الباحثين عدم ظهور المناسبة بين هذا الباب والأبواب قبله، وذكر أن الأولى تغيير تسلسل الأبواب [2]، وهذا خطأ بيّن، ويتضح خطؤه مما ذكر آنفا وهذا يدل على دقة المصنف رحمه الله في تسلسل الأبواب وكذلك الأبواب قبله، وكيف أن المصنف رحمه الله قعّد للإلحاد وعرفه وبينه لمن يقع فيه من غير قصد منه، أو اعتقاد، والله أعلم.

---

(١) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٦٩٥).

(٢) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٢٨٧٢/٧).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

قال المصنف -رحمه الله-: "ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ﴾ (1): يشركون(2)، وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز(3)، وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها(4)" (5).

أورد المصنف رحمه الله هذه الآثار والتي تفسر ما أراده رحمه الله من الآية، فمناسبتها للآية من عدة أمور:

أولا: أنها بينت أنواع الإلحاد في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، فمنه ما هو شرك واضح، كالتوسل إلى غير الله -جل وعلا-، ومن الشرك ما يكون بتسمية الأصنام بما هو مشتق من أسماء الله -جل وعلا- كما بين ذلك الآثار عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومنها ما يكون بتسمية الله -جل وعلا- بما لم يسم به نفسه كما دل عليه الأثر عن الأعمش -رحمه الله-، وهذه كلها أنواع من الإلحاد، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "أراد -رحمه الله تعالى- بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة" (6)، وقد أوضح الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله معنى كون الإلحاد شركا؛ بأن أسماءه تدل على التوحيد، فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه وصفاته، كما كان المشركون يقرون بلفظ الجلالة الله، ومع ذلك يعبدون غيره يقول الشيخ -رحمه الله-:

---

(1) سورة الأعراف: ١٨٠.

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق قتادة (٥/ ١٦٢٣) برقم (٨٥٨٦)

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣)برقم (٨٥٨٤)

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣)برقم (٨٥٨٧)

(5) كتاب التوحيد (ص:٢٩٨)

(6) قرة عيون الموحدين (ص: ٥٦٣)

"يشركون غيره في أسمائه كتسميتهم الصنم إلهًا، ويحتمل أن المراد الشرك في العبادة، لأن أسماءه تعالى تدل على التوحيد، فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه سبحانه وتعالى لا سيما مع الإقرار بها" (١)، فالمشركون توسلوا بذوات الأموات كاللات وهو صنم قيل لرجل صالح كان يلت السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره، وقد تقدم، فهم وقعوا في الشرك، ولهذا بين المصنف رحمه الله في المسألة الثالثة: "الأمر بالدعاء بها" (٢)، مما يدل على أن الدعاء بغيرها شرك ينافي التوحيد، ويقدح في أسمائه وصفاته، وهو عدول عنها إلى غيرها.

ثانيا: أنها عرفت الإلحاد وذكرت الضابط في الوقوع فيه، وذلك كما ذكره أثر الأعمش -رحمه الله-.

ثالثا: أنها بينت أسماء الله -جل وعلا- الحسنى وإثباتها وعدم التعدي والتجاوز فيها، كما ذكر ذلك المصنف رحمه الله في مسائله (٣)، والإتيان بما لم يأت به الله -جل وعلا- أو رسوله -ﷺ-، وأن الإلحاد في أسمائه من الشرك، يقول الشيخ محمد القرعاوي في تعليقه على تفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- للإلحاد: "مناسبة الأثر للباب وللتوحيد: حيث أفاد الأثر أن رأي ابن عباس أن الإلحاد في أسماء الله شرك" (٤)، فلما عرف أن الإلحاد شرك، وضح وفسر الإلحاد في الأثر الثاني وأثر الأعمش -رحمه الله-، فتبين أن الإلحاد الذي هو شرك يكون في تسمية الأصنام بما هو مشتق من أسماء الله -جل وعلا-، وكذلك التعدي على أسماء الله -جل وعلا- بإدخال ما ليس منها فيها، يقول الشيخ محمد القرعاوي مبينا العلاقة بين الآثار بعدما فسر الإلحاد بالشرك: "أفاد الأثر أن ابن عباس يرى أن تسمية الأصنام بأسماء الله إلحاد في أسماء الله، وقد

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٢٨٩/٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٢٩٩)

(٣) انظر: المسألة الأولى والثانية، كتاب التوحيد (ص:٢٩٩) عندما قال -رحمه الله-: "الأولى: إثبات الأسماء، الثانية: كونها حسنى".

(٤) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٧)

ثبت أن الإلحاد في أسماء الله شرك... أفاد الأثر أن الأعمش يرى أن تسمية الله بما لم يسم به نفسه إلحاد في الأسماء، وقد ثبت أن الإلحاد في أسماء الله شرك" [١].

(١) المصدر السابق.

المبحث الثالث عشر: باب لا يقال السلام على اللّه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب لا يقال السلام على الله" [١]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب لا يقال السلام على الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٣٠٠)

المطلب الأول: **مناسبة باب لا يقال السلام على الله للباب السابق**.

لما كان السـلام من معانيه الدعاء بالسـلامة، فإن الدعاء بالسـلامة في حق الله -جل وعلا- نقص وعيب، والله منزه عن ذلك، فالله -جل وعلا- هو السـلام ومنه السـلام، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "لما كان حقيقة لفظ الإسلام السلامة والبراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، فإذا قال المسلم: السلام عليكم فهو دعاء للمسلم عليه، وطلب له أن يسـلم من الشـر كله، والله هو المطلوب منه لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له، وهو الغني له ما في السموات وما في الأرض، استحال أن يسلم عليه سبحانه وتعالى، بل هو المسلم على عباده..." (١)، ولأن السلام اسم من أسماء الله -جل وعلا-، فهو السلام، يقول الشيخ صـالح الفوزان -حفظه الله-: "مناسـبة هذا الباب الكتاب التّوحيد: أنّه لَمّا كان السـلام من أسماء الله سبحانه وتعالى فإنّه لا يقال:" السلامُ على الله "لأنّه هو السلام سبحانه وتعالى" (٢)، فأراد المصـنف رحمه الله من هذا الباب الأدب مع الله -جل وعلا- ومع أسمائه بوضـعها في مواضعها، وإلا فإنه نقص في التوحيد، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "مناسبته لكتاب التوحيد: فهي أن الأدب مع أسماء الله- جل وعلا- وصفاته ألا يخاطب بهذا الخطاب، وأن لا يقال: السـلام على الله، لأن في هذا نقصـا في تحقيق التوحيد، فتحقيق التوحيد الواجب ألا تقال هذه الكلمة؛ لأن الله غني عن عباده، والفقراء هم الذين يحتاجون إلى السلام" (٣).

وأما مناسبته لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: أنه لما بين أن أسماء الله -جل وعلا- حسنى وبالتالي لابد من تعظيمها، بين في هذا الباب أن من تعظيمها هو ترك قول السـلام على الله؛ لأن ذلك قدح فيها ووضـع لها في غير

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٩٢)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢١٥)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥١١)

موضعها، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "مناسبة هذا الباب للباب الذي قبله: أن ترك قول: السلام على الله، هو من تعظيم الأسماء الحسنى، ومن العلم بها، ذلك أن السلام هو الله-ﷻ-، والسلام من أسمائه سبحانه وتعالى، فهو المتصف بالسلامة الكاملة من كل نقص وعيب، وهو المنزه والمبعد عن كل آفة ونقص وعيب، فله الكمال المطلق في ذاته، وصفاته الذاتية، وصفاته الفعلية- جل وعلا-" (١).

ثانيا: لما تكلم في الباب قبل السابق عن تحريم تعبيد اسم الولد لغير أسماء الله -جل وعلا-، وبين في الباب السابق ما يدل على تحريم تسمية المعبودات بما هو مشتق من أسماء الله -جل وعلا-، كالعزى واللات وغيرها، بين في هذا الباب تحريم ذكر أسماء الله -جل وعلا- في غير محلها الذي يليق بها؛ فإن ذلك نقص بها، ولو لم يقصد ذلك صاحبها.

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله أن أسماء الله ثابته وهي حسنى وحذر من الإلحاد فيها، بين في هذا الباب ما يدل على أن صفاته كذلك سالمة من كل نقص وعيب، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "ومناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة؛ لأن موضوع الباب الذي قبله إثبات الأسماء الحسنى لله، المتضمنة لصفاته، وموضوع هذا الباب سلامة صفاته من كل نقص، وهذا يتضمن كمالها؛ إذ لا يتم الكمال إلا بإثبات صفات الكمال ونفي ما يضادها، فإنك لو قلت: زيد فاضل أثبت له الفضل، وجاز أن يلحقه نقص، وإذا قلت: زيد فاضل ولم يسلك شيئا من طرق السفول؛ فالآن أثبت له الفضل المطلق في هذه الصفة. والرب -سبحانه وتعالى- يتصف بصفات الكمال، ولكنه إذا ذكر ما يضاد تلك الصفة صار ذلك أكمل، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله الباب السابق بهذا الباب إشارة إلى أن الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يلحقها نقص" (٢).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥١٠)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٥)

رابعا: لما أمر في الباب السابق بأن الدعاء يكون بأسماء الله -جل وعلا- أتى المصنف رحمه الله في هذا الباب والذي بعده ليبين أن من أسماء الله -جل وعلا- ما حصل فيها دعاء هو في حق الله -جل وعلا- نقص وعيب، من غير أن يقصد من قاله ذلك.

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "في الصحيح عن" ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام** "[1]" [2].

أتى المصنف رحمه الله بهذا الحديث ليبين مراده بالباب، فمناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن الحديث صريح الدلالة على مقصود الباب، فالمصنف رحمه الله أخذ الترجمة من الحديث، ففيه، "لا تقولوا السلام على الله" ، فيه تحريم قول السلام على الله -جل وعلا-، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على تحريم قول السلام على الله... حيث أفاد الحديث أن السلام على الله مناف للتوحيد؛ وذلك أن السلام دعاء بالسلامة من العيوب والنقائص، والله منزه عن ذلك" [3]، وهذا أيضا من الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته والأدب معها واحترامها.

ثانيا: أن فيه بيان وتوضيح لما وقع فيه الصحابة -رضي الله عنهم- وأنهم اعتقدوا أن ذلك مما يكون لله، فبين النبي صلى الله عليه وسلم العلة في كونه محرما، وهو أن ما عملوه هو عكس ما أرادوا، فالله -جل وعلا- هو معطي السلام فكيف تطلب له -جل وعلا-، فإن هذا فيه نقص

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٦٧) برقم: (٨٣٥) (كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٠٠)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٩)

وعيب، والله منزه عن ذلك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "أنكر عليه السلام التسليم على الله، وأخبر أن ذلك عكس ما يجب له سبحانه، فإن كل سلام ورحمة له ومنه فهو مالكها ومعطيها، وهو السلام" (١)، وقد وضح الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله حقيقة السلام المراد في الحديث ورجح أنه الدعاء بالسلامة والبراءة والخلاص من الشر والعيوب، وقد بين المصنف أن ذلك لا يصلح لله -جل وعلا- كما قال -رحمه الله-: "الثالثة: أنها لا تصلح لله، الرابعة: العلة في ذلك" (٢). فالله هو المطلوب منه لا المطلوب له، وقد سبق ذكره في المطلب الأول (٣)، وهذا هو مراد المصنف رحمه الله فقد وضح ذلك في مسائله فقال -رحمه الله-: "الأولى: تفسير السلام، الثانية: أنه تحية" (٤)، فتبين أن المراد بالسلام هو التحية بالسلامة، وأما المعنى الآخر فهو أن السلام اسم من أسماء الله -جل وعلا- وأن المسلم يقول لمن سلم عليه: اذكر عليك اسم ربي لتحل عليك بركته، مع ذكر أنه سلم لمن سلم عليه وأنه لا يناله أذى منه (٥)

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله أن ينبه المسلم أن يتعلم ما يريد أن يعبد الله به؛ حتى لا يقع في المخالفات في أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وقد يوقعه ذلك في الشرك كما حصل في هذا الحديث (٦).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٩٣)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٠٠)

(٣) انظر المصدر السابق (٢/١٢٩٢، ١٢٩٤).

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٠٠)

(٥) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٢/١٠٨٠).

(٦) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (٢/١٠٨٥).

المبحث الرابع عشر: باب قول اللهم اغفر لي إن شئت.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب قول اللهم اغفر لي إن شئت" [(١)]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب قول اللهم اغفر لي إن شئت) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٣٠١)

المطلب الأول: **مناسبة باب قول اللهم اغفر لي إن شئت للباب السابق**.

أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب والذي يدل أن من فعله فقد وقع في شيء مناف للتوحيد، فالله -جل وعلا- يجب أن يعزم في المسألة، فمن لم يعزم في مسألته فإنه يفهم منه أنه مستغن عن الله -جل وعلا- وهذا نقص في التوحيد، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "لما كان العبد لا غناء له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين، بل فقير بالذات إلى الغني بالذات كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [1]، نهي عن قول ذلك، لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته كما سيأتي، وذلك مضاد للتوحيد" [2]، فهذا الباب فيه بيان كمال الله -جل وعلا- في سلطانه وجوده وفضله وغناه، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "قوله:" باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت ": عقد المؤلف هذا الباب لما تضمنه هذا الحديث من كمال سلطان الله وكمال جوده وفضله، وذلك من صفات الكمال" [3].

وأما مناسبته لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الباب السابق عن الدعاء بأسماء الله -جل وعلا- وما ينبغي وعدم التجاوز فيها، وذلك بأن يوصف الله -جل وعلا- بما هو في حقه نقص وعيب؛ بين المصنف رحمه الله نوعا آخر من الأدعية بأسماء الله -جل وعلا- وصفاته، والتي هي في حقه -جل وعلا- نقص وعيب، وهو تعليق الدعاء بالمشيئة، يقول الشيخ صالح الفوزان -

---

(١) سورة فاطر:١٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٢٩٨)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٣٠)

حفظه الله-: "هذا الباب من جنس الباب الذي قبله، لأنّ الذي يدعو الله تعالى يجب أن يعزم الدعاء، ولا يعلِّقه بالمشيئة، لأنّه إذا علّقه بالمشيئة تضمّن ذلك أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ هذا يدلّ على فُتوره في طلب الدعاء من الله سبحانه وتعالى، كأنّه غنيّ عن الله،... والأمر الثاني: كأنّه يرى بأن الله جل وعلا قد يُجيب الدعاء وهو كاره، فـ" إنْ شئتَ "؛ معناه: أنا لستُ ملزماً لك، أخشى أن يشقّ عليك، لكن إنّ شئتَ اغفر لي وارحمني، وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعالى لأنه تنقص له. والله جل وعلا لا مُكْره له..." [١].

ثانيا: لما تكلم في الباب السابق عما يدل على وجوب احترام أسماء الله -جل وعلا- وصفاته وتعظيمها، بنفي النقص عنها وسد الطرق الفضية إلى الشرك، وذلك بتجنب الألفاظ التي توهم تشبيه الخالق بالمخلوق؛ ذكر المصنف رحمه الله هذا الباب ليبين لفظا آخر موهما للتشبيه ومفضيا إلى الشرك [٢].

ثالثا: لما بين في الباب السابق وضع أسماء الله -جل وعلا- في غير موضعها، ولو كان مقصد صاحبها حسنا، ولم يقصد القدح فيها، بين في هذا الباب وضعا آخر يقدح في توحيد صاحبه ولو لم يقصد ذلك.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له "[٣]، ولمسلم" وليعظم الرغبة، فإن**

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢١٨)

(٢) انظر منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٠٥)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٧٤) برقم: (٦٣٣٩)(كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له)

الله لا يتعاظمه شيء أعطاه "[(١)]" [(٢)].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي يدل دلالة واضحة وصريحة على الباب، ومناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن الحديث بين تحريم قول اللهم اغفر لي إن شئت، وبين أنها في حق الله -جل وعلا- نقص وعيب، فإذا دعا الإنسان فيجب ألا يعلق الدعاء في المشيئة، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "نهى -ﷺ- عن هذا الكلام في حق الله؛ لأنه لا يقال إلا لمن ليس له ملكوت كل شيء، كالمخلوق فإنه قد يغلب على أمره، وإن كان واجدا لما سُئِل منه..." [(٣)]، وقد بين هذا المصنف رحمه الله في مسائله عندما قال: "الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء"[(٤)].

ثانيا: أن المصنف رحمه الله ذكر الحديث لما فيه من ذكر العلة في سبب النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة، فقال -ﷺ-: "فإن الله لا مكره له" ، وفي الرواية الأخرى: "لا يتعاظمه شيء أعطاه" ، وهذا دليل على أن الله -جل وعلا- هو المتصرف في كل شيء فيعطي من غير إكراه، ولا ينقص ذلك من ملكه شيئا، فبينت الروايتين أسباب النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة، يقول المصنف رحمه الله في مسائله: "الثانية: بيان العلة في ذلك... الرابعة: إعظام الرغبة، الخامسة: التعليل لهذا الأمر" [(٥)]، فذكر المصنف رحمه الله هذين الأثرين للسببين والعلتين فيهما.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٦٤) برقم: (٢٦٧٩) (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٠١)

(٣) فتح الحميد (١٨٥٥/٤)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٠١)

(٥) كتاب التوحيد (ص:٣٠٢)

ثالثا: أن الحديث بين التوجيه الصحيح في الدعاء، وهو عدم التعليق بالمشيئة والعزم فيه، وبهذا يكون الدعاء بأسماء الله -جل وعلا- صحيحا ومن كمال التوحيد، يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: "قال علماؤنا: ولا يقل الداعي: اللهم أعطني إن شئت، اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، بل يعري سؤاله ودعاءه من لفظ المشيئة، ويسأل سؤال من يعلم أنه لا يفعل إلا أن يشاء. وأيضا فإن في قوله:" إن شئت "نوع من الاستغناء عن مغفرته وعطائه ورحمته، كقول القائل: إن شئت أن تعطيني كذا فافعل، لا يستعمل هذا إلا مع الغنى عنه، وأما المضطر إليه فإنه يعزم في مسألته ويسأل سؤال فقير مضطر إلى ما سأله... قال علماؤنا: قوله (فليعزم المسألة) دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في، الدعاء ويكون على رجاء من الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله، لأنه يدعو كريما" (١).

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٣١٢-٣١٣)

المبحث الخامس عشر: باب لا يقول عبدي وأمتي.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: ": باب لا يقول عبدي وأمتي" [١]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب لا يقول عبدي وأمتي) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٠٣)

المطلب الأول: مناسبة باب لا يقول عبدي وأمتي للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب، والذي فيه بيان الأدب مع الله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته، ومنع كل ما يوهم الوقوع في الشرك، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: ": أي: لما في ذلك من الإيهام من المشاركة في الربوبية، فنهى عن ذلك أدبًا مع جناب الربوبية، وحماية لجناب التوحيد" (١)، فالنبي صلى الله عليه وسلم سد كل الطرق المفضية إلى الشرك، ولو كان ذلك في الألفاظ، يقول الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله-: "فالمقصود أنه يجب التأدب مع الله في الألفاظ، حتى لا يكون فيه لفظ يوهم المشاركة، مشاركة الرب -جل وعلا- ولو باللفظ، وهذا هو السبب في إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد؛ حتى يكون العبد محققا لتوحيده، مخلصا لله -جل وعلا- في أعمال وفي أقواله" (٢).

وأما مناسبته لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الباب السابق عما يدل على احترام أسماء الله -جل وعلا- والأدب معها، وذلك بسد الطرق التي تؤدي إلى الشرك في الألفاظ، تكلم في هذا الباب عن طريق آخر موصل إلى الشرك في الألفاظ وعدم الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وهو تسمية الإنسان الآخر بما هو من حق الله -جل وعلا- أو نسبتها إلى غيره، كقول العبد لسيده، والسيد لمولاه، المذكور في الحديث، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "هذا الباب عقده المصنِّف رحمه الله كالباب الذي قبلَه، من أجل احترام أسماء الله وصفاتِه، ومن أجل سدّ الطّرق التي تُفضي إلى الشرك وحماية جانب التّوحيد، وذلك: بتجنُّب الألفاظ الموهمة التي

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٠٣)

(٢) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١٠٩٥/٢)

قد يُفهم منها شيءٌ من الشرك، ولو كان المتكلِّم بها لا يقصد المعنى، ولكنّه يتجنّب ذلك من أجل سدّ الباب من أصلهِ، هذا هو المقصود" (١).

ثانيا: أن هذا الباب والأبواب قبله وبعده هي من تعظيم الربوبية لله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته، وهو من التوحيد، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "هذا الباب مع الأبواب قبله وما بعده كلها في تعظيم ربوبية الله- جل وعلا-، وتعظيم أسماء الله- جل وعلا- وصفاته؛ لأن تعظيم ذلك من كمال التوحيد، وتحقيق التوحيد لا يكون إلا بأن يعظم الله- جل وعلا- في ربوبيته، وفي إلهيته، وفي أسمائه وصفاته، فتحقيق التوحيد لا يكون إلا بالاحتراس من الألفاظ التي يكون فيها إساءة أدب مع ربوبية الله- جل وعلا-، أو مع أسماء الله- جل وعلا- وصفاته، ولهذا عقد المؤلف هذا الباب فقال:" باب لا يقول عبدي وأمتي "(٢)، فالمراد من هذا الباب التأكيد على تحقيق التوحيد في الألفاظ، فإضافة هذه الكلمات لله -جل وعلا- هي مشابهة له، والله -جل وعلا- لا ند له ولا نظير، ولو لم يكن المسلم يقصد ذلك، فإن هذا من حماية التوحيد.

ثالثا: لما بين في الباب نوعا آخر من صفات الله -جل وعلا-، بين في هذا الباب أيضا صفة المعبود، فالله -جل وعلا- هو المعبود بحق وحده لا شريك له، فلا يطلق على غيره، وهذا من الأدب مع صفاته -جل وعلا-.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك، وليقل: سيدي**

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٢٠)

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥١٨-٥١٩)

ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي" (١) "(٢).

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث بهذا الباب، واكتفى به ومناسبته للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله استدل على الباب بهذا الحديث ففيه النهي صريحا، بل إن الترجمة وضعها من الحديث، ولهذا فإن المصنف رحمه الله بين ذلك في مسائله، حيث يقول:" الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي، الثانية: لا يقل العبد: ربي، أو يقال له: أطعم ربك "(٣)، وزاد المصنف رحمه الله في المسألة الثانية قول العبد: ربي، ليدل على أن النهي ليس مقتصرا على المخاطب في الحديث فقط، بل يتعدى إلى كل ما في معناه الإيهام بالتشريك في الربوبية، وقد سبق بيان ذلك من كلام الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه (٤)، ويعلل الشيخ سليمان رحمه الله في موضع آخر سبب المنع من قول عبدي:" لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله -تعالى-، ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق "(٥)، فتبين أن العبودية من خصائص الله - جل وعلا- ومن صفاته المعبود، وقد صان النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد، فإنه حتى وإن كان الإنسان لا يقصد العبودية بالذل والخضوع والسجود، وإنما قصد الرق، ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ حتى لا يكون هناك اشتراك ولو باللفظ، وهذا كله احترام

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٥٠) برقم: (٢٥٥٢) (كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٠٣)

(٣) المصدر السابق (ص:٣٠٣)

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٣٠٣/٢).

(٥) المصدر السابق (١٣٠٧/٢).

لأسماء الله -جل وعلا- وصفاته وصيانة للتوحيد [1]، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله:" الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ "[2].

ثانيا: أن المصنف رحمه الله أورد الحديث وفيه ذكر ما يجوز في حق السيد أو رقيقه، فبين الحديث ما يجوز المناداة به وما لا يجوز، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يؤدي المعنى مع السلامة من الإيهام والتعاظم "[3]، فكل لفظ دل على الإيهام بالتشريك أو التعظيم فهو منهي عنه، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى هذه المناسبة مسائله فقال -رحمه الله-:" الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي، الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي "[4].

---

(١) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١١٠٠/٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٠٤)

(٣) تيسير العزيز الحميد (١٣٠٩/٢).

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٠٤)

المبحث السادس عشر: باب لا يرد من سأل باللّه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب لا يرد من سأل بالله "[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب لا يرد من سأل بالله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٠٥)

المطلب الأول: مناسبة باب لا يرد من سأل بالله للباب السابق.

أتى المصنف رحمه الله ليبين وجوب تعظيم الله -جل وعلا- فهو أعظم مسؤول، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عند شرحه لترجمة الباب:" إي: إعظاما وإجلالا لله -تعالى- أن يُسأل به في شيء ولا يجاب السائل إلى سؤاله ومطلوبه، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإبرار القسم "(١)، ولهذا فإذا رد السائل، فإن ذلك يعتبر من إساءة حق الله -جل وعلا-، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" قول الشيخ رحمه الله: "باب لا يُرد مَن سأل بِالله" لأنّ هذا فيه تعظيمٌ لله سبحانه وتعالى، وهو من كمال التّوحيد، أمّا إذا رُدّ السائل بالله ففيه إساءة في حقّ الله سبحانه وتعالى، وفي ردّه نقصٌ في التّوحيد "(٢).

أما مناسبة الباب لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف رحمه الله عن احترام أسماء الله -جل وعلا- وذلك بتحريم ذكر كل ما ينافيها أو ذكرها فيما يكون به نقص وعيب، ولما بين الطريقة الصحيحة لذلك، أتى بهذا الباب فلا يرد من سأل بالله -جل وعلا- واحترم أسماءه وصفاته ولم يأت بما يناقض التوحيد، وتوسل بها على المشروع، فإنه قد عظم الله -جل وعلا- واحترمها، فمن تعظيم الله -جل وعلا- لك أيضا أها المطلوب أن تحترم أسماء الله -جل وعلا- ولا ترد من سأل بها على الوجه المشروع، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله-:" قصد المصنف من وراء هذا الباب أن من عظم الله عظم أسماءه واحترمها، وأن من احترم أسماء الله فتوسل بأسمائه، أو سأل بها؛ فإنه يعطى ما سأل، أو استعاذ بأسماء الله، فإنه يعاذ "(٣).

ثانيا: أن هذا الباب والأبواب قبله كلها تدل على التعظيم واحترام أسماء الله -جل وعلا- وصفاته والأدب معها، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" هذا الباب مع الباب

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٣١١/٢)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٢٣)

(٣) السبك الفريد (٤٢٣/٢)

الذي قبله ومع ما سبقه- كما ذكرنا- كلها في تعظيم الله- جل وعلا- وربوبيته وأسمائه وصفاته؛ لأن تعظيم ذلك من إكمال التوحيد ومن تحقيق التوحيد، ومن سأل بالله-ﷻ- فقد سأل بعظيم"(١).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه" (٢) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح "(٣).**

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي استدل به على النهي عن رد من سأل بالله – جل وعلا-، ومناسبته للباب أن الحديث فيه ذكر الترجمة وأنه يجب إعطاء من سأل بالله -جل وعلا-، وهذا يدل على النهي عن رد من سأل بالله يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" فيه ما ترجم له المصنِّف وهو: لا يُرَدّ مَن سأل بالله، لقوله: "من سألكم بالله فأعطوه" ، لأنّ في هذا إجلالاً لله سبحانه وتعالى الذي سَأل به، وفي ردِّه إساءة في حقّ الله تعالى ونقصٌ في التّوحيد، وفي إعطائِه احترامٌ لحقّ الله تعالى، وتكميلٌ للتّوحيد "(٤)، وقد أشار المصنف رحمه الله

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٢٢- ٥٢٣)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٨ / ١٦٨) برقم: (٣٣٧٥) (كتاب الزكاة، ذكر الأمر للمرء بأن لا يرد السائل إذا سأله بأي شيء حضره) والنسائي في "المجتبى" (١ / ٥١٤) برقم: (٢٥٦٦ / ١) (كتاب الزكاة .، باب من سأل بالله عز وجل) وأبو داود في "سننه" (٢ / ٥٢) برقم: (١٦٧٢) (كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عز وجل)صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٦/ ٦٠).

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٠٥)

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٢٥)

إلى هذه المناسبة بقوله:" الثانية: إعطاء من سأل بالله "(١)، فمن تعظيم الله -جل وعلا- عدم رد من سأل به، فإعطاء السائل من أجل تعظيمه لله -جل وعلا- هو من أعظم العبادات، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" أرشد صلى الله عليه وسلم إلى إعطاء السائل بالله تعظيما له تبارك وتعالى، حيث سأل به، فإعطاء السائل بذلك من أجلّ العبادة لله سبحانه؛ إذ هي مقام التعظيم له -جل وعلا- "(٢).

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣٠٦)

(٢) فتح الحميد (٤/١٨٦٧).

المبحث السابع عشر: باب لا يسأل بوجه اللّه إلا الجنة.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة "[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٣٠٧)

المطلب الأول: مناسبة باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة للباب السابق.

أورد المصـــنف رحمه الله هذا الباب، وفيه تعظيم لله -جل وعلا- ولوجهه الكريم، فلا يسأل به إلا الجنة لأنها هي غاية الثقلين ومطالبهم، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" هذا الباب عقده الشيخ رحمه الله في "كتاب التّوحيد" لأنّ تعظيم صفات الله سبحانه وتعالى من تعظيم الله، وتعظيمُها من التّوحيد، لأنه تعظيمٌ لله سبحانه وتعالى، وأمّا عدمُ تعظيمِها فإنّه تنقُّصٌ للتّوحيد، لأنّه تنقُّصٌ لله عز وجل "[1]، وأما مناسبته لما قبله فيظهر من عدة أمور:

أولا: أن الحديث السابق هو خطاب للمسؤول إذا سئل باسم من أسماء الله -جل وعلا- ، وهنا هو خطاب للسائل إذا سأل بوجه الله فلا يسأل به إلا الجنة، وهذا من الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-:" باب: لا يرد من سأل بالله، وباب: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، الباب الأول خطاب للمسئول: وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل، وهو السؤال بالله، أن يجيبه احتراما وتعظيما لحق الله، وأداء لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم.

والباب الثاني خطاب للسائل: وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئا من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضـــا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله، وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه، فإنه لا يسألها بوجهه "[2].

ثانيا: لما تكلم في الباب السابق بوجوب احترام أسماء الله -جل وعلا- فإذا توسل بها من لم يأت بما يقدح في أسمائه، وجب على من سـئِل ألا يرد السـائل، تكلم في هذا الباب عن

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٢٦)

(٢) القول السديد (ص:١٦٨-١٦٩)

التجاوز والتهاون في التوسل، فيتوسل الإنسان بأسماء الله -جل وعلا- في كل ما هو حقير وعظيم ولا يفرق بينهما، فأسماء الله -جل وعلا- عظمى ولا يسأل بها ما يخالف قدرها ومكانتها.

فهذا الباب هو من الباب السابق، ومناسبات الباب السابق تدخل في هذا الباب أيضا، والتفريق بينهما والعلاقة بينهما هو ما ذكره السعدي -رحمه الله-.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يسأل بوجه الله إلا الجنة "[1]. رواه أبو داود**

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث في هذا الباب، والذي هو نفسه ترجمة الباب، فمناسبته للباب ظاهرة، وهي قوله:" لا يسأل بوجه الله إلا الجنة "، فهي مطابقة للباب، ودلت على أمور:

أولا: النهي عن السؤال بوجه الله -جل وعلا- غير الجنة وما يوصل إليها، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" ودلالة الحديث على ما بوب له الإمام المصنف -رحمه الله تعالى- ظاهرة جلية، وقد قال العلماء هنا: إن وجه الله-جل جلاله- يسأل به الجنة، ولا يجوز أن يسأل به غيرها إلا ما كان وسيلة إلى الجنة، أو كان من الأمور العظيمة التي هي من جنس

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢ / ٥٢) برقم: (١٦٧١) (كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله عز وجل) والبيهقي في "سننه الكبير" (٤ / ١٩٩) برقم: (٧٩٨٤) (كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله عز وجل) والحديث ضعيف عند الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤٣٨).

السؤال بالجنة، أو من لوازم السؤال بالجنة كالنجاة من النار، وكالتثبيت عند السؤال، ونحو ذلك "[1]، فمن سأل بوجه الله أمورا دنيئة؛ لم يحترم الله، ولم يحترم وجهه، ولم يقدره حق قدره [2].

ثانيا: أن فيه وجوب تعظيم الله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته، فلا يسأل بها إلا ما هو عظيم، وهذا من احترام أسماء الله -جل وعلا- وصفاته والأدب معها، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" دل الحديث على تحريم سؤال غير الجنة بوجه الله؛ لأن ذلك مناف لتعظيم الله وذلك مناف للتوحيد "[3]، ولهذا قال المصنف رحمه الله في مسائله:" الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب "[4]، وهذا من تعظيم الله -جل وعلا-.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٢٨)

(٢) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين (٢/٤٣٥)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٩)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٠٨)

المبحث الثامن عشر: **باب ما جاء في اللو**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب ما جاء في اللو "[1].، ويحتوي على آيتين وحديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في اللو) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٠٩)

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في اللو للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب في كتابه التوحيد؛ لأن من كمال التوحيد عدم الاعتراض على قضاء الله -جل وعلا- وقدره، فمن اعترض على قضائه وقدره فقد نفى صفة من صفاته -جل وعلا- وهي صفة التقدير، وهذا ينافي كمال التوحيد، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" اعلم أن من كمال التوحيد الاستسلام للقضاء والقدر رضا بالله ربًا فإن هذا من جنس المصائب، والعبد مأمور عند المصائب بالصبر والإرجاع والتوبة. وقول "لو" لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر مع ما يخاف توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا إلا ما شاء الله، فهذا وجه إيراده هذا الباب في التوحيد "(١)، وهو كذلك قدح في توحيد الربوبية، فمن اعترض بقوله:" لو "، فهو لم يرض بالله -جل وعلا- ربا، ومن لم يرض بالله -جل وعلا- ربا فإنه لم يحقق توحيد الربوبية، وجحود في في القدر، فيقع العبد بسببه إلى الكفر بالله -جل وعلا-؛ لأن ذلك ينافي التوحيد (٢).

وأما مناسبته لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب كالأبواب السابقة، أنه نهي عن الألفاظ التي تدل على عدم تعظيم أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، وعدم احترامها والأدب معها، فلما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق ألا يسأل العبد بوجه الله إلا الجنة، بين في هذا الباب أن من الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته عدم الاعتراض على تقدير الله -جل وعلا-، هذا الباب كالأبواب السابقة، فيه وجوب احترام صفات الله -جل وعلا- والأدب معها، فمن صفاته التقدير، فقد بين المصنف رحمه الله صفة أخرى من صفات الله -جل وعلا-، والتي يعترض فيها الناس من غير قصد، فمن اعترض على قضاء الله -جل وعلا- فإن هذا ينافي كمال التوحيد.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٢٥)

(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٣٦٥)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ٢٣٠)

ثانيا: لما بين المصنف أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، ففيه السؤال، وهذا يدل على افتقار العبد وحاجته، فلما بين الصنف أن السؤال بوجه الله -جل وعلا- إلا الجنة، فعلم العبد أن يسأل بغير وجه الله -جل وعلا- من أمور الدنيا؛ بين هذا الباب والذي يعني عدم الاعتراض على قضاء الله -جل وعلا-، فكأن المصنف رحمه الله يقول إذا سألت ربك لأجل مصيبة أو حاجة ولم تحصل أو أنها كانت بسبب أمر من أمور الدنيا، فاعلم أنه بقضاء الله -جل وعلا- وقدره، فلا تعترض على ما قضاه الله -جل وعلا- بقولك" لو "، وبهذا يتبين مراد المصنف لإيراد هذا الباب بعد الباب السابق.

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقول الله تعالى:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [(١)] **الآية، وقوله:** ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [(٢)] **الآية "**[(٣)].

أورد المصنف رحمه الله هاتين الآيتين والتي فيهما الاعتراض على قضاء وقدر الله -جل وعلا- بـ" **لَوْ** "، يقول الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير الآية الأولى:" فقال الله تعالى: " **قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ** " يعني القدر خيره وشره من الله. (**يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ**) أي من الشرك والكفر والتكذيب. (**مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ**) يظهرون لك. (**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**

(١) سورة آل عمران:١٥٤.

(٢) سورة آل عمران:١٦٨.

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٠٩)

مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا) أي ما قتل عشائرنا. فقيل: إن المنافقين قالوا لو كان لنا عقل ما خرجنا إلى قتال أهل مكة، ولما قتل رؤساؤنا. فرد الله عليهم فقال: (**قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ**) أي لخرج. (**ٱلَّذِينَ كُتِبَ**) أي فرض. (**عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ**) يعني في اللوح المحفوظ. (**إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ**) أي مصارعهم. وقيل: (**كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ**)أي فرض عليهم القتال، فعبر عنه بالقتل، لأنه قد يؤول إليه... وقيل: لو تخلفتم أيها المنافقون لبرزتم إلى موطن آخر غيره تصرعون فيه حتى يبتلي الله ما في الصدور ويظهره للمؤمنين "(١).

وأما الآية الأخرى فيقول الأمام الطبري رحمه الله فيها:" فمعنى الآية: وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم "وقعدوا" ، يعني: وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا – مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم – عن الجهاد مع إخوانهم وعشائرهم في سبيل الله "لو أطاعونا" ، يعني: لو أطاعنا من قتل بأحد من إخواننا وعشائرنا "ما قتلوا" يعني: ما قتلوا هنالك، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "قل" ، يا محمد، لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين "فادرأوا" ... قل لهم: فادفعوا إن كنتم، أيها المنافقون، صادقين في قيلكم... [عن أنفسكم] الموت، فإنكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم، وأنتم لا محالة ميتون "(٢).

إذا تبين ذلك فمناسبة الآيات للباب من عدة أمور:

أولا: أن من صفات المنافقين الاعتراض على قضاء الله –جل وعلا– وقدره بـ" لو "، فمن فعل ذلك فقد تشبه بهم، واتصف بصفتهم، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله –رحمه الله– :" فتبين وجه إيراد المصنف الآية على الترجمة، لأن قول "لو" في الأمور المقدرة من كلام المنافقين، ولهذا رد الله عليهم ذلك بأن هذا قدر، فمن كتب عليه شيء فلا بد أن يناله، فماذا

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٤٢- ٢٤٣)

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٣٨٢)

يغني عنكم قول "لو" و"ليت" إلا الحسرة والندامة؟! فالواجب عليكم في هذه الحالة الإيمان بالله والتعزي بقدره مع ما ترجون من حسن ثوابه، وفي ذلك عين الفلاح لكم في الدنيا والآخرة "(١).

ثانيا: أن الآية دلت على تحريم الاعتراض بقضاء الله -جل وعلا- وقدره، والرد على من فعل ذلك بما يقطع حجته وادعاءه، ففيها استخدام كلمة" لو "في الآيتين التي تدل على ذلك فهي محل الشاهد، فالله -جل وعلا- بين أن هذا الاعتراض لا ينفع صاحبه بل يورده الحسرة والندامة والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة (٢).

ثالثا: بين الشيخ سليمان رحمه الله أن الآية الثانية التي نزلت في عبد الله بن أبي، أن عبد الله بن أبي كان قد أشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج، فلما قدر الله ذلك؛ كان ذلك تأييدا لرأيه (٣)، فأراد المصنف رحمه الله أن يبين أن قضاء الله -جل وعلا- وقدره في كل شيء وأن عدم الأخذ بالرأي والمشورة ليست في كل حال دليلا على وقوع المصيبة فيجعلها الإنسان شعارا لاعتراضه على قضاء الله -جل وعلا- وقدره، بل يجب التسليم وأن كل شيء بقدر الله -جل وعلا-.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء**

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٢٧)

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٢٣١)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٢١)

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٢٨)

فعل. فإن" لو "تفتح عمل الشيطان" [1] "[2].

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي يدل على الباب، وتظهر مناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن فيه النهي عن استخدام كلمة" لو "عند وقوع المصائب والأقدار، والحديث صريح بالنهي[3]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثانية: النهي الصريح عن قول: لو، إذا أصابك شيء "[4].

ثانيا: أن فيه الآثار المترتبة على من قال" لو "واعترض على قضاء الله -جل وعلا-، فإنها باب من أبواب الشيطان، فهذا الحديث فيه تفسير لما تفعله هذه الكلمة لصاحبها من تسلط الشيطان عليه وتمكنه منه، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" قوله: (فلا تقل) نهي، والنهي للتحريم؛ وهذا لأنه سوء ظن؛ ولأنه فتح عمل الشيطان، فالشيطان يأتي المصاب فيغريه بـــ (لو) حتى إذا استعملها ضعف قلبه وعجز، وظن أنه سيغير من قدر الله شيئا، وهو لا يستطيع أن يغير من قدر الله شيئا... "[5]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان "[6].

ثالثا: أن الحديث فيه بيان حال الإنسان عند حصول القضاء، وسبب استخدام هذه الكلمة، والاعتراض على قضائه وقدره، وهو العجز، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله عمن تقع له المصيبة:" فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٦) برقم: (٢٦٦٤) (كتاب القدر، باب فِي الْأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله)

(٢) كتاب التوحيد (ص: ٣١٠)

(٣) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٢٥)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٣١٠)

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٣٢)

(٦) كتاب التوحيد (ص: ٣١٠)

العجز إلى "لو" ولا فائدة في "لو" ههنا بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه -ﷺ- عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور... "[1]، فمن اعترض على قضاء الله -جل وعلا- وقدره، فسبب ذلك عجزه، ومن صبر واستعان بالله -جل وعلا- وفعل ما أمر وأرشد إليه فذلك هو المؤمن المحقق للتوحيد.

ثالثا: أن في الحديث توجيه لمن وقع في المصائب والأقدار، بعدم العجز والاستعانة بالله -جل وعلا- والبعد عما يخدش التوحيد من الاعتراض على قضاء الله -جل وعلا- وقدره، وقول ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم به من الذكر في الحديث عند وقوع المصيبة، فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يستدرك به العبد نفسه عندما يرد عليه من ذلك بقوله:" قدر الله وما شاء فعل "، فهي تدل على تمام التسليم والرضى بقضاء الله -جل وعلا- وقدره [2]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن. "[3].

---

(١) شفاء العليل (ص: ١٩)

(٢) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (١٨٧٩/٤).

(٣) كتاب التوحيد (ص: ٣١٠)

المبحث التاسع عشر: باب النهي عن سب الريح.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب النهي عن سب الريح "[(١)]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب النهي عن سب الريح) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد (ص:٣١١)

المطلب الأول: **مناسبة باب النهي عن سب الريح للباب السابق**.

عقد المصنف رحمه الله هذا الباب والذي ينافي كمال التوحيد، فمن سب الريح؛ فقد سب مدبرها ومصرفها، والمصرف هو الله -جل وعلا-، فلا فعل لها ولا تصريف إلا بأمر الله، فمن وقع فيها فقد نقص توحيده، يقول الشيخ عبد الله المحسن -رحمه الله-:" والمراد من وضع هذه الترجمة: أن سب الرياح ينافي كمال التوحيد، وقد ينافي أصله، لأن المدبر لها والمسخر هو الله تعالى، فلا فعل لها مستقل ألبته. فإذا يقع السب على الله تعالى الذي أرسلها وسخرها على ما يشاء "(١).

وأما مناسبة الباب لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الباب السابق الاعتراض على قضاء الله -جل وعلا- وقدره وسوء الأدب مع الله -جل وعلا- بقول" لو "، فهو قدح في صفة التقدير؛ بين رحمه الله في هذا الباب عن سوء أدب آخر، ومثال آخر من الأمثلة التي تدل على سوء الأدب مع الله -جل وعلا- والاعتراض على قضائه وقدره، وسب ما قدره الله -جل وعلا-، فهو كذلك قدح في صفة التقدير (٢).

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق ما ينفع الإنسان من الذكر عند حصول المصائب، فهو عام في كل مصيبة، ذكر في هذا الباب ما ينفع الإنسان من الذكر كذلك عند حصول المصيبة الخاصة، وهي مصيبة الريح وهذا الذكر خاص بالريح، فهو زيادة على ما سبق في الباب السابق، والله أعلم.

---

(١) الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد(ص: ٢٣٣)

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٤٠).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أمرت به" (1). صححه الترمذي "(2).**

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي يدل دلالة واضحة على الباب، فمناسبته للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن فيه النهي عن سب الريح، لقوله:" لا تسبوا الريح "، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله -:" لا تشتموها ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها فإنها مأمورة مقهورة، فلا يجوز سبها"(3)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الأولى: النهي عن سب الريح"(4)، فسب الريح يخل بالتوحيد؛ لأنه نسب الأمور إلى غير الله -جل وعلا-.

ثانيا: أن فيه توجيها لما ينفع الإنسان من الذكر والدعاء عند مجيء الريح، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره"(5).

---

(1) والترمذي في "جامعه" (4 / 103) برقم: (2252) (أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح) وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على "مسند أحمد" (9 / 4917) برقم: (21527) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث أبي المنذر أبي بن كعب رضي الله عنه) والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (1/ 342).

(2) كتاب التوحيد (ص:311)

(3) تيسير العزيز الحميد (2/ 1341)

(4) كتاب التوحيد (ص:311)

(5) المصدر السابق (ص:312)

ثالثا: أن فيه دلالة واضحة أن هذه الريح إنما هي بأمر الله وتقديره، فقد نسب الله -جل وعلا- أنها بأمره، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" قوله: فقولوا: "اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح" ، أمر صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى خالقها وآمرها الذي أزمة الأمور كلها بيده، ومصدرها عن قضائه "[1]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة "[2].

(١) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٤٣)، وانظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (٤/ ١٨٨٣)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣١٢)

المبحث العشرون: باب قول الله تعالى: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ (1)."(2)، ويحتوي على آيتين.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾ للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(1) سورة آل عمران: 154.

(2) كتاب التوحيد (ص: 313)

المطلب الأول: مناسبة باب قول الله تعالى: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية}. للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب والذي يدل على وجوب حسن الظن بالله -جل وعلا- وتحريم ونفي التوحيد لمن أساء الظن بالله -جل وعلا-؛ وأن سوء الظن هو من صفات المنافقين، فحذرنا من التشبه بهم، وأن من يفعله منهم، يقول الأمام الطبري في تفسير الآية:" يعني بذلك جل ثناؤه: "وطائفة منكم" ، أيها المؤمنون "قد أهمتهم أنفسهم" ، يقول: هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل، قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكا في أمر الله، وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به، يقولون: هل لنا من الأمر من شيء... يعني بذلك الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم، يقولون: ليس لنا من الأمر من شيء، قل إن الأمر كله لله "(١).

مناسبة الآية تظهر من عدة أمور:

أولا: أن سوء الظن من الاعتراض على قضاء الله -جل وعلا- وقدره، وفاعله ضعيف إيمانه وتعلقه بربه، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" أراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله، لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذم الله من أساء الظن به؛ لأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه، وقدرته وعلمه وحسن اختياره، وقوة التوكل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله "(٢).

ثانيا: أن سوء الظن من صفات المنافقين، والكفار كذلك، وهذا يدل على التحذير من سوء الظن وتحريمه ووعيد من وقع فيه.

وأما مناسبة الباب لما قبله فتظهر من عدة أمور:

---

(١)تفسير الطبري، (٧/ ٣٢٠)

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٤٧)

أولا: لما ذكر المصنف رحمه الله في الباب السابق الاعتراض على قضاء الله -جل وعلا- وقدره وسوء الأدب مع الله -جل وعلا- بقول" لو "، فهو قدح في صفة التقدير؛ وبين رحمه الله بعده ما يدل أيضا على سوء الأدب مع الله -جل وعلا- والاعتراض على قضائه وقدره، وسب ما قدره الله -جل وعلا-، فهو كذلك قدح في صفة التقدير، بين في هذا الباب أيضا سوء بالله -جل وعلا- والاعتراض على قضاء الله -جل وعلا- وسوء الأدب معه (١).

ثانيا: لما بين في الباب السابقة والأبواب قبله عدم احترام أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، بين في هذا الباب أيضا ما يدل على ذلك، فمن أساء الظن فهو في الحقيقة لم يحقق معاني أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، التي تدل على وجوب الرضى والتسليم وحسن الظن به -جل وعلا-، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-:" وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات؛ لاستلزامها الباقي، وبالجملة؛ فمن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته؛ قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة، لأن كل صفة لها عبودية خاصة، وحسن ظن خاص "(٢)، وقد أوضح الشيخ ابن عثيمين هذا الكلام وبينه بأن سوء الظن ينافي كمال التوحيد، وينافي الإيمان بالأسماء والصفات؛ لأن الله ذكر في كتابه أن له الأسماء الحسنى، فمن ظن بالله سوءا؛ لم يجعل أسماءه حسنى، كذلك بين الله -جل وعلا- في صفاته أن له المثل الأعلى فمن ظن سوءا بالله لم يجعل الله له المثل الأعلى (٣).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقوله:** ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ

(١) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٤٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٤٧)

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٩٥)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٥٣٩-٥٤١).

ٱلسَّوۡءِۚ﴾ (1). الآية "(2).

هذه الآية تتكلم عن طائفة ظنت بالله ظنا سيئا، يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره:" (الظانين بالله) أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء، يعني دائرة العذاب تدور عليهم به "(3).

فأورد المصنف رحمه الله هذه الآية في الباب، والتي تظهر مناسبتها من عدة أمور:

أولا: أن فيه تحريم سوء الظن يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الآية للباب: حيث دلت الآية على تحريم سوء الظن بالله "(4)؛ وذلك ببيان أن سوء الظن من صفات المنافقين والمشركين، فمن أساء الظن فقد كفر الله -جل وعلا- كما أن من أحسن الظن فقد وحد الله -جل وعلا- (5).

ثانيا: أن فيه وعيدا بالعذاب الشديد لمن ظن بالله -جل وعلا- ظن السوء، وأن دائرة العذاب تدور عليهم بسبب سوء ظنهم به -جل وعلا-، يقول الشيخ سعيد الجندول -رحمه الله-:" أما الآية الثانية فتتحدث عن العذاب الذي أعده الله للذين ظنوا أنه لا ينصر رسوله، أو أنه يتخلى عن عباده المؤمنين به الصادقين معه "(6).

---

(1) سورة الفتح:6.

(2) كتاب التوحيد (ص: 313)

(3) تفسير الطبري (22/ 205)

(4) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: 430)

(5) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (2/ 241)

(6) الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: 268)

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن من سوء الظن: الظن بأن الله -جل وعلا- لن ينصر أولياءه على أعدائه؛ لأن فيه عدم إثبات الحكمة لأفعال الله -جل وعلا-، يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله-:" يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال: ﴿عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أي: أبعدهم من رحمته "(١).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه - سبحانه - لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، ف: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ (٢). وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء، فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم.**

ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٩)

(٢) سورة ص:٢٧.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة... وإلا فإني لا إخالك ناجيا(١)

أورد المصنف رحمه الله كلام ابن القيم -رحمه الله-، والذي هو تفسير وتوضيح للآية التي صدر بها المصنف الباب وجعلها مترجمة للباب، فمناسبة كلام ابن القيم رحمه الله للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أن المصنف أراد من كلام ابن القيم أن سوء الظن أنواع وكل هذه الأنواع إنما هي ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون كما في آية سورة الفتح، كما بين ابن القيم رحمه الله ذلك في بداية كلامه بقوله: "فسر هذا الظن بأنه - سبحانه - لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح" ، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر" (٢).

ثانيا: أن كلام ابن القيم فيه بيان سبب كون هذا الظن ظن سوء، فإنه مناف لكمال التوحيد، واعتراض على حكمه، ونفي لحكمته، وهذا مأخوذ من قول ابن القيم -رحمه الله-: "وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق"

ثالثا: أن ابن القيم ذكر قاعدة لمن يدخل ضمن ظن السوء، وأن له أنواع وقع بها كثير من الناس، فقال: "، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة"

---

(١) ذكره ابن القيم في كتابه زاد المعاد (٣/٢٢٨-٢٣٥).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣١٥)

رابعا: أن فيه بيان بأن من عرف أسماء الله -جل وعلا- وصفاته أنه لا يقع في سوء الظن، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه" (١).

خامسا: أراد بيان أن أكثر من يظن بالله ظن السوء أنه في الحقيقة معترض على القدر ومتسخط منه، فأمرنا أن نحذر من ذلك ويفتش كل إنسان عن نفسه وينجو بها،﴾. فقال - رحمه الله -: "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء، فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم"

(١) كتاب التوحيد (ص:٣١٥)

المبحث الحادي والعشرون: باب ما جاء في منكري القدر.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله: ": باب ما جاء في منكري القدر" [1]، ويحتوي على أربعة أحاديث، وثلاثة آثار.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في منكري القدر) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣١٦)

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في منكري القدر للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب والذي ما زال يتكلم به المصنف عن القضاء والقدر، فأتى بهذا الباب وهو باب ما جاء في منكري القدر، أي من الوعيد فيمن ينكر ما يقدره الله – جل وعلا– من القضاء، فتوحيد الربوبية لا يتم إلا بإثبات القدر، كما بين ذلك الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله (١) وقال أيضا: "ذكر المصنف ما جاء من الوعيد فيمن أنكره تنبيها على وجوب الإيمان به، ولهذا عده النبي صلى الله عليه وسلم من أركان الإيمان" (٢)، فمن أنكر القدر فقد أشرك في توحيد الربوبية؛ لأنه جحد قدره وعلمه وأنكر ما يكون في الكون بتقدير الله –جل وعلا– ومشيئته، وهو وصف لله –جل وعلا– بالجهل والعجز –سبحانه– (٣).

ومناسبة هذا الباب ظاهرة من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله لما تكلم في الأبواب السابقة عن صور من الاعتراض على قضاء الله –جل وعلا– وقدره، وكراهيتهم لما قدره الله وسوء ظنهم به، بين في هذا الباب موضوعا آخر من مواضيع القدر وهي الأدلة التي تدل على الوعيد الشديد على من أنكر القدر ولم يؤمن به.

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق سوء الظن بالله –جل وعلا–، بين في هذا الباب أن سوء الظن من إنكار القدر، وبالتالي فإن المصنف –رحمه الله– بين في هذا الباب ما يؤول إليه سوء الظن من إنكار القدر، والعذاب الشديد على منكريه، فأورد المصنف رحمه الله أحوال منكري القدر وأنواع الوعيد والعذاب الشديد عليهم، يقول الشيخ صالح آل الشيخ:

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٣٧٧/٢)

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٢٤٨)

"ومناسبة هذا الباب للذي قبله: أن إنكار القدر سوء ظن بالله - جل وعلا - ويكون هذا الباب كالتفصيل لما اشتمل عليه الباب الذي قبله" (١).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وقال ابن عمر:" والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر "، ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "(٢). رواه مسلم" (٣).**

أورد المصنف رحمه الله هذا الأثر والذي يتكلم عما أراده المصنف من هذا الباب، فمناسبته للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، فمن لم يؤمن به لم يكن مؤمنا، وإنما يعتبر كافرا، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "إذا تبين هذا، فوجه استدلال ابن عمر بالحديث من جهة أن النبي صلى الله عليه وسلم عد الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فمن أنكره لم يكن مؤمنًا، إذ الكافر بالبعض كافر بالكل، فلا يكون مؤمنًا متقيًا، والله لا يتقبل إلا من المتقين" (٤)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر" (٥)، فدل الحديث على كفر منكري القدر، وهذا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٤٩)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٦/١) برقم (٨) (كتاب الإيمان)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٦١٦)

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٨٦)

(٥) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

ظاهر المناسبة، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "حيث دل الأثر على كفر منكري القدر، وذلك لأن إنكار القدر شرك مع الله في الربوبية" (١).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن منكري القدر تحبط أعمالهم، ولا تقبل منهم، فقد بين ابن عمر -رضي الله عنه- عدم قبول ما ينفقه ولو كان ما ينفقه مثل جبل أحد ذهبا، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله-: "فهذا دليل على أن إنكار القدر يحبط الأعمال، فهؤلاء لما أنكروا القدر أبطل الله أعمالهم، فلو أنفق أحد منهم ما يملك في سبيل الله ما قبل الله منه" (٢)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الثالثة: إحباط عمل من لم يومن به" (٣).

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة "يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من مات على غير هذا فليس مني "(٤)، وفي رواية لأحمد:" إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة ما هو كائن إلى يوم القيامة"(٥)، وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – :" فمن لم**

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٣٣)

(٢) السبك الفريد (٢/٤٨٤).

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

(٤) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٦٢) برقم: (٤٧٠٠) (كتاب السنة، باب في القدر)

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٣٦٢) برقم: (٢٣١٤٥) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه)

يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار "[1]" [2].

أورد المصنف رحمه الله هذه الآثار والتي تظهر مناسبتها من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان كيفية وطريقة الإيمان بالقضاء والقدر، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: "وقد بين عبادة في هذا الحديث كيفية الإيمان بالقدر: أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه... والمعنى: أن العبد لا يؤمن حتى يعلم أن ما يصيبه إنما أصابه في القدر، أي: ما قدر عليه من الخير والشر، لم يكن ليخطئه، أي: يجاوزه فلا يصيبه، وإنما أخطأه من الخير والشر في القدر، أي: لم يقدر عليه، لم يكن ليصيبه" [3]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الثانية: بيان كيفية الإيمان به" [4].

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان الوعيد الشديد على من أنكر القضاء والقدر، فمن أنكر القضاء والقدر، فهو ليس من ملة محمد -ﷺ-، وأن الله -جل وعلا- سيحرقه بالنار، وذلك لكفره، أو لأجل بدعته إن كان يقر بعلم الله السابق، وينكر خلق أفعال العباد، فصاحب البدعة متعرض للوعيد، وهذا دليل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر [5]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "السابعة: براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به" [6].

رابعا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن منكري القدر لن يجدوا ما يجده من آمن بالقدر من طعم الإيمان وحلاوته، فهو وعيد في الدنيا قبل الآخر، وعقاب له بحرمانه من ذلك، يقول

---

(١) رواه ابن وهب في كتاب القدر (٤٥) برقم (٢٦).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣١٦-٣١٨)

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ١٣٩٣)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله (٢/ ١٤٠٠)

(٦) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

الشيخ عبد الله الغنيمان -حفظه الله-: "فمعنى ذلك أن الإيمان له طعم وأنه قد يوجد وقد لا يوجد، فبعض الناس يجده، وبعضهم لا يجده... يعني حلاوة الإيمان وحلاوة طاعة الله والأنس به واللجوء إليه؛ فيكون الإنسان مطمئنا وفرحا بذلك..." (١)، فمنكري القدر لا يجدون ذلك، بل هم على العكس من ذلك، من عدم الاطمئنان والفرح، ووجود الاضطراب والقلق، فكان ذلك عقابا لهم في الدنيا، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الرابعة: الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به" (٢)، فإذا رجع منكر القدر عن إنكاره، وآمن بالله حقا، فإنه يجد ذلك.

خامسا: أراد المصنف بيان أن منكري القدر إنما أنكروا ما هو مكتوب ومقدر قبل خلق السماوات والأرض، فمن أنكر القدر، فقد أنكر ذلك كله، وهذا كفر صريح، وشرك في ربوبيته -جل وعلا-، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الخامسة: ذكر أول ما خلق الله، السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة" (٣)، فمن أنكر القدر، فإنه أنكر ما سبق بعلم الله -جل وعلا-، وأنكر القلم الذي خلقه الله -جل وعلا- لكتابة مقادير كل شيء، ولا شك أن ذلك كفر وشرك وتكذيب وإنكار لما خلق الله -جل وعلا- وأوجد، فهو شرك مع الله -جل وعلا- في الربوبية (٤).

- **قال المصنف -رحمه الله-: "وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي: قال: أتيت أبي بن كعب فقلت:" في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير**

---

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد (١١٦٦/٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

(٤) انظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٣٦)

هذا لكنت من أهل النار ".

قال: فأتيت عبد الله بن مسـعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. (١) **حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه"** (٢).

أورد المصنف رحمه الله هذا الأثر وتظهر مناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أن المصنف رحمه الله أراد بيان أنه قد يحصل للإنسان شيء من ذلك، كما حصل للصحابة -رضي الله عنهم-، وبين الطريقة الصحيحة لرد ذلك وإزالته من قلبه، وذلك بالتأسي بما فعله الصاحبة -رضي الله عنهم- واتفقت أجوبتهم عليه، وهو بيان الحديث السابق ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي فيه تهديد لمن أنكر القدر، وبيان لكيفية الإيمان به.

ثانيا: أراد المصف رحمه الله بيان أن الإيمان بالقدر يكون بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فالصحابة -رضي الله عنهم- لما جاءت شبهة القدر، أزالوها بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذه هي طريقة السلف -رحمهم الله-، حيث إنهم يزيلون الشبه بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويسلموا له ويؤمنوا به، فيجب على المسلم أن يسلم لما أخبر به الله -جل وعلا- في كتابه وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، حتى لا يقع فيما وقع به منكري القدر، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال

---

(١) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (١٠ / ٢٠٤) برقم: (٢٠٩٣٣) (كتاب الشهادات، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء) وأحمد في "مسنده" (٩ / ٥٠٥٠) برقم: (٢١٩٩٠) (مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه) والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٢٥)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٦١٨)

العلماء، التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط" [1].

(١) كتاب التوحيد (ص:٣١٩)

المبحث الثاني والعشرون: باب ما جاء في المصورين.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب ما جاء في المصورين" [1]، ويحتوي على أربعة أحاديث وأثر واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في المصورين) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٠)

المطلب الأول: **مناسبة باب ما جاء في المصورين للباب السابق**.

أتى المصنف رحمه الله بهذا الباب في كتاب التوحيد، ففيه شرك مع الله -جل وعلا- في الخلق والتصوير، فمن صور شيئا فقد صار مضاهيا لخلق الله -جل وعلا-، فوقع في الشرك؛ لأنه زاحم الخالق -جل وعلا- في خصائصه، فالخلق من خصائص الله -جل وعلا-، فمن تعظيم الله -جل وعلا- أن يعظم العبد خلقه، فلا يزاحمون في خلقه وإيجاده، وذلك بتقليد الخلقة الربانية، بمحاولته أن يخلق أو يمثل مخلوقات الله -جل وعلا-، ولهذا أورد المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "ومناسبة هذا الباب للتوحيد: أن في التصوير خلقا وإبداعا يكون به المصور مشاركا لله في ذلك الخلق والإبداع" (١)، ثم إن التصوير سبب من أسباب الشرك ووسيلة من وسائله، فمن وذلك كفعل قوم نوح لما صوروا صور الصالحين، ونصبوها في مجالسهم ثم آل بهم الأمر إلى عبادتها من دون الله -جل وعلا-، فأراد المصنف رحمه الله بيان سبب أول شرك وقع على الأرض وهو التصوير، ولهذا أدخل في كتاب التوحيد (٢).

ومناسبة هذا الباب لما قبله تظهر من عدة أمور:

أولا: لما تكلم المصنف رحمه الله عن الإيمان بالقدر وبين حال منكري القدر في الباب السابق والوعيد وعقوبة من نازع الله -جل وعلا- في قدره بشكل عام، بين في هذا الباب الوعيد الشديد لمن تشبه بصفة من صفات الله -جل وعلا- وهي صفة الخلق، فمن صور الصور، فقد شابه الله -جل وعلا- في تصويره الذي هو داخل في مرتبة من مراتب القدر، وهي مرتبة الخلق، فأفرده المصنف رحمه الله لكثرة وقوعه بين العباد، فيكون ذلك شرك (٣).

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٣٥)

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ٢٦٢)، السبك الفريد، لعبد الله بن جبرين (٤٩٣/٢)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٥٥٦-٥٥٧).

(٣) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٦٧)

ثانيا: لما تكلم المصنف رحمه الله في الباب السابق عن صفة التقدير وهي من صفات الله -جل وعلا- وبين عدم الأدب مع الله -جل وعلا- فيها، بين صفة أخرى وهي صفة الخلق، وبين كيفية عدم الأدب مع هذه الصفة والتي هي من صفات الله -جل وعلا-، ومن أسمائه أيضا، المصور، فمن صور تلك الصور فقد شابه الله -جل وعلا- في التصوير والخلق والإيجاد وضاها الله -جل وعلا-، وجعل لله -جل وعلا- الأنداد، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: وهذا من فروع الباب السابق أنه لا يحل أن يجعل لله ندا في النيات والأقوال والأفعال، والند المشابه ولو بوجه بعيد. فاتخاذ الصور الحيوانية تشبه بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه "[1].

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

ورد تحت هذا الباب خمسة أحاديث، أربعة تتحدث عن عذاب المصورين الذين يضاهئون خلق الله والحديث الخامس يوضح كيفية إزالة الصور والقبور المرفوعة عن الأرض بشكل بارز عن القبور الأخرى [2].

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة" [3]. أخرجاه "**[4].

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٨٠)

(٢) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد، الجندول (ص: ٢٧٤)

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٦١) برقم: (٧٥٥٩) (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون) ومسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦٢) برقم: (٢١١١) (كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٢٠)

أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي تظهر مناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان تحريم التصوير وظلم المصورين، فلا أحد أظلم منهم، وهذا وعيد شديد بظلم من يصور الصور، يقول الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله-:" ودلالة الحديث ما فيه من التهديد والوعيد الشديد بأن من حاول أو أراد مضاهاة خلق الله بهذه التصاوير فهو من أظلم الظالمين، وقد قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾]البقرة: ٢٥٤] "[١]، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" دل الحديث على تحريم التصوير... حيث حرم الحديث التصوير؛ لأن فيه مشابهة لخلق الله، وذلك شرك مع الله في ربوبيته "[٢]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الأولى: التغليظ الشديد في المصورين "[٣].

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن هذا العمل من عدم الأدب مع الله -جل وعلا- وذلك بأن يتشبه الإنسان بما هو من خصائص الله -جل وعلا- ويجعل له ندا وشريكا في الخلق والتصوير، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" أما المعنى هو قوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»، فسبب الظلم أن العبد اعتدى، فأراد أن يخلق كخلق الله - جل وعلا - والمقصود بذلك أن يصور كتصوير الله - جل وعلا — لخلقه "[٤]، وقد بين المصنف رحمه الله هذه المناسبة، فقال -رحمه الله-:" الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله لقوله: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي" "[٥].

ثانيا: ان فيه تحد وتعجيز لمن صور الصور، فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة، لن يستطيعوا ذلك، يقول الشيخ حمد بن عتيق -رحمه الله-:" قوله: "فليخلقوا ذرة" ، هذا تعجيز أي فليخلقوا

---

(١) السبك الفريد (٢/٢٩٥).

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٤١)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٢١)

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٥٨)

(٥) كتاب التوحيد (ص:٣٢١)

ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي خلقها الله... "[1]، وفيه بيان قدرة الله -جل وعلا- وعلا وعجز أولئك المصورين، وقد بين المصنف رحمه الله هذه بقوله:" الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم، لقوله: "فليخلقوا ذرة أو شعيرة" "[2]، فتحداهم الله -جل وعلا- بما فيه روح من أصغر خلقه، وهي ذرة واحدة، ثم بما لا روح فيه من صافي نباته، وهي الحبة، ثم بما لا صفاء فيه ولا روح من نباته وهي شعيرة واحدة [3].

- **قال المصنف -رحمه الله-:" ولهما عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله" .**

ولهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم" [4]، ولهما عنه مرفوعا: "من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ" [5] "[6].

مناسبة هذه الأحاديث للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أورد المصنف رحمه الله هذه الأحاديث التي فيها وعيد وتهديد، فالمصورون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة، وأنهم يجعل لهم أنفس بقدر ما صوروا، ويكلفون بالنفخ فيها يوم

---

(١) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٨٥)، وهذا الكتاب إنما هو اختصار لكلام الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- وقد توقف الشيخ سليمان -رحمه الله- عند نهاية الباب السابق، وقد سبق التعريف بالشيخ -رحمه الله-.

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٢١)

(٣) انظر: فتح الحميد، لعثمان بن منصور (١٩٣٧/٤)

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦١) برقم: (٢١١٠) (كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة)

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ / ١٦٢) برقم: (٢١١٠) (كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة)

(٦) كتاب التوحيد (ص:٣٢٠)

القيامة، ولا شك أن أنواع العذاب المذكور يدل على خطر التصوير، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله في حديث ابن عباس الثاني:" وهذا وعيد شديد وتكليف ما لا طاقة له به؛ جزاء وفاقا على ما صنع، حيث تلبس في الدنيا ما لا يستطيع صنعه، فكيف حال هذا المكلف بهذا التكليف مع ما هو فيه من العذاب على تحصيل ذلك المحال عليه... "(1)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى أنواع الوعيد في مسائله بقوله:" الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابا، الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها في جهنم، السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح "(2).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان سبب التصوير وعلته، وهو أن فيه مضاهاة لخلق الله – جل وعلا–، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن –رحمه الله–:" وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من العلة: وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة... فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهئا لخلق الله. فصار ما صوره عذابا له يوم القيامة، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، فكان أشد الناس عذابا؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب "(3).

ثالثا: أن ما سبق بيانه من الوعيد الشديد على المصورين في الأدلة بمجموعها، هو دليل على تحريم التصوير لذوات الأرواح، ولا شك أن المصنف رحمه الله أراد الإشارة إلى ذلك أيضا، من خلال ذكر هذه الأدلة لبيان أين يكون الوعيد، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على تحريم التصوير(4)... مناسبة الحديث للباب: حيث دل

(1) فتح الحميد (١٩٤٠/٤)

(2) كتاب التوحيد (ص:٣٢١-٣٢٢)

(3) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٦٨)

(4) وهو عند ذكره لمناسبة الحديث الأول.

الحديث على تحريم التصوير لذوات الأرواح [1]. "[2]، يقول الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله– :" وتتلخص أنواع الوعيد التي وردت في حق المصور فيما يلي: أنه لعنه صلى الله عليه وسلم أنه أشد النّاس ظلماً، أنه أشد النّاس عذاباً، أنه يجعل له بكل صورة صوّرها نفس يعذب بها في النار، أنه يكلّف نفخ الروح بكل صورة صوّرها ويقال له: أحي ما خلقت؟ "[3].

- **قال المصنف –رحمه الله–:" ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي رضي الله عنه: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته"** [4] "[5].

أورد المصنف رحمه الله هذا الأثر والذي تظهر مناسبته للباب من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف بيان أن التصوير هو كالبناء على القبور من حيث أنهما يؤولان إلى الشرك، ولهذا فإن عليا –رضي الله عنه– أمر بإزالة هذه الوسائل، يقول الشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله–:" ومناسبة ذكر القبر المشرف مع الصور:

أن كلا منهما قد يتخذ وسيلة إلى الشرك، فإن أصل الشرك في قوم نوح أنهم صوروا صور رجال صالحين، فلما طال عليهم الأمد عبدوها، وكذلك القبور المشرفة قد يزداد فيها الغلو حتى تجعل أوثانا تعبد من دون الله... "[6]، فأصل الشرك إنما هو من نصوير الصور والبناء على

---

(١) وهو عند ذكره لمناسبة الحديث الثاني والثالث.

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٤٢، ٤٤٤–٤٤٥)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٦٧)

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣ / ٦١) برقم: (٩٦٩) (كتاب الجنائز، باب الْأمر بتسوية القبر)

(٥) كتاب التوحيد (ص:٣٢١)

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٤٩)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٥٦٠–٥٦١)، وقد أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن –رحمه الله– إلى قريب من هذا المعنى انظر: فتح المجيد (ص: ٤٦٨)

القبور، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-:" فإن أصل الشر ناشئ من تعظيم القبور وتصوير صور أهلها، وجعلها تماثيل، حتى طال عليهم الأمد فعبدت من دون الله تعالى "(١).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان الطريقة التي تجب على كل من علم صورة أن يقوم بالإنكار حسب ما يستطيعه من الإنكار، فلابد من الإنكار حسب استطاعة الشخص، يقول الشيخ سليمان الحمدان -رحمه الله-:" فدل هذا الحديث على إتلاف الصورة لمن قدر على إتلافها، وإزالتها لمضاهاتها لخلق الله، وطمسها إن كانت غير مجسمة "(٢)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت "(٣).

(١) فتح الحميد (١٩٤٧/٤).

(٢) الدر النضيد على أبواب التوحيد (ص: ٤٠٦)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٢٢)

المبحث الثالث والعشرون: باب ما جاء في كثرة الحلف.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب ما جاء في كثرة الحلف "[1]، ويحتوي على آية وأربعة أحاديث وأثر واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في كثرة الحلف) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٣)

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في كثرة الحلف للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد؛ ليبين أن العبد لابد له من تعظيم الله -جل وعلا-، فكثرة الحلف تقتضي أنه ليس في قلب الحالف تعظيم الله -جل وعلا-، فتعظيم الله -جل وعلا- من كمال التوحيد، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث، مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه "[1].

ومناسبته لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: أن هذا الباب هو كالأبواب السابقة يدل على وجوب احترام أسماء الله -جل وعلا- وتعظيمها والأدب معها.

ثانيا: لما بين المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة التدرج في التحريم من عدم الأدب مع أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، أتى بهذا الباب والذي يدل على أمر قد شرعه الله -جل وعلا- وهو الحلف به -جل وعلا- وأن الحلف به من تعظيمه، وبين أن كثرة الحلف به -جل وعلا- هو من عدم تعظيمه -جل وعلا-، فلا يصار إليه الإنسان إلى لما يحتاجه لذلك، فلما بين المصنف رحمه الله الأدب مع الله -جل وعلا- في عدم الوقوع في ما حرم الله -جل وعلا- مما سبق بيانه والتي تدل على عدم الأدب معه -جل وعلا- بين شيئا من المكروهات التي كثرتها تؤول إلى عدم الأدب معه -جل وعلا- أيضا، وأن ذلك قدح في التوحيد الواجب أو عدمه، فهذا الباب والأبواب بعده إنما هو لبيان الأدب مع الله -جل وعلا- بعدم التجاوز فيما شرعه الله -جل وعلا- ولم يحرمه.

---

[1] فتح المجيد (ص: ٤٧٥)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٤٥٤)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، لصالح الفوزان (٢/ ٢٧٠)

ثالثا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق وجوب تعظيم أسماء الله -جل وعلا-، فلما بين المصنف في الباب السابق أن مما يقدح في التوحيد هو صناعة الصور ولو كانت لغرض دنيوي، كاستعمالها في البيوت كما دل له حديث عائشة في الباب السابقة، او في التجارة كما دل عليه حديث ابن عباس في الباب السابق أيضا؛ بين في هذا الباب أن مما يقدح في التوحيد، الحلف بأسمائه من أجل تحقيق أغراض دنيوية كالبيع والشراء وغيرها [1].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾** [2]. "[3].

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية والتي تدل على الحلف بالله -جل وعلا-، فالواجب على العبد أن يحفظ يمينه بالتكفير، وعدم الإكثار منها، يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-:" قوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي بالبدار إلى ما لزمكم من الكفارة إذا حنثتم. وقيل: أي بترك الحلف، فإنكم إذا لم تحلفوا لم تتوجه عليكم هذه التكليفات "[4]، والآية تحتمل أكثر من معنى، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله في معنى الآية:" بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر، وقيل: تبروا فيها ما استطعتم، ويُفَتْ بها خير، وقيل: بأن تكفروها إذا حنثتم، والآية تحتمل ذلك كله؛ إذ هذا كله من حفظانها "[5]، فيدخل فيها كثرة الحلف بالله -جل وعلا-.

ومناسبتها للباب تظهر من عدة أمور:

---

(١) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٧٩)

(٢) سورة المائدة:٨٩.

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٢١)

(٤) تفسير القرطبي (٦/ ٢٨٥)

(٥) فتح الحميد (٤/١٩٤٩)

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن الله أمر بحفظ اليمين، ومن حفظها عدم الإكثار من الحلف بالله -جل وعلا- هو من حفظ اليمين، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-:" ولهذا جاء المؤلف بها في هذا الباب؛ لأن من معنى حفظ اليمين عدم كثرة الحلف... "(١)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الأولى: الوصية بحفظ الأيمان "(٢).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن من كثر حنثه إنما هو بسبب كثرة حلفه، وهذا استخفاف بجناب الله -جل وعلا- وعدم الأدب مع أسمائه -جل وعلا-، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث، مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه "(٣).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب" (٤). أخرجاه، وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أُشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه" (٥). رواه الطبراني بسند**

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٥٥)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٢٤)

(٣) فتح المجيد (ص: ٤٧٥)

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٦٠) برقم: (٢٠٨٧) (كتاب البيوع، باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات) ومسلم في "صحيحه" (٥ / ٥٦) برقم: (١٦٠٦) (كتاب البيوع، باب النهي عَنْ الحلف فِي البيع)

(٥) رواه الطبراني في معجمه الكبير (٦/٢٤٦) برقم (٦١١١) والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٣)

صحيح "[١].

مناسبة الحديثين للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان ما يفعله كثرة الحلف، بخلاف قصد فاعله، فكثرة الحلف توجب الخسارة في الدنيا قبل الآخرة، فلما كان قصد الحالف جمع المال، عوقب بنقيض قصده، يقول الشيخ حمد بن عتيق -رحمه الله-:" قوله: "منفقة للسلعة" ، أي مظنة لنفاقها، وهو ضد كسادها، قوله: "ممحقة للكسب" ، أي مظنة للمحق، وهو النقص والمحو والنقص والإبطال "[٢]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة "[٣].

ثانيا: أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث والذي يتكلم عن الحلف في البيع؛ لأن غالب الناس يصدق الحالف في بيعه، ويعتقدون به صحة ما قال، فلما بين في باب سابق وجوب قبول من حلف بالله -جل وعلا- بين في هذا الحديث أن الحلف بالله من غير حاجة هذا هو مآله ومصيره [٤]، يقول الشيخ محمد القرعاوي:" مناسبة الحديث للباب: حيث دل الحديث على تحريم الإكثار من الحلف لغير سبب... حيث حرم الحديث الإكثار من الحلف؛ لأن ذلك تنقص لتعظيم الله، وذلك ينافي التوحيد "[٥].

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن الحلف هذا هو فعله فيمن استعمله في التجارة، وغالب من يبيع يكثر عنده الحلف بالله -جل وعلا- لكثرة ما يلقى من الناس ممن يريد منه ما يحتاجه من السلع، ففيه التحذير من كثرة الحلف، ومن كل شيء يؤول إلى كثرة الحلف، كالبيع

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٣)

(٢) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٨٨-٢٨٩).

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٢٥)

(٤) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين (٢/٥٠٦)

(٥) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٥٢)

والشـراء، يقول الشـيخ محمد بن عيمين رحمه الله عند كلامه عن حديث سـلمان -رضي الله عنه-:" مناسـبة الحديث للباب: أن من جعل الله بضـاعته؛ فإن الغالب أنه يكثر الحلف بالله -عز وجل- "[1].

رابعا: بين المصـنف عقوبة من يكثر من الحلف بالله -جل وعلا- في بيعه وشـرائه، فهو من الثلاثة الذي ذكره النبي صـلى الله عليه وسـلم في الحديث، وهذا يدل على عظيم المعصـية التي فعلوها، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" لما عظم ذنبهم، عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات "[2]. وقد أشـار المصـنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بها "[3].

خامسـا: أراد المصـنف رحمه الله بيان أن سـبب كثرة الحلف هو التهاون، فالحلف بالبيع والشـراء من عدم تعظيم الله -جل وعلا- والأدب مع أسمائه، يقول الشـيخ صـالح الفوزان -حفظه الله-:" ومحلّ الشّاهد هو الجملة الأخيرة "ورجلٌ جعلَ الله بضاعَتَه، لا يشتري إلاّ بيمينه ولا يبيع إلاّ بيمينِه" ، فهو يُكثر من الحِلف بالله تهاوُناً، فكان جزاؤه هذه العقوبات الثلاث.. "[4]، فكثرة الحلف في البيع والشـراء هو من علامة ضـعف الإيمان، يقول الشـيخ عثمان بن منصـور -رحمه الله- :" وهذا لا يكون إلا من ضـعف الإيمان واليقين، وقوة الجهل بعظمة الله تعالى وكبريائه -جل وعلا-، وذلك قدح في التوحيد، واستهانة برب العبيد... "[5].

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين**

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٦٣)

(٢) فتح الحميد (ص: ٤٧٧).

(٣) كتاب التوحيد (ص:)

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٧٥)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٥٦٦)

(٥) فتح الحميد (٤/١٩٥٥)،

يلونهم. قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا، ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن" [(١)]**، وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته" . قال إبراهيم: ((كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار))**[(٢)] "[(٣)].

مناسبة الحديثين والأثر للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: بين المصنف أن الخيرية تذهب عمن سبقت شهادته يمينه، ومن طلب الشهادة على شيء قبل أن تطلب منه، وهذا يدل على التهاون في أمر الشهادة، فلما قل الاهتمام وحصل التهاون؛ عظمة العقوبة، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي "[(٤)]. والغالب أنه يكون مع الشهادة حلف يمين، ولهذا أتى المصنف رحمه الله بهذه الأدلة مجتمع، لتدل على التحذير من الإكثار من الحلف، الذي هو من لوازم الشهادة، يقول الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله-:" فهذا دليل على استخفافهم بالشهادة ومسارعتهم إليها لقلّة دينِهم وقلّة أمانتهم، لأنّ الشّاهد يجب عليه أن يكون أميناً في شهادته ولا يشهد إلاّ بالحق... فيكون فيه مطابقة للترجمة وهي قول الشيخ رحمه الله: "باب ما جاء في كثرة الحلف" لأنّ الشهادة حلف،... وهذا يتضمّن كثرة شهاداتهم، لأنّهم ما داموا أنهم

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٢) برقم: (٣٦٥٠) (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٣) برقم: (٣٦٥١) (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٢٤)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٢٥)

مستعدِّين للشهادة؛ فهذا دليلٌ على أنّهم ليس عندهم تمنُّع، فتكثُر شهاداتهم، وكثرة شهاداتهم دليلٌ على استخفافهم بالشهادة، وإلاّ فالشّاهد الحقّ لا يشهد إلاّ إذا طُلبت منه الشهادة واحتِيج إليها فحينئذ يشهد "[1].

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن كثرة الحلف مذموم؛ لأجل هذه الأدلة، ففيها ذم كثرة الشهادة وكثرة الحلف؛ لأن هذا يدل على عدم المبالاة بأمر الشهادة واليمين، فيكون ذلك استخفاف بهما ومنقص للتوحيد [2]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون... السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون "[3].

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان حال التابعين وحرصهم على تعليم صبيانهم، بعدم الإكثار من ذلك، والتهويل من الأمر، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد "[4].

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٧٨)

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٨١)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٢٥)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٢٥)

المبحث الرابع والعشرون: باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله:" باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه "[1]، ويحتوي على آية وحديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٦)

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه للباب السابق.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد؛ فإن عدم الوفاء بعهد الله تنقص له وهذا يقدح في التوحيد، يقول الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله–:" مناسبة هذا الباب لكتاب التّوحيد: أن نقض العهود فيه نقصٌ في التّوحيد، لأنّه يدلّ على عدم احترام عهدِ الله، ومن لم يحترم عهد الله، فإنّ هذا يدلّ على نقص توحيده، ومن وفى بعهد الله وعظم عهد الله فهذا يدلُّ على كمال توحيده. هذا وجه المناسبة "(١)، ثم إن فيه وجوب تعظيم الله –جل وعلا– ورسوله صلى الله عليه وسلم في العهود والمواثيق، يقول الشيخ صالح آل الشيخ –حفظه الله–:" هذا باب عظيم من الأبواب الأخيرة في هذا الكتاب، وهو "باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه – ﷺ –" ... وهذا لأجل تعظيم الرب – جل وعلا – وتعظيم رسوله –ﷺ، فإن تعظيم الله – جل وعلا – في مناجاته وفي سؤاله، وفي العبادة له – جل وعلا – وفي التعامل مع الناس، هذا كله من كمال التوحيد... "(٢)، فمن لم يعظم الله –جل وعلا– في العهد والميثاق، فذلك دليل على قلة معرفته بالله –جل وعلا–، وبالتالي يكون من القوادح في التوحيد الواجب أو كله، فيجب على العبد ألا يقدم على شيء ويضيفه إلى الله –جل وعلا– حكما إلا بدليل قاطع يدله على ذلك، وإلا كان ذلك دليلا على ضعف توحيده (٣).

وأما مناسبته لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: لما بين المصنف رحمه الله في الباب السابق وجوب تعظيم الله –جل وعلا– وعدم الإكثار من الحلف به، بين في هذا الباب وجوب تعظيم الله –جل وعلا– أيضا، واحترام رسوله

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٨٥)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٤٧٧)

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٦٨).

(٣) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان (١٢٠١/٢)

صلى الله عليه وسلم وذلك بعدم جعل ذمة الله -جل وعلا- وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم بينه وبين من يعاهد بل يجب أن يجعل ذمته هو.

ثانيا: لما بين في الباب السابق تعظيم الله -جل وعلا- في التعامل مع الناس، بين في هذا الباب نوعا آخر من أنواع التعامل مع الناس، في الأمور العسيرة كالجهاد، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" وهذا الباب من جهة التعامل مع الناس، كما جاء في الباب الذي قبله، فالباب الذي قبله وهو "باب ما جاء في كثرة الحلف" متعلق بتعظيم الله - جل وعلا - حين التعامل مع الناس، و"باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه" متعلق بالتعامل مع الناس في الحالات العسرة الصعبة، وهي حال الجهاد، فنبه بذلك على أن تعظيم الرب - جل وعلا - يجب أن يكون في التعامل ولو في أعصب الحالات، وهي الجهاد، فإن العبد يكون موقرا لله تعالى مجلا له، معظما لأسمائه وصفاته، ومن ذاك أن يعظم ذمة الله وذمة نبيه "(١).

ثالثا: لما ذكر في الباب السابق أن من تعظيم الله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته ألا يكثر من الحلف بها في التعامل مع أفراد الناس، بين في هذا الباب أن من تعظيمها ألا يعطى عهد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وذمتهم، ولو كان ذلك في العهود بين الجماعات؛ خوفا من عدم الوفاء بها، فينسب النقص إلى الله -جل وعلا- (٢).

رابعا: لما كان هناك تشابه بين الحلف والأيمان والعهود ناسب أن يذكر العهود بعدها، ففي الباب السابق بين حفظ الأيمان، وفي هذا الباب نهى عن نقض العهود، والحلف عهد بين العبد وربه (٣).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٦٩)

(٢) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٩٣).

(٣) انظر: مغني المريد، لعبد المنعم إبراهيم (٣٢٠٧/٨)

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾الآية "**(١).

أورد المصنف رحمه الله هذه الآية والتي تتلكم عن عهد الله -جل وعلا- ووجوب الإيفاء به، يقول الإمام الطبري -رحمه الله -:" يقول تعالى ذكره: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه (**عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**) يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها... وقوله (وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ) يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض "(٢).

ومناسبتها للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان أهمية العهد بين العبد وربه إذا عاهد العبد ربه، وهو عام في كل عهد، مما يدل على عظم أمر من يجعل عهد الله وذمته بينه وبين خلقه، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله -:" ومراد المصنف -رحمه الله - ما يجري بين الناس من الذمة أنه يجب الوفاء بذلك، وهو فرد من أفراد معنى الآية، فإنها دالة على وجوب الوفاء بذلك "(٣)، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" فيجب الوفاء بالعقد والوفاء باليمين تعظيما لحق الله - جل وعلا -؛ لأن من أعطى اليمين بالله، فإن معناه أنه أكد وفاءه بهذا الشيء الذي

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٦)

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٨١)

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٨٢)

تكلم به، أكد ذلك بالله -ﷻ -، فإذا خالف وأخفر فمعنى ذلك أنه لم يعظم الله -ﷻ - تعظيما خاف بسببه من أن لا يقيم ما يجب لله - جل وعلا - من الوفاء باليمين "(١).

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله النهي عن إخفاء العهد ونقضه من غير سبب، ووجوب الوفاء بالعهد فالآية دلت على النهي عن نقض العهود والذمم، يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله-:" فهذه الآية فيها شاهدٌ واضح للترجمة وهي: النّهي عن إخفاء العهد ونقض العهد من غير مسوغ ومن غير سبب يقتضي ذلك "(٢).

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن بريدة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرا، فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال - أو خصال -: فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم المسلمين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة**

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٧٠)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٨٦)، وانظر: إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، لحمد بن عتيق (٢٩٣)، القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٤٧٦)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، للقرعاوي (ص: ٤٦١)

نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم، وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا" [(١)] رواه مسلم "[(٢)].

مناسبة هذا الحديث للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله تحريم أن يجعل العبد ذمة الله وذمة رسوله بينه وبين غيره تعظيما لذمة الله -جل وعلا- وذمة رسوله -ﷺ-، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" والحديث ظاهر الدلالة على ما ذكرنا، ففيه تعظيم الله -جل جلاله- بأن لا يعطي العبد الناس بذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم، بل أن يعطي بذمته هو "[(٣)]، وهذا ظاهر الدلالة على الباب، فنص الترجمة مأخوذة من هذا الحديث.

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان العلة والسبب من تحريم ذلك، وهو خوفا من ألا يوفي العبد بالعهد، فيكون ذلك قدحا في الله -جل وعلا- ورسوله، والله منزه عن ذلك، فأراد المصنف بيان أن ذمة الله -جل وعلا- وذمة رسوله ليست كباقي الذمم، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-:" فكأنه يقول: إن وقع نقض من متعد معتد كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى. والله أعلم "[(٤)]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ١٣٩) برقم: (١٧٣١) (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٢٦-٣٢٨)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٧٠)

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٨٤)

مسائله بقوله:" الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وبين ذمة المسلمين... الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرا "(١).

وقد أشار الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-، والشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- إلى مناسبة أخرى (٢)، وهي قوله،" ولا تغدروا "، مما يدل على أن العهد أمره عظيم، فلا تجوز الخيانة به ونقض العهد، ولعل هذه مناسبة لكن الذي يظهر للباحث أن المصنف إنما أراد تعظيم الله - جل وعلا- بعدم جعل ذمته بين العبد وغيره من الخلق، وبيان العلة في ذلك، ولذلك أورد الحديث، والله أعلم.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٨)

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٤٨٠)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٢٩١)

المبحث الخامس والعشرون: باب ما جاء في الإقسام على اللّه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله:" : باب ما جاء في الإقسام على الله "[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في الإقسام على الله) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٢٩)

المطلب الأول: **مناسبة باب ما جاء في الإقسام على الله للباب السابق**.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد، والذي يدل على وجوب الأدب مع الله -جل وعلا- بعدم الإقسام عليه، فإن الإقسام على الله -جل وعلا- والحلف عليه، سوء أدب مع الله، وعدم حسن الظن به -جل وعلا- وهذا ينافي كمال التوحيد، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-:" مناسبة الترجمة لكتاب التوحيد: أن من تألَّى على الله عز وجل فقد أساء الأدب معه وتحجر فضله وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد؛ فالتالي على من هو عظيم يعتبر تنقصا في حقه "[1]، ثم إن من أقسم على الله كأنه ادعى علم الغيب بقسمه، وهذا ينافي كمال التوحيد، وينافي أصله إن اعتقد ذلك، فلا يعلم الغيب إلا الله -جل وعلا- [2].

وأما مناسبته لما قبله فتظهر من عدة أمور:

أولا: لما بين في الباب السابق أن من الأدب مع الله -جل وعلا- عدم جعل ذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم بينه وبين العباد، بين في هذا الباب أن من الأدب مع الله -جل وعلا- أيضا عدم الإقسام عليه.

ثانيا: لما بين في الباب السابق أن من تعظيم الله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته ألا تجعل غرضا لأمر دنيوي، بين الأفراد كما في باب كثرة الحلف بالله، أو الجماعات كما في الباب السابق، بين في هذا الباب غرضا آخر لا يليق بأسماء الله -جل وعلا- وهو من عدم الأدب

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٩٩)، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٣٠١).

(٢) الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد(ص: ٢٥٧)

مع أسمائه وصــفاته، وهو الإقســام على الله -جل وعلا- فيما لا يحق للعبد، كما في الحديث الآتي[1].

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك" رواه مسلم[2]، وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته" [3] "[4].**

قال ابن الأثير -رحمه الله- في معنى التألي:" أي من حكم عليه وحلف، كقولك والله ليدخلن الله فلانا النار ولينجحن الله سعي فلان "[5].

مناسبة هذا الحديث للباب تظهر من عدة أمور:

---

(١) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٧٩٩).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٦) برقم: (٢٦٢١)

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٢٧) برقم: (٤٩٠١) (كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي) وأحمد في "مسنده" (٢ / ١٧٤٠)، قال المنذري في عون المعبود (١٣/ ١٦٧): "في إسناده علي بن ثابت الجزري قال الأزدي ضعيف الحديث وقال أبو حاتم يكتب حديثه وقال ابن معين ثقة وقال أبو زرعة ثقة لا بأس به"، وصححه الألباني في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" (٨/ ٢٢٢).

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٣٢٩)

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٦٢)

أولا: أن هذا الحديث في التحذير من الإقسام على الله وبيان طريقة هذا الإقسام الذي حرمه الله -جل وعلا-، وهو أن تحكم على شخص وتحلف، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:" فيه تحريم الإقسام على الله إذا كان على وجه الحجْر على الله سبحانه وتعالى أن لا يفعل بعباده خيراً، وأنّه مخلٌّ بالتّوحيد "[١]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الأولى: التحذير من التألي على الله "[٢].

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان عقوبة من يقسم على الله -جل وعلا- بإحباط عمله، وذلك يدل على تحريمه، والتحذير منه، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" فهذا الرجل الفاسق أتاه خير من حيث لا يشعر، وقيلت في حقه كلمة بحسب الظاهر أنها مؤذية له، وأن فيها من الاحتقار والازدراء له ما يجعله في ضعة بين الناس، حيث شهد عليه هذا الصالح بقوله: «والله لا يغفر الله لفلان»، فكانت هذه الكلمة التي ساءته وآذته فيها مصلحة عظيمة له بأن غفر له ذنبه "[٣]، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله:" الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله "[٤].

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٠٢)، وانظر: شرح كتاب التوحيد لابن باز (ص: ٢٧٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٣٠)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٧٥-٥٧٦)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٣٠)

المبحث السادس والعشرون: باب لا يستشفع باللّه على خلقه.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصـــنف بقوله:" : باب لا يســـتشـــفع بالله على خلقه"[1]، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب لا يستشفع بالله على خلقه) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

(١) كتاب التوحيد (ص: ٣٣١)

المطلب الأول: **مناسبة باب لا يستشفع بالله على خلقه للباب السابق**.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب والذي له علاقة بالتوحيد، فالاستشفاع بالله على خلقه تنقص به -جل وعلا- فقد جعل مرتبة الله -جل وعلا- أدنى من مرتبة المشفوع إليه؛ فلو كان أعلى مرتبة ما احتاج أن يشفع عنده، بل يأمره أمرا [1]، يقول الشيخ حمد بن عتيق في مختصره:" أي إن ذلك حرام، لأنه الكبير المتعال، فكيف يشفع عند أحد من خلقه؟، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فإن الشافع إنما يشفع عند من هو أعلى منه فهذا من أعظم التنقص لرب العالمين، فلذلك استعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2].

وأما مناسبته لما قبله فمن عدة أمور:

أولا: لما بين في الأبواب السابقة وجوب الأدب مع الله واحترام أسمائه وصفاته، بين في هذا الباب ما يدل على وجوب احترام أسماء الله -جل وعلا- وصفاته والأدب معها، وذلك بعدم الاستشفاع بالله على خلقه، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:" فهذا الباب فيه -كما في الأبواب قبله- ما ينبغي أن يتحرز منه الموحد من الألفاظ التي فيها سوء ظن بالله - جل وعلا - وتنقص لمقام الربوبية لله -ﷻ "[3].

ثانيا: لما بين في الباب قبل السابق أن من تعظيم الله -جل وعلا- وأسمائه وصفاته ألا تجعل غرضا لأمر دنيوي، بين الأفراد كما في باب كثرة الحلف بالله، أو الجماعات كما في باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه -ﷺ-، وبين في الباب السابق غرضا آخر لا يليق بأسماء الله -جل وعلا- وهو من عدم الأدب مع أسمائه وصفاته، وهو الإقسام على الله -جل وعلا- فيما لا يحق للعبد، بين في هذا الباب أيضا غرضا آخر لا يليق بأسماء الله -جل وعلا- وصفاته،

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٥٠٦)

(٢) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٠٠)

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٧٩)

وهو ألا يستشفع بالله وأسمائه وصفاته على المخلوق؛ لأن في ذلك تنقصا لله وسوء أدب معه (١).

ثالثا: لما كان الإقسام على الله -جل وعلا- هو في الحقيقة توسل عند الله -جل وعلا- بأسمائه وصفاته، وهو من التوسل الممنوع، بين في هذا الباب توسلا آخر ممنوعا، وهو أن يتوسل بأسماء الله -جل وعلا- وصفاته عند المخلوق (٢).

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

- **قال المصنف -رحمه الله-:" عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى سول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال، وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" سبحان الله سبحان الله ". فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال:" ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك؛ إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه "(٣). وذكر الحديث رواه أبو داود" (٤).**

مناسبة هذا الحديث للباب من عدة أمور:

---

(١) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٨٠٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٣٦٩) برقم: (٤٧٢٦) والبزار في "مسنده" (٨ / ٣٥٤) برقم: (٣٤٣٢) والطبراني في "الكبير" (٢ / ١٢٨) برقم: (١٥٤٧) وضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ٢٤٤)

(٤) كتاب التوحيد (ص: ٣٣١)

أولا: أراد المصنف رحمه الله بيان عدم الأدب في حق الله -جل وعلا- لمن استشفع بالله على خلقه، فالنبي صلى الله عليه وسلم أنكر على فاعله، يقول الشيخ عثمان بن منصور - ﷺ -: "ولكن السائل في هذا الحديث الذي أورد المصنف رحمه الله أخطأ الأدب مع ربه - جل وعلا-، حيث قال:" فإنا نستشفع بالله عليك "، حتى أرشده سيد البشر صلى الله عليه وسلم بما بين له من عظمة الله وكبريائه -جل وعلا-، بحيث إذا علمها الجاهل علم يقينا أن من هذا جلاله وكبرياؤه وعظمته، لا يستشفع به على خلقه" (١)، حتى قال له النبي -ﷺ-: "ويحك أتدري ما الله، إن شأن الله أعظم من ذلك" ، وهذا يدل على عظيم أمر من قال هذا القول؛ لأنه جعل الله واسطة يتوسط العبد بربه على أحد من الخلق، وهذا مناف لكمال التوحيد (٢).

ثانيا: أن فيه تحريم الاستشفاع بالله على أحد من خلقه، يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله-: "في الحديث دليل على تحريم الاستشفاع بالله على أحدٍ من خلقه، وأنّ هذا يُخِلُّ بالعقيدة وينقِّص التّوحيد، وفيه إساءةُ أدبٍ مع الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي عقد المصنِّف هذا الباب من أجله" (٣)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ما يدل على إنكاره هذا القول وغضبه منه بقوله: "الأولى: إنكاره على من قال" نستشفع بالله عليك "، الثانية: تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة" (٤).

(١) فتح الحميد (٤/٢٠٤٠).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٧٨)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٠٧)، وانظر: الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٧٠: ٤٧١)

(٤) كتاب التوحيد (ص:٣٣٢)

المبحث السابع والعشرون: **باب ما جاء في حماية النبي** صلى الله عليه وسلم **حمى التوحيد وسده طرق الشرك**.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: ": باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك" (١)، ويحتوي على حديث واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك) للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٣٣)

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم **حمى التوحيد وسده طرق الشرك للباب السابق**.

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب والذي دلالته على التوحيد ظاهرة، وهي حماية النبي صلى الله عليه وسلم لحمى التوحيد، وسد الوسائل والطرق التي تؤدي إليه، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص" [(١)].

فلما بين المصنف رحمه الله في باب سابق حمايته لجناب التوحيد وهو الجانب العظيم فيه بين حمى التوحيد، وهو جوانبه واتجاهاته التي يخشى أن يخدش منها، فناسب أن يقول في الأول جناب التوحيد وهو الركن والجانب الذي يستند إليه، ثم هنا حمى التوحيد، يقول الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله في ذلك: "وقد يقال: إن الشيخ رحمه الله كرر هذا الباب؛ حيث قال في ترجمة الباب الحادي والعشرين: باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وليس كذلك، فإن تلك الترجمة أعم وأبلغ في التحذير في عدم المقاربة، وهذه الترجمة أخص، فهناك ترجم على حماية جناب التوحيد، والجناب كما تقدم في اللغة: الناحية، وقال هنا: حمى التوحيد، فهذا اللغظ أخص، وذلك أعم في التحذير بعدم المقاربة، وقال هناك: وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وقال هنا: وسده طرق الشرك، وهذا اللفظ أخص من هناك، فتأمله فإنه ظاهر للمتأمل، وهذا من دقته وفطنته -رحمه الله-، فكأنه أمر بحماية نواحي الحمى، وحذر عن قربانها في تلك الترجمة، ثم خصص بالحض على حماية الحمى نفسه الذي حميت النواحي لأجله، فكيف إذا وصل إلى الحمى المحذور، فإنه لا بقية مع استباحة الحمى والله الموفق" [(٢)].

---

(١) فتح المجيد (ص: ٤٩٢)

(٢) فتح الحميد (٢٠٥٢/٤)

والذي يظهر من خلال قراءتي لمعاني الجناب، أن من معانيها الرعاية والكنف للشيء، فجناب التوحيد هو ما يرعى التوحيد، فحماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد، أي حمايته صلى الله عليه وسلم لما يحفظه ويرعاه، وهذا ظاهر من خلال قراءة أدلة الباب التي تتكلم عن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد، وسده لكل الطرق الموصلة إليه وكذلك أصحابه من بعده.

ويقول الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله — مبينا وجه العلاقة بين البابين، "والتوحيد هو موضوع هذا الكتاب، والمصنف ألف هذا الكتاب مبينا فيه توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة —وهو المقصود بوضع الكتاب وتأليفه-، وبين فيه توحيد الأسماء والصفات —ضمنا-، وبين فيه: ما ينافي التوحيد بالكلية من الشرك الأكبر، وما ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، وبين فيه الذرائع الموصلة إلى الشرك المقربة إليه، وبين فيه البدع القادحة في توحيد العبد، والمعاصي المنقصة لثواب التوحيد، هذا موضوع الكتاب، ولما ذكر هذه الأبواب ذكر:" حماية حمى التوحيد "؛ لأنه آخر الكتاب؛ كأنه يقول لك: ذكرتُ لك التوحيد وما ينافيه بالكلية، وذكرت لك الوسائل الموصلة إلى الشرك، وذكرت لك البدع القادحة في التوحيد، وذكرت لك المعاصي المنقصة لثواب التوحيد، وذكرت لك حماية النبي - صلى الله عليه وسلّم — جناب التوحيد، وها أنا أذكر لك في آخر الأبواب بابا في حماية النبي - صلى الله عليه وسلّم — حمى التوحيد، وسده كل طرق الشرك" (١).

أيضا فإن الشيخ ابن باز رحمه الله ذكر أن القسم الأول هو من باب حمايته الفعلية للتوحيد، وهو الغالب في الأبواب السابقة، وأما القسم الثاني فهو من حمايته القولية للتوحيد، يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عند ذكره لباب حماية النبي صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد: "وجناب الشيء: الجزء منه، وحمى التوحيد: زائد على الجانب، فالثانية أبلغ من الأولى لأن الأولى في الجانب والثانية في الحمى، وهنا ذكر الوسائل الفعلية لحماية التوحيد من الشرك،

---

(١) شرح كتاب التوحيد (ص: ٧٦٠).

وفي باب حماية التوحيد وسد طرق الشرك وسيأتي ذكره فيه الحماية القولية أي حمى التوحيد بالتحذير من الشرك وما يوصل إليه من أقوال وأفعال" (١)، وقد أشار الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله إلى ذلك فقال -رحمه الله-: "تقدم نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماما بالمقام، فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك، والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال" (٢).

ثم إن المصنف رحمه الله حمى التوحيد نفسه من أن يقع به الشرك، فلما حمى التوحيد نفسه من الشرك، حمى ما حوله، يقول الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: "سبق بابٌ يشبه هذا، وهو قول الشيخ رحمه الله هناك:" باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التّوحيد، وسدّه كل طريق يوصِّل إلى الشرك "، فما الفرق بين البابين؟.

الفرق بين البابين: أنّ جناب التّوحيد معناه: جانب التّوحيد، وهنا:" حمى التّوحيد "وفرقٌ بين الجانب وبين الحمى، لأنّ الجانب بعض الشيء، وأمّا الحمى فهو ما حول الشّيء.

فهناك أراد المصنِّف رحمه الله أن يبيّن حماية النّبي صلى الله عليه وسلم للتوحيد نفسه من أن يقع فيه شرك.

وهنا أراد أن يبيّن أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم حمى ما حول التّوحيد، بعد حمايته التّوحيد، وهذا من باب العناية التامة بشأن التّوحيد" (٣).

ومن مناسبات الباب لما قبله هو أنه لما تكلم في الأبواب السابقة عن إثباتات التوحيد، وذكر ما ينافيها أو ينافي كماله، ذكر ما يحمي هذا التوحيد، وأن الواجب هو سد طرق الشرك

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن باز: (ص: ١١٣)

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٨٩)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٠٨)

من كل وجه حتى من الألفاظ؛ ليكون خالصا من كل ما يشوبه [1]، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: "وهذا الباب كالجامع لما يجب من سد الذرائع الموصلة للشرك، وهذا واجب على المسلم أن يسد كل طريق أو سبيل يجعل نفسه تتعاظم، لأن أعظم مقامات الشرف لك أن يعلم الله - جل وعلا - منك أنك متذلل خاضع بين يديه، وأنك خائف وجل تدعوه راغبا راهبا، فهذه صفة الخلص من عباد الله - جل وعلا - الذين وعدهم الله - جل وعلا - بالخيرات" [2].

ثم إن المصنف لم بين في الباب السابق ما يكون من التوسل الممنوع والنهي عن ذلك، ذكر هنا ما يكون من المدح الممنوع، فغالب الإنسان أنه يمدح ما يتوسل إليه، فناسب أن يذكر المصنف هذا الباب بعد السابق.

ثم إن المصنف رحمه الله لما بين في الباب السابق المنع من الاستشفاع بالله وأسمائه وصفاته على المخلوق؛ لأن ذلك يؤدي إلى الغلو بخلقه، وتشبيههم بمكانة الله، بين في هذا الباب المنع من نداء المخلوق بأسماء تشبه أسماء الله -جل وعلا- لكي لا تؤدي إلى الغلو بالمخلوق ورفع مكانته عن المكانة التي يستحقها [3].

ثم إن المصنف رحمه الله أراد بيان أنه وإن كان في الأبواب السابقة بعضها لا يؤدي إلى الشرك مباشرة؛ لكنها ربما تؤدي للشرك ولو من بعيد؛ حماية لحمى التوحيد [4].

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

- **قال المصنف -رحمه الله-: "عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال:" انطلقت**

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٥١٤)

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٨٤)

(٣) انظر: منحة الحميد، لخالد الدبيخي (ص: ٨١٠)

(٤) المصدر السابق.

في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. فقلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان "[1] رواه أبو داود بسند جيد، وعن أنس رضي الله عنه" أن ناسا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل "[2]. رواه النسائي بسند جيد" [3].

أورد المصنف رحمه الله هذين الحديثين في الباب ومناسبتهما تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف بيان أمثلة من الألفاظ التي تؤثر في التوحيد، وتنقصه، ومنها ما ذكره المصنف رحمه الله في هذه الأحاديث، يقول الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: "فمراد النبي صلى الله عليه وسلم حماية التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، والحماية من المنكر تعظم كلما كان المنكر أعظم وأكبر أو كان الداعي إليه في النفوس أشد. ولهذا تجد أن باب الشرك حماه النبي عليه الصلاة والسلام حماية بالغة حتى سد كل طريق يمكن أن يكون ذريعة إليه؛ لأنه أعظم الذنوب" [4].

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٥٥١) برقم: (١٦٥٦٥) (أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين، حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٤٠٢) برقم: (٤٨٠٦) (كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح) والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ٦٢)

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥ / ٢٦٥٢) برقم: (١٢٧٤٦) (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه،)، والنسائي في "الكبرى" (٩ / ١٠٣) برقم: (١٠٠٠٧) (كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي) والحديث صححه الالباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٠١)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٣٣)

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥١٦)

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن التمادي في المدح يفضي بصاحبه من تعاظم من يمدحه في نفسه، وهذا يقدح في التوحيد وكماله، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "كره صلى الله عليه وسلم أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه - ولو بما هو فيه - من عمل الشيطان، لما تقضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد" (١)، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الأولى: تحذيره الناس عن الغلو" (٢).

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان ما يفعله الشيطان وكيف يدخل على الإنسان، وذلك كله حماية للتوحيد، وحماه ومعرفة طرق الشيطان ومداخله، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الثالثة" قوله: "لا يستجرينكم الشيطان" مع أنهم لم يقولوا إلا الحق "أي نهاهم عن ذلك حماية لجناب التوحيد لئلا يجرهم إلى ما لا يصلح فكيف بمن قال أعظم من ذلك كصاحب البردة في أبياته التي تضمنت غاية الإطراء" (٣)، فمناسبة هذه الأحاديث للباب هو: "أن في قوله عليه الصلاة والسلام: «السيد الله تبارك وتعالى» مع كونه عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم، ما يفيد أنه عليه الصلاة والسلام حمى حمى التوحيد، وسد الطرق الموصله للشرك، ومنها طريق الغلو في الألفاظ" (٤)، يقول الشيخ حمد بن عتيق -رحمه الله-: "وهذان الحديثان وما شابههما دليل على الأدب مع الله" (٥).

---

(١) فتح المجيد (ص: ٤٩٢).

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٣٤)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٣٤)

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٥٨٢)، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٣١٤)

(٥) إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد (٣٠٣)

وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: قوله:"ولا يستجرينكم الشيطان"، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق" [١].

وقد بين الشيخ عثمان بن منصور رحمه الله أن مقصد المصنف رحمه الله هو تحذير الأمة من الغلو حتى فيما ظاهره الإباحة وعدم التحريم، وهذا تنبيه وتحذير من طرق الشيطان وحيله، يقول -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "وذلك أنهم مدحوه صلى الله عليه وسلم فكره لهم المبالغة في المدح، فنهاهم عنه، وامرهم أن يتكلموا بما يحضرهم من القول على المعنى الثاني، ولا يتكلفوا فيصيروا كأنهم وكلاء الشيطان ورسله ينطقون على لسانه، لعلمه صلى الله عليه وسلم أن أديان الرسل لم تغير إلا من جهة الغلو، حذرا أن يصيبهم من ذلك ما أصاب الأمم، مع أن قضاء الله واقع، ولكن تبليغا لما حمل تبليغه" [٢].

(١) كتاب التوحيد (ص:٣٣٤)

(٢) فتح الحميد (٤/٢٠٥٦)

المبحث الثامن والعشرون: **باب ما جاء في قول الله تعالى**: {**وما قدروا الله حق قدره**}.

تمهيد

وهذا المبحث هو الذي نص عليه المصنف بقوله: "**باب قول الله تعالى**: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (١)" (٢)، ويحتوي على آية وخمسة أحاديث، وأثر واحد.

وهذا المبحث عبارة عن مطلبين:

المطلب الأول: مناســـبة باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ للباب الذي قبله.

المطلب الثاني: مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له.

---

(١) سورة الزمر:٦٧.

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٣٥)

المطلب الأول: مناسبة باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره..﴾ للباب السابق.

اختتم المصنف رحمه الله هذا الكتاب بهذا الباب العظيم الذي يدل على عظمة الله -جل وعلا- وكبريائه، وأنهم ما عظموه حق عظمته ولا وصفوه حق صفته، وترجم رحمه الله لهذا الباب العظيم بهذه الآية العظيمة، يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيرها: "وقوله: (وما قدروا الله حق قدره) يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان... وقوله: (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة (والسموات) كلها (مطويات بيمينه)... وقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة لله، وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا." [1]، ويقول ابن كثير رحمه الله أيضا: "يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته"[2].

إذا علمت تفسير الآية من كلام المفسرين تبين لك علاقتها بالتوحيد، فمناسبتها تظهر من عدة أمور:

أولا: أن هذه الآية تلخص كل ما سبق ممن لم يتمسك بتوحيد الله -جل وعلا-، فالمشركون لم يوحدوا الله حق التوحيد، ولم يعرفوه حق المعرفة ولم يعظموه حق التعظيم، فمن عرفه حق المعرفة، فحقيق به ألا يقع في الشرك ولا يشبهه ويشرك معه غيره، يقول الشيخ عثمان بن منصور -رحمه الله-: "ما عرفوه حق معرفته، وماعظموه حق عظمته، ولا وصفوه حق

---

(١) تفسير الطبري (٢١/٣٢٣- ٣٢٩)

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١١٣)

صفته، فمن هذه صفة ذاته وأفعاله يمتنع أن يكون له شبيه، أو شريك أو ضديد أو نديد؛ إذ هو يتعالى عن ذلك علوا كبيرا، فكما أنه الخالق وحده، فهو المعبود وحده" (١).

ثانيا: أن المصنف رحمه الله أراد أن يذكر شيئا مما يدل على عظمة الله -جل وعلا- وكبريائه وخضوع جميع مخلوقاته، وأنها لا تساوي شيئا، فيتبين بهذا ضلال المشرك وكل من خالف في أمور العقائد وأمور الأحكام، فإنه ما قدر الله حق قدره؛ حيث إنه اتجه بعبادته إلى أولئك المخلوقات الضعيفة الحقيرة التي لا تملك نفعا ولا ضرا، فكيف يعطيها المشرك ما هو حق لله -جل وعلا- من العبادة والتعظيم والتصرف، وأن يظنوا فيها النفع أو الضر، أو العطاء أوالمنع، فمن قدر الله حق قدره، وعظمه حق عظمته عرف خلاصة ما سبق وخاتمة هذا الكتاب والحقيقة التي لا بد أن يسير عليها الناس وهي عبادة الله -جل وعلا- وحده لا شريك له، على بصيرة وهدى من الله -جل وعلا-(٢).

ثالثا: أن المصنف رحمه الله أراد بيان وجوب تعظيم الله -جل وعلا- وتنزيهه عن الشرك ووسائله وطرقه، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الآية للباب وللتوحيد: حيث دلت الآية على وجوب تعظيم الله حق تعظيمه، وتعظيمه هو توحيده وتنزيهه عن الشرك" (٣).

ومناسبة الباب لما قبله تظهر من عدة أمور:

أولا: أن المصنف - رحمه الله — ختم به كتاب التوحيد؛ فلما بين المصنف كتابه - رحمه الله - توحيد الله -جل وعلا- وأمر به وحذر من الشرك وطرقه ووسائله وشبهاته، وحث الناس على تحقيق التوحيد، وعدم القدح فيه ونقصه، وحمى التوحيد؛ جعل هذا الباب كالخاتمة لكل ما سبق والخلاصة لجميع ما ذكر، والسبب في وقوع الناس في الشرك، والانحراف والميل عن الطريق

---

(١) فتح الحميد (٢٠٧٩/٤)

(٢) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٠)، المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان(١٢٥٣/٢)، السبك الفريد، لابن جبرين (٥٦٢/٢)

(٣) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٧٧)

القويم، وهو عدم معرفة الله -جل وعلا- حق المعرفة، وعدم تعظيمه حق التعظيم، فمن عرف الله -جل وعلا- خافه، وعمل بما أمر به فلا يشبهه بأحد ولا يصفه بأحد، ولا يشرك معه أحد، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: "ختم المصنف -رحمه الله تعالى- كتابه بهذه الترجمة. وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ؛ لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص" (١)، فمن عرف الله -جل وعلا- وعظمته فإنه لا يملك إلا أن يذل لله ويخضع له حقيقة، فالخلق لم يوقروا الله -جل وعلا- فوقعوا في الشرك، يقول الشيخ عبد الهادي بن محمد -رحمه الله-: "ختم الشيخ -رحمه الله تعالى- هذا الكتاب بذكر عظمة الله وعجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته وعظيم قدرته وآياته وملكه ومصنوعاته للاستدلال على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته... فكيف ينبغي للعبد أن يشرك معه أحدا من المخلوقين في عبادته، وقد أخذ الله على جميع بني آدم حين أخرجهم من صلبه وهم كالذر، أن لا يشركوا به شيئا" (٢).

ثانيا: أن المصنف - رحمه الله - أيضا ختم كتاب التوحيد بهذا الباب من لمقصود آخر وهو أنه لما تكلم المصنف رحمه الله في الأبواب السابقة عن توحيد الألوهية، ومكملاته ومنقصات ومناقضاته، ذكر هذا الباب لأجل توحيد الأسماء والصفات، فيتكامل بذلك الكتاب، ويدور على جميع أنواع التوحيد، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "وقد ابتدأ المصنِّف -رحمه الله تعالى- هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩٤)، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ (ص: ٥٨٨-٥٨٩)

(٢) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٥٨٣)

دعت إليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه، وأعطاه القدرة على الدعوة إليه والجهاد لمن حالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد، كما ترى في هذه الأبواب، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم، وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم، وأحسنوا الظن بأهل الكلام، وظنوا أنهم على شيء، فقبلوا ما وجدوه عنهم، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين" (١)، ويقول الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله –: "ومن دقيق فهم المصنف – رحمه الله – وذكائه أنه ختم كتابه بهذا الباب الدال على إثبات أسماء الله وصفاته –سبحانه–، والدال على أن العبادة لا تصلح إلا لله، وأن من صرف شيئا من العبادة لغير الله ما قدر الله حق قدره... وختمُ الكتاب بهذه الآية فيه: أن من أخل بشيء من أنواع التوحيد الثلاثة فإنه ما قدر الله حق قدره" (٢).

ثالثا: أن المصنف ختم هذا الفصل التاسع بهذا الباب؛ ليبين أنه مع حماية النبي – صلى الله عليه وسلّم – حمى التوحيد، إلا أن كثيرا من الناس لم يقم بالحق الواجب عليهم من احترام أسماء الله –جل وعلا– وصفاته والأدب معها وتعظيمه حق التعظيم، فمن عبد الأوثان وقصر في ذات الله –جل وعلا– وأشرك معه غيره فهو لم يقدر الله –جل وعلا– حق قدره، فقد وفق المصنف رحمه الله بهذه الخاتمة العظيمة التي تقضي على جميع الشرك وأهله، وتبين حقيقة أمرهم وعظيم معصيتهم.

---

(١) قرة عيون الموحدين (ص: ٦٣٢)، وانظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٣١٥)

(٢) شرح كتاب التوحيد (ص: ٧٦٨).

المطلب الثاني: **مناسبة ما أورده الشيخ في هذا الباب له**.

أورد المصنف رحمه الله هذه الأحاديث والآثار والتي كلها بمجموعها تفسر الآية التي ترجم المصنف رحمه الله للباب بها، فهي تدل على عظمته وكبريائه، يقول الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله–: "الحاصل؛ أنّ هذا بابٌ واسع، وأنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يشمل كلّ من خالف في أمور العقائد وأمور الأحكام فإنّه ما قدَر الله حقّ قدره... تفسير هذه الآية في هذه الأحاديث والآثار التي ذكرها المصنِّف في هذا الباب" [١].

- **قال المصنف –رحمه الله–: "عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:" جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات السبع على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [٢] الآية "[٣]، وفي رواية لمسلم:" والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك أنا الله"[٤]، وفي رواية للبخاري:" يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على**

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٠)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، للفوزان (٢/ ٥٣٦)

(٢) سورة الزمر:٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦ / ١٢٦) برقم: (٤٨١١) (كتاب تفسير القرآن، باب قوله وما قدروا الله حق قدره) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٥) برقم: (٢٧٨٦) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار)

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٥) برقم: (٢٧٨٦) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار،)

إصبع، وسائر الخلق على إصبع "[١]، أخرجاه، ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا:" يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟ "[٢]،

وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:" ما السماوات السبع، والأرضون السبع، في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم "[٣] وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس ". قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد، ألقيت بين فلاة من الأرض "[٤]،

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:" بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ". أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩ / ١٤٨) برقم: (٧٥١٣) (كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ١٢٦) برقم: (٢٧٨٨) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار،)

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٣٢٤)

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٩)

(٥) رواه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات ٢٩٠/٠٢) برقم (٨٥١) والطبراني في كتابه الكبير (٢٠٢/١٢) برقم (٨٩٨٧)

ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، قال: وله طرق، وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هل تدرون كم بين السماء والأرض؟، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم "(١). رواه أبو داود وغيره" (٢).

مناسبة هذه الأحاديث للباب تظهر من عدة أمور:

أولا: أراد المصنف رحمه الله تفسير الآية المترجمة للباب بهذه الأحاديث التي تدل على عظمة الله -جل وعلا- وكبريائه، وتما تسليم النبي صلى الله عليه وسلم لما في الأحاديث والآثار من ذكر صفات الله -جل وعلا- وكذلك أصحابه، ولم يؤولوا شيئا منها؛ لأنهم عرفوا الله -جل وعلا- حق المعرفة، وعظموه حق التعظيم، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: "وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته، وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، أو أنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه... وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم -ﷺ- ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم -جل وعلا-،... وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يجحدوا شيئا من الصفات، ولا قال أحد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٢/٣) برقم (١٧٧٠)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٣٥-٣٣٩)

منهم: إن ظاهرها غير مراد، ولا إنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة" (١)، فمن عرف الله -جل وعلا- وقدره حق التقدير فإنه سيعظمه حق التعظيم، ويثبت له ما أثبته لنفسه -جل وعلا- أو أثبته له رسوله -ﷺ-.

ثانيا: أراد المصنف رحمه الله بيان أن عظمة الله -جل وعلا- وكبريائه وعلوه على خلقه، وأن اليهود أثبتوا ما أثبته

الله -جل وعلا- وعلا لنفسه، فهي باقية عندهم وقد أخبروا بها النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه بها، فكيف يكون اليهود أعرف بالله من هؤلاء المشركين الذين أنزل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وبلغتهم، وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه، لم ينكروها ولم يتأولوها" (٢)، فالنبي صلى الله عليه وسلم ضحك لما ذكر اليهودي هذا الكلام تصديقا له، فهو موافق لكلام الله -جل وعلا-، وقرأ الآية التي فيها شاهد لكلام هذا اليهودي، وهذا كله دليل على عظمة الله -جل وعلا- وكبريائه(٣).

ثالثا: أراد المصنف رحمه الله بيان صغر المخلوقات وضعفها، وهي عظيمة في نظر الإنسان، فكيف بالإنسان عندها، وهذا كله يدل على عظمة الله -جل وعلا- وكبريائه، يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- واصفا مجموع هذه الأحاديث والآثار التي تدل على عظمة الخالق وضعف وصغر جميع المخلوقات: "وإذا تأملت هذه الأحاديث وما اشتملت عليه تبين لك غرور أهل الأرض في الأرض، وبسعتها وبقواهم فيها... فالأرض التي أنت فيها نقطة صغيرة جدا بالنسبة إلى السماء، والأرض والسماوات مجتمعة في غاية الصغر بالنسبة للكرسي،

---

(١) فتح المجيد (ص: ٥٠٠)

(٢) كتاب التوحيد (ص:٣٤٠)

(٣) انظر: السبك الفريد، لابن جبرين (٢/ ٥٦٤)

والكرسي أيضا فوقهما، وفوق ذلك عرش الرحمن - جل وعلا، والكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فهو متناهي الصغر بالنسبة إلى عرش الرحمن، والذي هو مستو عليه - جل وعلا - وهو فوقه -ﷻ، ولو تأمل الناس صفة الرب - جل وعلا - وما يجب له من الجلال،... لاحتقروا أنفسهم، ولعلموا أنه لا ينجيهم ولا يشرفهم إلا أن يكونوا عبيدا له وحده دون ما سواه، فهل يعبد المخلوق المخلوق؟!... وأن من عبد المخلوق الحقير الوضيع فإنه قد نازع الله - جل وعلا - في ملكه، ونازع الله - جل وعلا - في إلهيته..." (١).

رابعا: أن هذه الأحاديث تدل على وجوب تعظيم الله -جل وعلا-، يقول الشيخ محمد القرعاوي: "مناسبة الحديث للباب وللتوحيد: حيث دل الحديث على وجوب تعظيم الله، وتعظيمه هو توحيده وتنزيهه عن الشرك" (٢).

وأن من لم يعظم الله -جل وعلا- إنما هو جبار متكبر، ولهذا وقد أشار المصنف رحمه الله إلى ذلك في مسائله بقوله: "السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك" (٣). يقول الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-: "أي أن القادر على ذلك هو الجبار المتكبر حقيقة لا المخلوق الضعيف الحقير فإنه لا يليق به ذلك" (٤).

فهذه الأحاديث تدل كلها على عظمة الله -جل وعلا- وأنه هو المعبود وحده المستحق للعبادة -جل وعلا-، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله عند كلامه عن الحديث الأخير في هذا الباب: "وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله، وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له، دون كل ما سواه. وبالله التوفيق"

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص:٥٩٠- ٥٩٣)

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٧٨)

(٣) كتاب التوحيد (ص:٣٤١)

(٤) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ٢٥٩)

[1]، فنوع المصنف وعدد الأحاديث ليذكر صفات الله -جل وعلا- وعظمته وضعف المخلوقات عنده، فما بالك بالإنسان عند هذه المخلوقات التي لا تساوي شيئا عند عظمة الله -جل وعلا-، فحقيق بالمسلم أن يتأمل ذلك ويعرف قدر نفسه وضعفه، ويعرف قدر ربه وعظمته وعلوه على خلقه، فيثبت ما أثبته لنفسه، من غير تحريف ولا تبديل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، ولهذا فإن المصنف رحمه الله في مسائله فصل في ذكر عظمة المخلوقات فيما بينها، وتدرج في ذكر عظمة كل مخلوق وكبره [2]، فعلم منها أنها بعظمتها وكبر خلقتها، لا تساوي شيئا أمام عظمة الله -جل وعلا-، والله أعلم.

(١) فتح المجيد (ص: ٥٠٤)

(٢) انظر: كتاب التوحيد (ص:٣٤١)، من المسألة الثامنة وحتى نهاية المسائل.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، على ما أنعم به من إتمام البحث، فاللهم لك الحمد ولك الشكر، ثم بعد أن أوردنا مناسبات ذكره لهذه الأبواب ومناسبة ذكر الأدلة تحت كل باب أسجل هنا أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال هذا البحث:

١- اهتم المصنف رحمه الله بالتوحيد، فبينه أبلغ بيان، وقعد له، وتدرج في التحذير من الشرك،، ثم بعد ذلك جعل يذكر أشهر الأمثلة التي تخدش في التوحيد، فهذا الكتاب يوضح لنا أهمية التوحيد، وعظيم أمره، ولهذا كان الكتاب من الأهمية بمكان، فأجاد - رحمه الله – وبرع في هذا المجال، وقد صور الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله – براعة هذا الكتاب، فقال: "وهو كتاب فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق" (١)، وبين الشيخ عبد الله الغنيمان أن بعض الناس الذين لم يعرفوا الحقيقة يظنون أن هذا الكتاب ليس للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، يقولون: هذا من أسلوب البخاري والدارمي والعلماء الكبار، - رحمهم الله – وما ذاك إلا من توفيق الله –جل وعلا– لهذا الإمام وسعة علمه (٢).

٢- أن الكتاب هو شرح لتوحيد الألوهية بالدرجة الأولى، ولم يغفل مع ذلك ما يتعلق بالنوعين الآخرين، وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لكنه ضمن معهما توحيد الألوهية كذلك، وبين أن التوحيد هو أول واجب على المكلف، وبين فضله وتكفيره للذنوب ونجاة صاحبه من خلوده في النار بسبب تمسكه به، وحذر من ضده وهو الشرك، وأوضح - رحمه الله - أهمية الدعوة إلى هذا التوحيد العظيم، وفسره أبلغ تفسير، ثم ترجم هذا التفسير بالأبواب الأخرى، فاستوفى ما أراد توضيحه

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٢٣/١).

(٢) انظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد (٧/١).

وبيانه بذكر أشدها وأخطرها من الشبهات التي ضل بها الناس من حيث لا يشعرون، بل قد يدافعوا عنها.

٣- أن هذا الكتاب هو ملخص لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، وقد نقل الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- كلاما للإمام في أحد كتبه عندما زعم ناس بأن ما جاء به ليس بصحيح وفيه: "... ولو كنتم تعقلون حقيقة ما دعوتكم إليه لكنت أغلى عندكم من آبائكم وأمهاتكم وأبنائكم، ولكنكم قوم لا تعقلون" (١)، فمن فهم هذا الكتاب فقد فهم توحيد العبادة.

٤- أن هذه المناسبات والأبواب بينت خطورة الشرك، وشدة تحذير النبي - صلى الله عليه وسلّم — منه وحماية النبي - صلى الله عليه وسلّم — لحمى وجناب التوحيد، وسده لكل طريق يوصل إلى الشرك، وعند النظر في الأبواب تجد أن الشيخ سرد أبوابا متعلقة ببيان أنواع الشرك الأكبر والأصغر، والخفي.

٥- أن المصنف - رحمه الله — مع تحذيره من الشرك وأهله وحرصه على عدم وقوع الناس في الشرك، بين مع هذا في أبوابه أحوال بعض من عُبد من دون الله -جل وعلا-، وبين عدم استحقاقهم في العبادة ليكون ذلك أبلغ في التحذير والتنفير من الشرك وأهله.

٦- أن المصنف - رحمه الله — شدد في التحذير من الشرك وأهله وكل طريق يوصل إليه؛ وذلك بذكر أسباب هذه الشرك، وقطعها ورده - رحمه الله — على من منع وقوع الشرك في هذه الأمة.

٧- أن المصنف - رحمه الله — بين كيف يكون الشرك في العبادات القلبية، وفصل فيها ليكون العبد على علم بذلك فلا يقع في هذا النوع من الشرك، ويحرص على توحيد الله -جل وعلا- فيها.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص:٤٩).

٨- بين المصنف - رحمه الله —كيف يكون الشرك في تحكيم الشرع، وأن من لوازم تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله أن يكون العبد مطيعا لله -جل وعلا- فيما أحل وما حرم، لا يتحاكم إلا إليه ولا يحكم في الدين إلا بشرع الله -جل وعلا-، وحذر من تقليد الشيوخ والأمراء فيما يخالف شرع الله -جل وعلا- وهو التقليد الأعمى.

٩- بين المصنف - رحمه الله — الأدب مع الله -جل وعلا- وتعظيمه والنهي عن كل ما ينافي ذلك من اتخاذ الأنداد وعدم احترام أسماء الله -جل وعلا- وصفاته، والإلحاد فيها، وأن هذا الأدب والتعظيم من التوحيد، وما ينافيه شرك.

١٠- دقة الشيخ - رحمه الله — في اختيار الآيات والأحاديث والآثار التي تدعم الباب، فكل آية وكل حديث وكل أثر إما فيه فائدة زائدة عن الآخر، أو أنه تأكيد لما قبله، وهذا يدل أيضا على دقة المصنف - رحمه الله — في انتقاء النصوص، وكيف أن بعضها قد يكون فيما يظهر للقارئ بعيدا، وعند النظر والتمعن والاستعانة بمسائل الكتاب وكلام الشراح يتبين وضوح الآية وشدة علاقتها بالباب، فالمصنف - رحمه الله - اهتم اهتماما كبيرا بترتيب أبواب كتابه التوحيد، والتسلسل المنطقي لها، وبيان مقاصده والتي تكون غالبا ما يذكر تلك المقاصد في المسائل التي يوردها بعد كل باب

١١- أن المصنف - رحمه الله — سهل على القارئ استخراج المناسبات، وذلك بالنظر إلى المسائل، فقد ذكر في مسائله ما يدل على فوائد ما أورده في المناسبات وغيرها، وجعل من وظيفة القارئ استخراج تلك الفوائد، وهذا يدل أن فقه الشيخ - رحمه الله — في أبوابه ومسائله، فإن الشيخ ربما ذكر فائدة في مسألة من مسائله ودليل هذه الفائدة تكون بالنظر إلى دليلين اثنين إذ إن أحدهما لا يكفي لإتمام وجه ذكر المسألة، وهذا من مميزات كتاب التوحيد.

١٢- أن المصنف رحمه الله ذكر في بداية كتابه قواعد نظمها على أبواب ستة جعل ما

بعدها من الأبواب شرحا لها وأمثلة وأدلة له؛ ولهذا كان الكلام في الأبواب الستة مطولا.

١٣- دقة المصنف في تراجمه، فقد يجزم المصنف رحمه الله بالحكم فيما إذا كان دليله واضحا، وقد لا يجزم فيما فيه تفصيل، ثم يكون التفصيل عند ذكر الأدلة والمسائل، وقد يكون سبب عدم تصريحه إما تدريبا للقارئ باستخراج الحكم من خلال الأدلة الموجودة، أو تشويقا لمعرفة حكم ذلك الشيء، وهذه هي طريقة السلف كالإمام البخاري وغيره، كما سبق بيانه في مقدمة الكتاب.

١٤- عند النظر إلى تراجمه - رحمه الله - فإنك تجد أن المصنف - رحمه الله - قد يصدر الباب بآية من كتاب الله -جل وعلا-، ويجعها هي ترجمة للباب، أو يقتبس الترجمة من حديث ذكره ضمن أدلة الترجمة وذلك مثل قوله: باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، فهو نص حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلّم -، كذلك في قوله باب ما جاء في كذا، فجل مقصود المصنف - رحمه الله - أن من معانيها هو ما جاء من الوعيد.

١٥- : أن المصنف - رحمه الله - لم يجزم بما كان فيه خلاف ظاهر بين السلف في بعض تبويباته ومسائله، وقد يشير إلى رأيه من غير تصريح، وهذا يدل على ورعه واحتياطه، واحترامه لأقوال السلف - رحمهم الله - وعلمهم.

١٦- اهتمام شراح كتاب التوحيد بمقاصده ومناسباته والحرص على إظهارها لمعرفة مقصود المصنف - رحمه الله - من خلالها، ومن أشهر من اهتم بها حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله -، فقد حرص عليها وأظهرها ليبين مقصود المصنف - رحمه الله - من ذكرها، واستفاد منه - رحمه الله - كثير ممن جاء بعده.

١٧- أن شراح كتاب التوحيد قد يختلف كلامهم في ذكر المناسبات، وغالبا ما يكون هذا الاختلاف من قبيل اختلاف التنوع، فيكون ما ذكروه صوابا، ويصح أن تجمع،

وتكون مناسبات للباب.

١٨- أن المصنف - رحمه الله — راعى في كتابه جميع أصناف الناس، وذلك بذكر الأدلة والمسائل بعدها؛ ليسهل قراءتها والاستفادة منها، كذلك فإن كتابه جله إنما هو من كتاب الله -جل وعلا- وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلّم — وذلك أقوى في الحجة والبرهان.

١٩- من خلال تتبع تراجم كتاب التوحيد، وجد الباحث أن التقسيم المناسب هو الموجود في خطة الرسالة على الفصول التسعة، والتي بها يظهر حسن صنيع الشيخ - رحمه الله — ودقته، وهذه الفصول التسعة هي كالتالي:

الفصل الأول: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببيان التوحيد وتفسيره والدعوة إليه.

الفصل الثاني: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببيان أنواع من الشرك الأكبر والأصغر.

الفصل الثالث: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بأحوال بعض من عُبد من دون الله تعالى وعدم استحقاقهم للعبادة.

الفصل الرابع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بأسباب الشرك وقطعها والرد على من منع وقوع الشرك في هذه الأمة.

الفصل الخامس: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببعض أنواع الشرك.

الفصل السادس: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق ببعض العبادات القلبية.

الفصل السابع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بالشرك الخفي.

الفصل الثامن: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بتحكيم الشرع.

الفصل التاسع: مناسبة أبواب كتاب التوحيد مما هو متعلق بالأدب مع الله تعالى وتعظيمه جل وعلا والنهي عن كل ما ينافي ذلك.

وبعد كل ما سبق ذكره مما يدل على اهتمام الشيخ - رحمه الله — بهذا العلم العظيم، واهتمام الشراح من بعده بشرح وتوضيح هذا الكتاب، فإن الباحث يرى ويوصي الدعاة والخطباء والجامعات العالمية وغيرها بنشر هذا الكتاب العظيم، وتدريسه وإظهار شروحه، والتصدي لكل ما يقدح في هذه الدعوة العظيمة ويقلل من شأنها، ففيها الحياة والنجاة في الدنيا والآخرة.

ثم إنه على منوال هذه الرسالة فإن الباحث يرى دراسة مناسبات ما أورده الإمام البخاري لكتاب التوحيد في صحيحه، وبيان المقصود بتراجمه، وعلاقتها بالتوحيد، ومناسبات الأدلة للترجمة، ففيها فقه الشيخ - رحمه الله — وعلمه.

أسأل الله –جل وعلا– أن ينفع بما كتبت وقيدت وأن يجعله حجة لي يوم ألقاه، ويغفر لي ولوالدي ولمن له حق علي ولشيخي ولجميع المسلمين، ويجزيهم عني خير الجزاء، والحمد لله على التمام، والتوفيق، وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد اللّه ومنته وتوفيقه

فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦	﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾	١٥٤	٦٥٤، ٦٦٣، ٦٦٣، ٦٦٤
١٧	﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾	١٦٨	٦٥٤
١٨	﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ...﴾	١٧٣	٤٦٧
١٩	﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾	١٧٥	٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٦، ٤٤٧

٤-سورة النساء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠	﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾	٣٦	٥٥
٢١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ...﴾	٤٨	١١٣
٢٢	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾	٥١-٥٢	٣٤٧
٢٣	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾	**٥١**	٣٤٨، ٣٥١، ٣٦٢، ٣٦٤
٢٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ ...﴾	٦٠	٥٢٣، ٥١١، ٥٢٣، ٥٢٣، ٥٢٤
٢٥	﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ...﴾	١٦٥	٥١
٢٦	﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾	١٧١	٢٩٩

٥-سورة المائدة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧	﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾	٢٣	٤٦٣، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٥٨، ٤٦١
٢٨	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	٥٠
٢٩	﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾	٥٠	٥٣٢
٣٠	﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ ...﴾	٥٩-٦٠	٣٥١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ...﴾	٦٠	٣٥١، ٣٥٢
٣٢	﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن ...﴾	٦٧	٦٤

٦-سورة الأنعام

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣	﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ ...﴾	٥١	٢٧٧، ٢٧٨
٣٤	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ...﴾	٨٢	٧٤، ٧٥
٣٥	﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ...﴾	١٥١	٥٧، ٦٥
٣٦	﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾	١٥٣	٥٨، ٦٣
٣٧	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ...﴾	١٦٢-١٦٣	٢٠٦، ٢٠٨
٣٨	﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ﴾	١٦٣	٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٨

٧-سورة الأعراف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٩	﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾	٥٦	٥٢٩
٤٠	﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ...﴾	١٣١	٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٢، ٤٠٤
٤١	﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾	١٨٠	٦٢٤، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٢، ٦٢٥
٤٢	﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾	١٩٠	٦١٦
٤٣	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا ...﴾	١٩١-١٩٢	٢٤٠، ٢٥٢
٤٤	﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾	١٩١	٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨

٨-سورة الأنفال

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٥	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٢	٤٦٢
٤٦	﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	٤٦٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

٩-سورة التوبة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٧	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ ...﴾	١٧	١٢٦، ٤٥١
٤٨	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ...﴾	١٨	٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣
٤٩	﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾	٢٤	٤٣٦، ٤٣٧
٥٠	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾	٣١	١٥١، ١٥٨
٥١	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾	٦٥	٦٠٣
٥٢	﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾	١٠٨	٢١٦، ٢١٧
٥٣	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن ...﴾	١١٣	٢٩٠، ٢٩١
٥٤	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ...﴾	١٢٨	٣٣٧

١٠-سورة يونس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا ...﴾	١٨	١٩٦
٥٦	﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ...﴾	١٠٦-١٠٧	٢٤١
٥٧	﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾	١٠٦	٢٤٢

١١-سورة هود

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٨	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ...﴾	١٥-١٦	٥٠٥
٥٩	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ ...﴾	١٥	٥٠٥

١٢-سورة يوسف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٠	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾	١٠٦	١٧٦
٦١	﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾	١٠٨	١٣١، ١٣٣، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣

١٣-سورة الرعد

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٢	﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾	٣٠	٥٤٣

١٤-سورة إبراهيم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٣	﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾	٣٥	١١٥

١٥-سورة الحجر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٤	﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦﴾	٥٦	٤٧٤

١٦-سورة النحل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٥	﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾	١٦	٤١٧
٦٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ...﴾	٣٦	٤٩، ٥٠
٦٧	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾	٨٣	٥٤٩، ٦١١
٦٨	﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ ...﴾	١٢٠	٩٤، ٩٦، ٩٨

١٧-سورة الإسراء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٩	﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾	٢٢	٥٣، ٥٤
٧٠	﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾	٢٣	٥٢، ١٤٧
٧١	﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾	٣٩	٥٣، ٥٤
٧٢	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ ...﴾	٥٦-٥٧	١٥٢
٧٣	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾	٥٦	١٥٤
٧٤	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ...﴾	٥٧	١٥١، ٤٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤
٧٥	﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ ...﴾	٨٠	١١٧

١٨-سورة الكهف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٦	﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ...﴾	٢١	٣٥٤
٧٧	﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾	١١٠	٤٩٥، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩١	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ...﴾	٢٤	٩٧

٣٣-سورة الأحزاب

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٢	﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	٤٥٢

٣٤-سورة سبأ

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٣	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ ...﴾	٢٢	٢٨٤
٩٤	﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٢٧٣، ٢٨٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٧٠

٣٥-سورة فاطر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٥	﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ﴾	٨	٣١١
٩٦	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾	١٠	٥١٤
٩٧	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾	١٠	٥١٤
٩٨	﴿**وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن** ...﴾	١٣	٢٥٨، ٢٥٩

٣٦-سورة يس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٩	﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ...﴾	١٨	٤٠٢
١٠٠	﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	١٩	٤٠١، ٤٠٣

٣٩-سورة الزمر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠١	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾	١٠	٤٨٠
١٠٢	﴿**قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ** ...﴾	٣٨	١٧١
١٠٣	﴿**قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ**﴾	٤٤	٢٨١
١٠٤	﴿**وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ** ...﴾	٦٧	٧١٧، ٧٢٢

٤٠-سورة غافر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٥	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ...﴾	٦٠	٢٤٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

٤٣-سورة الزخرف

١٠٦	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ...﴾	٢٦-٢٧	١٥٥
١٠٧	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾	٢٨	١٥٦

٤٥-سورة الجاثية

١٠٨	﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	١٠٢
١٠٩	﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ ...﴾	٢٤	٥٨٣

٤٦-سورة الأحقاف

١١٠	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا ...﴾	٥	٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٦
١١١	﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾	٦	٢٤٧

٥١-سورة الذاريات

١١٢	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٢، ٤٥، ٤٧

٥٣-سورة النجم

١١٣	﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾	١٩	١٩٤، ٣٢٥
١١٤	﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ...﴾	٢٦	٢٨٣

٥٦-سورة الواقعة

١١٥	﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾	٧٥	٤٢٧
١١٦	﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ ...﴾	٧٥-٨٢	٤٢٨
١١٧	﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾	٧٦	٤٢٨
١١٨	﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	٤٢٨
١١٩	﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ...﴾	٨١-٨٢	٤٢٩
١٢٠	﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠

٦٤-سورة التغابن

١٢١	﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ ...﴾	١١	٤٨١

٦٥-سورة الطلاق

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٢	﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾	٣	٤٦٥

٦٧-سورة الملك

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٣	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا ...﴾	٥	٤١٦

٧١-سورة نوح

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٤	﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا ...﴾	٢٣	٣٠٠

٧٢-سورة الجن

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٥	﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ ...﴾	٦	٢٣٣

٧٦-سورة الإنسان

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٦	﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾	٧	٢٢٥

١٠٣-سورة العصر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٧	﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ...﴾	١-٣	١٢٦

١٠٨-سورة الكوثر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٨	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾	٢	٢٠٨

فهرس الأحاديث

طرف الحديث | الصفحة

فهرس الآثار

طرف الأثر | الصفحة

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب:

١. إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، لحمد بن علي بن محمد بن عتيق، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢. الإخنائية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أحمد بن مونس العنزي، دار النشر: دار الخراز، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م..

٣. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

٤. الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ١٩٣-٢٩١)، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،دراسة وتحقيق: د.عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ..

٥. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - ييروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م

٧. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار - مايو ٢٠٠٢م

٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية
٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م..
١٠. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة – الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م
١١. بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد، لمنصور بن محمد الصقعوب، الناشر: دار الحقيقة الكونية، الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ.
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٣. تاريخ نجد، لحسين بن غنام، المحقق: ناصر الدين الأسد، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.
١٤. التأصيل والتقعيد لضبط كتاب التوحيد، لخالد بن علي المرضي، الناشر: دار أطلس الخضراء، الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ.
١٥. تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل (العجيلي) (المتوفى: ق ١٣هـ)، المحقق: حسن بن علي العواجي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م

١٦. التعليق الرشيد على كتاب التوحيد، لعلي بن حسن الأثري، الناشر: دار الإمام مسلم، الطبعة: الأولى ١٤٣٢هـ.
١٧. تفسير ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ
١٨. تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ
١٩. تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ–١٩٩٧م
٢٠. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٢١. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

٢٢. تفســـير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيســـابوري (المتوفى: ٣١٩هـــ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م

٢٣. تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (المتوفى: ٦٦٠هـــ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م

٢٤. تفســـير القرآن، للعز بن عبد الســـلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، (وهو اختصار لتفسير الماوردي) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٥. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصـــاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـــــ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشـــر: دار الكتب المصـــرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢٦. تفسـير آيات من القرآن الكريم، (مطبوع ضـمن مؤلفات الشـيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سـليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـــــ)، المحقق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشـر: جمعة الإمام محمد بن سـعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: بدون.

٢٧. تفســير سـفيان الثوري، لأبي عبد الله ســفيان بن سـعيد بن مســروق الثوري الكوفي، ط١، ١٤٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ه
٢٩. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠ه)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ..
٣٠. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طبعت، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣١. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦ه.
٣٢. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ه)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٣٣. التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش (المتوفى: ١٤٠٩ه)، الناشر: دار العليان، الطبعة: ١٤١١هـ. ١٩٩٠م.
٣٤. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٥. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٣٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٧. ثلاثة الأصول، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: ناصر بن عبد الله الطريم وغيره، الناشر: جامعة الأمام محمدبن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٨. جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٣٩. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م (في مجلد واحد)

٤٠. الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة في علم التوحيد، لعبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤١. الجديد في شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، دارسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، الناشر: مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٢. حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: -، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ
٤٣. حاشية كتاب التوحيد، لإسحاق بن حمد بن عتيق، الناشر: دار القاسم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت، ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ).
٤٥. حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري (المتوفى: ١٤١٧هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٠م
٤٦. الدر النضيد على أبواب التوحيد، لسليمان بن عبد الرحمن الحمدان الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.
٤٧. الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول، الطبعة: الرابعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٨. ديوان البوصيري (ص:٢٠٠)، تحقيق محمد سيد كيلاني طبع مصطفى الحلبي مصر، ١٣٧٤هـ.
٤٩. الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

٥٠. الرسائل الشخصية، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥١. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ..

٥٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥٣. الزهد والرقائق، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

٥٤. الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.

٥٥. السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، لعبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الناشر: مدار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ.

٥٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م

٥٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - الممكلة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م

٥٨. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩م.

٥٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٦٠. سنن الترمذي = جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

٦١. سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٦٢. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

٦٣. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر

البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

٦٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

٦٥. الشرح المرتب المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله بن صالح المحسن رحمه الله، المحقق: د. ناصر بن عبدالرحمن بن ناصر الحمد، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٦٦. الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد الذي ألفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لأحمد بن يحي النجيمي، الناشر: منارة الإسلام، الطبعة: الثانية ١٤٣٥هـ.

٦٧. الشرح الميسر لكتاب التوحيد، لعبدالملك القاسم، الناشر: دار القاسم، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

٦٨. شرح كتاب التوحيد، لعبد الله بن محمد بن حميد، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية ١٤٣٩هـ.

٦٩. شرح كتاب التوحيد، لعبدالعزيز بن باز، المحقق: محمد العلاوي، الناشر: دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

٧٠. شرح مشكاة المصابيح، المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط١: ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

٧١. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي،

صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ–٢٠٠٣ م (١٣، ومجلد للفهارس).
٧٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: –، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م
٧٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ — ١٩٩٣م.
٧٤. صحيح ابن خزيمة، اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الناشر: دار الميمان، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٧٥. صحيح البخاري، = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الناشر: دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٧٦. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة.
٧٧. صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الناشر : دار الجيل – بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ).
٧٨. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

٧٩.	ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.
٨٠.	الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.
٨١.	عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي لصالح بن عبد الله العبود، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
٨٢.	علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبد الله البسام، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ،
٨٣.	عناية العلماء بكتاب التوحيد، لعبد الإله الشايع، الناشر: دار طيبة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٨٤.	عنوان المجد، لعثمان بن بشر، المحقق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، الناشر: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٢هـ.
٨٥.	غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة — ١٤٠٥هـ.
٨٦.	غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤م
٨٧.	فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه:

محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٨٨. فتح الحميد في شرح كتاب التوحيد، لعثمان بن عبد العزيز بن منصور التميمي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، وحسين بن جليعب السعدي، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة: الثانية ١٤٣٤هـ.

٨٩. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسين بن محسن، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار المؤيد، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٩٠. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ.

٩١. الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعي - الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٩٢. الفروع لابن مفلح، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٩٣. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر.

٩٤. فوائد من شرح كتاب التوحيد، عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع.

٩٥. فوائد من شرح كتاب التوحيد، ويليه فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد، لعبد العزيز بن باز، الناشر: دار الإمام أحمد، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ.

٩٦. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٩٧. قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن، المحقق: أبو عبدالله عمر بن أحمد بن علي الأحمد آل عباس، الناشر: دار التوحيد للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

٩٨. القصد السديد على كتاب التوحيد، لفيصل بن عبدالعزيز آل مبارك "المتوفى ١٣٧٦هـ"، المحقق: عبدالإله بن عثمان الشايع، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.

٩٩. القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة: الثالثة

١٠٠. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ

١٠١. الكافي في فقه الإمام أحمد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م

١٠٢. كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله — وقفات وتأملات، لفالح بن محمد الصغير، الناشر: مكتبة التوبة، الطبعة: الأولى ١٤٣٢هـ.

١٠٣. كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: دغش بن شبيب العجمي، الناشر: مكتبة أهل الأثر، الكويت، الطبعة: الخامسة، ١٤٣٥هـ.

١٠٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ه

١٠٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م

١٠٦. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٠٧. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠٨. المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبد الله بن محمد الغنيمان الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ.

١٠٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ه

١١٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.

١١١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

١١٢. مختصر تاريخ دمشق، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

١١٣. مدارج السـالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نسـتعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشـر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م..

١١٤. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشـر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

١١٦. المسبوك الثمين في شرح مسائل كتاب التوحيد، لخالد بن عبد العزيز الهويسين، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

١١٧. المستدرك على الصحيحين، اسم المؤلف: الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار المعرفة - بيروت – لبنان، ترقيم الأحاديث وفق ترقيم شركة حرف.

١١٨. مسند أبي داود الطيالسي، اسم المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود

الطيالسي، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع- مصر ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١١٩. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م.

١٢٠. مسند أحمد، اسم المؤلف: أحمد بن محمد بن حنبل ، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي- دار المنهاج، الطبعة: الأولى١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٢١. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

١٢٢. مسند الحميدي، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق ، دار المغني للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢٣. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٢٤. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

١٢٥. المصنف لابن أبي شيبة، اسم المؤلف : أبو بكر بن أبي شيبة، الناشر : دار القبلة –

جدة – السعودية، مؤسسة علوم القرآن – دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.

١٢٦. المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٢٧. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٢٨. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢٩. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، أما الأجزاء: (١٣ ، ١٤ ، ٢١) فهي بتحقيق فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد ، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي.

١٣٠. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٣١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

١٣٢. مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد، لعبد المنعم إبراهيم، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية ١٤٢٩هـ.

١٣٣. مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

١٣٤. المفيد على كتاب التوحيد، لعبد الله بن صالح القصير، الناشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.

١٣٥. الملخص في شرح كتاب التوحيد، لصالح بن فوزان الفوزان، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى ١٤٣٥هـ.

١٣٦. منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد، لخالد بن عبد الله الدبيخي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٣٣هـ.

١٣٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

فهرس الموضوعات